

موسوعة  
غزوات النبي  
المصطفى  
دروس وعبر

د/ أمير بن محمد المدني

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

موسى وعمران واولاد النبی المصطفیٰ فی  
دروس ورسائل وکتب نبویہ

د. امیر بن محمد المددنی



دارالعلوم  
دہلی



مکتبۃ جامعۃ الدین الاسلامیہ

موسى وعيسى وآل النبي المصطفى

درم و ستر و سب و سب

الحقوق محفوظة  
لكل مسلم  
«الطبعة الأولى»  
«1437هـ - 2016م»

  
دار الكتب المصرية  
للطباعة والنشر والتوزيع  
صنعاء الدائري الغربي - جولة  
القادسية

تلفون: (215243)  
فاكس: (215323)

ميسما / عبد الرحمن لطف المزني سنة 1986م  
الطبعة الأولى

  
مكتبة خليفة الخليفة  
للطباعة والنشر والتوزيع  
المركز الرئيسي صنعاء - شارع  
العدل

تلفاكس: (224694)  
ت: (227855) ص. ب. (2370)  
القرطاسية: (270961)

فرع عدن كريتري □ الميحاء □ تحت فندق العامر فرزة الشيخ عثمان  
ت: (02/265706)

مركز خالد بن الوليد □ الدائري الغربي □ تقاطع شارع الرباط  
ت: (215699)

## المحتويات

### المحتويات

- المحتويات ..... 5
- المقدمة ..... 27
- غزوة بدر دروس وعبر ..... 28
- دروس وعبر من غزوة بدر ..... 34
- 1- ..... وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم: 34
- 2- ..... قوة الإيمان هي السلاح البتار: 36
- 3- ..... قوة الترابط بين المؤمنين: 37
- 4- ..... الثبات وذكر الله عند لقاء الأعداء: 39
- 5- ..... الشورى بين القائد الجند: 39
- 6- ..... استكشاف قوة الأعداء: 41
- 7- ..... المسلم الصادق موصول بجند السماء: 42
- 8- ..... من يحارب الإسلام إنما يحارب الله: 44
- 9- ..... خطبة النبي - ﷺ - يوم بدر ترسم طريق النصر: 45

- 10- مروءة ووفاء: ..... 45
- 11- أخوة الإيمان تعلقو على أخوة النسب: ..... 46
- 12- سيف عكاشة والمعجزة: ..... 46
- 13- حقيقة النصر من الله تعالى: ..... 47
- 14- يوم الفرقان: ..... 48
- 15- الولاء والبراء من فقه الإيمان: ..... 51
- 16- المعجزات التي ظهرت في بدر وما حولها: ..... 53
- 17- حكم الاستعانة بالمشرك: ..... 55
- 18- النصر مع الصبر: ..... 56
- 19- سر الانتصار: ..... 57
- 20- صفات المنصورين: ..... 58
- 21- نصر الله سنة ماضية: ..... 59
- 22- النصر ثمرة الإخلاص: ..... 61
- 23- توحد القيادة والشعب: ..... 61
- 24- لا عذر في القعود: ..... 62
- 25- الدعاء ومقاطعة العدو: ..... 63
- 26- الرضا بقضاء الله تعالى وقدره: ..... 64
- 27- الاستشارة من أسباب النصر: ..... 65
- 28- علو منزلة النبي ﷺ عند الصحابة : ..... 66
- 29- وجوب الحذر من الأعداء : ..... 66
- 30- النصر من عند الله العزيز الحكيم: ..... 67



- 31- طاعة الله والدعاء من أسباب النصر: ..... 67
- 32- ولا تنازعوا فتفشلوا: ..... 68
- 33- علو منزلة أهل بدر على غيرهم من الصحابة: ..... 69
- 34- الإسلام والأسرى: ..... 69
- 35- الإسلام يهتم بالعلم: ..... 70
- 36- الشيطان يخذل أتباعه: ..... 71
- 37- الأسوة الحسنة ﷺ: ..... 72
- 38- الكتمان وأهميته في الحروب: ..... 73
- 39- بناء عرش القيادة: ..... 74
- 40- من نعم الله على المسلمين قبل القتال: ..... 75
- 41- الخطة المحكمة للرسول ﷺ في المعركة: ..... 76
- 42- الاستفادة من الظروف الطبيعية أثناء قتال الأعداء: ..... 78
- 44- التعبئة المعنوية على القتال: ..... 79
- 45- العمل بالأسباب وانتظار المدد الرباني: ..... 81
- 46- نهاية الطغاة: ..... 82
- 47- إنها جنان كثيرة: ..... 88
- 48- الشوق إلى الآخرة: ..... 88
- 49- بيوت الصحابة تتنافس من أجل الجنة: ..... 89
- 50- محاولة اغتيال القائد ﷺ: ..... 90
- 51- إمداد الله للمسلمين بالملائكة: ..... 93
- 52- بعد النصر ومخاطبة أهل القليب: ..... 96
- 53- الحياة البرزخية للأموات: ..... 98
- 100- غزوة أحد دروس وعبر ..... 100



- 101 ..... غزوة أحد
- 103 ..... دروس وعبر من غزوة أحد
- 103 ..... 1- أثر المعاصي في النصر والهزيمة:
- 105 ..... 2- خطورة إثارة الدنيا على الآخرة:
- 106 ..... 3- ويتخذ منكم شهداء:
- 114 ..... 4- سنة الله في الصراع بين الحق والباطل:
- 115 ..... 5- لا بد من الأخذ بالأسباب:
- 115 ..... 6- التضحية من أجل الدين:
- 116 ..... 7- العاقبة للمتقين:
- 117 ..... 8- الابتلاء بذوي القربى:
- 117 ..... 9- ولا تنازعوا:
- 117 ..... 10- الأنبياء عبيد مخلوقون:
- 117 ..... 11- العرفان لمن خدم هذا الدين:
- 118 ..... 12- حب الصحابة لنبينهم ﷺ:
- 119 ..... 13- الأمور بخواتيمها:
- 120 ..... 14- إنما الأعمال بالنيات:
- 121 ..... 15- قل هو من عند أنفسكم:
- 122 ..... 16- من دلائل النبوة:
- 122 ..... 17- تذكير المؤمنين بالسنن ودعوتهم للعلو الإيماني:
- 123 ..... 18- كيفية معالجة الأخطاء:
- 123 ..... 19- ضرب المثل بالمجاهدين السابقين:
- 124 ..... 20- التعلق والارتباط بالدين:
- 127 ..... 21- تسلية المؤمنين وبيان حكمة الله فيما وقع يوم أحد:



- 22- اللجوء إلى الله: ..... 127
- 23- «أحد جبل يحبنا ونحبه»: ..... 128
- 24- الملائكة في أحد: ..... 128
- 25- وما النصر إلا من عند الله: ..... 129
- 26- استخراج العبودية في السراء والضراء : ..... 129
- 27- حكمة تبدل الأحوال : ..... 130
- 28- الخضوع لجبروته تعالى : ..... 130
- 29- رفع منازلهم : ..... 130
- 30- تحريضهم على الجد في العبودية لله: ..... 131
- 31- تربية الأبناء على حب الجهاد: ..... 131
- 32- الحذر من اليهود: ..... 132
- 33- الجهاد يلزم بالشروع فيه ويتعين إذا طرق العدو ديار المسلمين : ..... 132
- 34- يدفن الشهداء في مصارعهم : ..... 132
- 35- يجوز دفن الثلاثة في القبر الواحد : ..... 133
- 37- قول فداك أبي وأمي لسعد منه ﷺ: ..... 134
- 38- جواز التداوي: ..... 135
- 39- سنة الله في رسله: ..... 135
- 40- في تأخير النصر عبرة: ..... 136
- 41- جواز الغزو بالنساء والاستعانة بهن في الجهاد : ..... 136
- 42- جواز الاستماتة: ..... 137
- 44- قاتل نفسه في النار: ..... 138
- 45- الشهيد لا يغسل والجنب يغسل: ..... 138
- 46- الثعاس في الخوف والحرب نعمة جلييلة: ..... 138

- 47- متابعة حركة العدو وكتمان الأخبار: ..... 139
- 48- دروس في الصبر تقدمها الصحابييات للأمة: ..... 141
- 49- أهمية الشورى: ..... 143
- 50- تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة : ..... 144
- 51- سنة الابتلاء: ..... 145
- غزوة الأحزاب دروس وعبر ..... 148
- غزوة الأحزاب ..... 149
- دروس وعبر من غزوة الأحزاب ..... 154
- 1- الأمل والثقة بالله تعالى: ..... 154
- 2- الكفر ملة واحدة: ..... 155
- 3- المنافقون وخطرهم: ..... 156
- 4- درس في الشورى: ..... 158
- 5- الحكمة في اختيار غطفان بالذات للصلح: ..... 160
- 6- رسالة للمسلمين عبر التاريخ: ..... 160
- 7- في موقف الصحابة من الصلح دروس: ..... 161
- 8- شدة التضرع سبب من أسباب النصر: ..... 161
- دروس وعبر من قصة حذيفة: ..... 163
- 9- معرفة رسول الله ﷺ بمعادن الرجال: ..... 164
- 10- الانضباط العسكري الذي يتحلى به حذيفة: ..... 164
- 11- كرامات الأولياء: ..... 164
- 12- لطف النبي ﷺ مع حذيفة عند رجوعه: ..... 164
- 13- سرعة البديهة: ..... 165
- 14- الحكمة ضالة المؤمن يتلمسها أئى وجدها: ..... 165

- 15- درس للحكام والمحكومين: ..... 166
- 16- الرؤوف الرحيم ﷺ : ..... 166
- 17- واعدوا لهم: ..... 166
- 18- أول مستشفى إسلامي حربي: ..... 167
- 19- النصر من عند الله وحده: ..... 168
- 20- المسلم يقع في الإثم ولكنه يسارع في التوبة: ..... 168
- 21- مشروعية قضاء الفائتة: ..... 169
- 22- ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله: ..... 169
- 23- جلد الكافر في مواطن الشدة: ..... 170
- 24- من يخذل الله يخذل: ..... 170
- 25- فضائل لسعد بن معاذ ؓ: ..... 171
- 26- ضمة القبر نسأل الله العافية : ..... 173
- 27- الحرب خدعة: ..... 174
- 28- الإسلام يكرم المرأة : ..... 174
- 29- شجاعة المرأة المسلمة: ..... 175
- 30- من أدب الخلاف: ..... 175
- 31- عدم صحة ما يروى عن جبن حسان ؓ: ..... 176
- 32- التوفيق في اختيار المواقع : ..... 177
- 33- إحكام الخطة في المعركة: ..... 178
- 34- الاهتمام بالجبهة الداخلية: ..... 178
- 35- معجزات أيد الله بها نبيه ﷺ : ..... 182
- 36- بث الخذلان في صفوف الأعداء: ..... 183
- 37- أهمية الصلاة الوسطى: ..... 184

- 38- بين التصور والواقع: ..... 185
- 39- ولينصرن الله من ينصره: ..... 186
- 40- شدة عداوة اليهود للإسلام وأهله: ..... 186
- 41- جواز قتال من نقض العهد: ..... 187
- 42- جواز التحكيم في أمور المسلمين ومهامهم: ..... 187
- 43- مشروعية الاجتهاد في الفروع وضرورة وقوع الخلاف فيها: ..... 188
- 44- يعرفونه كما يعرفون أبناءهم: ..... 189
- 45- حكم القيام إكراما للقادم: ..... 189
- 46- البلاء والصبر: ..... 191
- 47- الحلال والحرام: ..... 191
- 48- جزاء عادل: ..... 191
- 49- تخطيط محكم: ..... 192
- 50- جنود الله تأتي بعد العمل بالأسباب: ..... 193
- غزوة خيبر دروس وعبر ..... 194
- غزوة خيبر ..... 196
- دروس وعبر من غزوة خيبر ..... 199
- 1- النصر من عند الله: ..... 199
- 2- الإخلاص في الجهاد: ..... 200
- 3- دخل الجنة وما سجد لله سجدة: ..... 200
- 4- بطل لكنه إلى النار: ..... 201
- 5- صفية بنت حيي وزواجها من النبي ﷺ: ..... 201
- 6- تحريم أكل لحوم الحمير الإنسية: ..... 203

- 7- حرمة وطء السبايا الحوامل: ..... 204
- 8- حرمة وطء السبايا غير الحوامل قبل استبراء الرحم: ..... 204
- 9- حرمة ربا الفضل: ..... 205
- 10- حرمة بيع الذهب بالذهب العين، وتبر الفضة بالورق العين: ..... 205
- 11- مشروعية المساقاة والمزارعة: ..... 205
- 12- حل أكل لحوم الخيل: ..... 207
- 13- تحريم المتعة: ..... 207
- 14- مشاركة المرأة في غزوة خبير: ..... 208
- 15- جواز القتال في الأشهر الحرم: ..... 209
- 16- عدم اشتراط كون البذر من رب الأرض : ..... 209
- 17- إذا خالف أهل الذمة شيئاً مما شرط عليهم لم يبق لهم ذمة : ..... 210
- 18- حب الصحابة للنبي ﷺ : ..... 210
- 19- الغلول قبل القسم لا يملك وإن كان دون الحق: ..... 210
- 20- استحباب التفاؤل : ..... 211
- 21- جواز إجلاء أهل الذمة من دار الإسلام إذا استغني عنهم : ..... 211
- 22- جواز جعل عتق الرجل أمته صداقاً لها بغير إذنها وبلا شهود ولا ولي غيره :  
..... 211
- 23- تربية المجاهدين: ..... 212
- 24- التزام الأمر في كل شيء وليس في القتال فقط أو الكف عنه: ..... 212
- 25- جواز كذب الإنسان على نفسه وعلى غيره إذا كان يتوصل بالكذب إلى حقه  
ما لم يتضمن ضرر ذلك الغير : ..... 213
- 26- جواز إشراك غير المقاتلين في الغنيمة ممن حضر مكان القتال : ..... 213
- 27- مشروعية تقبيل القادم والتزامه : ..... 214

- 28- معجزات للنبي ﷺ في خير: ..... 214
- 29- فضل الدعوة الى الله تعالى : ..... 215
- 30- حادي القوم:..... 215
- 31- الشورى في غزوة خير: ..... 216
- 32- ومن الأحكام في هذه الغزوة : ..... 216
- 33- اللجوء إلى الله وتعظيم شعائر الإسلام: ..... 217
- 34- موقف حزم وخبرة من عباد بن بشر: ..... 217
- 35- شجاعة علي بن أبي طالب ؓ: ..... 218
- 36- نتائج خير:..... 219
- غزوة بني المصطلق دروس وعبر ..... 220
- غزوة بني المصطلق ..... 222
- دروس وعبر من غزوة بني المصطلق ..... 224
- 1- المنافقين و محاولة إثارة الفتنة بين المهاجرين والأنصار: ..... 224
- 2- عبد الله بن أبي والإساءة إلى الرسول ﷺ : ..... 225
- 3- (أ) الحفاظ على السمعة السياسية ووحدة الصف الداخلية: ..... 226
- 4- (ب) (بل نترفق به، ونحسن صحبته ما بقي معنا): ..... 228
- 5- (ج)مثل أعلى في الإيمان: ..... 228
- 6- (د)محرابة العصبية الجاهلية: ..... 229
- 7- توجيه القرآن الكريم للمجتمع الإسلامي في أعقاب غزوة بني المصطلق: ..... 230
- حادثة الإفك والدروس والعبر منها: ..... 232
- 9- (ب) الخير يبرز في الشر: ..... 233
- 10- (ج) الحفاظ على سمعة المؤمنين: ..... 234
- 11- (د)تكذيب القائلين بالإفك: ..... 234

- 12- (هـ) بيان فضل الله على المؤمنين ورأفته بهم: ..... 234
- 13- (و) التثبت من الأقوال قبل نشرها: ..... 234
- 14- (ز) النهي عن اقرار مثل هذا الذنب العظيم أو العودة إليه: ..... 234
- 15- (ح) النهي عن إشاعة الفاحشة بين المؤمنين: ..... 234
- 16- (ط) بيان فضل الله سبحانه على عباده المؤمنين ورأفته بهم وكرر ذلك تأكيداً له: ..... 235
- 17- (ي) النهي عن تتبع خطوات الشيطان التي تؤدي للهلاك: ..... 235
- 18- (ك) الحث على النفقة على الأقارب وإن أساءوا<sup>(١)</sup>: ..... 235
- 20- من سنن الله: ..... 236
- 21- الناس مع الإفك أربعة أقسام: ..... 236
- 22- الصالحون مستهدفون: ..... 238
- 23- بشرية الرسول ﷺ: ..... 238
- 24- منهج مواجهة الشائعات: ..... 238
- 25- حد القذف وأهميته في المحافظة على أعراض المسلمين: ..... 240
- 26- الحكمة في عدم حد عبد الله بن أبي: ..... 241
- 27- اعتذار حسان رضي الله عنه للسيدة عائشة ل: ..... 241
- 28- جواز الإغارة على من بلغتهم دعوة الإسلام دون إنذار: ..... 242
- 29- مشروعية القرعة بين النساء عند إرادة السفر: ..... 242
- 30- كفر من سب عائشة ل: ..... 242
- 31- حكم العزل عن النساء: ..... 242
- فتح مكة دروس وعبر ..... 243
- غزوة فتح مكة ..... 245
- دروس وعبر من غزوة فتح مكة ..... 248

- 1- على المسلمين أن يمتلكوا المبادأة: ..... 248
- 2- تحقيق المفاجأة وخداع العدو: ..... 248
- 3- الكتمان: ..... 249
- 4- بعد النظر: ..... 252
- 5- العقيدة قوة عظيمة: ..... 253
- 6- أهمية المعنويات في الجهاد: ..... 253
- 7- رسول السلم ﷺ: ..... 254
- 8- حكم التحالف مع غير المسلمين فيما لا يتعارض مع الإسلام: ..... 255
- 9- أسباب مساعدة لفتح مكة وتأييد كفارها : ..... 256
- 10- عزل العدو دولياً ..... 257
- 11- الثقة واليقين بنصر الله عز وجل: ..... 257
- 12- تجريد العدو من إرادة القتال: ..... 259
- 13- النصر ليس مدعاة للكبر: ..... 261
- 14- الإسلام دين سلام ودين قوة: ..... 263
- 15- مواقف دعوية وقدرة ربيعة في التعامل مع النفوس: ..... 264
- 16- العاقبة للمتقين: ..... 269
- 17- في الإسلام "لا ويل للمغلوب" ..... 270
- 18- لا شفاعة في حدود الله؟ ..... 271
- 19- الوفاء المحمدي: المحيا محياكم والممات مماتكم: ..... 271
- 20- السلام لا يعني الاسترخاء في الإعداد وبناء القوة: ..... 272
- 21- كشف خبر حاطب: ..... 272
- 22- قبول عذر المسلم: ..... 273
- 23- غضب الصحابة لله: ..... 274



- 24- الفطر في السفر وأنه أفضل لمن شق عليه الصوم: - ..... 275
- 25- إرهاب العدو بالقوة: ..... 275
- 26- قراءة القرآن على الدابة: ..... 275
- 27- طمس الصور: ..... 276
- 28- عدم موالاته المشرك ولو كان قريباً: ..... 276
- 29- رعي النبي ﷺ للغنم: ..... 277
- 30- قبول الهدية ولو كانت يسيرة: ..... 277
- 31- الأمان للمشرك: ..... 278
- 32- صلاة الضحى: ..... 278
- 33- الصلاة داخل الكعبة: ..... 278
- 34- قبول إجارة المرأة: ..... 279
- 35- الكلام في المغتسل للحاجة: ..... 279
- 36- عودة حرمة مكة: ..... 279
- 37- لا يرث المسلم الكافر: ..... 280
- 38- تغيير الشيب بغير السواد: ..... 280
- 39- أداء الأمانة إلى أهلها: ..... 281
- 40- لبس السواد للحاجة: ..... 281
- 41- لبس أدوات السلاح داخل الحرم: ..... 282
- 282 تأملات في قصة حاطب بن أبي بلتعة: ..... 282
- 42- الموازنة بين المصالح والمفاسد : (لتخرجن الكتاب أو لنجرك). ..... 282
- 43- عدم التسرع في إصدار الأحكام : ..... 282
- 44- المصارحة والوضوح : (ما حملك على ما صنعت ؟ ) ..... 283
- 45- الاستماع إلى الرأي المخالف : ..... 283

- 46- تحريم نكاح المتعة: ..... 283
- 47- الولد للفراس والعاهر الحجر: ..... 283
- 48- إنزال الناس منازلهم: ..... 284
- 49- وجوب كسر الأصنام: ..... 284
- 50- جواز صلح أهل الحرب : ..... 284
- 51- رسول الكفار لا يقتل : ..... 284
- 52- 52- جواز قتل الجاسوس وإن كان مسلما : ..... 284
- 53- جواز تجريد المرأة للمصلحة العامة : ..... 285
- 54- الكبيرة العظيمة مما دون الشرك قد تكفر بالحسنة الكبيرة الماحية : ..... 285
- 55- قوة إيمان حاطب في شهود بدر محت ما صنع : ..... 286
- 56- دروس من خطبته العظيمة ﷺ ثاني يوم الفتح : ..... 287
- 57- جواز إجارة المرأة وأمانها للرجلين: ..... 288
- 58- جواز قتل المرتد الذي تغلظت رده من غير استتابة : ..... 288
- 59- مثل لعزة الإسلام والمسلمين (أذان بلال في الكعبة) : ..... 289
- غزوة حنين دروس وعبر ..... 290
- غزوة حنين..... 293
- دروس وعبر من غزوة حنين..... 294
- 1- القوة لله جميعا: ..... 294
- 2- إرسال العيون لطلب أخبار العدو: ..... 295
- 3- ضمان العارية إذا تلفت: ..... 297
- 4- مشابحة هذه الأمة الأمم السابقة: ..... 297
- 5- التكبير عند التعجب والاستغراب: ..... 298
- 6- لا رجعة للوثنية: ..... 298

- 7- الحراسة في الغزو: ..... 299
- 8- التوكل لا ينافي العمل بالأسباب: ..... 301
- 9- الالتفات في الصلاة للحاجة: ..... 302
- 10- الإعجاب بالكثرة يحجب نصر الله: ..... 302
- 11- الغنائم وسيلة لتأليف القلوب: ..... 303
- 12- الصبر على جفاء الأعراب: ..... 306
- 306 مواقف تدل على حسن معاملة رسول الله ﷺ للأعراب
- 13- تعامله ﷺ مع هوازن لما أسلمت: ..... 307
- 14- تفسير الآيات التي نزلت في غزوة حنين: ..... 310
- 15- أسباب الهزيمة: ..... 310
- 16- عوامل النصر: ..... 311
- 17- نزول الآية الكريمة: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾
- ﴿[النساء: 24]: ..... 312
- 18- منع المختئين خلقه من الدخول على النساء الأجنبية: ..... 312
- 19- النهي عن قصد قتل النساء والأطفال والشيوخ والأجراء ممن لا يشتركون في القتال ضد المسلمين: ..... 312
- 20- تشريع العمرة من الجعرانة: ..... 313
- 21- إرشاده ﷺ للأعرابي بأن يصنع في العمرة ما يصنع في الحج: ..... 313
- 22- من قتل قتيلاً فله سلبه: ..... 314
- 24- وفاء نذر كان في الجاهلية: ..... 315
- 25- أنس بن أبي مرثد الغنوي وحراسة المسلمين: ..... 316
- 26- شجاعة أم سليم يوم حنين: ..... 317
- 27- الشيماء بنت الحارث أخت النبي ﷺ من الرضاعة: ..... 317

- 28- إسلام كعب بن زهير -الشاعر- وهيمنة الإعلامية على الجزيرة: ..... 318
- 29- رفع الصوت للحاجة: ..... 320
- 30- تأثير قبضتي الحصى والتراب في أعين الأعداء: ..... 320
- 31- فضل أبي سفيان بن الحارث رضي الله عنه: ..... 321
- 32- بيان خطورة الشرك بالله: ..... 322
- 33- ثباته رضي الله عنه وأثره في كسب المعركة: ..... 323
- 34- جواز مقاتلة النساء عند أمر الفتنة: ..... 324
- 35- ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين : ..... 325
- 36- معجزتان حسيتان للنبي صلى الله عليه وسلم: ..... 325
- 37- ذكر الرجل نفسه عند اللقاء ببعض مناقبه: ..... 327
- وقفات تربوية مع حديث تقسيم الغنائم في حنين<sup>0</sup>. ..... 328
- 38- الوقفة الأولى: كرم بلا حدود: ..... 328
- 39- المصلحة الشرعية ميزان العطاء والمنع: ..... 329
- 40- المبادرة إلى حل الإشكالات: ..... 330
- 41- الحلم مع القدرة: ..... 332
- 42- الصراحة، والوضوح: ..... 333
- 43- الموعظة وليس الغلظة والفظاظة: ..... 334
- 44- التذكير بالفضائل لأجل المتابعة: ..... 335
- 45- لا لإشاعة أخبار المشاكل: ..... 339
- 46- التعميم لا التعيين: ..... 340
- 47- فضيلة الأنصار: ..... 342
- 48- استخدامه صلى الله عليه وسلم أسلوبا جديدا في القتال: ..... 342
- 49- اختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانا مناسباً عند القتال: ..... 343

- 50- استخدام الحرب النفسية والدعاية: ..... 344
- 51- مناداة الناس بمناقبتهم شرف لهم: ..... 344
- 52- في أمور الحرب وسياسة القتال: ..... 344
- 53- ضرب الأمثال: ..... 345
- 54- الله حكم: ..... 346
- 55- عدم جواز قتل النساء والصبيان وغيرهم من الضعفاء: ..... 346
- 56- الإلحاح في الدعاء وقت الأزمات: ..... 348
- 57- جواز العارية: ..... 348
- 58- مشروعية الدعاء للكافرين بالهداية: ..... 349
- 59- استشهاد أبي عامر الأشعري: ..... 350
- 60- جواز عقر مركوب العدو إذا كان عوناً على قتله : ..... 350
- فوائد تربوية: ..... 350
- 61- البناء العقدي والتربوي: ..... 350
- 62- معاملة كل فرد بما يصلحه: ..... 351
- 63- المال لله يضعه حيث يشاء: ..... 351
- غزوة تبوك دروس وعبر ..... 353
- غزوة تبوك ..... 355
- دروس وعبر من غزوة تبوك ..... 359
- 1- ..... ليميز الله الخبيث من الطيب: ..... 359
- 2- ..... الإيمان يصنع العجائب: ..... 359
- 3- ..... أمة الجهاد: ..... 360

3. .... الإنفاق في هذه الغزوة وحرص المؤمنين على الجهاد: 360 .....
- 4- الإخلاص وحب الجهاد: 362 .....
- 5- جواز التصريح لجهة الغزو إذا لم تقتضِ المصلحة ستره: 364 .....
- 6- قصة أبي ذر الغفاري والعبير منها: 366 .....
- 7- قصة أبي خيثمة والدروس منها: 367 .....
- 8- الحق لا بد له من قوة : 370 .....
- 9- العقيدة أقوى سلاح: 370 .....
- 10- وصايا رسول الله ﷺ للجيش عند مروره بحجر ثمود: 370 .....
- 11- وفاة الصحابي عبد الله ذي البجادين ؓ : 371 .....
- 12- موقف المنافقين من غزوة تبوك: 373 .....
- 13- جواز القتال في الأشهر الحرم : 376 .....
- 14- بعض المعجزات التي حدثت في الغزوة: 376 .....
- 15- إذا استنفر الإمام الجيش لزمهم النفير: 379 .....
- 16- خطر الاستهزاء بالدين والصالحين: 380 .....
- 17- وجوب الجهاد بالمال: 382 .....
- دروس من قصة مسجد الضرار: 382 .....
- 19- (ب) محاولة التديس على المسلمين: 382 .....
- 20- (ج) فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين: 383 .....
- 21- (د) العلاج النبوي الحاسم: 383 .....
- 22- (هـ) ما يلحق بحكم مسجد الضرار: 383 .....
- 23- (و) قاعدة لمعرفة ما يلحق بالمسجد الضرار : 384 .....
- 24- (ز) مساجد الضرار في بلاد المسلمين: 385 .....

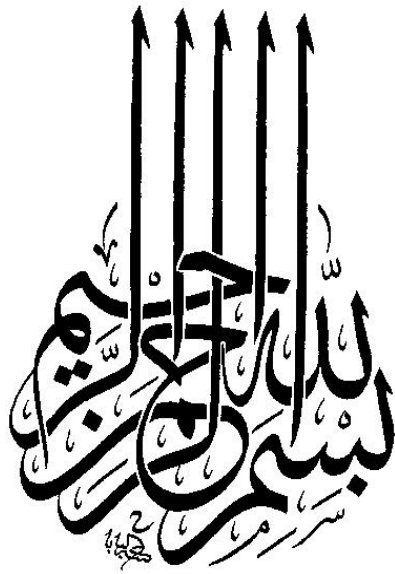
- 25- لا يعذر العاجز بماله حتى يبذل جهده: ..... 386
- دروس وعبر من قصة المخلفين الثلاثة: ..... 386
- 26- (أ) الأسلوب الجميل والبيان الرائع والأدب الرفيع: ..... 391
- 27- (ب)الصدق سفينة النجاة: ..... 392
- 28- (ت)الهجر التربوي وأثره في المجتمع: ..... 392
- 29- (ث)تنفيذ أوامر القيادة في المجتمع المسلم: ..... 393
- 30- (ج)الولاء التام لله ورسوله: ..... 393
- 31- (ح)توبة الله على العبد قيمة دينية يتطلع إليها الصادقون: ..... 394
- 32- (خ)تشرع أنواع من العبادات شكرا لله عند النعمة: ..... 395
- 33- (د)لم يكن يتخلف عنه ﷺ إلا منافق أو معذورا أو من خلفه النبي ﷺ: ..... 396
- 34- (ر)جواز الطعن اجتهادا: ..... 396
- 35- (ز)الحكم بالظاهر : ..... 396
- 36- (س)ترك رد السلام على من أحدث حدثا : ..... 396
- 37- (ش) تبسم الغضب : ..... 396
- 38- (ص)جواز معاتبة الإمام والمطاع أصحابه: ..... 397
- 39- (ط)توفيق الله لكعب وصاحبيه: ..... 397
- 40- (ظ)نهي ﷺ عن كلام هؤلاء الثلاثة لتأديبهم دليل على صدقهم: ..... 397
- 41- (ع)التنكر والوحشة دليل على حياة القلب: ..... 398
- 42- (غ)رد السلام على من يستحق الهجر غير واجب : ..... 399
- 43- (ف)دخول دار الصاحب من غير إذن : ..... 399
- 44- (ق)ابتلاء الله لكعب بمكاتبة ملك غسان له: ..... 399
- 45- (ك)إتلاف ما يخشى منه المضرة في الدين: ..... 399
- 46- (ل)عداوة غسان لرسول الله ﷺ وكتابه ﷺ لهم : ..... 399

- 47- (م) حرص الصحابة على الخير : ..... 400
- 48- (ن) استحباب تهنئة من تجددت له نعمة دينية : ..... 400
- 49- (هـ) يوم توبة المسلم خير الأيام : ..... 401
- 50- (و) سروره ﷺ بتوبة الله على المخلفين دليل على شفقتة على أمته : ..... 401
- 51- (ي) من نذر الصدقة بكل ماله لم يلزمه إخراج جميعه : ..... 401
- 52- استخلاف الإمام إذا سافر رجلا من الرعية على من بقي : ..... 402
- 53- معالم من المنهج القرآني في الحديث عن غزوة تبوك : ..... 402
- 54- ممارسة الشورى في هذه الغزوة : ..... 403
- 55- لا يجوز الشرب ولا الطبخ ولا العجن ولا الطهارة من آبار ثمود : ..... 405
- 56- جواز الجمع بين الصلاتين في السفر : ..... 405
- 57- جواز التيمم بالرمل : ..... 405
- 58- ترجيح قصر الصلاة في السفر دون تحديد مدة الإقامة : ..... 405
- 59- التدريب العملي العنيف : ..... 406
- 60- تركه ﷺ قتل المنافقين : ..... 407
- 61- ثواب من حبسه العذر : ..... 408
- 62- تحريق أمكنة المعصية وهدمها : ..... 408
- 63- جواز إنشاد الشعر للقادم فرحا به : ..... 409
- 64- أهم نتائج الغزوة : ..... 409
- ختاماً ..... 411
- المصادر والمراجع ..... 413









بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

الحمد لله مُعَزِّزٌ من أطاعه وناقاه، ومذلٌّ من خالف أمره وعصاه، قاهر الجبابرة وكاسر الأكاسرة، لا يذل من والاه ولا يعز من عاداه، ينصر من نصره ويغضب لغضبه ويرضى لرضاه، أحمدته سبحانه وأشكره حمدًا وشكرًا يملآن أرضه وسماه، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله وخيرته من خلقه ومصطفاه، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين ولكل من نصره ووالاه.

﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: 102]

﴿يَتَّيِبُهَا النَّاسُ أَتَقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا

كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]

[النساء: 1]

وبعد:

حين ينظر المرء نظرةً لواقعنا ، ويقارنه بماضينا يتحسر ، يتحسر يوم يجد البؤن شاسعًا و الفرق عظيمًا ، يتحسر يوم يرى تلك الأمة و قد كانت قائدة و إذا بها قد أصبحت تابعة.

الأمة اليوم بحاجة ماسة إلى أن تعود إلى المنهج النبوي والسيرة النبوية لأخذ الدروس والعبر النيرات المباركات، وتتعلم منها الآداب الرفيعة، والأخلاق الحميدة، والعقائد السليمة، والعبادة الصحيحة، وسمو الأخلاق، وطهارة القلب، وحب الجهاد في سبيل الله، وطلب الشهادة في سبيله؛ ولهذا قال علي بن الحسن: «كنا نُعَلِّمُ مغازي النبي ﷺ كما نُعَلِّمُ السورة

من القرآن» وقال الزهري: «في علم المغازي علم الآخرة والدنيا»(1).  
وقال إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص: «كان أبي يعلمنا  
مغازي رسول الله ﷺ بعدها علينا ويقول هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا  
ذكرها»(2)

اقرأوا التَّارِيخَ إِذْ فِيهِ الْعِبْرُ \*\*\* ضَلَّ قَوْمٌ لَيْسَ يَدْرُونَ الْخَبْرَ  
وها نحن نحط وإياك أخي القارئ في بداية هذه الموسوعة المباركة  
بإذن الله: (غزوات النبي المصطفى دروس وعبر).

وفيها حاولت الغوص في بطون كتب السيرة النبوية القديمة  
والمعاصرة لاستلهاام الدروس والعبر من غزواته ﷺ بلا إطالة ولا  
إسهاب في ذكر الروايات والآثار والأحاديث لتكون سهلة الفائدة  
للقارئ الكريم.

وأسال الله الكريم الوهاب العزيز التواب أن ينفع بهذا العمل، وأن  
يجعله لوجهه خالصاً وعباده نافعاً، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم  
ألقاه إنه ولي ذلك والقادر عليه .



## غزوة بدر دروس وعبر

أول محطة نقفها وإياكم في هذه الموسوعة مع غزوة بدر الكبرى ،  
وسوف نلقي الضوء على بعض الدروس والعبر حول هذه الغزوة ليأخذ  
المسلمون منها الزاد في مقارعة الأعداء ومنازلة الخصوم، في هذا  
الوقت العصيب الذي تداعى فيه الأكلة لغزو بلادنا، وتدنيس أرضنا،  
ونهب خيراتها، على نهر من الدماء، وتلال من الضحايا والأشلاء،  
متجاوزين بذلك كل المواثيق والأعراف الدولية، بل متجردين من كل  
معاني الإنسانية.

(1) البداية والنهاية: لابن كثير(256/3، 257) ط/ دار المعرفة، (242/3) ط2/1978م مكتبة المعارف - لبنان ،  
مكتبة النصر - الرياض.

(2) انظر: البداية والنهاية (242/2).

المسلم عندما يطالع أنباء موقعة بدر، ويستعرض مقدماتها ونتائجها؛ يشعر أن لها منزلة خاصة، ويدرك أن التاريخ أودع في فصولها سرًا تكتنفه الهيبة، وجعل من أدوار القتال فيها موعظةً خالدةً لا تفتأ تتجدد ذكراها ما بقي في الدنيا قتال بين الحق والباطل، وصراع بين الظلام والنور.

✽ **غزوة بدر الكبرى:** إنها الموقعة الفاصلة في عبادة الله على هذه الأرض هل ستبقى أم ستفنى؟! ويشعر قائد المعركة بهذه الحقيقة الحاسمة فيلجأ إلى الله مستنجزًا وعده، مستقبل القبلة، وماداً يده يهتف: **«اللَّهُمَّ آتني ما وعدتني، اللَّهُمَّ أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلن نُعبَد في الأرض»**، وما يزال يهتف بربه ماذا يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، وحتى نزل الوحي مطمئنًا؛

﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدَّبْرَ﴾ [القمر: 45]

✽ **غزوة بدر الكبرى:** موقعة تكون الخصومة فيها في الله، ويكون القتال فيها بدايةً لسلسلة من المعارك، يحتدم النزاع فيها بين الحق والباطل، هذه السلسلة من المعارك التي خاضها المسلمون – من بعد- في فارس والروم لا تحسب الصلة بينها وبين بدر مقطوعة؛ إنها صلة النسب بين الأصل ونتائجه؛ فكان أول سيف شُهرَ في بدر إيدانًا بابتداء النضال المسلح بين الحق والباطل، كلما انتهت معركة قامت أختها.

✽ **غزوة بدر الكبرى:** هي أعظم غزوات الإسلام فضلًا وشرقًا للأسباب التالية:

أولاً: لأنها أول غزوة كان لها أثرها في إظهار قوة الإسلام، فكانت بدء الطريق ونقطة الانطلاق في انتشار الإسلام.

وثانيًا: لأنها رسمت الخط الفاصل بين الحق والباطل، فكانت الفرقان النفسي والمادي والمفاصلة التامة بين الإسلام والكفر، وفيها تجسدت هذه المعاني، فعاشها الصحابة واقعًا ماديًا وحقيقة نفسية، وفيها تهاوت قيم الجاهلية، فالتقى الابن مقاتلاً لأبيه وأخيه والأخ مواجهة لأخيه.

**وثالثاً:** لأن المحرك لها هو الإيمان بالله وحده، لا العصبية ولا القبيلة ولا الأحقاد والضغائن ولا الثأر، وفيها تجلت صور رائعة من الإيمان بالله وصفاء العقيدة وحب هذا الدين.

✽ **غزوة بدر الكبرى:** بنت التصور الإسلامي لعوامل النصر والهزيمة بطريقة عملية واقعية، وقررت أن النصر ليس بالعدد ولا بالعدة، وإنما بمقدار الاتصال بالله الذي لا يقف أمامه قوة العباد، ليقون المسلمون في عصورهم المختلفة أنهم يملكون في كل زمان ومكان القدرة للتغلب على أعدائهم مهما كانوا هم من القلة وعدوهم من الكثرة، شريطة أن تتحقق فيهم عوامل النصر الحقيقية.

✽ **غزوة بدر الكبرى:** تُعد ميلاداً ثانياً لقوة ناهضة ودولة ناشئة للمسلمين، ظنتها قريش لا تقوى على مطاولة أو مجاورة، لكن نصر الله للمسلمين في هذه الغزوة مكّن للدين في النفوس، وللإسلام في جزيرة العرب، بل العالم كله.

✽ **غزوة بدر الكبرى:** كانت إيقافاً لمدّ الشرك على ظهر الأرض وتقليل أظافره والإطاحة بكل رؤوسه ودفنهم في بدر، لقد خرج أبو جهل وقال له الناس: ارجع قد نجت التجارة، ارجع لا داعي للاشتباك مع محمد فقال: لا، وأقسم باللات والعزى أنه لن يرجع، حتى يرد بدر فيقيم فيها ثلاثاً، ماذا يصنع؟ ينحر ويذبح ويشرب ويغني ويعزف وتسمع الدنيا بمسيرته، فلا يجرؤ محمد ولا غيره أن يتعرّض لهم مرة أخرى، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِثَاءَ

النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئْتَانِ نكصَ عَلَىٰ عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ

إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ۗ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ [الأنفال: 47، 48].

﴿ غزوة بدر الكبرى: أوقفت التناول على رُسل الله وعلى منهج الله وعلى دين الله، ولذلك القرآن الكريم يقول للمسلمين لأهل بدر: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال:7] تريـدون التجارة والله يريد أمرًا آخر، أمرًا كبيرًا، أمرًا عظيمًا، أمرًا هو بداية للبشرية، للحياة الحقيقية للبشرية ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَيِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ

دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال:7]

﴿ غزوة بدر الكبرى: ليست كتابًا يُقرأ ولا محاضرة تُقال، بدر ينبغي على المسلم أن يعيشها وهي حُجة على كل مسلم على ظهر الأرض، أن النصرَ منه قريب لو آمن بالله حقًا، وأنه لا يهودية ولا نصرانية ولا شيوعية، كل هؤلاء عندما يعتصم المسلمون بالله يصبحون هباءً ويصبحون هواءً، ونفخة واحدة لا تُبقي منهم أحدًا، حين أقبل أهل بدر على المولى- تبارك وتعالى- وصدقوا وتجرّدوا وأخلصوا وطرحوا الدنيا وراءهم، ووضعوا في أنفسهم أمرًا واحدًا؛ أن تكون كلمة الله هي العليا وما عداها السفلى عندها قال الله لهم: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ

قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال:17]

﴿ غزوة بدر الكبرى: التي فُرضت على المسلمين فرضًا، وفُوجئوا على غير استعداد بتحدي صناديد قريش وأبطالها لهم؛ ولم يكن بُدُّ من قبول هذا التحدي، وواجه النبي ﷺ الموقف بما يتطلبه من إيمان وثقة، غير أن كثيرًا من المسلمين تساءل..؛ إذ كيف يواجه هذا العدو الذي لم يستعد له؟! ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ

﴾ [الأنفال:5]

﴿ غزوة بدر الكبرى: التي كانت بعد أن بلغ المسلمين تحركُ قافلة

تجارية كبيرة من الشام تحمل أموالاً عظيمة<sup>(1)</sup> لقريش يقودها أبو سفيان ويقوم على حراستها بين ثلاثين وأربعين رجلاً<sup>(2)</sup> ، فأرسل الرسول ﷺ بسبب بن عمرو<sup>(3)</sup> لجمع المعلومات عن القافلة، فلما عاد بسبب بالخبر اليقين، ندب رسول الله ﷺ أصحابه للخروج وقال لهم: «**هذه غير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها**»<sup>(4)</sup>، وكان خروجه من المدينة في اليوم الثاني عشر من شهر رمضان المبارك من السنة الثانية للهجرة، ومن المؤكد أنه حين خروجه ﷺ من المدينة لم يكن في نيته قتال، وإنما كان قصده غير قريش، وكانت الحالة بين المسلمين وكفار مكة حالة حرب، وفي حالة الحرب تكون أموال العدو ودمائهم مباحة، فكيف إذا علمنا أن جزءاً من هذه الأموال الموجودة في القوافل القرشية كانت للمهاجرين المسلمين من أهل مكة قد استولى عليها المشركون ظلماً وعدواناً<sup>(5)</sup> .

✽ **غزوة بدر الكبرى**: كان عدد المسلمين فيها ثلاثمائة وتسعة

عشرة رجلاً<sup>(6)</sup>، من المهاجرين ستة وثمانون ومن الأوس أحد وستون ومن الخزرج مائة وسبعون وإنما قل عدد الأوس عن الخزرج ، وإن كانوا أشد منهم وأقوى شوكة وأصبر عند اللقاء لأن منازلهم كانت في عوالي المدينة ، في حين جعلهم البخاري «بضعة عشر وثلاثمائة»<sup>(7)</sup> . ، في حين ذكرت المصادر أسماء ثلاثمائة وأربعين من الصحابة البدريين<sup>(8)</sup>، وكانت قوات المسلمين في بدر لا تمثل القدرة العسكرية القصوى للدولة الإسلامية، ذلك أنهم إنما خرجوا لاعتراض قافلة واحتوائها، ولم يكونوا يعلمون أنهم سوف يواجهون قوات قريش

(1) قدرت قيمة البضائع التي تحملها القافلة بحوالي 50 ألف دينار، انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (286/1).

(2) جوامع السيرة لابن حزم ص(107).

(3) ورد الاسم في صحيح مسلم بصيغة التأنيث مصحفاً إلى بسيسة وصححه ابن حجر.

(4) ابن هشام السيرة (61/2) بسند صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما.

(5) انظر: حديث القرآن عن غزوات الرسول ، محمد آل عابد (43/1).

(6) مسلم، شرح النووي (84/12).

(7) فتح الباري (290/7-292).

(8) البداية والنهاية (314/3) وكذلك الطبقات، وخليفة بن خياط.



وأحلافها مجتمعة للحرب، والتي بلغ تعدادها ألقاً<sup>(1)</sup> معهم مائتا فرس يقودونها إلى جانب جمالهم، ومعهم القيان يضربون بالدفوف، ويغنين بهجاء النبي ﷺ وأصحابه، في حين لم يكن مع القوات الإسلامية من الخيل إلا فرسان، وكان معهم سبعون بعيراً يتعاقبون ركوبها<sup>(2)</sup>.

✽ **غزوة بدر الكبرى:** التي استشهد فيها من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلاً : ستة من المهاجرين وستة من الخزرج ، واثنان من الأوس ، وفرغ رسول الله ﷺ من شأن بدر والأسرى في شوال .

### ✽ غزوة بدر الكبرى بالأرقام:

عدد المسلمين: (314) .

عدد المشركين: (1000) .

شهداء المسلمين: (14) .

قتلى المشركين: (70) قتيلاً، و(70) أسيراً وعامتهم من القادة والزعماء والصناديد.

العتاد: المسلمون لم يكن معهم سوى (فرسين).

المشركون: (100) فرس عليها مائة درع، سوى دروع في المشاة، و (700) ناقاة.

✽ **غزوة بدر الكبرى :** هي الغزوة الأولى من نوعها في تاريخ الإسلام، والتي أعز الله فيها الإسلام وأهله، ومرّغ أنف الشرك في أحوال الهزيمة بعد أن قذفت قريش في خضم هذه المعركة برجالها وصناديدها، ولكن الله جعل كيدهم في نحورهم، لأنهم خرجوا، والغرور يملأ نفوسهم، والشيطان فيها حليفهم.

(1) البداية والنهاية (260/3).

(2) المسند (411/1)، مجمع الزوائد (69/6)، جوامع السير، ص108.

✽ **غزوة بدر الكبرى** : هي الغزوة التي أراد الله سبحانه وتعالى أن تكون فرقاناً بين الحق والباطل، وفرقاناً في خط سير التاريخ الإسلامي، ومن ثم فرقاناً في خط سير التاريخ الإنساني.

✽ **غزوة بدر الكبرى** : هي الغزوة التي أراد الله سبحانه وتعالى أن يتعلم المؤمنون منها عوامل النصر وعوامل الهزيمة، وأن يأخذوها مباشرة من الله عز وجل، وهو في ميدان المعركة وأمام مشاهدتها.

✽ **غزوة بدر الكبرى** : هي الغزوة التي تجلّت فيها نعم الله تعالى على عباده المؤمنين بالنعاس والمطر والملائكة .

✽ **غزوة بدر الكبرى** : هي الغزوة التي تجلى فيها روح الإيمان والإخلاص لله تعالى ومبدأ الإعداد والتخطيط الدقيق من قبل الرسول ﷺ وأصحابه لهذه الغزوة.

✽ **غزوة بدر الكبرى** : هي الغزوة التي تجلى فيها مبدأ الأخذ بالأسباب ومبدأ الشورى بين القائد والجيش.

هذه غزوة بدر الكبرى إجمالاً وإليك أخي القارئ الدروس والعبر من هذه الغزوة بالتفصيل والله الموفق وعليه التكلان.

## دروس وعبر من غزوة بدر

### 1- وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم:

حين نودي على الجهاد وعد الله المؤمنين هذا الوعد:

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ

الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأفعال: 7].. والنفس البشرية دائماً تميل إلى الراحة والدعة وتتوقى المشقة والضرر، ولو كان في الراحة الخسران وفي الضرر والمشقة النصر والتمكين وهذا ما حكاه القرآن، في هذا الوعد ويتأكد في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 216] .

في هذه الآية عدة حكم وأسرار ومصالح للعبد، فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالمحبوب والمحبوب قد يأتي بالمكروه، لم يأمن أن توافيه المضرة من جانب المسرة، ولم ييأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرة؛ لعدم علمه بالعواقب، فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد. قال الحسن رضي الله عنه: "لا تكرهوا الملمات الواقعة، فلرب أمر تكرهه فيه نجاتك، ولرب أمر تحبه فيه عطبك"، وأنشد أبو سعيد الضرير:

ربّ أمرٍ تتقيه جرّاً أمرًا ترتضيه خفي المحبوب منه وبدا  
المكروه فيهِ  
ومن كلام الحكماء:

"ربّ مسرة هي الداء، ومرض وهو الشفاء".

وكما قيل:

كم نعمة مطوية لك بين أنياب النوائب  
ومسرة قد أقبلت من حيث ترتقب المصائب  
فاصبر على حدثان دهرك فالأمور لها عواقب  
ولكل كرب فرجة ولكل خالصة شوائب  
و (عسى) من الله إيجاب، والمعنى عسى أن تكرهوا ما في الجهاد من المشقة، وهو خير لكم في أنكم تغلبون وتظفرون وتغنمون وتؤجرون، ومن مات مات شهيداً، وعسى أن تحبوا الدعة وترك القتال، وهو شر لكم في أنكم تغلبون وتذلون ويذهب أمركم، ثم يقول القرطبي معقّباً: "وهذا صحيح لا غبار عليه، كما اتفق في بلاد الأندلس، تركوا الجهاد، وجبنوا عن القتال، وأكثروا من الفرار، فاستولى العدو على البلاد،

وأبي بلاد؟! وأسَرَ وقتل وسبى واسترق، فإنا لله وإنا إليه راجعون!  
ذلك بما قدمت أيدينا وكسبته!"

هذا الذي قاله الإمام القرطبي على الأندلس نقوله نحن عن فلسطين، وقد انتزعها بضعة ملايين من يهود، من أيدي مليار مسلم؛ وذلك لتركهم الجهاد، وقعودهم عن القتال، وإخلاصهم إلى الأرض، وإتباعهم الشهوات؛ إذ الجهاد والقتال كرهه إلى النفس وبغىض إلى القلب، بينما الترف والشهوات وزينة الأرض محبوبة إلى النفس ويهواها القلب، وغابت عنهم حقيقة هذه الآية، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفي بدر ﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: 7].

## 2- قوة الإيمان هي السلاح البتار:

فما الذي حمل هؤلاء الأصحاب على أن يقفوا هذا الموقف مع أن جذوة المعركة وجوانبها المادية؛ لتجعل أشدَّ الناس تفاقولاً ينظر إلى آثارها من خلال غيوم سود؟

إنه الإيمان بالله الذي يضع أمر الله ورسوله في جانب، والدنيا كلها في جانب آخر، وإنه التسليم لله ورسوله مهما حذر العقل، ونهت ظواهر الأشياء، وإنها الثقة التي لا تُجادل في أن الموت في الله شرف، لا يقل عن شرف النصر على الناس، وهيهات لمن يحمل هذه المبادئ أن يذلَّ أو يُهزم، أو يكون بعيداً عن تأييد الله ونصره.

وهكذا جرفت موجة الإيمان كافة عوامل التردد، وجاءت الساعة الرهيبة ودار القتال، ومشى ملك الموت يقطع رقاب الكفار، وتنجست الرمال بدماء الطائفة التي آذت الله ورسوله، ووطئت أقدام المسلمين حدوداً وجباهاً طالما استنكرت أن تسجد لله رب العالمين.

يقول شاهد عيان لأبي لهب يصف له ما كان: ولا تسيء يا عماء ما كان إلا أن لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا؛ ويأمرؤنا كيف شاءوا.. لقينا رجالاً لا يتلقاهم شيء، ولا يقوم لهم شيء، وصدق الله

العظيم إذ يقول: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ  
وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ \*  
ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾ [الأنفال: 18-17].

وإذا كان الله قد أمر بإعداد ما نستطيع من قوة لمواجهة الأعداء؛ فإن أعظم القوة الإيمان الصادق بالله، وعدونا لا يخشى في ميدان المعركة الأسلحة التي بأيدينا، ولكنه يخشى من سلاح الإيمان الذي يستمد قوته من الله؛ لأنه السلاح الذي لا يقهر واليقين الذي لا يغلب، ولا أدل على ذلك في عصرنا الحاضر من تسخير الأعداء كل قواهم لاغتيال الشيخ أحمد ياسين، وهو القعيد الذي لا يحمل طلقاً، ومن قبله يتأمر العالم على اغتيال الإمام البنا- رحمهما الله- الأعزل من أي سلاح، وليس لذلك من سبب إلا الخوف من مخازن أسلحة الإيمان، فالمصلحون المخلصون والدعاة الصادقون يحملون بين جنباتهم مصانع إيمان تثبت إنتاجها في قلوب من حولهم، ويمدون به كل جبان رعديد، فإذا به في الميدان أسد هصور، كما يبعث الإيمان بالأمل في قلوب اليائسين القانطين، فيتوجهون لملاقاة العدو، وكلهم يقين أن نصر الله آت، وأن التمكين لهم قريب: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: 160].

### 3- قوة الترابط بين المؤمنين:

وبعد قوة الإيمان تأتي قوة الترابط بين المؤمنين والمحبة فيما بينهم والتآلف بين قلوبهم، وهذه منة من الله ومن أعظم أسرار النصر: يقول الله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَالْأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: 62-63].

وقفنا أمام غزوة بدر الكبرى، فعلمنا أن من أسباب النصر العظيمة تآلف القلوب وتراحمها، كان أصحاب النبي في قلة من العدد والعدة، ولكن كانت بينهم المحبة والصفاء والمودة، كانوا متراحمين متعاطفين متآلفين متكاتفين متآزرين متآزرين، شعارهم: لا إله إلا الله فسبحان من أعزهم وهم أذلاء، سبحان من أغناهم وهم فقراء، سبحان من رفعهم

وهم وضعاء.

التآلف والتعاطف والتكاتف والتناصر والتآزر سبيل إلى نصر المؤمنين، طريق لعزة الأخيار والصالحين، فإن وجدت أهل الإسلام متعاطفين متراحمين فاعلم أن النصر حليفهم، وإن وجدتهم متقاطعين متباعدين متناحرين، إن مزقتهم الجماعات والحزبيات والرايات والشعارات فادمع على الإسلام بين أهله.

إن من أبرز سمات معركة بدر أنه تلاشت فيها العصبية والقبلية وعيبة الجاهلية، فلم يكن المسلمون ينتصرون لقبيلة أو لون أو جنسية، بل كانوا ينصرون الإسلام وأهله ويواجهون المشركين أعداء الله بغض النظر عما بينهم من خلافات إن وُجد بينهم خلافات، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ [النساء:76]. وهذا هو حال المسلم في كل مكان وزمان، ينصر إخوانه المسلمين ولو اختلفت ألسنتهم وألوانهم؛ لأنه بذلك ينصر الدين والعقيدة والملة، فالمسلمون يوم بدر قاتل الأخ أخاه والابن أباه، فلا مجال للمساومات؛ إذ العقيدة لا تقبل المساومات ولا التنازلات. ولقد استشار النبي ﷺ الصحابة في أسرى بدر، فقال عمر له: أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكّن علياً من أخيه عقيـل فيضرب عنقه، وتمكّني من فلان نسيبي فأضرب عنقه، وأشار أبو بكر رضي الله عنه على الرسول ﷺ أن يقبل الفدية ففعل، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُبْخَنَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال:67].

وما أحسن بيان هذا المعنى في قول الإمام البنا: "ولقد كنت -ولا زلت- أقول في كل مناسبة: "إنكم لن تُغلبوا أبداً من قلة عددكم، ولا من ضعف وسائلكم، ولا من كثرة خصومكم، ولا من تألب الأعداء عليكم، ولو تجمع أهل الأرض جميعاً ما استطاعوا أن ينالوا منكم، إلا ما كتب الله عليكم، ولكنكم تُغلبون أشدّ الغلب، وتفقدون كل ما يتصل بالنصر والظفر بسبب إذا فسدت قلوبكم، ولم يصلح الله أعمالكم، أو إذا تفرقت كلمتكم، واختلفت آراؤكم.. أما ما دمت على قلب رجل واحد متجه إلى الله تبارك وتعالى، أخذ في سبيل طاعته، سائر نهج مرضاته، فلا تهنوا أبداً ولا تحزنوا أبداً، وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم

والحديث عن غزوة بدر في سورة الأنفال يؤيد هذا المعنى؛ حيث يقول تعالى في صدر السورة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 1].

فإصلاح ذات البين وتوحيد الصف، ورفع النزاع والخصومة بين المؤمنين من أولى مقومات النصر ولوازمه، والتفرق والتنازع من أعظم مسببات الضعف والفشل.. ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 42].

#### 4- الثبات وذكر الله عند لقاء الأعداء:

في الحديث عن غزوة بدر، والتعقيب عليها في سورة الأنفال يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: 45] أمر الله تعالى بالثبات عند قتال الأعداء والصبر على مبارزتهم، فلا يفروا ولا ينكلوا ولا يجبنوا، وأن يذكروا الله في تلك الحال ولا ينسوه، بل يستغيثوا به ويتوكلوا عليه أن يثبت أقدامهم وأن ينصرهم على أعدائهم؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أقدامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 250]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أقدامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 147].

#### 5- الشورى بين القائد الجند:

لما بلغ النبي ﷺ نجاه القافلة وإصرار زعماء مكة على قتال النبي ﷺ استشار رسول الله ﷺ أصحابه في الأمر، وأبدى بعض الصحابة عدم ارتياحهم لمسألة المواجهة الحربية مع قريش، حيث إنهم لم يتوقعوا المواجهة ولم يستعدوا لها، وحاولوا إقناع الرسول ﷺ بوجهة نظرهم.

وقد أجمع قادة المهاجرين على تأييد فكرة التقدم لملاقاة العدو، (1) وكان للمقداد بن الأسود موقفٌ متميزٌ، فقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به (2): أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين فقال: لا نقول كما قال قوم موسى: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [المائدة: 24]، ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك، وبين يديك وخلفك. فرأيت الرسول صلى الله عليه وسلم أشرق وجهه وسره (3)، وفي رواية: (4) قال المقداد: يا رسول الله، لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ولكن امض ونحن معك، فكأنه سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعد ذلك عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أشيروا عليَّ أيها الناس»، وكان إنما يقصد الأنصار؛ لأنهم غالبية جنده، ولأن بيعة العقبة الثانية لم تكن في ظاهرها ملزمة لهم بحماية الرسول صلى الله عليه وسلم خارج المدينة، وقد أدرك الصحابي سعد بن معاذ، وهو حامل لواء الأنصار، مقصد النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فنهض قائلاً: «والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم: «أجل». قال: (لقد آمنَّا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله) (5). سرَّ النبي صلى الله عليه وسلم من مقالة سعد بن معاذ، ونشطه ذلك فقال صلى الله عليه وسلم: «سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأنني أنظر إلى مصارع القوم» (6).

كانت كلمات سعد مشجعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وملهبة لمشاعر الصحابة

(1) انظر: موسوعة نضرة النعيم (288/1).

(2) المبالغة في عظمة ذلك المشهد، وأنه كان لو خير بين أن يكون صاحبه وبين أن يحصل له ما يقابل ذلك لكان حصوله أحب إليه.

(3) البخاري، كتاب المغازي (287/7).

(4) البخاري، كتاب التفسير (273/8).

(5) مسلم (1404/3) رقم (1779).

(6) انظر: البداية والنهاية (262/3) بإسناد صحيح، المسند (259/5) رقم (3698).



فقد رفعت معنويات الصحابة وشجعتهم على القتال.

إن حرص النبي ﷺ على استشارة أصحابه في الغزوات يدل على تأكيد أهمية الشورى في الحروب بالذات؛ ذلك لأن الحروب تقرر مصير الأمم، فإما إلى العلياء، وإما تحت الغبراء (1).

## 6- استكشاف قوة الأعداء :

قام النبي - ﷺ - باستكشاف قوة الأعداء بنفسه؛ حيث صحب أبا بكر، وتجوّلًا حول معسكر مكة، فوجدا شيخًا من العرب فسأله رسول الله ﷺ عن قريش وعن محمد وأصحابه- سأل عن الجيشين زيادةً في التكتّم- ولكن الشيخ قال لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما؟ فقال له رسول الله ﷺ : « **إذا أخبرتنا أخبرناك**»، قال: أو ذاك بذاك؟ قال: « **نعم**» قال

الشيخ: "فإنه بلغني أن محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهو اليوم بمكان كذا وكذا- للمكان الذي به جيش المدينة- وبلغني أن قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا- للمكان الذي به جيش مكة".

ولما فرغ من خبره قال: ممن أنتما؟ فقال له رسول الله ﷺ : «**نحن من ماء**» ، ثم انصرف عنه وبقي الشيخ يتفوّه، ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟!

ثم أرسل ثلاثة من قادة المهاجرين، علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص، في نفر من الصحابة إلى ماء بدر فوجدوا غلمانًا يستقون لجيش مكة، فألقوا عليهم القبض وجاءوا بهم والرسول ﷺ يصلي، فقالوا: نحن سقاة قريش، بعثونا نسقيهم من الماء، فكره القوم خبرهم فضربوهم، فقالوا: نحن لأبي سفيان، ونحن في العير، فأمسكوا عنهم، فسلم رسول الله ﷺ وقال: « **إن صدقوكم ضربتموهم وإذا كذبوكم تركتموهم؟** » ثم أقبل عليهم يسألهم، فأخبروه أن قريشًا خلف هذا الكتيب وأنهم ينحرون يومًا عشرًا ويومًا تسعًا، وأعلموه بمن خرج

(1) انظر: غزوة بدر الكبرى لأبي فارس، ص37.

من مكة، فقال ﷺ: « **القوم ما بين الألف والتسعمائة** » ، وقال: « هذه مكة قد ألفت إليكم أفلاذ كبدها » (1) .

كان من هدي النبي ﷺ حرصه على معرفة جيش العدو والوقوف على أهدافه ومقاصده؛ ولأن ذلك يعينه على رسم الخطط الحربية المناسبة لمجابهته وصد عدوانه، فقد كانت أساليبه في غزوة بدر في جمع المعلومات تارة بنفسه وأخرى بغيره، وكان ﷺ يطبق مبدأ الكتمان في حروبه، فقد أرشد القرآن الكريم المسلمين إلى أهمية هذا المبدأ قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعُوا بِهِ وَاوْرَدُوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أَوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ [النساء: 83].

## 7- المسلم الصادق موصل بجند السماء:

إن المسلم في مواجهته للباطل يحشد ما استطاع من قوة، ولا يدخر في ذلك وسعاً، ثم هو بعد ذلك لا يرهب قوة الأعداء، وإن كانت تفوقه عددًا وعتادًا؛ لأنه على يقين من أنه ليس في الميدان وحده، وإنما معه جند الله الذي لا يعلمها إلا هو، وفي بدر يتجلى ذلك في مواقف عدة؛ حيث تنتصر القلة المؤمنة على الكثرة المشركة وذلك بفضل ما سخر الله للمسلمين من جند السماء والأرض والتي كان منها:

أ- **الملائكة مدد من السماء:** حين استغاث الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين بربهم أمدهم بالملائكة: ﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ** ﴾ [الأنفال: 9]، والمتأمل يرى أن عدة الملائكة بعدة المشركين، وبذلك يتحقق ما أخبر به الله من البشرى والطمأنينة للمؤمنين: ﴿ **وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [الأنفال: 10].

ب- **النوم والمطر:** قبل المعركة كان المسلمون في حالة من التعب والإعياء والخوف يحتاجون معها إلى قسط من الراحة قبل المواجهة،

كما أن ساحة المعركة كانت في حاجة إلى تجهيز وإعداد بما يمكّن المسلمين من الحركة في الميدان وفي المقابل يعوق حركة المشركين؛ فأنزل الله عليهم النعاس والمطر .. ﴿إِذْ يُعَثِّبِكُمُ النَّعَاسَ آمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رَجَزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: 11] .

يقول الماوردي: "وفي امتنان الله عليهم بالنوم في هذه الليلة وجهان:

أحدهما: أن قوّاهم بالاستراحة على القتال من الغد.

الثاني: أن أَمَّنهم بزوال الرعب من قلوبهم، كما يقال: الأَمْنُ مُنِيم، والخوف مُسْهَر (1) ، وعن علي- ؓ قال: ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائمٌ إلا رسول الله ﷺ يصلي تحت الشجرة حتى أصبح (2) ، وعن عروة بن الزبير- ؓ قال: بعث الله السماء وكان الوادي دهسًا، وأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ما لبَد الأرض ولم يمنعهم المسير، وأصاب قريشًا ما لم يقدرُوا على أن يرتحلوا معه (3) ، وروي أنهم كانوا على جنابة وظمًا، وأن الشيطان ألقى في قلوبهم الحزن، وقال: أتزعمون أن فيكم نبيًا، وأنكم أولياء الله، وتصلون مجنبيين محدثين؟! فأنزل الله من السماء ماءً فسال عليهم الوادي ماءً؛ فشرب المسلمون وتطهروا وثبت أقدامهم وذهبت وسوسته

ج- سلاح الرعب: إن سلاح الرعب من أقوى الأسلحة التي يتحقق بها الغلبة على الأعداء، وهذا السلاح إذا سرى في أقوى الجيوش وأعتها، فإنه ينهار ولا يغني عنه لا عدد ولا عتاد، وهذا السلاح لا يملك خزائنه إلا من يقدر على الوصول إلى القلب الذي هو محلّ التثبيت والخوف والهلع، وتأمل قول رب القلوب: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: 12].

(1) القرطبي: 237 / 7

(2) الدر المنثور: 310 / 3

(3) الدر المنثور: 311 / 3

ومن خصائص نبينا ﷺ وخصائص الأمة الإسلامية النصر بالرعب مسيرة شهر؛ فعن جابر بن عبد الله أن النبي -ﷺ- قال: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نَصَرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجَعَلْتُ لِي الْأَرْضَ مَسْجِدًا وَطَهْرًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتَهُ الصَّلَاةَ فَلْيَصِلْ، وَأَحَلْتُ لِي الْمَغَانِمَ وَلَمْ تَحُلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يَبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبَعَثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً» (1).

إن الرعب سلاح يفتك بالمشركين والكافرين قبل المواجهة، قال الله تعالى: ﴿سَلِّقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [آل عمران: 151]، وفي حق يهود يقول: ﴿وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: 2]، وفي حق الأحزاب: ﴿وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ [الأحزاب: 26]؛ فسلاح الرعب سلاح ينفذ إلى أعماق القلوب، فيسلب من أصحابها العقل والحس، ويجعلها في حالة من الذهول واللاوعي ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 264].

## 8- من يحارب الإسلام إنما يحارب الله:

إن الذين ينصبون لواء الحرب والعداء على الإسلام والمسلمين إنما يعلنون الحرب على الله، ومن يعلن الحرب على الله لن تقوم له قائمة مهما كان عدده وعتاده، والعجيب أن قريشًا كانت تعلم ذلك، وهذه الواقعة تؤكد ذلك؛ فقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفال: 47]. عند القرطبي أن المقصود بالآية: «يعني أبا جهل وأصحابه الخارجين يوم بدر لنصرة العير، خرجوا بالقيان والمغنيات والمعازف، فلما وردوا الجحفة بعث خُفَّاف الكِنَاني، وكان صديقًا لأبي جهل، بهدايا إليه مع ابن عم له، وقال: إن شئت أمددتك بالرجال، وإن شئت أمددتك بنفسي مع ما خف من قومي، فقال أبو

جهل: إنا كنا نقاتل الله كما يزعم محمد، فوالله ما لنا بالله من طاقة، وإن كنا نقاتل الناس فوالله إن بنا على الناس لقوة، والله لا نرجع عن قتال محمد حتى نرد بدرًا فنشرب فيها الخمر، وتعزف علينا القيان، فإن بدرًا موسم من مواسم العرب، وسوق من أسواقهم، حتى تسمع العرب بمخرجنا؛ فتهابنا آخر الأبد، فوردوا بدرًا، ولكن جرى ما جرى من هلاكهم»(1).

## 9- خطبة النبي - ﷺ - يوم بدر ترسم طريق النصر:

كل هذه المعاني السابقة وغيرها تجدها في خطبة النبي - ﷺ - يوم بدر؛ حيث حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد: فإني أحثكم على ما حثكم الله عليه، وأنهاكم عما نهاكم عنه، فإن الله عظيم شأنه، يأمر بالحق ويحب الصدق، ويعطي على الخير أهله على منازلهم عنده، به يذكرون وبه يتفاضلون، وإنكم قد أصبحتم بمنزل الحق لا يقبل الله فيه أحد إلا ما ابتغى به وجهه، وإن الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله به الهم، وينجي به من الغم، وتدركون النجاة في الآخرة، فيكم نبي الله يحذركم ويأمركم، فاستحيوا اليوم أن يطلع الله عز وجل على شيء من أمركم يمقتكم عليه، فإن الله يقول: ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [غافر 10].

انظروا الذي أمركم به من كتابه وأراكم من آياته، وأعزكم به بعد ذلة؛ فاستمسكوا به يرضى به ربكم عنكم، وأبلوا ربكم في هذه المواطن أمرًا تستوجبوا الذي وعدكم به من رحمته ومغفرته؛ فإن وعده حق، وقوله صدق، وعقابه شديد، وإنما أنا وأنتم بالله الحي القيوم، إليه أجانأ ظهورنا، وبه اعتصمنا، وعليه توكلنا وإليه المصير، يغفر الله لي وللمسلمين» (2).

## 10- مرودة ووفاء:

(1) انظر: تفسير القرطبي (25/8).

(2) المسند (431/5).

نهى النبي - ﷺ - عن قتل أبي البختري وفاءً لما قدم له من معروف وهو بمكة؛ لأنه كان كفّ القوم عنه وهو بمكة، وكان لا يؤذيه ولا يبلغ عنه شيء يكرهه، وكان ممن قام في نقض صحيفة المقاطعة، ولكن أبا البختري قُتل؛ حيث إن المجذر بن زياد لقيه في المعركة مع صاحب له يقاتلان سويًا فقال المجذر: يا أبا البختري إن رسول الله - ﷺ - قد نهانا عن قتلك، فقال: وزميلي؟! فقال: لا.. والله ما نحن بتاركي زميلك ما أمرنا رسول الله - ﷺ - إلا بك وحدك؛ فقال: لا والله إذن لأموتن أنا وهو جميعًا، لا تتحدث عني نساء مكة أنني تركت زميلي حرصًا على الحياة؛ فقال أبو البختري حين نازله المجذر وأبى إلا القتال، يرتجز:

لن يُسلم ابن حرة زميله حتى يموت أو يرى سبيله  
فاقتتلا، فقتله المجذر إلى قتله<sup>1</sup>.

## 11- أخوة الإيمان تعلقو على أخوة النسب:

كان مصعب بن عمير رضي الله عنه حامل لواء المسلمين، وكان أخوه أبو عزيز بن عمير في صف المشركين، ثم وقع أسيرًا في يد أحد الأنصار، فقال مصعب للأنصاري: شد يدك به فإن أمه ذات متاع، فقال أبو عزيز: يا أخي هذه وصيتك بي؟ فقال مصعب: إنه أخي دونك، تلك كانت حقائق وليس مجرد كلمات: إنه أخي دونك<sup>(2)</sup>، إنها القيم المطروحة لتقوم الإنسانية على أساسها، فإذا العقيدة هي أصرة النسب والقرباة وهي الرباط الاجتماعي<sup>(3)</sup>.

فرابطة الإيمان أعلى الروابط وأبقاها، وتعلقو على روابط الدم والنسب والأرض.

## 12- سيف عكاشة والمعجزة:

(1) سيرة ابن هشام: 2/ 197

(2) انظر: البداية والنهاية (307/3).

(3) انظر: معين السيرة، ص 213.

وذكر ابن القيم في زاد المعاد: أن سيف عكاشة بن محصن انقطع يومئذ، فأعطاه النبي ﷺ جزلاً من حطب، فقال: «**دونك هذا**» فلما أخذه عكاشة وهزه، عاد في يده سيفاً طويلاً شديداً أبيض، فلم يزل عنده يقاتل به حتى قتل في الردة أيام أبي بكر (1). وقال رفاعة بن رافع: "رमित بسهم يوم بدر، ففقت عيني، فبصق فيها رسول الله ﷺ ودعالي، فما أذاني منها شيء" (2).

قال الدكتور أبو شهبة: "وما ينبغي لأحد أن يزعم أن المعجزات الحسية لا ضرورة إليها بعد القرآن، فهي قد بدت آثارها واضحة جلية في إسلام البعض، وتقوية يقين البعض الآخر، وإثبات أنه نبي يوحى إليه، فقد أخبر بمغيبات انتفى في العلم بها كل احتمال إلا أنه خبر السماء، وغير خفي ما يحدثه من انقلاب عود أو عرجون في يد صاحبه سيفاً بتّاراً في إيمانه وتقوية يقينه، وجهاده به جهاداً لا يعرف التردد أو الخور، وحرصه البالغ على أن يخوض المعارك بسيف خرقت به العادة وصار مثلاً وذكرى في الأولين والآخرين (3).

### 13- حقيقة النصر من الله تعالى:

إن حقيقة النصر في بدر كانت من الله تعالى قال سبحانه فقد بين سبحانه وتعالى أن النصر لا يكون إلا من عند الله تعالى في قوله: ﴿ **وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ** ﴾ [آل عمران: 126]، وقوله تعالى: ( **وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [الأنفال: 10].

في هاتين الآيتين تأكيد على أن النصر لا يكون إلا من عند الله عز وجل، والمعنى: ليس النصر إلا من عند الله دون غيره، و(العزیز) أي: ذو العزة التي لا ترام (4)، و(الحكيم) أي: الحكيم فيما شرعه من قتال الكفار مع القدرة على دمارهم وإهلاكهم بحوله وقوته سبحانه

(1) انظر: زاد المعاد (186/3) وذكر المحقق أن ابن إسحاق ذكرها من غير سند.

(2) انظر: زاد المعاد (186/3) والأثر فيه خلاف بين التصحيح والتضعيف.

(3) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (178/2).

(4) انظر: تفسير ابن كثير (411/1).

وتعالى (1).

ويستفاد من هاتين الآيتين: تعليم المؤمنين الاعتماد على الله وحده، وتفويض أمورهم إليه مع التأكيد على أن النصر إنما هو من عند الله وحده، وليس من الملائكة أو غيرهم، فالأسباب يجب أن يأخذ بها المسلمون، لكن يجب أن لا يغتروا بها، وأن يكون اعتمادهم على خالق الأسباب حتى يمدهم الله بنصره وتوفيقه، ثم بين سبحانه مظاهر فضله على المؤمنين، وأن النصر الذي كان في بدر، وقتلهم المشركين، ورمي النبي ﷺ المشركين بالتراب يوم بدر إنما كان في الحقيقة بتوفيق الله أولاً وبفضله ومعونته. وبهذه الآية الكريمة يربي القرآن المسلمين ويعلمهم الاعتماد عليه، قال تعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال: 17]. ولما بين سبحانه وتعالى أن النصر كان من عنده، وضح بعض الحكم من ذلك النصر، قال تعالى: ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [آل عمران: 127، 128].

وأمر سبحانه وتعالى المؤمنين أن يتذكروا دائماً تلك النعمة العظيمة؛ نعمة النصر في بدر، ولا ينسوا من أذهانهم كيف كانت حالتهم قبل النصر، قال تعالى: ﴿ وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الأنفال: 26].

## 14- يوم الفرقان:

سُمي يوم بدر يوم الفرقان، ولهذه التسمية أهمية عظيمة في حياة المسلمين، وقد تحدث الأستاذ سيد قطب عن وصف الله تعالى ليوم بدر بأنه يوم الفرقان في قوله تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ أَمْنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ النِّقْيِ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنفال: 41]. فقال: كانت غزوة بدر، التي بدأت وانتهت بتدبير الله وتوجيهه وقيادته ومدده، فرقاناً بين الحق والباطل،

(1) انظر: تفسير ابن كثير (302/2) نقلاً عن حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول ﷺ (97/1-105).



كما يقول المفسرون إجمالاً، وفرقاً بـمعنى أشمل وأدق وأوسع وأعمق كثيراً. كانت فرقاً بين الحق والباطل فعلاً.. ولكنه الحق الأصيل الذي قامت عليه السماوات والأرض، وقامت عليه فطرة الأحياء والأشياء.. الحق الذي يتمثل في تفرد الله سبحانه بالألوهية والسلطان والتدبير والتقدير، وفي عبودية الكون كله سمائه وأرضه، وأشياءه وأحيائه، لهذه الألوهية المتفردة، ولهذا السلطان المتوحد، ولهذا التدبير وهذا التقدير بلا معقب ولا شريك، والباطل الزائف الطارئ الذي كان يعم وجه الأرض إذ ذاك، ويغشي على ذلك الحق الأصيل، ويقوم في الأرض طواغيت تتصرف في حياة عباد الله بما تشاء، وأهواء تصرف أمر الحياة والأحياء، فهذا الفرقان الكبير الذي تم يوم بدر، حيث فرق بين ذلك الحق الكبير، وهذا الباطل الطاغي، وزيل بينهما فلم يعودا يلتبسان.

لقد كانت فرقاً بين الحق والباطل بهذا المدلول الشامل الواسع الدقيق العميق، على أبعاد وأمد، كانت فرقاً بين هذا الحق وهذا الباطل في أعماق الضمير؛ فرقاً بين الوجدانية المجردة المطلقة بكل شعبها في الضمير والشعور، وفي الخلق والسلوك، وفي العبادة والعبودية، وبين الشرك في كل صورته التي تشمل عبودية الضمير لغير الله من الأشخاص، والأهواء والقيم والأوضاع والتقاليد والعادات، وكانت فرقاً بين هذا الحق وهذا الباطل في الواقع الظاهر، كذلك فرقاً بين العبودية الواقعية للأشخاص، والأهواء، وللقوم والأوضاع والشرائع والقوانين والتقاليد والعادات، وبين الرجوع في هذا كله لله الواحد الذي لا إله غيره، ولا متسلط سواه، ولا حاكم دونه، ولا مشرع إلا إياه، فارتفعت الهامات لا تنحني لغير الله، وتساوت الرؤوس فلا تخضع إلا لحاكميته وشرعه، وتحررت القطعان البشرية التي كانت مستعبدة للطغاة.

وكانت فرقاً بين عهدين في تاريخ الحركة الإسلامية: عهد المصابرة والصبر والتجمع والانتظار، وعهد القوة والحركة والمبادأة والاندفاع، والإسلام بوصفه تصويراً جديداً للحياة، ومنهجاً جديداً للوجود الإنساني، ونظاماً جديداً للمجتمع، وشكلاً جديداً للدولة، بوصفه إعلاناً عاماً لتحرير الإنسان في الأرض بتقرير ألوهية الله وحده وحاكميته، ومطاردة الطواغيت التي تغتصب ألوهيته(1).

(1) انظر: في ظلال القرآن (1521/3، 1522).

إلى أن قال: وأخيراً فلقد كانت بدر فرقاناً بين الحق والباطل بمدلول آخر، ذلك المدلول الذي يوحى به قول الله تعالى: ﴿وَأَذِّبْكُمْ اللَّهُ أَحَدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾. لقد كان الذين خرجوا للمعركة من المسلمين إنما خرجوا يريدون عبر أبي سفيان واغتنام القافلة، فأراد الله لهم غير ما أرادوا، أراد لهم أن تغلت منهم قافلة أبي سفيان (غير ذات الشوكة)، وأن يلاقوا نفيير أبي جهل (ذات الشوكة)، وأن تكون معركة وقتالاً وقتلاً وأسراً، ولا تكون قافلة وغنيمة ورحلة مريحة، وقد قال الله سبحانه: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ وكانت هذه إشارة لتقرير حقيقة كبيرة، إن

الحق لا يحق وإن الباطل لا يبطل -في المجتمع الإنساني- بمجرد البيان النظري للحق والباطل، ولا بمجرد الاعتقاد النظري بأن هذا حق وهذا باطل، إن الحق لا يحق، وإن الباطل لا يبطل، ولا يذهب من دنيا الناس، إلا بأن يتحطم سلطان الباطل ويعلو سلطان الحق، وذلك لا يتم إلا بأن يغلب جند الحق ويظهروا ويهزم جند الباطل ويندحروا، فهذا الدين منهج حركي واقعي، لا مجرد نظرية للمعرفة والجدل، أي لمجرد الاعتقاد السلبي.

ولقد حق الحق وبطل الباطل بالموقعة، وكان هذا النصر العملي فرقاناً واقعياً بين الحق والباطل بهذا الاعتبار الذي أشار إليه قول الله تعالى في معرض بيان إرادته سبحانه من وراء المعركة، ومن وراء إخراج الرسول ﷺ من بيته بالحق، ومن وراء إفلات القافلة (غير ذات الشوكة) ولقاء الفئة ذات الشوكة. ولقد كان كله فرقاناً بين منهج هذا الدين ذاته، تتضح به طبيعة هذا المنهج وحقيقته في حس المسلمين أنفسهم.. وإنه لفرقان ندرك به اليوم ضرورته، حينما ننظر إلى ما أصاب مفهومات هذا الدين من تميع في نفوس من يسمون أنفسهم مسلمين، حتى ليصل هذا التميع إلى مفهومات بعض من يقومون بدعوة الناس إلى هذا الدين، وهكذا كان يوم بدر: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقْيِ الْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: 41]. بهذه المدلولات المنوعة الشاملة العميقة، والله على كل شيء قدير، وفي هذا اليوم مثل من قدرته على كل شيء، مثل لا يجادل فيه مجادل، ولا يماري فيه ممارٍ.. مثل من الواقع المشهود،

الذي لا سبيل إلى تفسيره إلا بقدره الله. وأن الله على كل شيء قدير (1).

## 15- الولاء والبراء من فقه الإيمان:

رسمت غزوة بدر لأجيال الأمة صورًا مشرقة في الولاء والبراء، وجعلت خطأ فاصلاً بين الحق والباطل، فكانت الفرقان النفسي والمادي والمفاصلة التامة بين الإسلام والكفر، وفيها تجسدت هذه المعاني، فعاشها الصحابة واقعًا ماديًا وحقيقة نفسية، وفيها تهاوت القيم الجاهلية، فالتقى الابن بأبيه والأخ بأخيه:

1- كان أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة في صف المسلمين، وكان أبوه عتبة وأخوه الوليد وعمه شيبه في صف المشركين، وقد قتلوا جميعًا في المبارزة الأولى.

2- كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه في صف المسلمين.. وكان ابنه عبد الرحمن في صف المشركين.

3- كان مصعب بن عمير رضي الله عنه حامل لواء المسلمين، وكان أخوه أبو عزيز بن عمير في صف المشركين، ثم وقع أسيرًا في يد أحد الأنصار، فقال مصعب للأنصاري: شد يدك به فإن أمه ذات متاع، فقال أبو عزيز: يا أخي هذه وصيتك بي؟ فقال مصعب: إنه أخي دونك، تلك كانت حقائق وليس مجرد كلمات: إنه أخي دونك (2)، إنها القيم المطروحة لتقوم الإنسانية على أساسها، فإذا العقيدة هي أصرة النسب والقراية وهي الرباط الاجتماعي (3).

4- كان شعار المسلمين في بدر (أَحَدٌ، أَحَدٌ) وهذا يعني أن القتال في سبيل عقيدة تتمثل بالعبودية للإله الواحد، فلا العصبية ولا القبالية، ولا الأحقاد والضغائن، ولا الثأر هو الباعث والمحرك، ولكنه الإيمان بالله وحده.

ومن هذا المنطلق كانت صور الإيمان مختلفة المظاهر واحدة في مضمونها (4)، وللإيمان فقه عظيم، ومن هذا الفقه حينما هاجر رسول الله

(1) انظر: في ظلال القرآن (1523/3، 1524).

(2) انظر: البداية والنهاية (307/3).

(3) انظر: معين السيرة، ص 213.

(4) المصدر نفسه، ص 217.

ﷺ إلى المدينة، هاجر إليها كل من استطاع ذلك من المسلمين في مكة، وحبس من كان مضطهدًا ولم يستطع ذلك، فلما كان يوم بدر كان بعض هؤلاء في صف المشركين منهم: عبد الله بن سهيل بن عمرو، والحارث بن زمة بن الأسود، وأبو قيس بن الفاكه، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة وعلي بن أمية بن خلف، والعاص بن منبه.

فأما عبد الله بن سهيل بن عمرو فقد انحاز من صف المشركين إلى رسول الله ﷺ فشهد المعركة، وكان أحد الصحابة الذين نالوا هذا الشرف العظيم (1).

وأما الآخرون فلم يفعلوا ذلك، وشهدوا المعركة في صف المشركين وقد أصيبوا جميعًا (2) فقتلوا تحت راية الكفر، فنزل في حقهم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَأَسِعَةَ فَتُهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَنْكَ مَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: 97].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان قوم من المسلمين أقاموا بمكة، وكانوا يستخفون بالإسلام، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين، وأكرهوا على الخروج، فنزلت: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ إنهم لم يُعذروا إذ كانت إمكانات الانتقال إلى صف المؤمنين متوافرة، ولم يكن الفاصل كبيرًا بين الصفين، ولن يعدموا لو أرادوا الفرصة في الانتقال إلى رسول الله ﷺ كما فعل عبد الله بن سهيل (3).

إن للإيمان مستلزمات تعبر عن صدقه وقوته، ومن مستلزماته استعلاؤه على كل القيم مما سواه، فإذا كان كذلك كان لأصحابه الأثر الفعال، والقوة الفاعلة في بناء الحق والخير الذي أراده الله، إن الإيمان يصبغ السلوك، فإذا به يشع من خلال الحركة والجهد، ومن خلال الكلمة والابتسامة، ومن خلال السمات والانفعال؛ ولذا لم يعذر الذين كانوا في صف المشركين؛ لأن الإيمان الذي ادعوه لم توجد له

(1) انظر: معين السيرة، ص 217.

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (253/2).

(3) انظر: معين السيرة، ص 217.

مستلزمات فلم يؤت ثماره (1).

ولهذا الفهم العميق لفقهِ الإيمان ضرب الصحابة الكرام في بدر مُثلاً عُلياً لصدق الإيمان، التي تدل على أنهم أثروا رضاء الله ورسوله ﷺ على حب الوالد والولد والأهل والعشيرة، فلا يعجب المسلم من ثناء الله تعالى على هذه المواقف الصادقة في قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: 22].

## 16- المعجزات التي ظهرت في بدر وما حولها:

من المعجزات التي ظهرت على يدي رسول الله ﷺ في بدر إخباره عن بعض المغيبات، ومن المعلوم أن علم الغيب مختص بالله تعالى وحده، وقد أضافه الله تعالى إلى نفسه الكريمة في غير آية من كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: 65]. وقال تعالى: ﴿وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: 59].

ومن المعلوم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يعلمون الغيب ولا اطلاع لهم على شيء منه، فقد قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: 50]، وكما جاءت الأدلة تدل على أن الله تبارك وتعالى قد اختص بمعرفة علم الغيب، وأنه استأثر به دون خلقه، جاءت أدلة تفيد أن الله تعالى استثنى من خلقه من ارتضاه من الرسل فأودعهم، ما شاء الله من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم، ودلالة صادقة على نبوتهم، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ

(1) انظر: معين السيرة، ص 218.

الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِّنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ [آل عمران: 179]. وقال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: 26، 27]. فنخلص من ذلك أن ما وقع على لسان رسول الله ﷺ من الأخبار بالمغيبات فبوحى من الله تعالى، وهو إعلام الله عز وجل لرسوله ﷺ للدلالة على ثبوت نبوته وصحة رسالته، وقد اشتهر وانتشر أمره ﷺ باطلاع الله له على المغيبات (1). وكان لأحداث غزوة بدر نصيب من تلك المعجزات الغيبية منها:

### 1- مقتل أمية بن خلف:

فمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انطلق سعد بن معاذ معتمرًا، قال: فنزل على أمية بن خلف أبي صفوان، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمر بالمدينة نزل على سعد، فقال أمية لسعد: ألا تنظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت؟ فبينما سعد يطوف إذا أبو جهل، فقال: من هذا الذي يطوف بالكعبة، فقال سعد: أنا سعد، فقال أبو جهل: تطوف بالكعبة أما وقد أويتم محمدًا وأصحابه؟ فقال: نعم، فتلاحيا (2) بينهما، فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي. ثم قال سعد: والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالشام، قال: فجعل أمية يقول لسعد: لا ترفع صوتك، وجعل يمسكه فغضب سعد فقال: دعنا عنك. فإني سمعت محمدًا صلى الله عليه وسلم يزعم أنه قاتلك، قال: إياي؟ قال: نعم. قال: والله ما يكذب محمد إذا حدث، فرجع إلى امرأته فقال: أما تعلمين ما قال لي أخي الليثربي؟ قالت: وما قال؟ قال: زعم أنه سمع محمدًا يزعم أنه قاتلي، قالت: فوالله ما يكذب محمد، قال: فلما خرجوا إلى بدر جاء الصريخ، قالت له امرأته: أما ذكرت ما قال لك أخوك الليثربي؟ قال: فأراد ألا يخرج، فقال له أبو جهل: إنك من أشرف الوادي، فسر يومًا أو يومين، فسار معهم يومين فقتله الله (3).

### 2- مصارع الطغاة:

(1) انظر: موسوعة نضرة النعيم (453/1).

(2) تلاحيا: تلاوما وتنازعا، انظر: النهاية (243/4).

(3) البخاري ز انظر: الفتح (3632/6).

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا مع عمر بين مكة والمدينة فترأينا الهلال، وكنت رجلاً حديد البصر (1) فرأيت أنه ليس أحد يزعم أنه رآه غيري، قال فجعلت أقول لعمر: أما تراه؟ فجعل يقول لا يراه، قال: يقول عمر: سأراه وأنا مستلقٍ على فراشي، ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول: «هذا مصارع فلان غداً، إن شاء الله» قال: فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق ما أخطأوا الحدود التي حد رسول الله صلى الله عليه وسلم (2).

3- إخبار العباس بن عبد المطلب بالمال الذي دفنه، وإعلام عمير بن وهب بالحديث الذي حدث بينه وبين صفوان:

ومن ذلك لما طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمه دفع الفداء، وأجابه العباس: ما ذاك عندي يا رسول الله، فقال له: «أين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل؟ فقلت لها: إن أصبت في سفري هذا، فهذا المال الذي دفنته لبني الفضل وعبد الله وقتم»، قال: والله يا رسول الله، إنني لأعلم أنك رسول الله، إن هذا الأمر ما علمه أحد غيري وغير أم الفضل. وما حدث به عمير بن وهب لما جاء متظاهراً بفداء ابنه، وهو يريد قتل النبي صلى الله عليه وسلم باتفاق مع صفوان بن أمية، فقد أنبأه نبأ المؤامرة، فكانت سبباً في إسلامه وصدق إيمانه (3).

### 17- حكم الاستعانة بالمشرك:

في غزوة بدر -في الأحداث التي سبقتها- أراد مشرك أن يلحق بجيش المسلمين، وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم الموافقة على قبوله معهم، والاشتراك فيما هم ذاهبون إليه فقال صلى الله عليه وسلم: «ارجع فلن أستعين بمشرك» (4) فالحديث يبين أن القاعدة والأصل عدم الاستعانة بغير المسلم في الأمور العامة، ولهذه القاعدة استثناء، وهو جواز الاستعانة بغير المسلم بشروط معينة وهي: تحقق المصلحة، أو رجحانها بهذه الاستعانة، وألا يكون ذلك على حساب الدعوة ومعانيها، وأن يتحقق الوثوق الكافي بمن يستعان به، وأن يكون تابعاً للقيادة الإسلامية، لا

(1) حديد البصر: أي نافذ.

(2) مسلم رقم (2873).

(3) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (178/2).

(4) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للعمري (355/2).

متبوعاً، ومقوداً فيها لا قائدًا لها، وألا تكون هذه الاستعانة. مثار شبهة لأفراد المسلمين، وأن تكون هناك حاجة حقيقية لهذه الاستعانة وبمن يستعان به، فإذا تحققت هذه الشروط جازت الاستعانة على وجه الاستثناء، وإذا لم تتحقق لم تجز الاستعانة. وفي ضوء هذا الأصل رفض رسول الله ﷺ اشتراك المشرك مع المسلمين في مسيرهم إلى غير قريش إذ لا حاجة به أصلاً، وفي ضوء الاستثناء وتحقق شروطه استعان النبي ﷺ بالمشرك عبد الله بن أريقط الذي استأجره النبي ﷺ وأبو بكر في هجرتهم إلى المدينة؛ ليدلها على الطريق إليها.. وهكذا على هذا الاستثناء وتحقق شروطه قبل ﷺ حماية عمه أبي طالب له، كما قبل جوار أو إجارة المطعم بن عدي له عند رجوعه عليه الصلاة والسلام من الطائف، وكذلك قبول الصحابة الكرام جوار من أجارهم من المشركين ليدفع هؤلاء الأذى عن أجاروهم(1). وضبط هذه القاعدة مع فهم شروط الاستثناء في واقع الحياة يحتاج إلى فقه دقيق وإيمان عميق.

## 18- النصر مع الصبر:

من غير يوم بدر أخذنا أن الصبر مفتاح الفرج فما ضاقت الأمور على من صبر، الصبر مفتاح الخير.

أخذنا من غزوة بدر أن مع العسر يسراً، وأن عاقبة الصبر خير ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ [النحل:127]. صبر حبيب الله ورسول الله فأقر الله عينه ونصر الله حزبه ﴿بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا﴾ [آل عمران:125]. فإن وجدت عبداً من عباد الله قد صُبت عليه المحن والبلايا من الله ونصب وجهه صابراً لله، فبشره بحسن العاقبة والمآل من الله، علمنا أن الصبر عواقبه الخير، ولقد صدق رسول الهدى إذ يقول ﷺ: «ما أعطي عبد عطاءً أفضل من الصبر». بالصبر يتوسع ضيق الدنيا، وبالصبر تتبدد همومها وغمومها وأحزانها، يطيب العيش وترتاح النفوس وتطمئن القلوب، وصدق عمر وأرضاه إذ قال: (وجدنا ألد عيشنا بالصبر)

(1) انظر: المستفاد من قصص القرآن (144/2، 145).



## 19- سر الانتصار:

والحق أن "الإسلام" هو السر وراء انتصار المسلمين الفريد، وهو ما تكشف عنه المقارنة بين حال العرب قبل الإسلام وحالهم بعده، فقد حدث لهم "تحول عظيم" كان من بين مظاهره أن المسلم أصبح له وزن كبير في موازين القوى، وها هو "المتنى بن حارثة الشيباني" يصف الفرق بين المقاتل العربي في الجاهلية وهذا المقاتل ذاته بعد الإسلام فيقول: "قد قاتلت العرب والعجم الجاهلية والإسلام، والله لمائة من العجم في الجاهلية كانوا أشد علي من ألف من العرب، ولمائة اليوم من العرب أشد علي من ألف من العجم".

وقد كان النبي - ﷺ - في قتاله دفاعاً عن الدين يحارب عرباً بعرب، بل قرشيين بقرشيين، فلا يمكن أن تكون هناك مزايا لدى طرف دون طرف في القوة والشجاعة، فالسر وراء انتصار المسلمين هو أن الإسلام وجه نزعات العرب في نفوسهم إلى غاية عظمتهم رفعت أقدارهم، وهي إعلاء كلمة الله، وإعزاز راية دينه، وما يدخل في مفهوم كلمة سبيل الله من قيم فاضلة وقضايا عادلة وأهداف نبيلة، وكان الإسلام حريصاً على أن يزود المسلمين بتلك الدوافع التي تملأ نفوسهم حمية واستبسالاً، ولهذا كان "حساب المقاتل المجاهد" في الحرب وفي ميزان القوى مقدرًا بما في قلبه من عقيدة وإيمان، وربما في نفسه من مبادئ يحارب عنها، وأسباب تدعوه إلى خوض هذه الحرب.

وهذا ما نجده في قول الله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: 65]، وذلك لأن الذين كفروا قد خلت نفوسهم من المبادئ الكريمة والدوافع الصادقة، ولذلك "حُرِّمُوا الْفَقْه" الذي كان من شأنه أن يبصرهم بالمبادئ التي يقاتلون عليها، والمثل التي يدافعون عنها، ومن حرم هذا الفقه في مجال الحرب، فقد تعرى من كل سلاح يدافع به، وكانت عاقبته الهزيمة والبوار.

وقد برز ذلك في أول مواجهة بين المسلمين والكفار في غزوة بدر الكبرى، إذ كان هدف المسلمين "إعلاء كلمة الله"، بينما كان هدف المشركين ما عبر عنه قول زعيمهم أبي جهل: "والله لا نرجع حتى نردَّ بدرًا، فنقيم عليه ثلاثًا ننحر الجزور ونطعم الطعام، ونسقي الخمر،

وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبدًا بعدها.

فإذا ما تأملنا موقف المسلمين، فإننا نجد الإسلام ينزه المقاتل عن دوافع المفاخرة أو حب الظهور أو الرغبة في الثناء، فهو لا يستحق الجنة ولا يجد ريحها إلا إذا كان جهاده خالصًا من أجل إعلاء كلمة الله، فقد سئل الرسول - ﷺ - عن الرجل يُقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال: «من قاتل لتكون

كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» (1).

قال الحسن بن الربيع: خرج فارس ملثم فقتل فارسًا من العدو كان قد نال من المسلمين، فكبر له المسلمون، وعاد ودخل في غمار الناس ولم يعرفه أحد فنتبعته حتى سألته بالله أن يرفع لثامه، فعرفته وقلت أخفيت نفسك من هذا الفتح العظيم الذي يسره الله على يدك! فقال "الذي فعلت له، لا يخفى عليه عملي".

## 20- صفات المنصورين:

المؤمنون الذين ضمن الله لهم النصر وأخبر أن لهم الغلبة ولا سلطان للكافرين عليهم، ذكرهم الله - تعالى - في أوائل سورة الأنفال، حيث قال - تعالى - مبيِّنًا صفة المؤمنين المنصورين في الدنيا والآخرة:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ \* الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ \* أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: 2-4].

فهؤلاء هم المنصورون والسعداء في الدنيا والآخرة "ما داموا" متصفين بهذه الصفات الخمس التي وصفهم الله بها، أما إذا حادوا عن دينهم وعدلوا عن كتاب ربهم، عند ذلك يتخلى الله عنهم وعن نصرهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11]، ويقول الرسول - ﷺ -: « يقول: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا

كتاب الله وسنتي»<sup>(1)</sup>، وقد قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لسعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه -: "وأمرك ومن معك من الأجناد أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصي من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليه من عدوه، وإنما ينتصر المسلمون بمعصية عدوهم لله".

## 21- نصر الله سنة ماضية:

نصر الله للمؤمنين سنة ماضية يشهد بها سجل التاريخ الإسلامي في عهد النبوة وفي فتوح الإسلام ومعارك المسلمين ضد الصليبيين والمغول وغيرهما.

ولقد سأل الإمبراطور البيزنطي هرقل قادته: أخبروني ويلكم من هؤلاء القوم الذين تلقونهم؟ أليسوا بشرًا مثلكم؟.. فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: نحن أكثر منهم أضعافًا، وما لقيناهم في موطن إلا ونحن أكثر منهم. قال: ويلكم فما بالكم تنهزمون إذا لقيتموهم؟.. فقام شيخ من الحاضرين يجيب عن سؤاله فكان مما قال: من أجل أن القوم يقومون الليل ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ولا يظلمون أحدًا ويتناصفون فيما بينهم، إذا حملنا عليهم صبروا، وإذا حملوا علينا لم يكذبوا. !!

وتلك وقفة ينبغي أن تفقها الأمة كلها، وهي في حال انكسارها وتراجعها؛ لتستمد من تاريخها نورًا يبدد ظلام حاضرها، ورشدًا لمن ضلَّ منها عن طريقه، وهدىً للسائرين في ضلالة، والخابطين خبط عشواء؛ حتى لا نبذوا كأننا أمة لا تاريخ لها تفيدها منه، ولا جذور لها تستعصم بها، على أن وقائع يوم بدر لم تكن مجرد تاريخ ينبغي تدبره، بل كانت قرآنا يتلى إلى قيام الساعة، ومواقف نبوية مركوزة في ضمير أمتنا ووعياها.

إن شعوبنا المسحوقة قهراً وعسفاً، وطغياناً وعجزاً، في حاجة إلى أن تتدبر قول ربنا عن الجماعة المؤمنة يوم بدر: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: 123]، وقوله عن أصحاب الدعوات على امتداد تاريخ الصراع بين الحق والباطل (كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) [البقرة: 249]،

(1) صحيح، أخرجه الترمذي ح (3788).

وتدرك أن النصر من عند الله وحده، يمنحه من نصر دينه وأعرّ دعوته، وأعدّ عدته، وأجاد التوكّل عليه، بغير نظر إلى قلة أو كثرة..

**﴿إِذْ تَسْتَعِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ، وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** [الأنفال: 9-10]، وقوله تعالى -: **﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّثُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَالِقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾** [الأنفال: 12] وقوله تعالى -: **﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** [الأنفال: 17].

أيها المجاهدون المستضعفون في أقطار الأرض، يا أهلنا في فلسطين والعراق والشام وأفغانستان وكشمير والشيشان وغيرها، يا من استُبيحت أوطانهم، واحتلت بلادهم، وانتهكت حرماهم، وديست مقدساتهم، لا يكاد يشعر بهذه الآيات القرآنية الكريمة أحدٌ مثلما تشعرون أنتم بها، وقد أحسستم عزة الإسلام رغم قهر أعدائكم، وتخاذل المنافقين عنكم، وخيانات المارقين لكم، ورأيتم من تباشير النصر وآيات الرحمن وكريم لطفه وعزيز تأييده ما عميت عن إدراكه عيون القاعدين والمنتطبين والخائرين والعاجزين.. **﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** [آل عمران: 139].

إن جهادكم ليس عدواناً على أحد، ولا إرهاباً كما يرجف المرجفون، بل أنتم من اعتدى عليه المجرمون، وأرادوا لهم الحسف والهوان، وفرض عليكم القتال فرضاً، فلا بديل لكم عنه، وهو كرية إلى أنفسكم، وكذلك كان شأن أسلافكم يوم بدر.. **﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾** [البقرة: 216].

وهم إنما خرجوا لاسترداد بعض أموالهم التي سلبها منهم المشركون، ففاتتهم العير، ووجدوا أنفسهم في مواجهة النفير وجحافل الشرك في غروره وعُجبه، وقد **﴿حَزَبُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾** [الأنفال: 47].

فكونوا على ثقة أن اختيار الله لكم- حين فرض عليكم الجهاد وردّ عادية الظالمين- خيرٌ من اختياركم لأنفسكم، وقد كنتم في بلادكم آمنين، وكذلك كان اختيار الله لأهل بدر ليخطوا أبهى نصر في تاريخ الإسلام..

**﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ،**

يَجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَافِرُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ،  
وَأَدْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ  
تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿7-5﴾  
[الأنفال: 5-7].

## 22- النصر ثمرة الإخلاص:

لقد نزل النصر على أهل بدر من القلة المؤمنة بعد أن اطلع الله  
- تعالى - عليهم فرأى في قلوبهم الإخلاص، وفي نفوسهم العزم، وقد  
حرروا ولاءهم لله - تعالى - وحده، ولما التقى الجمعان كان القول  
الفصل لأصرة الإيمان وأخوة الإسلام، التي استعلت على أوامر  
القربى وروابط الدم، أما قبل اللقاء فكان الاستعداد الجازم والرؤية  
الصافية والطاعة البصيرة للقيادة المؤمنة المجاهدة، وقد قال سعد بن  
معاذ للنبي - ﷺ - وهو يشاورهم: "لقد آمنا بك وصدقناك.. فامض يا  
رسول الله لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت  
بنا البحر فخضته لخضناه معك، وما تخلف منا واحد، وما نكره أن  
تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء، لعل الله  
يريك منا ما تقر به عينك..".

أما القيادة المؤمنة- المتمثلة في رسول الله - ﷺ - فكانت في مقدمة  
صفوف المجاهدين، حتى قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: "لقد رأينا يوم  
بدر ونحن نلوذ برسول الله - ﷺ - وهو أقربنا من العدو".

## 23- توحيد القيادة والشعب:

إن أمتنا اليوم في أمس الحاجة إلى أن تستلهم روح بدر، تلك  
التي توحدت فيها رؤية القيادة والأمة، واتسقت مساراتهم فكانت مساراً  
واحدًا، وعملاً متوحدًا، وإن درس الشورى واحترام إرادة الأمة لمن  
أبرز دروس بدر التي ننظر إليها بعد أكثر من أربعة عشر قرنًا في  
إجلال، وننظر إلى واقعنا الراهن بعد هذه القرون في حسرة وأسف..!!  
لقد شاور الرسول - ﷺ - أصحابه في أمر محاربة العدو الرابض  
على مقربة منهم، وقيل مشورة أحدهم وهو الحباب بن المنذر أن يغير  
موضع الجيش إلى مكان آخر يتحكم في مياه منطقة القتال، فنزل النبي -  
ﷺ - على رأيه، وهو جد سعيد.

ولم تكن الشورى في حياة النبي - ﷺ - وصحابته مقتصرة على أمور  
الحكم وقضايا السياسة، بل كانت حُلْفًا عامًا، تربى عليه ذلك الجيل

الفريد، واستمسك به، وإن النصر في تاريخنا لشديد الارتباط بالحرية السياسية، كما أن الهزيمة والنكوص قرين الاستبداد والقهر، وهل ضاعت القدس وسيناء والجولان وغيرها عام 1967م إلا في أجواء القهر السياسي، حين استأسد الحاكمون على شعوبهم، وكانوا بغائاً أمام العدو، حين جدَّ الأمر وحان القتال.. (أسد علي.. وفي الحروب نعامه)، وهل احتل الأمريكان- ومن حالفهم- العراق في نكبة دامية إلا في ظل استبداد حاكمها وطغيانه؟!!

وبقي على الشعوب أن تدفع ثمن هذا وذاك من كرامتها ودماء أبنائها، وهو ثمن فادح ثقيل ما كانت ستدفع معشأه لو أخذت على أيدي ظالمها، واضطرتهم إلى لزوم الجادة، وأعادتهم إلى الصواب، وأفافتهم من نشوة الحكم وغرور السلطان، وأوقفتهم على حقيقة أمرهم أنهم أجراء عند شعوبهم - محض أجراء- إن أحسنوا بقوا، وإن أساءوا غزلوا، ورحم الله أبا بكر الصديق رضي الله عنه حين قال مخاطباً شعبه: "إني وُلِّيتُ عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنتُ فأعينوني وإن أسأتُ فقوموني".

## 24- لا عذر في القعود:

إن المجاهدين يوم بدر لم يُبْقُوا حُجَّةً لِقَاعِد، ولا عذراً لمتخاذل يحتجُّ بقلّة ذات اليد، وعظم إمكانات العدو وقدراته، فواجهوا جيشاً يفوقهم عدداً بثلاث مرات، ولم يكن في جيش المسلمين سوى سبعين بغيراً يعتقونها، فيركب البعير الواحد الثلاثة والأربعة منهم، واحداً تلو الآخر، وكانوا كما وصفهم النبي - صلى الله عليه وسلم - في دعائه ربّه: «اللهم إنهم حفاةٌ فاحملهم، عالةٌ فأغنهم، جياعٌ فأطعمهم..»، وكان في مقدورهم القعود لكل ذلك.

ولأنهم يخوضون معركةً لم يتحسّبوا لها، إذ خرجوا لغير قریش، وبقي منهم عدد صالح بالمدينة لو يعلم قتالاً لخف إلى مشاركتهم.. لكنهم حين فرض عليهم القتال، ورأوا أنه لا بد منه وقد سارت إليهم قریش.. أدركوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه، فاستغاثوا ربّهم، وأحسنوا اللجوء إليه، وفرّوا من حولهم وقوتهم إلى حوله وقوته.. ﴿إِذْ تَسْتَعِينُونَ رَبَّكُمْ فَأَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [الأنفال: 9].

وقد روى الإمام أحمد بسنده عن علي بن أبي طالب قوله: "لقد

رأيتنا وما فينا إلا نائم، إلا رسول الله - ﷺ - تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح، وذلك ليلة بدر.. وهو يُكثِر من قول: يا حي يا قيوم.. ويكررها وهو ساجد..".

## 25- الدعاء ومقاطعة العدو:

قال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴾

لما نظم ﷺ صفوف جيشه، وأصدر أوامره لهم وحرصهم على القتال، رجع إلى العريش الذي بُني له ومعه صاحبه أبو بكر ﷺ، وسعد بن معاذ على باب العريش لحراسته وهو شاهر سيفه، واتجه رسول الله ﷺ إلى ربه يدعوه ويناشده النصر الذي وعده ويقول في دعائه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تُعبد في الأرض أبداً»، وما زال ﷺ يدعو ويستغيث حتى سقط رداؤه، فأخذه أبو بكر ورده على منكبيه وهو يقول: يا رسول الله كفاك مناشدتك ربك فإنه منجز لك ما وعدك(1)، فأنزل الله عز وجل: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ وفي رواية ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ يوم بدر: «اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد» فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك الله، فخرج ﷺ وهو يقول: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ (2).

وهذا درس رباني مهم لكل قائد أو حاكم أو زعيم أو فرد في التجرد من النفس وحظها، والخلوص واللجوء لله وحده، والسجود والجنثي بين يدي الله سبحانه؛ لكي ينزل نصره. ويبقى مشهد نبية، وقد سقط رداؤه عن كتفه وهو مادٌ يديه يستغيث بالله، يبقى هذا المشهد محفوراً بقلبه ووجدانه، يحاول تنفيذه في مثل هذه الساعات، وفي مثل هذه المواطن، حيث تناط به المسؤولية وتلقى عليه أعباء القيادة(3).

يا قومنا.. نحن أحوج ما نكون اليوم إلى أن نتأسى برسولنا وصحبه في تمام التوكل على الله، وحسن الدعاء بين يديه، ودوام الاستغاثة به؛ حتى يتنزل علينا نصره، ويرتفع عنا بلاؤه، ونحن في

(1) انظر: مسلم، كتاب الجهاد، باب الإمداد بالملائكة ببدر (384/3).

(2) البخاري، كتاب المغازي، باب قصة بدر (6/5) رقم (3953).

(3) انظر: التربية القيادية (36/3).

حاجة أيضًا إلى إدراك دور كل منا في دعم الجهاد ونصرة إخوانه في ساحات الشرف والابتلاء: بالدعاء لهم.. دعاء الصالحين الموقنين بالإجابة، وبمقاطعة منتجات العدو، وإضعاف اقتصاده، وشلّ يده عن مقدراتنا وثرواتنا؛ لعل الله - عز وجل - يرى فينا خيرًا وصدقًا فيُنزِلَ علينا نصره وتمكينه.

اللهم نصرك الذي وعدتنا.. إنك سميع قريب.. ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتِ سَوَاعِمُ وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيُنْصِرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:40].

## 26- الرضا بقضاء الله تعالى وقدره:

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: 22] ، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49] ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» (1) .

ويتضح الرضا بالقضاء والقدر جليًا في سبب الغزوة، عن كعب بن مالك قال: (لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أنني تخلفت عن غزوة بدر، ولم يعاتب أحد تخلف عنها، وإنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم على غير ميعاد سابق) (2).

قال تعالى: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكِبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافِ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنِ بَيْنَةِ وَيُحْيِيَ مَنْ حَيَّ عَنِ بَيْنَةِ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 42] .

فرضي الرسول ﷺ وجميع الصحابة الذين خرجوا معه للقاء عير قريش بما قدره الله من لقائهم بجيش قريش .



## 27- الاستشارة من أسباب النصر:

إن استشارة أهل التقوى من أهل العلم بالدين وأهل الخبرة في أمور الدنيا من أسباب النصر وصلاح أحوال المجتمع المسلم؛ ويتضح ذلك جلياً عندما استشار النبي ﷺ أصحابه من المهاجرين والأنصار في لقاء جيش المشركين، ولقد استجاب الرسول ﷺ لمشورة الحباب بن المنذر عندما تحرك الرسول ﷺ بجيشه ليسبق المشركين إلى ماء بدر ويحول بينهم وبين الاستيلاء عليه، فنزل أدنى ماء من مياه بدر، فقام الحباب بن المنذر وقال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل أمنزل أنزلك الله ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه أم هو الحرب والرأي والمكيدة؟ قال: بل هو الحرب والرأي والمكيدة، فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى تأتي أدنى (أقرب) ماء من القوم ثم نعور ما وراءه من القلب ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: «لقد أشرت علي بالرأي»، فنهض رسول الله ﷺ وسار معه الصحابة حتى نزل بالمكان الذي أشار به الحباب بن المنذر (1).

إن هذه الحرية التي ربى عليها رسول الله ﷺ أصحابه مكنت مجتمعهم من الاستفادة من عقول جميع أهل الرأي السديد والمنطق الرشيد، فالقائد فيهم ينجح نجاحاً باهراً، وإن كان حديث السن؛ لأنه لم يكن يفكر برأيه المجرد، أو آراء عصابة مهيمنة عليه قد تنظر لمصالحها الخاصة قبل أن تنظر لمصلحة المسلمين العامة، وإنما يفكر بآراء جميع أفراد جنده، وقد يحصل له الرأي السديد من أقلهم سمعة وأبعدهم منزلة من ذلك القائد؛ لأنه ليس هناك ما يحول بين أي فرد منهم والوصول برأيه إلى قائد جيشه (2).

ونلاحظ عظمة التربية النبوية التي سرت في شخص الحباب بن المنذر، فجعلته يتأدب أمام رسول الله ﷺ فتقدم دون أن يُطلب رأيه، ليعرض الخطة التي لديه، لكن هذا تم بعد السؤال العظيم الذي قدمه بين يدي الرسول ﷺ. يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل أمنزل أنزلك الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ إن

(1) السيرة النبوية لابن هشام ج2 ص224- الطبقات لابن سعد ج2 ص10.

(2) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (110/4).

هذا السؤال ليثني بعظمة هذا الجوهر القيادي الفذ الذي يعرف أين يتكلم ومتى يتكلم بين يدي قائده، فإن كان الوحي هو الذي اختار هذا المنزل، فلأن يقدم فتقطع عنقه أحب إليه من أن يلفظ بكلمة واحدة، وإن كان الرأي البشري فلديه خطة جديدة كاملة باستراتيجية جديدة.

إن هذه النفسية الرفيعة، عرفت أصول المشورة، وأصول إبداء الرأي، وأدركت مفهوم السمع والطاعة، ومفهوم المناقشة، ومفهوم عرض الرأي المعارض لرأي سيد ولد آدم، عليه الصلاة والسلام. وتبدو عظمة القيادة النبوية في استماعها للخطة الجديدة، وتبني الخطة الجديدة المطروحة من جندي من جنودها أو قائد من قوادها(1).

### 28- علو منزلة النبي ﷺ عند الصحابة :

لقد كان للنبي ﷺ منزلة رفيعة في قلوب أصحابه ﷺ، فقد كانوا على أتم استعداد للتضحية بأنفسهم وأولادهم وأموالهم من أجل الدفاع عن النبي ﷺ، ويتضح ذلك جليا في قول سعد بن معاذ: «يا نبي الله، ألا نبني لك عريشاً تكون فيه، ونعد عندك ركائبك ثم نلقي عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا، كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى، جلست على ركائبك، فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله، ما نحن بأشد لك حبا منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك، يمنحك الله بهم، يناصحونك ويجاهدون معك». فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيرا، ودعا له بخير، ثم بني لرسول الله ﷺ عريشا فكان فيه(2).

### 29- وجوب الحذر من الأعداء :

يجب أن نحذر من أعدائنا حتى لا نؤاخذ على غرة يجب علينا جمع المعلومات التي تساعدنا على التعرف على أحوال أعدائنا وقوتهم وتحركاتهم حتى لا يباغتونا، فيحدث ما لا تحمد عقباه، ويتضح ذلك جليا عندما بعث الرسول ﷺ علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون له الخبر فأصابوا رجلين من قريش لسقي الماء، فأتوا بهما إلى رسول الله ﷺ واستطاع أن يحصل منهما على معلومات مهمة عن عدد

(1) انظر: التربية القيادية (21/3).

(2) سيرة ابن هشام ج2 ص225.

قريش وقوتهم (1).

### 30- النصر من عند الله العزيز الحكيم:

يجب علينا الإيمان بأن النصر إنما يكون من عند الله وحده مع وجوب الأخذ بالأسباب ولو كانت قليلة، ويتضح ذلك جلياً عندما نعقد مقارنة بين قوة جيش المسلمين وقوة المشركين في غزوة بدر، حيث كان عدد المسلمين ثلاثمائة وبضعة عشر، وعدد المشركين تسعمائة وخمسين رجلاً، وكان مع المسلمين سبعون بعيراً يعتقدونها، كل ثلاثة على بعير، فكان رسول الله ﷺ ومعه اثنان من الصحابة يعتقدون بعيراً واحداً، وكان مع المسلمين فرسان فقط أحدهما للزبير بن العوام والثاني للمقداد بن الأسود، وكان مع المسلمين ستون درعاً، بينما كان للمشركين أكثر من سبعمائة بعير، ومعهم مائتا فرس، وستمائة درع (2).

فإذا نظرنا إلى الأسباب المادية وجدنا تفوق المشركين، ولكن يجب علينا أن نؤمن أننا لا نعتمد في حربنا مع أعداء الإسلام على كثرة العدد والأسلحة، ولكننا نعتمد أولاً وأخيراً على قوة إيماننا بالله تعالى وحده، وأنه هو الحافظ لهذا الدين وإن كانت قوتنا المادية قليلة، قال الله تعالى: ﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ [آل عمران: 126] ، وقال تعالى: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾ [البقرة: 249] ، وتتجلى نصره الله لأهل الإيمان في غزوة بدر بنزول المطر عليهم وإلقاء النعاس عليهم وتثبيتهم عند القتال وإلقاء الرعب في قلوب المشركين ونزول الملائكة وقتالهم في صف المسلمين.

### 31- طاعة الله والدعاء من أسباب النصر:

المحافظة على الطاعات والإخلاص في الدعاء من أعظم أسباب النصر على الأعداء؛ كان ذلك عندما دخل رسول الله ﷺ عريشه ومعهُ أبو بكر الصديق، فأخذ الرسول ﷺ ييناشد ربه بالدعاء قائلاً: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض». فما زال يهتف لربه ماداً يديه مستقبلاً القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ

(1) الطبقات لابن سعد ج2 ص10 .

(2) البداية والنهاية لابن كثير ج3 ص259، 260.

رداءه وألقاه على منكبيه ثم التزمه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ [الأنفال: 9] ، فأمده الله بالملائكة.

فمتى نصرنا الله بطاعته واجتناب نواهيه وتحكيم شرعة جاء النصر المبين والتمكين، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾

[محمد:7]

وقال جل شأنه:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور:55]

### 32- ولا تنازعوا فتفشلوا:

ويتضح ذلك عندما اختلف الصحابة في غنائم غزوة بدر فقال الذين جمعوا الغنائم هي لنا، وقال الذين كانوا يقاتلون المشركين: هي لنا، وقال الذين كانوا يحرسون النبي ﷺ: هي لنا، فلما اشتد الخلاف في هذا الأمر نزل قول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 1]

روى أحمد عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال، قال: فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فانتزعه الله من أيدينا وجعله إلى رسول الله ﷺ فقسمه رسول الله ﷺ بين المسلمين عن بواء -يقول على السواء (1).

فيجب علينا عند الاختلاف والتنازع في أمر ما أن نرد التنازع إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ لنقف على الحكم الشرعي في هذا الأمر، قال تعالى: ﴿إِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59].

(1) حديث حسن لغيره: مسند أحمد ج3 ص410.

### 33- علو منزلة أهل بدر على غيرهم من الصحابة :

إن الصحابة الذين شهدوا غزوة بدر هم الذين اصطفاهم الله على غيرهم من المؤمنين وذلك؛ لأن غزوة بدر كانت هي المفتاح لوصول الإسلام إلى البشرية جمعاء، وأصحاب بدر هم النجوم المضيئة في التاريخ الإسلامي حتى أصبح يقال للواحد منهم «البدرى»، وكفى بهذا الوصف شرفاً وتعظيماً له في حياة الناس، وكفى به أجراً وإحساناً عند الله تعالى، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده المؤمنين.

وظهر ذلك في قصة حاطب بن ابي بلتعة رضي الله عنه عندما أرسل كتاباً إلى أهل مكة يخبرهم بخروج النبي صلى الله عليه وسلم إليهم، وأخبر الوحي الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك، وهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يقتل حاطباً- إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم» (1).

وروى البخاري عن رفاعة بن رافع الزرقي عن أبيه -وكان أبوه من أهل بدر- قال: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها، قال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة» (2).

### 34- الإسلام والأسرى:

لما رجع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فرّق الأسرى بين أصحابه، وقال لهم: «استوصوا بهم خيراً» (3) وبهذه التوصية النبوية الكريمة ظهر تحقيق قول الله تعالى: ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾

[الإنسان: 8]. فهذا أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير يحدثنا عما رأى قال: كنت في الأسرى يوم بدر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استوصوا بالأسارى خيراً»، وكنت في نفر من الأنصار، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم أكلوا التمر، وأطعموني البرّ لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم (4).

وهذا أبو العاص بن الربيع رضي الله عنه يحدثنا قال: "كنت في رهط من

(1) البخاري ح3980، ومسلم ح3494.

(2) البخاري ح3992.

(4) مجمع الزوائد (86/6) وقال: رواه الطبراني في الصغير والكبير وإسناده حسن.

الأنصار جزاهم الله خيرًا، كنا إذا تعشينا أو تغدينا آثروني بالخبز وأكلوا التمر، والخبز معهم قليل، والتمر زادهم، حتى إن الرجل لتقع في يده كسرة فيدفعها إليّ، وكان الوليد بن الوليد بن المغيرة يقول مثل ذلك ويزيد، وكانوا يحملوننا ويمشون" (1).

كان هذا الخلق الرحيم الذي وضع أساسه القرآن الكريم في ثنائه على المؤمنين، وذكر به النبي ﷺ أصحابه فاتخذوه خلقًا، وكان لهم طبيعة، قد أثر في إسراع مجموعة من أشرف الأسرى وأفاضلهم إلى الإسلام، فأسلم أبو عزيز عقيب بدر، بُعيد وصول الأسرى إلى المدينة، وتنفيذ وصية رسول الله ﷺ، وأسلم معه السائب بن عبيد (2) بعد أن فدى نفسه، فقد سرت دعوة الإسلام إلى قلوبهم، وطهرت نفوسهم، وعاد الأسرى إلى بلادهم وأهليهم يتحدثون عن محمد ﷺ ومكارم أخلاقه، وعن محبته وسماحته، وعن دعوته وما فيها من البر والتقوى والإصلاح والخير (3).

إن هذه المعاملة الكريمة للأسرى شاهد على سمو الإسلام في المجال الأخلاقي، حيث نال أعداء الإسلام في معاملة الصحابة أعلى درجات مكارم الأخلاق، التي تتمثل في خلق الإيثار (4).

ألا تسمع الدنيا بهذه الصورة الكريمة لمعاملة الأسرى في الإسلام، بعد ما سمعت ما كان وما يكون في سجن أبي غريب، وما كان في سجن جوانتانامو بل وفي سجون معظم دول العالم، وليس لأسرى، وإنما لأحرار أبرياء لم تثبت عليهم أي تهمة، ولم يحرموهم من حقوق الإنسان الذي كرمه الله بل حق الحياة المكفول للحيوان حرم السجين منه، ومنهم من قضى نحبه تحت التعذيب، ومنهم من ينتظر، وسمعت بهم الدنيا، وما تحركت أي قوة لفك قيدهم أو إطلاق سراحهم.

### 35- الإسلام يهتم بالعلم:

إن الإسلام دائمًا يدعو إلى العلم، ويظهر هذا الاهتمام جليًا في غزوة بدر عندما شرع المسلمون في قبول فداء الأسارى مقابل أربعة

(1) انظر: المغازي للواقدي (119/1).

(2، 6) انظر: محمد رسول الله، عرجون (474/3).

(4) انظر: التاريخ الإسلامي (175/4، 176).

أو ثلاثة آلاف درهم، ومن لم يكن عنده مال من الأسرى وكان يحسن القراءة والكتابة دفع إليه الرسول ﷺ عشرة من غلمان المدينة يعلمهم الكتابة، فإذا أجادوها تم إطلاق سبي هذا الأسير، وكان ممن تعلم الكتابة بهذه الطريقة: زيد بن ثابت رضي الله عنه (1). هذه الطريقة النبوية المباركة في فداء الأسارى كانت طريقة غير مسبوقة قبل ذلك.

قال ابن عباس رضي الله عنه: "كان ناس من الأسارى يوم بدر ليس لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة؛ وبذلك شرع الأسرى يعلمون غلمان المدينة القراءة والكتابة، وكل من يعلم عشرة من الغلمان يفدي نفسه (2). وقبول النبي ﷺ تعليم القراءة والكتابة بدل الفداء في ذلك الوقت الذي كانوا فيه بأشد الحاجة إلى المال يرينا سمو الإسلام في نظرتهم إلى العلم والمعرفة، وإزالة الأمية، وليس هذا بعجيب من دين كان أول ما نزل من كتابه الكريم: ﴿ أَفْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* أَفْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ [العلق: 1-4]. واستفاضت فيه نصوص القرآن والسنة في الترغيب في العلم وبيان منزلة العلماء، وبهذا العمل الجليل يعتبر النبي ﷺ أول من وضع حجر الأساس في إزالة الأمية وإشاعة القراءة والكتابة، وأن السبق في هذا للإسلام (3).

### 36- الشيطان يخذل أتباعه:

إن الشيطان دائماً بالمرصاد للإنسان يزين له المعصية حتى إذا وقع فيها تركه وتبرأ منه، ويتضح ذلك في غزوة بدر، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: لما كان يوم بدر سار إبليس برعيته وجنوده من المشركين وألقى في قلوب المشركين أن أحداً لن يغلبكم وإني جارٌ لكم، فلما التقوا ونظر الشيطان إلى مدد الملائكة نكص على عقبه ورجع مدبراً وقال: إني أرى ما لا ترون (4). فعلى المسلم العاقل أن يعلم الشيطان يخذل من أطاعه في أي وقت وفي أي مكان، وصدق الله العظيم حيث يقول في

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 16 .

(2) انظر: التربية القيادية (74/3).

(3) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (164/2، 165).

(4) تفسير ابن كثير ج 7 ص 100 .

كتابه العزيز: ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الحشر: 16] .

وقال سبحانه عن الشيطان يوم القيامة: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقَّ وَوَعَدْتَكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم: 22] .

### 37- الأسوة الحسنة ﷺ:

نبينا محمد ﷺ هو القدوة الحسنة، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: 21] .

ولقد تجلّت هذه القدوة الحسنة في كثير من مواقفه ﷺ في غزوة بدر الكبرى، وسوف نذكر بعضاً من هذه المواقف:

1- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير، كان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما زميلي رسول الله ﷺ وكانت عقبة رسول الله ﷺ أي (جاء دوره في السير على قدميه) فقالا: نحن نمشي عنك. فقال: «**ما أنتما بأقوى مني، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما**» (1).

2- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً من الأنصار استأذنوا رسول الله ﷺ فقالوا: ائذن لنا فلنترك لابن أختنا عباس -أي عم النبي ﷺ- فداءه، قال: «**والله لا تدرون منه درهم**».

قال ابن حجر -رحمه الله- تعليقا على هذا الحديث: «الحكمة في ذلك أنه خشي أن يكون في ذلك محاباة له لكونه عمه لا لكونه قريبيهم من ناحية النساء فقط» (2).

ولقد حثنا الله تعالى على الاقتداء بنبينا محمد ﷺ والرضا بجميع أحكامه، وحذرنا مخالفته، قال تعالى: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى**

(1) حديث حسن: مسند أحمد ج7 ص17 .

(2) فتح الباري ج7 ص375 .



يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿ [النساء: 65] .

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور: 51] .

وقال جل شأنه: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: 7] . وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ [الأحزاب: 36] .

وقال سبحانه: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: 63]

### 38- الكتمان وأهميته في الحروب:

لقد تحلى رسول الله ﷺ بصفة الكتمان في عامة غزواته، فعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: "ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورى بغيرها...". (1) وفي غزوة بدر ظهر هذا الخلق الكريم في الآتي:

1- سؤاله ﷺ الشيخ الذي لقيه في بدر عن محمد وجيشه، وعن قريش وجيشها.

2- تورية الرسول ﷺ في إجابته عن سؤال الشيخ ممن أنتما؟ بقوله ﷺ: «نحن من ماء» وهو جواب يقتضيه المقام، فقد أراد به ﷺ كتمان أخبار جيش المسلمين عن قريش.

3- وفي انصرافه فور استجوابه كتماناً أيضاً، وهو دليل على ما يتمتع به رسول الله ﷺ من الحكمة، فلو أنه أجاب هذا الشيخ ثم وقف عنده لكان هذا سبباً في طلب الشيخ بيان المقصود من قوله ﷺ: «من ماء» (2).

4- أمره ﷺ بقطع الأجراس من الإبل يوم بدر، فعن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ أمر بالأجراس أن تقطع من أعناق الإبل يوم بدر (3).

(3) انظر: سيرة ابن هشام (228/2).

(1) البخاري (2947/2)

(3) انظر: مرويات غزوة بدر، أحمد محمد باوزير، ص100.

5- كتمانته ﷺ خبر الجهة التي يقصدها عندما أراد الخروج إلى بدر، حيث قال ﷺ: «... إن لنا طلبةً فمن كان ظهره حاضرًا فليركب معنا...»(1).

وقد استدل الإمام النووي بهذا الحديث على استحباب التورية في الحرب، وأن لا يبين القائد الجهة التي يقصدها لئلا يشيع هذا الخبر فيحذرهم العدو(2).

ونلاحظ أن التربية الأمنية في المنهاج النبوي مستمرة منذ الفترة السرية، والجهرية بمكة، ولم تنقطع مع بناء الدولة، وأصبحت تنمو مع تطورها، وخصوصًا في غزوات الرسول ﷺ.

### 39- بناء عرش القيادة:

بعد نزول النبي ﷺ والمسلمين معه على أدنى ماء بدر من المشركين، اقترح سعد بن معاذ رضي الله عنه على رسول الله ﷺ بناء عرش له يكون مقرًا لقيادته ويأمن فيه من العدو، وكان مما قاله سعد في اقتراحه: (يا نبي الله ألا نبنى لك عريشًا تكون فيه ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا، فقد تخلف عنك أقوام، يا نبي الله، ما نحن بأشد لك حبًا منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حربًا ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، ويناصحونك، ويجاهدون معك) فأتنى عليه رسول الله ﷺ خيرًا ودعا له بخير، ثم بنى المسلمون العريش لرسول الله ﷺ على تل مشرف على ساحة القتال، وكان معه فيه أبو بكر رضي الله عنه، وكانت ثلة من شباب الأنصار بقيادة سعد بن معاذ يحرسون عريش رسول الله ﷺ(3).

ويستفاد من بناء العريش أمور، منها:

- 1- لا بد أن يكون مكان القيادة مشرفًا على أرض المعركة، يتمكن القائد فيه من متابعة المعركة وإدارتها.
- 2- ينبغي أن يكون مقر القيادة آمنًا بتوافر الحراسة الكافية له.
- 3- ينبغي الاهتمام بحياة القائد، وصونها من التعرض لأي خطر.

(1) مسلم، كتاب الإمامة (1510/3) رقم (1901).

(2) شرح النووي لصحيح مسلم (45/13).

(3) انظر: سيرة ابن هشام (233/2).

4- ينبغي أن يكون للقائد قوة احتياطية أخرى تعوض الخسائر التي قد تحدث في المعركة (1).

#### 40- من نعم الله على المسلمين قبل القتال:

من المنن التي منَّ الله بها على عباده المؤمنين يوم بدر أنه أنزل عليهم النعاس والمطر، وذلك قبل أن يلتحموا مع أعدائهم، قال تعالى: ﴿إِذْ يُعَشِّيكُمُ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رَجَزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ قال القرطبي: (وكان هذا النعاس في الليلة التي كان القتال من غدها، فكان النوم عجيبيًا مع ما كان بين أيديهم من الأمر المهم، وكأن الله ربط جأشهم).

وعن علي عليه السلام قال: ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد على فرس أبلق، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يصلي ويكي حتى أصبح.

وفي امتنان الله عليهم بالنوم في هذه الليلة وجهان:

أولهما: أن قواهم بالاستراحة على القتال من الغد.

الثاني: أن آمنهم بزوال الرعب من قلوبهم كما يقال: «الأمن مُنيم، والخوف مُسهر» (2).

وبين سبحانه وتعالى أنه أكرم المؤمنين بإنزال المطر عليهم في وقت لم يكن المعتاد فيه نزول الأمطار، وذلك فضلاً منه وكرماً، وإسناد هذا الإنزال إلى الله للتنبية على أنه أكرمهم به.

قال الإمام الرازي: (وقد علم بالعادة أن المؤمن يكاد يستقدر نفسه، إذ كان جنباً، ويغتم إذا لم يتمكن من الاغتسال، ويضطرب قلبه لأجل هذا السبب فلا جرَمَ عدَّ الله تعالى وتقدس تمكينهم من الطهارة من جملة نعمه...) (3).

وقوله تعالى: ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُم رَجَزَ الشَّيْطَانِ﴾ فقد روى ابن جرير

(1) انظر: غزوة بدر الكبرى، ص 66.

(2) انظر: تفسير القرطبي (327/7).

(3) انظر: تفسير الفخر الرازي (133/15).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزل النبي ﷺ -يعني حين سار إلى بدر- والمسلمون بينهم وبين الماء رملة دعصة- أي كثير مجتمعة- فأصاب المسلمين ضعف شديد، وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ، فوسوس بينهم تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلون مجنبيين، فأمطر الله عليكم مطراً شديداً، فشرب المسلمون وتطهروا، وأذهب الله عنهم رجز الشيطان، وثبت الرمل حين أصابه المطر، ومشى الناس عليه والدواب فساروا إلى القوم(1). فقد بين سبحانه أنه أنزل على عباده المؤمنين المطر قبل المعركة فتطهروا به حسياً ومعنوياً إذ ربط الله به على قلوبهم وثبت به أقدامهم، وذلك أن الناظر في منطقة بدر يجد في المنطقة رمالاً متحركة لا زالت حتى اليوم ومن العسير المشي عليها، ولها غبار كبير، فلما نزلت الأمطار تماسكت تلك الرمال وسهل السير عليها، وانطفاً غبارها، وكل ذلك كان نعمة من الله على عباده(2).

#### 41- الخطة المحكمة للرسول ﷺ في المعركة:

ابتكر الرسول ﷺ في قتاله مع المشركين يوم بدر أسلوباً جديداً في مقاتلة أعداء الله تعالى، لم يكن معروفاً من قبل حتى قاتل ﷺ بنظام الصفوف(3)، وهذا الأسلوب أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرْصُومٌ ﴾ [الصف: 4].

وصفة هذا الأسلوب: أن يكون المقاتلون على هيئة صفوف الصلاة، وتقل هذه الصفوف أو تكثر تبعاً لقلّة المقاتلين أو كثرتهم. وتكون الصفوف الأولى من أصحاب الرماح لصد هجمات الفرسان، وتكون الصفوف التي خلفها من أصحاب النبال، لتسديدها من المهاجمين على الأعداء، وكان من فوائد هذا الأسلوب في غزوة بدر:

- 1- إرهاب الأعداء ودلالة على حسن وترتيب النظام عند المسلمين.
- 2- جعل في يد القائد الأعلى ﷺ قوة احتياطية عالج بها المواقف المفاجئة في صد هجوم معاكس، أو ضرب كمين غير متوقع، واستفاد

(1) انظر: تفسير الطبري (195/9).

(2) انظر: حديث القرآن عن غزوات الرسول (91/1).

(3) انظر: القيادة العسكرية، د. محمد الرشيد ص401.

منه في حماية الأجنحة من خطر المشاة والفرسان، ويعد تطبيق هذا الأسلوب لأول مرة في غزوة بدر سبقاً عسكرياً تميزت به المدرسة العسكرية الإسلامية على غيرها منذ أربعة عشر قرناً من الزمان (1).

ويظهر للباحث في السيرة النبوية أن النبي ﷺ كان يباغت خصومه ببعض الأساليب القتالية الجديدة، وخاصة تلك التي لم يعهداها العرب من قبل، على نحو ما قام به النبي ﷺ في يوم بدر، وأخذ وغيرهما.

ومن جهة النظرة العسكرية، فإن هذه الأساليب تدعو إلى الإعجاب بشخصية النبي ﷺ وبراعته العسكرية؛ لأن التعليمات العسكرية التي كان يصدرها خلال تطبيقه لها، تطابق تماماً الأصول الحديثة في استخدام الأسلحة (2).

وتفصيل ذلك فقد اتبع ﷺ أسلوب الدفاع ولم يهاجم قوة قريش، وكانت توجيهاته التكتيكية التي نفذها جنوده بكل دقة سبباً في زعزعة مركز العدو، وإضعاف نفسيته، وبذلك تحقق النصر الحاسم بتوفيق الله على العدو برغم تفوقه (3)، بنسبة 3 إلى 1، فقد كان ﷺ يتصرف في كل موقف حسب ما تدعو إليه المصلحة؛ وذلك لاختلاف مقتضيات الأحوال والظروف، وقد طبق الرسول ﷺ في الجانب العسكري أسلوب القيادة التوجيهية في مكانها الصحيح. أما أخذه بالأسلوب الإقناعي في غزوة بدر فقد تجلّى في ممارسة فقه الاستشارة في مواضع متعددة؛ لأنه ﷺ لا يقود جنده بمقتضى السلطة، بل بالكفاءة والثقة، وهو ﷺ أيضاً لا يستبد برأيه، بل يتبع مبدأ الشورى وينزل على الرأي الذي يبدو صواباً، ومارس ﷺ في غزوة بدر أسلوب القيادة التوجيهية، فقد تجلّى في أمور، منها:

1- الأمر الأول: أمره ﷺ الصحابة برمي الأعداء إذا اقتربوا منهم؛ لأن الرمي يكون أقرب إلى الإصابة في هذه الحالة «إن دنا القوم منكم فانضحوهم بالنبل» (4).

2- الأمر الثاني: نهيه ﷺ عن سل السيوف إلى أن تتداخل

(1) انظر: الرسول القائد، خطاب، ص 111، 116، 117.

(2) المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية، محمد محفوظ، ص 121.

(3) انظر: مقومات النصر، د. أحمد أبو الشباب (154/2)

(4) صحيح السيرة النبوية برواية أخرى ونفس المعنى، ص 239.

الصفوف (1) «ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم» (2).

3- الأمر الثالث: أمره ﷺ الصحابة بالاعتقاد في الرمي (3)  
«واستنبؤوا نبلكم» (4).

وعندما تقارن هذه التعليمات الحربية بالمبادئ الحديثة في الدفاع تجد أن رسول الله ﷺ كان سباقاً إليها من غير عكوف على الدرس ولا التحاق بالكتليات الحربية، فالنبي ﷺ يرمي من وراء تعليماته التي استعرضناها أنفاً إلى تحقيق ما يعرف حديثاً بكتب النيران إلى اللحظة التي يصبح فيها العدو في المدى المؤثر لهذه الأسلحة، وهذا ما قصده ﷺ في قوله: «واستنبؤوا نبلكم» .

## 42- الاستفادة من الظروف الطبيعية أثناء قتال الأعداء:

ولم يهمل ﷺ فرصة الاستفادة من الظروف الطبيعية أثناء قتال العدو، فقد كان يستفيد من كل الظروف في ميدان المعركة لمصلحة جيشه، ومن الأمثلة على ذلك ما فعله ﷺ قبل بدء القتال يوم بدر، يقول المقرئزي: وأصبح ﷺ ببدر قبل أن تنزل قريش، فطلعت الشمس وهو يصفهم فاستقبل المغرب وجعل الشمس خلفه فاستقبلوا الشمس (5).

وهذا التصرف يدل على حسن تدبيره ﷺ؛ واستفادته حتى من الظروف الطبيعية لما يحقق المصلحة لجيشه، وإنما فعل ذلك لأن الشمس إذا كانت في وجه المقاتل تسبب له عشا (6) البصر فتقل مقاومته ومجابهته لعدوه (7). وفيما فعله رسول الله ﷺ يوم بدر إشارة إلى أن الظروف الطبيعية كالشمس والرياح والتضاريس الجغرافية وغيرها لها تأثير عظيم على موازين القوى في المعارك، وهي من الأسباب التي طلب الله منا الأخذ بها لتحقيق النصر والصعود إلى المعالي (8).

(1) انظر: غزوة بدر الكبرى، ص 63، 64، لأي فارس.

(2) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 239.

(3) انظر: غزوة بدر الكبرى، لأي فارس، ص 63، 64.

(4,6) البخاري، كتاب المغازي، باب من شهد بدرًا، رقم 3984، 3985.

(5) انظر: القيادة العسكرية، ص 453.

(6) سوء البصر بالليل والنهار يكون في النار والدواب والإبل والطيور.

(7) انظر: تحفة الأحوذى بشرح مجامع الترمذى (175/7)

(8) انظر: القيادة العسكرية، ص 454.

### 43- ما وقع لسواد بن غزية:

كان ﷺ في بدر يعدل الصفوف ويقوم بتسويتها لكي تكون مستقيمة مترابطة، وبيده سهم لا ريش له يعدل به الصف، فرأى رجلاً اسمه سواد بن غزية، وقد خرج من الصف فطعنه ﷺ في بطنه، وقال له: «استوي يا سواد» فقال: يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقذني، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه وقال: «استقذ» فاعتنقه فقبل بطنه، فقال: «ما حملك على هذا يا سواد» قال: يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله بخير(1).

ويستفاد من قصة سواد ﷺ أمور، منها:

- 1- حرص الإسلام على النظام.
- 2- العدل المطلق: فقد أعطى رسول الله ﷺ القود من نفسه.
- 3- حب الجندي لقائه.
- 4- تذكر الموت والشهادة.
- 5- جسد رسول الله ﷺ مبارك، ومسه فيه بركة، ولهذا حرص عليها سواد.
- 6- بطن الرجل ليس بعورة بدليل أن النبي ﷺ كشف عنه ولو كان عورة لما كشف عنه(2).

### 44- التعبئة المعنوية على القتال:

كان رسول الله ﷺ يربي أصحابه على أن يكونوا أصحاب إرادات قوية راسخة ثابتة ثبات الشَّم الرواسي، فيملأ قلوبهم شجاعة وجرأة وأملاً في النصر على الأعداء، وكان يسلك في سبيل تكوين هذه الإرادة القوية أسلوب الترغيب والترهيب، الترغيب في أجر المجاهدين الثابتين، والترهيب من التولي يوم الزحف، والفرار من ساحات الوغى، كما كان يحدثهم عن عوامل النصر وأسبابه ليأخذوا بها ويلتزموها، ويحذرهم من أسباب الهزيمة ليقنعوا عنها، وينأوا بأنفسهم عن الاقتراب

(1) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص236.

(2) انظر: غزوة بدر، لأبي فارس، ص52.

منها(1).

وكان ﷺ يحث أصحابه على القتال ويحرضهم عليه امتثالاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: 65].

وفي غزوة بدر الكبرى قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض». فقال عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: «نعم». قال: بخ بخ (كلمة تعجب). فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قول: بخ بخ؟». قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاء أن أكون من أهلها قال: «فإنك من أهلها».

فأخرج تمرات من قرنه (جعبة النشاب) فجعل يأكل منه، ثم قال: لئن أنا حبيبت حتى أكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قُتل(2).

وفي رواية قال: قال أنس رضي الله عنه: فرمى ما كان معه من التمر، وقاتل وهو يقول:

ركضاً إلى الله بغير زاد      إلا التقى وعمل المعاد  
والصبر في الله على الجهاد      وكل زاد عرضة للنفاد  
غير التقى والبر والرشاد

فقاتل رحمه الله حتى استشهد(3). ومن صور التعبئة المعنوية أنه ﷺ كان يبشرهم بقتل صناديد المشركين، وزيادة لهم في التطمين كان يحدد مكان قتلى كل واحد منهم(4) كما كان يبشر المؤمنين بالنصر قبل بدء القتال فيقول: «أبشر أبا بكر». ووقف رسول الله ﷺ يقول للصحابه رضوان الله عليهم: «والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل

(1) انظر: المدرسة النبوية لأبي فارس، ص140.

(2) انظر: مختصر صحيح مسلم للمنذري (70/2) رقم (1157).

(3) انظر: صفة الصفوة (488/1)، زاد المعاد (182/3).

(4) انظر: جامع الأصول (202/8).



**فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة» (1).**

وقد أثرت هذه التعبئة المعنوية في نفوس أصحابه رضوان الله عليهم والذين جاءوا من بعدهم بإحسان(2).

وكان ﷺ يطلب من المسلمين أن لا يتقدم أحد إلى شيء حتى يكون دونه، فعن أنس رضي الله عنه قال: (... فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون، فقال رسول الله ﷺ: «لا يقدم أحد منكم إلى شيء حتى أكون دونه»(3) فدنا المشركون فقال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض» (4).

### 45- العمل بالأسباب وانتظار المدد الرباني:

من أساسيات العقيدة الأخذ بالأسباب كما أمر الله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [ الأنفال: 60 ]

وبعد الإعداد والأخذ بالأسباب يكون المؤمن على يقين تام أن الله هو الفاعل الحقيقي، فإن شاء أمضى الأسباب، وجعل قوتها المؤثرة أقوى من قوة القائم بها، وإن شاء عطّلها وسلّبها الأثر.

بعد أن دعا ﷺ ربه في العريش، واستغاث به خرج من العريش فأخذ قبضة من التراب، وحصّب بها وجوه المشركين وقال: «**شاهت الوجوه**» ثم أمر ﷺ أصحابه أن يصدقوا الحملة إثرها ففعلوا، فأوصل الله تعالى تلك الحصباء إلى أعين المشركين فلم يبق أحد منهم إلا ناله منها ما شغله عن حاله(5)؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى**﴾ [الأنفال: 17]، ومعنى الآية: أن الله سبحانه أثبت لرسوله ابتداء الرمي، ونفى عنه الإيصال الذي لم يحصل برميته، فالرمي يراد

(1) انظر: سيرة ابن هشام (239/1).

(2) المدرسة العسكرية لأبي فارس، ص 143.

(3) انظر: مسلم (1510/3) رقم (1901).

(4) انظر: المنذري، مختصر صحيح مسلم، (70/2) رقم (1157).

(5) انظر: المستفاد من قصص القرآن (125/2).

به الحذف والإيصال فأثبت لنبيه الحذف، ونفى عنه الإيصال(1). ونلاحظ أن الرسول ﷺ أخذ بالأسباب المادية والمعنوية وتوكل على الله، فكان النصر والتأييد من الله تعالى، فقد اجتمع في بدر الأخذ بالأسباب بالقدر الممكن مع التوفيق الرباني في تهيئة جميع أسباب النصر متعاونة متكافئة مع التأييدات الربانية الخارقة والغيبية، ففي عالم الأسباب تشكل دراسة الأرض والطقس ووجود القيادة والثقة بها والروح المعنوية لبنات أساسية في صحة القرار العسكري، ولقد كانت الأرض لصالح المسلمين، وكان الطقس مناسباً للمعركة، والقيادة الرفيعة موجودة والثقة بها كبيرة، والروح المعنوية مرتفعة، وبعض هذه المعاني كان من الله بشكل مباشر وتوفيقه، وبعضها كان من فعل رسول الله ﷺ أخذاً بالأسباب المطلوبة، فتضافر الأخذ بالأسباب مع توفيق الله وزيد على ذلك التأييدات الغيبية والخارقة فكان ما كان، وذلك نموذج على ما يعطاه المسلمون بفضل الله إذا ما صلحت النيات عند الجند والقيادة، ووجدت الاستقامة على أمر الله، وأخذ المسلمون بالأسباب(2).

#### 46- نهاية الطغاة:

##### أ- مصرع أبي جهل بن هشام المخزومي:

قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: بينما أنا واقف في الصف يوم بدر، فنظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثي أسنانهما، تمنيت لو كنت بين أضلع منهما(3)، فغمزني (4) أحدهما فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل؟ قال: قلت: نعم، وما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، قال: فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر فقال لي مثلها.

(1) انظر: زاد المعاد (183/3).

(2) انظر: الأساس في السنة وفقهها السيرة النبوية (474/1).

(3) أضلع: أقوى وأعظم وأشد.

(4) غمزني: قرصني.

قال: فلم أنشب (1) أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه، قال: فابتدراه بسيفهما حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: «**أيكما قتله؟**» فقال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال: «**هل مسحتما سيفيكما؟**» قالوا: لا. فنظر في السيفين فقال: «**كلاهما قتله**»، وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح، وكانا معاذ بن عفراء ومعاذ بن عمرو بن الجموح (2). وفي حديث أنس قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «**من ينظر ما صنع أبو جهل؟**» فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضرباه (ابنا عفراء حتى برد) (3) فأخذ بلحيته فقال: أنت أبو جهل، قال: وهل فوق رجل قتله قومه أو قال: قتلتموه (4)، وفي حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: أدركت أبا جهل يوم بدر صريعا، فقلت: أي عدو الله قد أخزاك الله؟ قال: وبما أخزاني؟ من رجل قتلتموه، ومعى سيف لي، فجعلت أضربه ولا يحتك فيه شيء، ومعه سيف له جيد، فضربت يده فوقع السيف من يده فأخذته، ثم كشفت المغفر عن رأسه، فضربت عنقه، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال: «**الله الذي لا إله إلا هو؟**» قلت: الله الذي لا إله إلا هو. قال: فانطلق فاستثبت فانطلقت وأنا أسعى مثل الطائر، ثم جئت وأنا أسعى مثل الطائر أضحك فأخبرته. فقال رسول الله ﷺ: «**انطلق**» فانطلقت معه فأريته، فلما وقف عليه ﷺ قال: «**هذا فرعون هذه الأمة**» (5).

كان الدافع من حرص الأنصاريين الشابين على قتل أبي جهل ما سمعاه من أنه كان يسب رسول الله ﷺ، وهكذا تبلغ محبة شباب الأنصار لرسول الله ﷺ بذل النفس في سبيل الانتقام ممن تعرض له بالأذى.

وما جرى بين عبد الله بن مسعود ﷺ وأبي جهل وهو في الرmq الأخير من الحوار فيه عبرة بليغة، فهذا الطاغية الذي كان شديد الأذى للمسلمين في مكة قد وقع صريعا بين أيدي من كان يؤذيهم. ويشاء الله تعالى أن يكون الذي يقضي على آخر رmq من حياته هو أحد المستضعفين، ولقد كان أبو جهل مستكبرا جبارا حتى وهو صريع وفي

(1) أنشب: ألبث.

(2) البخاري، كتاب المغازي، باب من شهد بدرا، رقم (3988).

(3) برد: قارب على الموت وكان في النزاع الأخير.

(4) البخاري، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل رقم (3963).

(5) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 242.

آخر لحظات حياته(1). فقد جاء في رواية لابن إسحاق أنه قال لعبد الله بن مسعود لما أراد أن يحتز رأسه: لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا رويحي الغنم(2).

فالله تعالى لم يعجل لهذا الخبيث أبي جهل بضربات الأبطال من أشبال الأنصار، ولكنه أبقاه مصروعاً في حالة من الإدراك والوعي بعد أن أصابته ضربات أشفت به على الهلاك الأبدي، ليريه بعين بصره ما بلغه من المهانة والذل والخذلان على يد من كان يستضعفه ويؤذيه، ويضطهده بمكة من رجال الرعيل الأول -السابقين إلى مظلة الإيمان وطهر العقيدة، والتعبد لله بشرائعه، التي أنزلها رحمة للعالمين- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فيعلو على صدره، ويدوسه بقدميه، ويقبض على لحيته تحقيراً له، ويقرّعه تقريباً يبلغ من نفسه مجمع غروره واستكباره في الأرض، ويستل منه سيفه إمعاناً في البطش به فيقتله به، ويمعن في إغاظته بإخباره أن النصر عقد بناصية جند الله وكتيبة الإسلام، وأن شنار الهزيمة النكراء وعارها، وخزيها وخذلانها قد رزئت به كتائب الغرور الأجوف في حشود النفير الذي قاده هذا الكفور الخبيث... (3).

### ب- مصرع أمية بن خلف:

قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: كاتبت أمية بن خلف كتاباً بأن يحفظني في صاغيتي(4) بمكة وأحفظه في صاغيته بالمدينة، فلما ذكرت (الرحمن) قال: لا أعرف الرحمن، كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية، فكاتبته (عبد عمرو).

فلما كان في يوم بدر خرجت إلى جبل لأحرزه(5) حين نام الناس، فأبصره بلال، فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار، فقال: أمية بن خلف لا نجوت إن نجا أمية، فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا، فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه لأشغلهم، فقتلوه ثم أبوا حتى يتبعونا، وكان رجلاً ثقيلاً، فلما أدركونا قلت له: ابرك، فبرك،

(1) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (158/4 - 160).

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (247/2).

(3) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (3/431، 432).

(4) الصاغية: صاغية الرجل ما يميل إليه، ويطلق على الأهل والمال.

(5) أحرزه: أحياه.

فألقيت عليه نفسي لأمنعه، فتجللوه (1) بالسيوف من تحتي حتى قتلوه، وأصاب أحدهم رجلي بسيفه، وكان عبد الرحمن بن عوف يرينا ذلك الأثر في ظهر قدمه (2).

وفي رواية أخرى لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: كان أمية بن خلف لي صديقاً بمكة، وكان اسمي عبد عمرو فتسميت حين أسلمت عبد الرحمن، ونحن بمكة، فكان يلقاني إذ نحن بمكة فيقول: يا عبد عمرو أرغبت عن اسم سماك أبوك؟ قال: فأقول نعم. قال: فأني لا أعرف الرحمن، فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به، أما أنت فلا تجبني باسمك الأول، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف. قال: وكان إذا دعاني يا عبد عمرو لم أجبه، قال: فقلت: يا أبا علي اجعل ما شئت، قال: فأنت عبد الإله، قال: قلت: نعم. قال: فكنت إذا مررت به قال: يا عبد الإله فأجبتة فأحدث معه، حتى إذا كان يوم بدر، مررت به وهو واقف مع ابنه علي، وهو أخذ بيده قال: ومعي أدرع لي قد استلبتها، فأنا أحملها، فلما رأني قال: يا عبد عمرو فلم أجبه، فقال: يا عبد الإله، فقلت: نعم، قال: هل لك في فأنا خير لك من هذه الأدرع التي معك؟ قال: قلت: نعم، ها لله؟ قال: فطرح الأدرع من يدي، وأخذت بيده وبيد ابنه وهو يقول: ما رأيت كالיום قط، أما لكم حاجة في اللبن؟ ثم خرجت أمشي بهما، قال ابن هشام: يريد باللبن أن من أسرني افتديت منه بإبل كثيرة اللبن (3).

ونلحظ من الروايات السابقة:

1- ما جرى من بلال رضي الله عنه حينما رأى عدوه اللدود أمية بن خلف الذي كان يسومه أفسى وأعنف أنواع العذاب في مكة، فلما رآه في يد عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أسيراً صرخ بأعلى صوته: لا نجوت إن نجا.

إنه موقف من مواقف التشفي في أعداء الله، والتشفي من كبار الكفرة الفجار وفي الحياة الدنيا نعمة يفرج الله بها عن المكروبين من المؤمنين الذين ذاقوا الذل والهوان على أيدي أولئك الفجرة الطغاة، قال تعالى: **قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ**

(1) تجللوه: طعنوه وأصابوه

(2) البخاري، كتاب الوكالة، باب إذا وكل المسلم حربياً رقم (2301).

(3) انظر: سيرة ابن هشام (243/2) سنده صحيح وقد صرح ابن إسحاق بالقولين.

﴿مُؤْمِنِينَ وَيُدْهَبُ عَيْظُ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾  
[التوبة: 14، 15].

2- إن فيما جرى لأمية بن خلف من قتل مفزع درسًا بليغًا للطغاة المتجبرين، وعبرة للمعتبرين، الذين يغترون بقوتهم وينخدعون بجاههم ومكانتهم، فيعتدون على الضعفاء، ويسلبونهم حقوقهم، فمآلهم إلى عاقبة سيئة ووخيمة في الآخرة، وقد يمكن الله للضعفاء منهم في الدنيا قبل الآخرة كما حدث لأمية بن خلف وأضرابه من طغاة الكفر(1)، قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: 5].

3- وفي قول عبد الرحمن بن عوف: «يرحم الله بلالا ذهبته أدراعي وفجعني بأسيري»(2) مع ما جرى من بلال من معارضة وانتزاع الأسيرين من يده بقوة الأنصار الذين استنجد بهم دليل على قوة الرباط الأخوي بين الصحابة الكرام(3).

4- موقف أم صفوان بنت أمية: قيل لأم صفوان بنت أمية بعد إسلامها، وقد نظرت إلى الحباب بن المنذر بمكة: هذا الذي قطع رجل علي بن أمية يوم بدر، قالت: دعونا من ذكر من قُتل على الشرك، قد أهان الله عليًا بضربه الحباب بن المنذر، وأكرم الله الحباب بضربه عليًا، قد كان على الإسلام حين خرج من هاهنا، فقتل على غير ذلك(4)، وهذا الموقف يدل على قوة إيمانها، ورسوخ يقينها حيث اتضحت لها عقيدة الولاء والبراء، فأصبحت تحب المسلمين وإن كانوا من غير قبيلتها، وتكره الكافرين وإن كانوا من أبنائها(5).

وقولها على ابنها علي: «قد كان على الإسلام حين خرج من ههنا فقتل على غير ذلك» تعني أنه كان ممن عرف عنهم الإسلام بمكة وخرجوا مع قومهم يوم بدر مكرهين، فلما التقى الصفان فتنوا حينما رأوا قلة المسلمين فقالوا: قد غر هؤلاء دينهم(6)، فنزل فيهم قول الله

(1) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (152/4، 153).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (244/2).

(3) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (153/4).

(4، 5) نفس المصدر (154/4).

(6) انظر: تفسير الطبري (21/10).

تعالى: ﴿ اذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ عَرَّ هَؤُلَاءِ دِينَهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: 49].

### ج- مصرع عبدة بن سعيد بن العاص على يد الزبير:

قال الزبير بن العوام رضي الله عنه: لقيت يوم بدر عبدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج لا يرى منه إلا عيناه، وهو يكنى أبا ذات الكرش، فقال: أنا أبو ذات الكرش، فحملت عليه بالعنزة فطعنته في عينه فمات، قال هشام، فأخبرت أن الزبير قال: (لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطأت فكان الجهد أن نزعته، وقد انثنى طرفاها).

قال عروة: فسأله إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها، ثم طلبها أبو بكر فأعطاه، فلما قبض أبو بكر سأله إياها عمر فأعطاه إياها، فلما قتل عثمان وقعت عند آل علي، فطلبها عبد الله بن الزبير، فكانت عنده حتى قُتِل (1).

(هذا الخبر يصور لنا دقة الزبير بن العوام رضي الله عنه في إصابة الهدف، حيث استطاع أن يضع الحربة في عين ذلك الرجل مع ضيق ذلك المكان، وكونه قد وزع طاقته بين الهجوم والدفاع، فلقد كانت إصابة ذلك الرجل بعيدة جداً لكونه قد حمى جسمه بالحديد الواقى، لكن الزبير استطاع إصابة إحدى عينيه، فكانت بها نهايته، ولقد كانت الإصابة شديدة العمق مما يدل على قوة الزبير الجسدية، إضافة إلى دقته ومهارته في إصابة الهدف).

### د- مصرع الأسود المخزومي:

قال ابن إسحاق: وقد خرج الأسود المخزومي، وكان رجلاً شرساً سيئ الخلق فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم، أو لأهدمنه، أو لأموتن دونه، فلما خرج، خرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فأطن (2) قدمه بنصف ساقه، وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب (3) رجله دمًا نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه، يريد أن يبر يمينه، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في

(2) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (163/4).

(1) انظر: صحيح البخاري، المغازي رقم (3998).

(2) أطن: أطار.

(3) تشخب: تسيل بصوت.

الحوض(1).

وقد سأل أمية بن خلف عبد الرحمن بن عوف عن الرجل المعلم بريشة نعامة في صدره؟ فأجابه عبد الرحمن: ذاك حمزة بن عبد المطلب، قال أمية: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل (2): وهذه شهادة من أحد زعماء الكفر، وهذا يعني أنه ﷺ قد أثنى في جيش الأعداء قتلاً وتشريداً(3).

وكان هذا أول من قتل من المشركين بيد أسد الله تعالى حمزة بن عبد المطلب ﷺ، فقد جاء هذا اللئيم الشرس يتحدى المسلمين، فتصدى له بطل الإسلام حمزة، ففضى عليه ولقن أمثاله من الحاقدين المتكبرين درساً في الصميم.

#### 47- إنها جنان كثيرة:

عن أنس ﷺ قال: أصيب حارثة بن سراقة يوم بدر وهو غلام فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تكن الأخرى ترى ما أصنع؟ فقال: «ويحك أو هبّلت أو جنة واحدة هي؟ إنها جنان كثيرة، وإنه في جنة الفردوس»(4) وفي رواية: «يا أم حارثة، إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى»(5).

#### 48- الشوق إلى الآخرة:

قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمرو بن قتادة أن عوف بن مالك وهو ابن عفراء(6) قال: يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده؟ قال: «غمسة يده في العدو حاسراً»(7) فنزع درعاً كانت عليه فحذفها، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتل(8).

(1) انظر: سيرة ابن هشام (237/2)

(2) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (151/4).

(3) المصدر نفسه (152/4).

(4) البخاري في المغازي، باب فضل من شهد بدرا رقم (3982).

(5) الأساس في السنة وفقهها السيرة النبوية (475/1).

(6) عفراء بنت عبيد بن ثعلبة شارك أولادها السبعة في غزوة بدر.

(7) حاسرا: غير لابس الدرع.

(8) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص245.



ولما سار رسول الله ﷺ إلى بدر وعرض عليه جيش بدر رد عمير بن أبي وقاص فبكى عمير فأجازه، فعقد عليه حمائل سيفه، ولقد كان عمير يتواري حتى لا يراه رسول الله ﷺ فقال سعد: رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ يوم بدر يتواري فقلت: ما لك يا أخي؟ قال: إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيستصغرنى ويردني، وأنا أحب الخروج لعل الله أن يرزقني الشهادة(1)، وقد استشهد بالفعل.

وهذا الخبر يدل على قوة ارتباط الصحابة الكرام بالآخرة، وحرصهم على رضوان الله تعالى؛ ولذلك انطلق عوف بن الحارث ؓ كالسهم وهو حاسر غير متدرع يثخن في الأعداء حتى أكرمه الله بالشهادة، لقد تغيرت مفاهيم المجتمع الجديد، وتعلق أفرادها بالآخرة، وأصبحوا حريصين على مرضاته بعد أن كان جل همهم أن تتحدث عنهم النساء عن بطولاتهم، ويرضى سيد القبيلة عنهم، وتتشد الأشعار في شجاعتهم(2).

#### 49- بيوت الصحابة تنافس من أجل الجنة:

قال الحافظ ابن حجر: قال موسى بن عقبة، عن ابن شهاب: استهم يوم بدر سعد بن خيثمة وأبوه فخرج سهم سعد فقال له أبوه: يا بني أترني اليوم، فقال سعد: يا أبت لو كان غير الجنة فعلت، فخرج سعد إلى بدر فقتل بها، وقتل أبوه خيثمة يوم أحد(3).

وهذا الخبر يعطي صورة مشرقة عن بيوتات الصحابة في تنافسهم وتسابقهم على الجهاد في سبيل الله تعالى، فهذا سعد بن خيثمة ووالده لا يستطيعان الخروج معاً لاحتياج أسرتهما وعملهما لبقاء أحدهما، فلم يتنازل أحدهما عن الخروج رغبة في نيل الشهادة حتى اضطرروا إلى الاقتراع بينهما، فكان الخروج من نصيب سعد -رضي الله عنهما-، وكان الابن في غاية الأدب مع والده، ولكنه كان مشتاقاً إلى الجنة

(1) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس، ص317، نقلاً عن صفة الصفوة، (294/1)، والمستدرک (188/3) والإصابة (35/3).

(2) انظر: التربية القيادية (31/2).

(3) الإصابة (23/2، 24) رقم (3118).

فأجاب بهذا الجواب البليغ: (يا أبت لو كان غير الجنة فعلت) (1).

### 50- محاولة اغتيال القائد ﷺ:

قال عروة بن الزبير: جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية في الحَجْر، بعد مصاب أهل بدر بيسير، وكان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه، ويلقون منه عناء (2) وهو بمكة، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر، فذكر أصحاب القليب ومصابهم، فقال صفوان: (والله ما في العيش بعدهم خير). قال له عمير: صدقت، أما والله لولا دَيْنٌ علي ليس عندي قضاؤه، وعيال أخشى عليهم الضيعة (3) بعدي، لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي فيهم علة (4)، ابني أسير في أيديهم.

قال: فاغتنمها صفوان بن أمية فقال: عليّ دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم (5) ما بقوا، لا يسعني شيء ويعجز عنهم، فقال له عمير: فاکتم عليّ شأني وشأنك. قال: أفعل.

قال: ثم أمر عمير بسيفه، فشحذ وسمّ، ثم انطلق حتى قدم المدينة، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، وما أراهم في عدوهم، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ راحلته على باب المسجد متوشحاً سيفه، فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب، ما جاء إلا لشِرِّ وهو الذي حرش بيننا، وحزرنا للقوم يوم بدر. ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه قال ﷺ: «فأدخله عليّ» قال: فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة (6) سيفه في عنقه فلبّبه (7) بها، وقال لمن كان معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث، فإنه غير مأمون. ثم دخل

(1) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (87/4).

(2) عناء: التعب.

(3) الضيعة: الضياع والتشتت.

(4) العلة: السبب.

(5) أواسيهم: أقوم على أمرهم ومؤونتهم.

(6) حمالة السيف: ما يربط به السيف على الجسم.

(7) لبّبه: قيده.

به على رسول الله ﷺ، فلما رآه رسول الله ﷺ وعمر أخذ بحمالة سيفه في عنقه قال: «أرسله يا عمر، ادنُ يا عميرُ».

فدنا ثم قال: انعموا صباحًا، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم، فقال رسول الله ﷺ: «أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام تحية أهل الجنة» (1).

فقال: أما والله، يا محمد إن كنت بها لحديث عهد.

فقال: «فما جاء بك يا عمير؟» قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه.

قال: «فما بال سيف في عنقك؟» قال: قَبَّحها الله من سيوف! وهل أغنت عنا شيئاً؟! قال: «اصدقني ما الذي جئتُ به؟» قال: ما جئتُ إلا لذلك.

قال: «بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحاب القلب من قريش، ثم قلت: لولا دينُ عليٍّ وعيالٌ عندي لخرجت حتى أقتل محمدًا، فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك، على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك».

قال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق، ثم شهد شهادة الحق، فقال رسول الله ﷺ: «فقهوا أخاكم في دينه، وعلموه القرآن، وأطلقوا أسيره ففعلوا».

ثم قال: يا رسول الله إني كنت جاهدًا على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله عز وجل، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله، وإلى الإسلام، لعل الله يهديهم، وإلا أذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم، قال: فأذن له رسول الله ﷺ فلحق بمكة وكان صفوان بن أمية حين خرج عمير بن وهب، يقول: أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام، تنسيكم وقعة بدر، وكان صفوان يسأل عن الركبان، حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه، فحلف أن

لا يكلمه أبداً، ولا ينفعه بنفع أبداً»(1).

وفي هذه القصة دروس وعبر منها:

1- حرص المشركين على التصفية الجسدية للدعاة، فهذا صفوان بن أمية وعمير بن وهب يتفان على قتل النبي ﷺ، وهذا يرشدنا إلى أن أعداء الدعوة قد لا يكتفون برفض الدعوة، والتشويش عليها، وصد الناس عنها، بل يريدون اغتيال الدعاة، وتدبير المؤامرات لقتلهم، وقد يستأجرون المجرمين لتنفيذ هذا الغرض الخسيس(2). وقد يستغل الأغنياء المترفون من أعداء الدعوة حاجة الفقراء وفقرهم فيوجهونهم لقاء مبلغ من المال إلى خدمة مآربهم، وإن أدى ذلك إلى هلاكهم، فهذا هو صفوان قد استغل فقر عمير وقلة ذات يده ودَيْنه ليرسله إلى هلاكه(3).

2- ظهور الحس الأمني الرفيع الذي تميز به الصحابة رضي الله عنهم ، فقد انتبه عمر ابن الخطاب لمجيء عمير بن وهب وحذر منه، وأعلن أنه شيطان ما جاء إلا لشرِّ، فقد كان تاريخه معروفاً لدى عمر، فقد كان يؤذي المسلمين في مكة، وهو الذي حرّض على قتال المسلمين في بدر، وعمل على جمع معلومات عن عددهم؛ ولذلك شرع عمر في أخذ الأسباب لحماية الرسول ﷺ، فمن جهته فقد أمسك بحمالة سيف عمير الذي في عنقه بشدة فعطله عن إمكانية استخدام سيفه للاعتداء على الرسول ﷺ وأمر نفرًا من الصحابة بحراسة النبي ﷺ.

3- الاعتزاز بتعاليم هذا الدين، فقد رفض ﷺ أن يتعامل بتحيةة الجاهلية، ولم يرد على تحية عمير حين قال له: أنعموا صباحاً، وأخبره بأنه لا يحيي بتحيةة أهل الجاهلية؛ لأن الله تعالى أكرم المسلمين بتحيةة أهل الجنة.

4- سمو أخلاق النبي ﷺ فقد أحسن إلى عمير، وتجاوز عنه وعفا عنه مع أنه جاء ليقتله(4)، بل أطلق ولده الأسير بعد أن أسلم عمير وقال لأصحابه: «فقهوا أحكام في دينه، وأقرئوه القرآن وأطلقوا له

(1) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص260.

(2) انظر: المستفاد من قصص القرآن (159/2).

(3) انظر: غزوة بدر الكبرى لأبي فارس، ص82.

(4) انظر غزوة بدر الكبرى، ص83.

أسيره»(1).

5- قوة إيمان عمير، فقد قرر أن يواجه مكة كلها بالإسلام، وقد أذن له رسول الله ﷺ، وفعل، وواجه، وتحدى، وعاد أدراجه إلى المدينة، وأسلم على يديه ناس كثير، وكان حين تعد الرجال يطرحه عمر ﷺ ممن يزن عنده ألف رجل، وكان أحد الأربعة الذين أمد بهم أمير المؤمنين عمر، عمرو بن العاص -رضي الله عنه- الذين كان كل واحد منهم بألف(2).

### 51- إمداد الله للمسلمين بالملائكة:

ثبت من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومرويات عدد من الصحابة البدريين؛ أن الله تعالى ألقى في قلوب الذين كفروا الرعب، قال تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَاءَ لِقَايَ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَاضْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال: 12]. وقال تعالى: ( وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمِدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾.

وأورد البخاري ومسلم وأحمد بن حنبل وغيرهم عدداً من الأحاديث الصحيحة التي تشير إلى مشاركة الملائكة في معركة بدر، وقيامهم بضرب المشركين وقتلهم(3).

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتم في إثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم(4) فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً فنظر إليه فإذا هو خُطِمَ أنفه(5)، وشقَّ وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك

(1) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص260.

(2) انظر: التربية القيادية، (73/3).

(3) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (291/1).

(4) حيزوم: اسم الفرس الذي يركبه الملك.

(5) خطم: الخطم: الأثر على الأنف

أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله فقال: «صدقتم ذلك مدد من السماء الثالثة» (1) ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما أيضا قال: إن النبي ﷺ قال يوم بدر: «هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب» (2). ومن حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيرًا، فقال العباس: يا رسول الله إن هذا والله ما أسرنى، لقد أسرنى رجل أبلج (3) من أحسن الناس وجهًا على فرس أبلق (4) ما أراه في القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله، فقال «اسكت فقد أيدك الله بملك كريم» (5). ومن حديث أبي داود المازني قال: (إني لأتبع رجلا من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أنه قتله غيري) (6).

إن إمداد الله تعالى للمؤمنين بالملائكة أمر قطعي ثابت لا شك فيه، وأن الحكمة من هذا الإمداد تحصيل ما يكون سببًا لانتصار المسلمين، وهذا ما حصل بنزول الملائكة، فقد قاموا بكل ما يمكن أن يكون سببًا لنصر المسلمين: من بشارتهم بالنصر، ومن تثبيتهم بما ألقوه في قلوبهم من بواعث الأمل في نصرهم، والنشاط في قتالهم، وبما أظهره لهم من أنهم معانون من الله تعالى، وأيضا بما قام به بعضهم من الاشتراك الفعلي في القتال، ولا شك أن هذا الاشتراك الفعلي في القتال قوى قلوبهم وثبتهم في القتال، وهذا ما دلت عليه الآيات وصرحت به الأحاديث النبوية (7).

وقد يسأل سائل: ما الحكمة في إمداد المسلمين بالملائكة مع أن واحدًا من الملائكة كجبريل عليه السلام قادر بتوفيق الله على إبادة الكفار؟

وقد أجاب الأستاذ عبد الكريم زيدان على ذلك فقال: لقد مضت سنة الله بتدافع الحق وأهله مع الباطل وأهله، وأن الغلبة تكون وفقًا لسنن الله

(1) مسلم - الجهاد، باب الإمداد بالملائكة رقم (1763).

(2) البخاري - المغازي، باب فضل من شهد بدرا، رقم (3995).

(3) الأجلح: الذي انحسر شعره على جانبي رأسه.

(4) الأبلق: ارتفع التحجيل إلى فخذه.

(5) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 247.

(6) نفس المصدر، ص 247.

(7) انظر: المستفاد من قصص القرآن (131/2، 132).

في الغلبة والانتصار، وأن هذا التدافع يقع في الأصل بين أهل الجانبين: الحق والباطل، ومن ثمرات التمسك بالحق والقيام بمتطلباته أن يحصلوا على عون وتأييد من الله تعالى، بأشكال وأنواع متعددة من التأييد والعون، ولكن تبقى المدافعة والتدافع يجريان وفقاً لسنن الله فيهما، وفي نتيجة هذا التدافع فالجهة الأقوى بكل معاني القول اللازمة للغلبة هي التي تغلب، فالإمداد بالملائكة هو بعض ثمرات إيمان تلك العصابة المجاهدة، ذلك الإمداد الذي تحقق به ما يستلزم الغلبة على العدو، ولكن بقيت الغلبة موقوفة على ما قدمه أولئك المؤمنون في قتال ومباشرة لأعمال القتال، وتعرضهم للقتل، وصمودهم وثباتهم في الحرب، واستدامة توكلهم على الله، واعتمادهم عليه، وثقتهم به، وهذه معان جعلها الله حسب سننه في الحياة أسباباً للغلبة والنصر، مع الأسباب الأخرى المادية، مثل العُدَّة والعدد والاستعداد للحرب وتعلم فنونه... إلخ. ولهذا فإن الإسلام يدعو المسلمين إلى أن يباشروا بأنفسهم إزهاق الباطل وقتال المبطلين، وأن يهيئوا الأسباب المادية والإيمانية للغلبة والانتصار، وبأيديهم إن شاء الله تعالى ينال المبطلون ما يستحقونه من العقاب (1)، قال تعالى:

﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: 14، 15].

إن نزول الملائكة عليهم السلام من السماوات العلى إلى الأرض لنصر المؤمنين حدث عظيم.

إنه قوة عظمى، وثبات راسخ للمؤمنين حينما يوقنون بأنهم ليسوا وحدهم في الميدان، وأنهم إذا حققوا أسباب النصر واجتنبوا موانعه، فإنهم أهل لمدد السماء، وهذا الشعور يعطيهم جرأة في مقابلة الأعداء، وإن كان ذلك على سبيل المغامرة، لبعد التكافؤ المادي بين جيش الكفار الكبير عدداً القوي إعداداً وجيش المؤمنين القليل عدداً الضعيف إعداداً.

وهو في نفس الوقت عامل قوي في تحطيم معنوية الكفار وزعزعة يقينهم، وذلك حينما يشيع في صفوفهم احتمال تكرار نزول الملائكة الذين شاهدتهم بعضهم عياناً، إنهم مهما قدروا قوة المسلمين وعددهم فإنه سيبقى في وجدانهم رعب مزلزل من احتمال مشاركة قوى غير

منظورة لا يعلمون عددها ولا يقدرّون مدى قوتها، وقد رافق هذا الشعور المؤمنين في كل حروبهم التي خاضها الصحابة ﷺ في العهد النبوي، وفي عهد الخلفاء الراشدين، كما رافق بعض المؤمنين بعد ذلك فكان عاملاً قوياً في انتصاراتهم المتكررة الحاسمة مع أعدائهم(1).

## 52- بعد النصر ومخاطبة أهل القلب:

انتهت معركة بدر بانتصار المسلمين على المشركين، وكان قتلى المشركين سبعين رجلاً، وأسر منهم سبعون، وكان أكثرهم من قادة قريش وزعمائهم، واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً، منهم ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار، ولما تم الفتح وانهزم المشركون أرسل ﷺ عبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة ليبشرا المسلمين في المدينة بنصر الله للمسلمين وهزيمة المشركين(2).

ومكث ﷺ في بدر ثلاثة أيام، فعن أنس ﷺ قال: (إنه ﷺ كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرضة ثلاث ليال...) (3) ولعل الحكمة في ذلك:

1- تصفية الموقف بالقضاء على أية حركة من المقاومة اليائسة التي يحتمل أن يقوم بها فلول المنهزمين الفارين هرباً إلى الجبال.

2- دُفن من استشهد من جند الله مما لا تكاد تخلو منه معركة، فقد دفن شهداء المسلمين في أرض المعركة، ولم يرد ما يشير إلى الصلاة عليهم، ولم يدفن أحد منهم خارج بدر(4).

3- جمع الغنائم وحفظها، وإسناد أمرها إلى من يقوم بهذا الحفظ حتى تؤدي كاملة إلى مستحقيها، وقد أسندت أنفال وغنائم بدر إلى ابن الحارث عبد الله بن كعب الأنصاري، أحد بني مازن(5).

4- إعطاء الجيش الظافر فرصة يستروح فيها، بعد الجهد النفسي والبدني المضني الذي بذله أفراد في ميدان المعركة، ويضمّد فيها جراح مجروحيه، ويذكر نعم الله عليه فيما أفاء الله عليه من النصر

(1) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (145/4).

(2) انظر: المستفاد من قصص القرآن (133/2)

(3) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 250.

(4) انظر: موسوعة نضرة النعم (291/1)

(5) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (453/3)



المؤزر الذي لم يكن داني القطوف، سهل المنال، ويتذاكر أفراده وجماعته ما كان من أحداث ومفاجآت في الموقعة، مما كان له أثر فعال في استجلاب النصر، وما كان من فلان في شجاعته وفدائيته وجرأته على افتتاح المضائق وتفريج الأزمات، وما تكشفته عنه المعركة من دروس عملية في الكر والفر، والتدبير المحكم الذي أخذ به العدو، وما في ذلك من عبر، واستذكار أوامر القيادة العليا وموقفها في رسم الخطط، ومشاركتها الفعلية في تنفيذها، ليكون من كل ذلك ضياء يمشون في نوره في وقائعهم المستقبلية، ويجعلون منه دعائم لحياتهم في الجهاد الصبور المظفر بالنصر المبين.

5- مواراة جيف قتلى الأعداء الذين انفرجت المعركة عن قتلهم، والتعرف عليهم وعلى مكائنتهم في حشودهم، وعلى من بقي منهم مصروعاً بجراحه لم يدركه الموت، للإجهاز على من ترى قيادة جيش الإسلام المصلحة في القضاء عليه اتقاء شره في المستقبل، كالذي كان من أمر الفاسق أبي جهل فرعون هذه الأمة، والذي كان في شأن رأس الكفر أمية بن خلف وأضرابهما، وقد أمر رسول الله ﷺ بإلقاء هؤلاء الأخبث في ركيٍّ (1) من قلب (2) بدر خبيث مُحْبَث، ثم وقف على شفة الركي (3)، وقد ورد أنه ﷺ وقف على القتلى فقال: «بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذبتُموني وصدقتني الناس، وخذلتُموني ونصرني الناس، وأخرجتُموني وأواني الناس» (4).

ثم أمر بهم، فسحبوا إلى قليب من قلب بدر فطرحوا فيه، ثم وقف عليهم فقال: «يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبه بن ربيعة، ويا فلان، ويا فلان، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً» فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله! ما تخاطب من أقوام قد جيفوا؟ فقال: «والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون الجواب» (5). قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله،

(1) ركي: حافة البئر.

(2) قلب: أبيار ومفرده بئر.

(3) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (454/3).

(4) زاد المعاد (187/3).

(5) أخرجه البخاري (234/7) في المغازي، باب دعاء النبي ﷺ على كفار قريش.

توبيخًا، وتصغيرًا، ونقمة، وحسرة، وندمًا(1).

### 53- الحياة البرزخية للأموات:

الحديث السابق الذي ورد فيه أنه ﷺ وقف على القتلى فقال: «بئس عشيرة النبي كنتم لنبئكم، كذبتُموني وصدقني الناس، وخذلتُموني ونصرني الناس، وأخرجتُموني وأواني الناس»(2).

ثم أمر بهم، فسحبوا إلى قليب من قلب بدر فطرحوا فيه، ثم وقف عليهم فقال: «يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبه بن ربيعة، ويا فلان، ويا فلان، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا فإني وجدت ما وعدني ربي حقًا»

إن مناداة الرسول ﷺ لقتلى قريش بينت أمرًا عظيمًا، وهو أنهم بدأوا حياة جديدة، هي حياة البرزخ الخاصة، وهم فيها يسمعون كلام الأحياء، غير أنهم لا يجيبون ولا يتكلمون، والإيمان بهذه الحياة من عقائد المسلمين، ونعيم القبر وعذابه ثابتان في صحيح الأحاديث، حتى إنه ﷺ مر بقبرين وقال: «**إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير**»(3)، وذكر أن سبب تعذيبهما النم بين الناس، وعدم الاستنزاه من البول(4). ولا بد من التسليم بهذه الحقائق الغيبية، بعد أن تحدث عنها الصادق المصدق، وقطع بها القرآن الكريم في تعذيب آل فرعون، قال تعالى: ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾ [غافر: 46]. وأما الشهداء فقد قال الله تعالى فيهم: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرزقون** ﴾ [آل عمران:

[169].

وبعد هذا التطواف مع الدروس والعبر .. فهذا غيضٌ من فيض ودرس من مدرسة بدر الكبرى التي يجب على المسلمين أن يقفوا أمامها وقفة إجلال وتقدير، لينظروا من خلالها إلى المعايير الإيمانية في مواجهة الحق مع الباطل، وكيف أن الفئة المؤمنة القليلة العدد والعتاد، والمستضعفة في الأرض كيف أنها حين أخلصت لربها،

(1) الأساس في السنة - السيرة النبوية (479/1).

(2) زاد المعاد (187/3).

(3) رواه البخاري رقم 218.

(4) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، د. محمد فوزي فضل الله، ص 64.

وتجردت لعقيدها، وانخلعت من الأهواء والشهوات، فإن الله - عز وجل - أعزها، وسخر لها جنود السموات والأرض، فتحقق لها النصر الذي وعد الله به عباده في محكم التنزيل: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ﴾ [الصفات: 171-173]

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك يارب العالمين، واكتب لنا الشهادة في سبيلك بعد طول عمر وحسن عمل، إنك ولي ذلك والقادر عليه .  
هذا وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آبه وصحبه وسلم .



## غزوة أحد دروس وعبر

الحمد لله الذي تفرد بالجلال والعظمة، والعز والكبرياء والجمال، وأشكره شكر عبد معترف بالتقصير عن شكر بعض ما أوليه من الإنعام والأفضال، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد .

إن الحنين والشوق يشدنا دائماً إلى السيرة النبوية العطرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، لنجلس في أضياف أحداثها مجلس التلاميذ الذين يتلقون العلوم والدروس النافعة المفيدة في أمور العقيدة والإيمان، والعبادة والأحكام، والسيادة والقيادة، والحرب والجهاد، والسلم وإدارة شؤون الحياة؛ إنها مدرسة كاملة لإعمار هذه الدنيا على منهج الله عز وجل، وللسعي إلى رضوان الله سبحانه وتعالى في الآخرة.

عندما يقف المسلم ويُقلب صفحات غزوة أحد يجد أن فيها سفيراً عظيماً للدروس والعبر التي تقوّم اعوجاج مسالكنا، وتحيي وتقوي ضعف إيماننا، وتثبت مواضع أقدامنا، وتكشف ما وراء المظاهر إلى حقائقها .

ولقد وصف القرآن هذه المعركة وصفاً دقيقاً، وسلط الضوء على خفايا النفوس، ودخائل القلوب، وكان فيها تربية للأمة في كل زمان ومكان، ودروساً تتوارثها الأجيال تلو الأجيال.

وتستمر السلسلة المباركة (غزوات النبي المصطفى ﷺ دروس وعبر ( ومع الوقفة الثانية مع (غزوة أحد دروس وعبر).

وسأقف وإياكم مع بعض الفوائد والحكم الربانية المستفادة من هذه الغزوة العظيمة. فهذه الغزوة العظيمة تعد نموذجاً حياً لما يمر به المسلمون اليوم من محن وشدائد، فما أحرانا أن نقف عندها، ونستفيد من دروسها وعبرها، وما أحوج الأمة وهي تمر بهذه المرحلة الحرجة في تاريخها، أن تراجع نفسها، وتستعيد ذاكرتها، وتعي سيرة نبيها -

فأحدُ نصرٍ لا هزيمة، معركة فياضةً بالعبر والعظات، أحداثها

صفحات ناصعة، يتوارثها الأجيال بعد الأجيال.  
نسأل الله بمنه وكرمه أن يعيد لهذه الأمة مجدها وعزها، وان يجعلنا  
مفاتيح للخير مغاليق للشر وصلّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله  
وصحبه.



## غزوة أحد

### ✽ غزوة أحد:

التي أنزل الله على إثرها آيات تُتلى إلى يوم الدين، فنزلت ثمان وخمسون آية من سورة آل عمران، تتحدث عن هذه الغزوة، ابتدأت بذكر أول مرحلة من مراحل الإعداد للمعركة في قوله تعالى :-  
﴿وَإِذْ عَدُوٌّ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾  
﴿آل عمران:121﴾، وانتهت بالتعليق الجامع على نتائج المعركة، والحكم التي أرادها الله منها فقال - سبحانه - :-

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل

عمران:179].

### ✽ غزوة أحد:

التي وقعت في الخامس عشر من شهر شوال من السنة الثالثة من

الهجرة. قال ابن إسحاق: كان أحد يوم السبت للنصف من شوال (1).

### ✽ غزوة أحد:

التي تعلم منها المسلمون أنه ينبغي أن تكون الشدائد والمحن في كل زمان فيصلاً لتمييز المؤمنين، وفضح المنافقين.

### ✽ غزوة أحد:

التي فيها دروساً للأمة جمعاء في حياتها ومعاملاتها ولعل دروس النكبات والهزائم أعظم أثراً من غيرها في كل وقت وحين.

### ✽ غزوة أحد:

تركت آثاراً غائرة في نفس النبي ﷺ تلازمه حتى آخر حياته ولما حانت وفاته جعل آخر عهده بذكريات البطولة أن يودع قتلى أحد وأن يدعوا الله لهم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ على قتلى أحد بعد ثمان سنوات كالمودع للأحياء والأموات ثم طلع المنبر فقال: «إني بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد وإن موعدكم الحوض وإني لأنظر إليه من مقامي هذا، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها قال عقبة فكان آخر نظرة نظرتها إلى الرسول» (2).

### ✽ غزوة أحد:

إن مقارنة مسيرة بين حال الأمة في يومها وبين حالها يوم هُزمت في معركة أحد وجعلت الهزيمة بسبب معصيتها ومخالفتها لرسولها توحى بأن الأمة اليوم لم تكمل أسباب النصر والتمكين التي وردت في كتاب الله تعالى وإنما هي في غفلة معرضة، لم ترفع بالدين رأساً في كثير من بقاعها وأصقاعها وفي كثير من أحوالها وأهوالها.

### ✽ غزوة أحد:

من المعارك التي خاضها النبي ﷺ بنفسه غزوة أحد التي كانت محلاً لأحداث كبار ودروس وعبر عظام. فهي فيأضة بالعظات الغوالي والمواعظ القيمة.

(1) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (116/3).

(2) أخرجه البخاري ومسلم.



## ✽ غزوة أحد:

مع ما وقع فيها من الكوارث والنكبات، وما حوته من النوازل والأزمات، إلا أنه يَصْدُقُ فيها قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [النور: 11]

هذه لمحة موجزة سريعة نقف وإياكم مع دروس وعبر من هذه الغزوة المباركة التي كان لها الأثر البالغ في حياة المصطفى ﷺ وحياة الصحابة وسيكون لها مثل ذلك التأثير لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. فهيا لنعيش مع هذه الدروس العبر .



## دروس وعبر من غزوة أحد

### 1- أثر المعاصي في النصر والهزيمة:

في غزوة أحد ظهر أثر المعصية والفشل والتنازع في تخلف النصر عن الأمة، فبسبب معصية واحدة خالف فيها الرماة أمر النبي - ﷺ، وبسبب التنازع والاختلاف حول الغنائم، ذهب النصر عن المسلمين بعد أن انعقدت أسبابه، ولاحت بوادره، فقال - سبحانه -:

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِأَذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تَحْبُونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ تَمَّ صَرْفَكُمُ عَنْهُمْ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 152]

فكيف ترجو أمة عصت ربها، وخالفت أمر نبيها، وتفرقت كلمتها أن يتنزل عليها نصر الله وتمكينه؟! وبالمعاصي تدور الدوائر، ففاضت أرواح في تلك الغزوة بسبب خطيئة، وخرج آدم من الجنة بمعصيته، و«دخلت امرأة النار في هرة» فما الذي أهلك الأمم السابقة وطمس الحضارات البائدة سوى الذنوب والمعاصي :

﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (القصص 40)

يقول بعض أهل العلم: يا سبحان الله! رماة خالفوا رسول الله ﷺ والموت على رعوسهم، وأنت تخالف رسول الله ﷺ في اليوم والليلة عشرات المرات ولا تخشى، ولذلك كان من نتيجة هذه المخالفة حلول الهزيمة وحلول الغلبة على المؤمنين رضي الله عنهم وأرضاهم، فمخالفة أمر الرسول ﷺ شؤم وفساد كبير، وما هناك تدمير لمستقبل الإنسان ولا خيبة أمل ولا تعكير لفهمه وذكائه ورزقه وولده مثل المعصية نعوذ بالله من المعاصي!

فالمعاصي سبب كل عناء وطريق كل شقاء، ما حلت في ديار إلا أهلكتها ولا فشت في مجتمعات إلا دمّرتها وأزالتها، وما أهلك الله تعالى أمة إلا بذنب وما نجى وما فاز من فاز إلا بتوبة وطاعة .

قال تعالى : ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم 40)

وقال تعالى : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (الشورى 30)

المعصية عذاب المعصية وحشة المعصية حتى ولو كانت صغيرة مع الإصرار عليها تعمي البصيرة وتُسقط الكرامة وتوجب القطيعة وتمحق البركة ما لم يتب العبد ويرجع خائفا وجلأ .

رأيتُ الذنوب تُميت القلوب وقد يورث الدُّل إيمانها  
وتركُ الذنوب حياة القلوب وخيرُ نفسك عصيانها



قال مجاهد رضي الله عنه: "إن البهائم لتلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السنة وأمسك المطر وتقول هذا شؤمه معصية بني آدم" و لا حول ولا قوة إلا بالله. تأمل يا رعاك الله قول الحق سبحانه:

﴿ **أَوَلَمْ آصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ (آل عمران: 165).

فالزم يا عبد الله الطاعة والعبودية، يؤخذ بيدك في المضايق، وتُفَرِّج لك الشدائد، ولا تجعل أعمالك جُنْدًا عليك، يزداد بها عدوك قوة عليك.

## 2- خطورة إيثار الدنيا على الآخرة :

وهذه الغزوة تعلمنا كذلك خطورة إيثار الدنيا على الآخرة، وأن ذلك مما يفقد الأمة عون الله ونصره وتأييده، قال ابن مسعود: " ما كنت أرى أحداً من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يريد الدنيا حتى نزل فينا يوم أحد : ﴿ **مِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الآخِرَةَ** ﴾ "، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء» (1).

قال ابن عباس رضي الله عنه: لما هزم الله المشركين يوم أحد، قال الرماة: (أدركوا الناس ونبي الله، لا يسبقوكم إلى الغنائم، فتكون لهم دونكم) وقال بعضهم: (لا نبرح حتى يأذن لنا النبي صلى الله عليه وسلم) (2) فنزلت:

﴿ **مِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الآخِرَةَ** ﴾ (آل عمران: 14) ..

وفي ذلك درسٌ عظيم يبين أن حب الدنيا والتعلق بها قد يتسلل إلى قلوب أهل الإيمان والصلاح، وربما خفي عليهم ذلك، فأثروها على ما عند الله، مما يوجب على المرء أن يتفقد نفسه وأن يفتش في خباياها، وأن يزيل كل ما من شأنه أن يحول بينها وبين الاستجابة لأوامر الله ونواهيها.

وقد وردت نصوص عديدة من آيات وأحاديث تبين منزلة الدنيا عند

(1) مسلم، رقم 2742.

(2) انظر: تفسير الطبري (474/3).

الله وتصف زخارفها وأثرها على فتنة الإنسان، وتحذر من الحرص عليها قال تعالى:

**﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾** [آل عمران: 14].

وقد حذر الرسول الكريم ﷺ أمته من الاغترار بالدنيا، والحرص الشديد عليها في أكثر من موضع، وذلك لما لهذا الحرص من أثره السيئ على الأمة عامة وعلى من يحملون لواء الدعوة خاصة. إن الذي حدث في أحد عبرة عظيمة للدعاة وتعليمًا لهم بأن حب الدنيا قد يتسلل إلى قلوب أهل الإيمان ويخفي عليهم، فيؤثرون الدنيا ومتاعها على الآخرة ومتطلبات الفوز بنعيمها، ويعصون أوامر الشرع الصريحة كما عصى الرماة أوامر الرسول ﷺ الصريحة بتأويل ساقط، يرفعه هوى النفس وحب الدنيا، فيخالفون الشرع وينسون المحكم من أوامره، كل هذا يحدث ويقع من المؤمن وهو غافل عن دوافعه الخفية، وعلى رأسها حب الدنيا، وإيثارها على الآخرة ومتطلبات الإيمان، وهذا يستدعي من الدعاة التفتيش الدائم الدقيق في خبايا نفوسهم واقتلاع حب الدنيا منها، حتى لا تحول بينهم وبين أوامر الشرع، ولا توقعهم في مخالفته بتأويلات ملفوفة بهوى النفس وتلفتها إلى الدنيا ومتاعها<sup>(1)</sup>.

### 3- ويتخذ منكم شهداء:

ومن الحكم إكرام الله بعض عباده بنيل الشهادة، التي هي من أعلى المراتب والدرجات، فأراد - عز وجل - أن يتخذ من عباده شهداء تراق دماؤهم في سبيله، ويؤثرون محبته ورضاه على نفوسهم.

**مصعب بن عمير** رضي الله عنه:

قال خباب رضي الله عنه: هاجرنا مع رسول الله ﷺ ونحن نبتغي وجه الله، فوقع أجرنا على الله فمنا من مضى في سبيله ولم يأكل من أجره شيئاً، منهم مصعب بن عمير قُتل يوم أحد، ولم يترك إلا نمرة، كنا إذا غطينا رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه، فقال رسول الله ﷺ: «غطوا رأسه، واجعلوا على رجليه الإذخر»، ومنا من أينعت له ثمرته فهو

(1) السيرة النبوية، علي الصلابي، غزوة أحد.

يهدبها<sup>(1)</sup>، ومن حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه أتى بطعام وكان صائماً، فقال: قُتل مصعب بن عمير رضي الله عنه، وكان خيراً مني، فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة، وقتل حمزة أو رجل آخر خير مني، فلم يوجد له ما يكفن فيه، إلا بردة، لقد خشيت أن يكون قد عجلت لنا طبيباتنا في حياتنا الدنيا، ثم جعل يبكي<sup>(2)</sup>.

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من أحد مر على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه، فوقف عليه ودعا له ثم قرأ هذه الآية:

**﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾** [الأحزاب:23]، ثم قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم: «أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة، فاتوهم وزورهم، والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه»<sup>3</sup>.

**سعد بن الربيع رضي الله عنه:**

هذا الذي استكتمه رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر مسير قريش، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه، فلما انتهت معركة أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع أفي الأحياء هو أم في الأموات**»؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد رأى الأسنة شرعت إليه، فقال أبي بن كعب رضي الله عنه: أنا أنظره لك يا رسول الله، فقال له: «إن رأيت سعد بن الربيع فأقرأه مني السلام، وقل له: يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يجدر بك؟» فنظر أبي فوجده جريحاً به رمق، فقال له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات، فقال: قد طعنت اثنتي عشرة طعنة، وقد أنفذت إلى مقاتلي<sup>5</sup>، وفي رواية صحيحة قال: على رسول الله وعليك السلام، قل له: يا رسول الله أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: «**لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيكم شفر (6) يطرف**»، قال: وفاضت نفسه

(1) البخاري في الجنائز، رقم 1286. أي: يجتئها.

(2) البخاري في الجنائز رقم 1274، 1275.

(3) انظر: المستدرک (200/3) صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(4) وفي رواية أن المرسل هو زيد بن ثابت وليس أبي. كما جاء في زاد المعاد ص 207 ط 15 مؤسسة الرسالة.

(5) انظر: السيرة الحلبية (532/2).

(6) شفر: العين.

رحمه الله<sup>(1)</sup>. وهذا نصح الله ورسوله في سكرات الموت يدل على قوة الإيمان، والحرص على الوفاء بالبيعة لم يتأثر بالموت ولا آلام القروح.

**عبد الله بن جحش** رضي الله عنه:

قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: إن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد: ألا تدعو الله، فخلوا في ناحية فدعا سعد فقال: يا رب إذا لقيت العدو، فلقيت رجلاً شديداً بأسه، شديداً حرده، أقاتله ويقاتلني، ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله، وأخذ سلبه، فأمن عبد الله بن جحش رضي الله عنه، ثم قال: «اللهم ارزقني رجلاً شديداً حرده، شديداً بأسه، أقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غداً، قلت: من جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول صدقت»، قال سعد: يا بني كانت دعوة عبد الله بن جحش خيراً من دعوتي، لقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقان في خيط<sup>(2)</sup>. وفي هذا الخبر جواز دعاء الرجل أن يقتل في سبيل الله، وتمنيه ذلك وليس هذا من تمنى الموت المنهي عنه<sup>(3)</sup>.

**أنس بن النضر** رضي الله عنه:

ولما انهزم الناس لم ينهزم أنس بن النضر . وقال: «اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني المسلمين وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء» يعني المشركين ثم تقدم فلقبه سعد بن معاذ فقال أين يا أبا عمر؟ فقال أنس رضي الله عنه: «واهاً لريح الجنة يا سعد إني أجده دون أحد» ثم مضى فقاتل القوم حتى قتل فما عرف حتى عرفته أخته ببنانه وبه بضع وثمانون ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم<sup>(4)</sup>.

**حنظلة بن أبي عامر** - رضي الله عنه - (غسيل الملائكة):

لما انكشف المشركون ضرب حنظلة فرس أبي سفيان بن حرب فوق على الأرض، فصاح حنظلة يريد ذبحه، فأدركه الأسود بن شداد، ويقال له ابن شعوب، فحمل على حنظلة بالرمح فأنفذه ومشى إليه حنظله بالرمح وقد أثبتته، ثم ضرب الثانية فقتله، فذكر ذلك لرسول الله - صلوات الله عليه - فقال: «إني رأيت الملائكة تغسله بين السماء والأرض بماء

(1) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 294.

(2) المصدر السابق، 293.

(3) انظر: زاد المعاد (212/3).

(4) أخرجه البخاري 7/ 274 في المغازي: باب غزوة أحد .

**المزن، في صحاف الفضة»** فقال رسول الله - ﷺ -: **«فاسألوا أهله ما شأنه؟»** فسألوا صاحبه عنه فقالت: خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة، فقال رسول الله - ﷺ -: **«فإن ذلك غسلته الملائكة»**.

وفي رواية الواقدي: وكان حنظلة بن أبي عامر تزوج جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول، فأدخلت عليه في الليلة التي في صباحها قتال أحد، وكان قد استأذن رسول الله - ﷺ - أن يبيت عندها فأذن له، فلما صلى بالصبح غدا يريد رسول الله - ﷺ - ولزمته جميلة فعاد فكان معها، فأجنب منها ثم أراد الخروج، وقد أرسلت قبل ذلك إلى أربعة من قومها فأشهدتهم أنه قد دخل بها، فقيل لها بعد: لم أشهدت عليه؟ قالت: رأيت كأن السماء فرجت فدخل فيها حنظلة ثم أطبقت، فقلت: هذه الشهادة، فأشهدت عليه أنه قد دخل بها، وفي تعلق جميلة بنت عبد الله بن أبي حنظلة بن أبي عامر حين رأت له تلك الرؤيا التي فسرتها بالشهادة، فالمظنون في مثل هذه الحال أن تحاول الابتعاد عنه حتى لا تحمل منه فتكون بعد ذلك غير حظية لدى الخطاب، لكنها تعلقت به رجاء أن تحمل منه فتلد ولدًا ينسب لذلك الشهيد الذي بلغ درجات عليا في الصلاح أولاً، ثم بما ترجوه من نياله الشهادة، ولقد حصل لها ما أملت به فحملت منه وولدت ولدًا ذكرا سمي عبد الله، وكان له ذكر بعد ذلك، وكان من أعلى ما يفخر به أن يقول: أنا ابن غسيل الملائكة.

**عبد الله بن عمرو بن حرام - ﷺ - :**

رأى عبد الله بن عمرو رؤية في منامه قبل أحد، قال: **«رأيت في النوم قبل أحد، مبشر بن عبد المنذر يقول لي: أنت قادم علينا في أيام، فقلت: وأين أنت؟ فقال: في الجنة نسرح فيها كيف نشاء، قلت له: ألم تقتل يوم بدر؟ قال: بلى ثم أحبيت، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: هذه الشهادة يا أبا جابر»**، وقد تحققت تلك الرؤيا بفضل الله ومنه.

أصر عبد الله بن عمرو بن حرام على الخروج في غزوة أحد، فخطب ابنه جابر بقوله: يا جابر، لا عليك أن تكون في نظاري المدينة حتى تعلم إلى ما يصير أمرنا، فإني والله لولا أنني أترك بنات لي بعدي لأحبيت أن تقتل بين يدي (1).

وقال لابنه أيضاً: **«ما أراني إلا مقتولاً في أول من يقتل من**

أصحاب النبي ﷺ، وإني لا أترك بعدي أعز علي منك غير نفس رسول الله ﷺ، وإن علي ديناً فاقض واستوص بأخواتك خيراً» (1). وخرج مع المسلمين ونال وسام الشهادة في سبيل الله، فقد قتل في معركة أحد، وهذا جابر يحدثنا عن ذلك حيث يقول: «لما قُتل أبي يوم أحد، جعلت أكشف عن وجهه وأبكي، وجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينهوني وهو لا ينهاني، وجعلت عمتي تبكيه، فقال النبي ﷺ: «تبكين أو لا تبكين ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه» (2).

وقال رسول الله ﷺ: «يا جابر ما لي أراك منكسراً؟» قال: يا رسول الله، استشهد أبي وترك عيلاً وديناً، قال ﷺ: «أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك؟» قال: بلى يا رسول الله، قال ﷺ:

«ما كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَكَلَّمَ أَبَاكَ كَفَاحًا، يَا جَابِرُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ أَحْيَا أَبَاكَ فَقَالَ: يَا عَبْدِي، تَمَنَّ عَلَيَّ أَعْطَكَ، قَالَ: يَا رَبِّ تَحْيِينِي فَأَقْتُلْ فِيكَ ثَانِيَةً، فَقَالَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ: إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ، قَالَ: يَا رَبِّ.. فَأَبْلُغْ مِنْ وِرَائِي» (3). فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: 169].

### خيثة أبو سعد - ﷺ - :

قال خيثة أبو سعد، وكان ابنه استشهد مع رسول الله - ﷺ - يوم بدر، لقد أخطأني وقعة بدر، وكنت والله عليها حريصاً، حتى ساهمت ابني في الخروج، فخرج سهمه، فرزق الشهادة، وقد رأيت البارحة ابني في النوم في أحسن صورة يسرح في ثمار الجنة وأنهارها، ويقول: الحق بنا ترافقنا في الجنة، فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً، وقد والله يا رسول الله أصبحت مشتاقاً إلى مرافقته في الجنة، وقد كبرت سني، ورق عظمي، وأحببت لقاء ربي، فادع الله يا رسول الله أن يرزقني الشهادة، ومرافقة سعد في الجنة، فدعا له رسول الله - ﷺ - بذلك فقتل بأحد شهيداً (4).

(1) البخاري رقم 1351.

(2) البخاري، رقم 1244.

(3) صحيح ابن ماجه للألباني، رقم 190 (2800).

(4) انظر: زاد المعاد (208/3).

## وهب المزني وابن أخيه - (رضي الله عنه) :-

أقبل وهب بن قابوس المزني، ومعه ابن أخيه الحارث بن عقبة بن قابوس، بغنم لهما من جبل مزينة، فوجدا المدينة خلواً فسألوا: أين الناس؟ فقالوا: بأحد، خرج رسول الله - (ﷺ) - يقاتل المشركين من قريش، فقالوا: لا نبتغي أثراً بعد عين فخرجا حتى أتيا النبي - (ﷺ) - بأحد فيجدان القوم يقتتلون والدولة لرسول الله - (ﷺ) - وأصحابه، فأغارا مع المسلمين في النهب، وجاءت الخيل من وراءهم، خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل، فاختلفوا، فقاتلا أشد القتال، فانفرقت فرقة من المشركين فقال رسول الله - (ﷺ) -: «**من لهذه الفرقة؟**» فقال وهب بن قابوس: أنا يا رسول الله، فقام فرماهم بالنبل حتى انصرفوا ثم رجع. فانفرقت فرقة أخرى فقال رسول الله - (ﷺ) -: «**من لهذه الكتيبة؟**» فقال المزني: أنا يا رسول الله، فقام فذبها بالسيف حتى ولوا، ثم رجع المزني، ثم طلعت كتيبة أخرى فقال: «**من يقوم لهؤلاء؟**» فقال المزني: أنا يا رسول الله، فقال: «**قم، وأبشر بالجنة**» فقام المزني مسروراً يقول: والله لا أقبل ولا أستقبل، فقام فجعل يدخل فيهم فيضرب بالسيف، ورسول الله - (ﷺ) - ينظر إلى المسلمين، حتى خرج من أقصاهم ورسول الله - (ﷺ) - يقول: «**اللهم ارحمه**» ثم يرجع فيهم، فما زال كذلك وهم محدقون به، حتى اشتملت عليه أسياهم ورماحهم فقتلوه، فوجد به يومئذ عشرون طعنة برمح، كلها قد خلصت إلى مقتل، ومثل به أقبح المثلة يومئذ، ثم قام ابن أخيه فقاتل قتاله حتى قتل، فكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول: «**إن أحب ميتة أموت لما مات عليها المزني**».

وكان بلال بن الحارث المزني يحدث يقول: شهدنا القادسية مع سعد بن أبي وقاص، فلما فتح الله علينا وقسمت بيننا غنائمنا، فأسقط فتى من آل قابوس من مزينة، فجئت سعداً حين فرغ من نومه فقال: بلال؟ قلت: بلال، قال: مرحباً بك، من هذا معك؟ قلت: رجل من قومي من آل قابوس، قال سعد: ما أنت يا فتى من المزني الذي قتل يوم أحد؟ قال: ابن أخيه، قال سعد: مرحباً وأهلاً وأنعم الله بك عيئاً، ذلك الرجل شهدت منه يوم أحد مشهداً ما شهدته من أحد، لقد رأيتنا وقد أحرق المشركون بنا من كل ناحية ورسول الله - (ﷺ) - وسطنا، والكتائب تطلع من كل ناحية، وإن رسول الله - (ﷺ) - ليرمي ببصره في الناس يتوسمهم يقول: «**من لهذه الكتيبة؟**» كل ذلك يقول المزني: أنا يا رسول الله، كل ذلك



يرده فما أنسى آخر مرة قامها فقال رسول الله - ﷺ -: «**قم وأبشر بالجنة**» قال سعد: وقمت على أثره يعلم الله أنني أطلب مثل ما يطلب يومئذ من الشهادة، فحضنا حومتهم حتى رجعنا فيهم الثانية، وأصابوه - رحمه الله - وودت والله أنني كنت أصبت يومئذ معه، ولكن أجلي استأخر، ثم دعا سعد من ساعته بسهمه فأعطاه وفضله، وقال: اختر في المقام عندنا أو الرجوع إلى أهلك، فقال بلال: إنه يستحب الرجوع، فرجعنا.

وقال سعد: أشهد لرأيت رسول الله - ﷺ - واقفًا عليه وهو مقتول، وهو يقول: «**رضي الله عنك فإني عنك راضٍ**»، ثم رأيت رسول الله - ﷺ - قام على قدميه وقد نال النبي - ﷺ - من الجراح ما ناله، وإني لأعلم أن القيام ليشق عليه على قبره حتى وُضع في لحدّه، وعليه بردة لها أعلام خضر، فمد رسول الله - ﷺ - البردة على رأسه فخره، وأدركه فيها طولًا، وبلغت نصف ساقيه، وأمرنا فجمعنا الحرمل فجعلناه على رجليه، وهو في لحدّه، ثم انصرف، فما حال أموت عليها أحب إليّ من أن ألقى الله - تعالى - على حال المزني.

وهكذا يفعل الإيمان بأصحابه فهذا وهب المزني وابن أخيه تركا الأغنام بالمدينة والتحقا بصفوف المسلمين وحرصاً على نيل الشهادة، فأكرمهما الله بها، وقد كانت تلك الملحمة التي سطرها المزني محفورة في ذاكرة الصحابة، فهذا سعد بن أبي وقاص يتذكرها بعد مرور ثلاث عشرة سنة تقريباً على غزوة أحد لمجرد سماع اسم رجل من عشيرة المزني ويتمنى أن يموت ويلقى الله على مثل حالة المزني.

عمرو بن الجموح - ﷺ - :

كان عمرو بن الجموح - ﷺ - أعرج شديد العرج، وكان له بنون أربعة مثل الأسد يشهدون مع رسول الله - ﷺ - المشاهد، وهم خلاد ومعوذ ومعاذ وأبو أيمن، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه، وقالوا: إن الله - عز وجل - قد عذرك، فأتى رسول الله - ﷺ - فقال: إن بنيّ يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه وللخروج معك فيه، فوالله إنني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة، فقال له رسول الله - ﷺ -: «**أما أنت فقد عذرك الله - تعالى - فلا جهاد عليك**» وقال لبنيه: «**ما عليكم ألا تمنعوه، لعل الله أن يرزقه الشهادة**» فخرج وهو يقول مستقبل القبلة: اللهم لا تردني إلى أهلي خائباً فقتل شهيداً.

وفي رواية أتى عمرو بن الجموح - ﷺ - إلى رسول الله - ﷺ -



فقال: يا رسول الله: رأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل، أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة، وكانت رجله عرجاء، فقال رسول الله - ﷺ -: «نعم» فقتلوه يوم أحد هو وابن أخيه ومولى لهم، فمر بهم رسول الله - ﷺ - فجعلوا في قبر واحد<sup>(1)</sup>.

وفي هذا الخبر دليل على أن من عذره الله في التخلف عن الجهاد لمرض أو عرج، يجوز له الخروج إليه، وإن لم يجب عليه، كما خرج عمرو بن الجموح وهو أعرج، وفيه دليل على شجاعة عمرو بن الجموح ورغبته في نيل الشهادة وصدقه في طلبها، وقد أكرمه الله بذلك.

### أبو حذيفة بن اليمان وثابت بن وقش - رضي الله عنهم -:

لما خرج رسول الله - ﷺ - إلى أحد رفع حُسيل بن جابر، وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان، وثابت بن وقش في الأطم مع النساء والصبيان، فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران: لا أبا لك، ما تنتظر؟ فوالله ما بقي لواحد منا من عمره إلا ظمء (2) حمار، إنما نحن هامة اليوم أو غد، أفلا نأخذ أسيفنا ثم نلحق برسول الله - ﷺ -، لعل الله يرزقنا شهادة مع رسول الله - ﷺ -؟ فأخذا أسيفهما ثم خرجا حتى دخلا في الناس ولم يعلم بهما، فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون، وأما حسيل بن جابر فاختلفت عليه أسيف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه، فقال حذيفة: أباي، فقالوا: والله إن عرفناه، وصدقوا، قال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، فأراد رسول الله - ﷺ - أن يديه، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين، فزاده ذلك عند رسول الله - ﷺ - خيراً. وفي هذا الخبر، يظهر أثر الإيمان في نفوس الشيوخ الكبار الذين عذرهم الله في الجهاد وكيف تركوا الحصون وخرجوا إلى ساحات الوغى طلباً للشهادة وحباً وشوقاً للقاء الله - تعالى -، وفيه موقف عظيم لحذيفة، حيث تصدق بديته والده على المسلمين، ودعا لهم بالمغفرة لكونهم قتلوا والده خطأ، وفيه أيضاً: أن المسلمين إذا قتلوا واحداً منهم في الجهاد يظنونه كافراً، فعلى الإمام ديبته من بيت المال؛ لأن رسول الله - ﷺ - أراد أن يدي اليمان أبا حذيفة، فامتنع حذيفة من أخذ الدية، وتصدق بها على

(1) انظر: المسند (299/5)، السيرة النبوية لابن هشام (101/3).

(2) ظمء حمار: أي مقدار ما بين شربتي حمار.

المسلمين (1).

### منزلة الشهداء:

قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلمهم، قالوا: يا ليت إخواننا يعطون ما صنع الله بنا؛ لنلا يزهّدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب، فقال عز وجل: أنا أبلغهم عنكم» فأنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ هذه الآيات، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرزَقونَ فَرحينَ بما آتاهمُ اللهُ من فضله وَيَسْتَبشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: 169-171).

وروى مسلم بسنده عن مسروق، قال: سألتنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرزَقونَ﴾. قال: أما إنا سألتنا عن ذلك، فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة، حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي؟! ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نُقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا».

### 4- سنة الله في الصراع بين الحق والباطل:

وفي غزوة أحد تأكيد لسنة الله في الصراع بين الحق والباطل، والهدى والضلال، فقد جرت سنة الله في رسله وأتباعهم أن تكون الحرب سجالاتاً بينهم وبين أعدائهم، فيدالوا مرة ويدال عليهم أخرى، ثم تكون لهم العاقبة في النهاية، ولئن انتفش الباطل يوماً وكان له صولات وجولات، إلا أن العاقبة للمتقين، والغلبة للمؤمنين، فدولة الباطل ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

والجنة عزيزة غالية لا تُنال إلا على جسر من المشاق والمتاعب، والنصر الرخيص السهل لا يدوم، ولا يدرك الناس قيمته، ولذلك قال الله:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران 142)..

## 5- لا بد من الأخذ بالأسباب:

لا بد أيضاً من الأخذ بأسباب النصر المادية والمعنوية مع التوكل على الله والاعتماد عليه، فقد ظاهر النبي - ﷺ - بين درعين، ولبس لأمة الحرب، وكافح معه الصحابة، وقاتل عنه جبريل وميكائيل أشد القتال، رغم أن الله عصمه من القتل.

## 6- التضحية من أجل الدين:

إن سنة الله جل وعلا قد مضت أن هذا الدين لا يتحقق في واقع الحياة، ولا يثبت على هذه الأرض، ولا تعلق رايته خفاقة فوق البقاع، ولا يتحقق منهجه بين الناس إلا بجهد من أبناء هذا الدين يسبقه ويرافقه ويعقبه توفيق من الله عز وجل.

إن هذا الدين لا بد له من علم يُنشر، ودعوة تبذل، وأموال تُنفق، ومهج وأرواح تُزهق في سبيل الله عز وجل، إنه ليس أمراً هيناً؛ إنها الرسالة العظيمة الخالدة، إنها الأمانة الكبيرة الماجدة: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب: 72)، ويخاطب الله جل وعلا نبيه ﷺ فيقول: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ (المزمل: 5)، إنها أمانة هذا الدين والرسالة الخاتمة من رب العالمين، الدين الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى للناس أجمعين، حتى يرث الله الأرض ومن عليها يوم يقوم الناس لرب العالمين.

هذه الرسالة العظيمة، وهذا الدرس الكريم نقف مع ومضات منه لنرى صورته في غزوة أحد، ولست معنياً بالوقوف مع الأحداث وترتيبها، وإنما نأخذ هذا الدرس الواضح الجلي في هذه المعركة العظيمة من معارك الإسلام الخالدة التي قادها محمد ﷺ برفقة الصحب

الكرام الغر الميامين الأبطال الشجعان رضوان الله عليهم أجمعين. أنس بن النضر رضي الله عنه يصاب في هذه الغزوة ببضع وثمانين جراحة، ثم مثل به بعدها، فلم يعرفه أحد سوى أخته عرفته ببنانه. وفي سعد بن الربيع رضي الله عنه سبعون طعنة ، و قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه ، فلم يوجد له ما يُكفن فيه إلا بردة ، واستشهد حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم ، واستشهد سبعين من خيرة الصحابة الكرام. فماذا قدمنا لديننا؟! وللصحابه الكرام الصُحبة والسبق والإقدام، تقطعت منهم الأشلاء، وتمزقت الأجساد، وترمل النساء، قَدِّمُوا أرواحهم فداء لهذا الدين، حتى وصل إلينا كاملاً متمماً، فاقدر لهم قدرهم، واشكر لهم سعيهم، وترض عنهم، فقد أحبهم ربهم، - رضي الله عنهم وأرضاهم -.

## 7- العاقبة للمتقين:

للحق جولة، وللباطل صولة، والعاقبة للتقوى، فلا تياس من إصلاح المجتمع، ولا تقنط من هدايته، فقد صَبَرَ النبي صلى الله عليه وسلم على الأذى والجراح، حتى دخل الناس أفواجا في دين الله، إن عواقب الأمور كلها بيد الله، فامض في الدعوة، وداوم على الدعاء، وهداية البشر بيد خالق البشر.

أبو سفيان في أحد يقود المشركين، وشعاره: "اعلُ هُبَل"، وفي فتح مكة يقول: "لا إله إلا الله". ووحشي يقتل حمزة، ثم يُسلم ويقتل مُدعي النبوة مسيلمة الكذاب.

فاحذر على نفسك القلب، «فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، يقلبها كيف يشاء». واسأله دوماً دوام الثبات، والعبد وإن استغرق في العصيان، فالتوبة تحط الأوزار وإن بلغت العنان. خالد بن الوليد يقود خيالة الكفر، وقُتِل على يديه فضلاء الصحابة، ولما شرح الله صدره للإسلام، أتى يبائع النبي، وقال: يا رسول الله، إني أشرت أن تُغفر زلتي، فقال: «يا خالد، أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله، وأن التوبة تجب ما قبلها».

فأنقذ نفسك من وحل الأوزار، وأقبل على ربك تائباً من الآثام، فالحسنات يذهبن السيئات، ولا تستكف عن التمسك بهذا الدين، فحوله سألت الدماء.

## 8- الابتلاء بذوي القربى:

المراء قد يُبتلى بذوي القربى والأرحام، فاصبر على ما تلاقيه منهم، فأقارب النبي تركوا أوطانهم وأموالهم، وقدموا إلى المدينة وقطعوا مسافة أربع مائة كيلومتر أو أكثر لقتل النبي، وفعلوا ما لم يفعله غالب الكفار، من تمثيلهم بالقتلى، مع أنهم بنو عمه، وفي الفتح عفا عنهم وصفح، وقال: «**لا تثريب عليكم أذهبوا فأنتم الطلقاء**». فاتخذ النبي ﷺ قدوة لك في الحلم والعفو، وصل رحمك، وغض الطرف عما يسوؤك منهم.

## 9- ولا تنازعوا:

في الفرقة والنزاع تبعثر الجهود، وفي الألفة والاتفاق صفاء القلوب، فلنحذر من تفرق الكلمة والاختلاف في الرأي، فهما الهزيمة، ﴿**وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا**﴾ (الأفصاح:46).

## 10- الأنبياء عبيد مخلوقون :

الأنبياء عبيد مخلوقون، يعتريهم ما يعتري البشر، لا يُرفعون فوق منزلة العبودية، ولا يحط من شأنهم، والنبي ظاهر بين درعين، ولبس لأمة الحرب، وكافح معه الصحابة، وقاتل عنه جبريل وميكائيل أشد القتال، ومع هذا شجَّ في وجهه، وكُسرت رباعيته، والأمر لله من قبل ومن بعد، وهو سبحانه وحده النافع الضار، ولو كان يملك لنفسه شيئاً ما سال الدم منه.

## 11- العرفان لمن خدم هذا الدين:

ومن مُروآت الأفعال العرفان لمن خدم الدين، ومن جميل خلال الوفاء للأصحاب، ودماء شهداء أحد بقيت في نفس الرسول إلى السنة التي مات فيها، فصلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين، كالمودع لهم. فأجل نبلاء هذا الدين، واحفظ ودَّ جَلَانِكَ، واراع حق صحبتهم، واحفظ سرهم.

## 12- حب الصحابة لنبیهم ﷺ:

طوق المشركون رسول الله ﷺ - ومن معه وكانوا تسعة فقتل سبعة منهم بعد قتال عنيف. ولم يبق معه غير سعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبد الله.

فطمعوا في القضاء على رسول الله ﷺ - رماه عتبة بن أبي وقاص بالحجارة فوق لشقه، وأصيبت رباعيته اليمنى السفلى، وكلمت شفته السفلى، وتقدم إليه عبد الله الزهري فشجه في جبهته، وجاء عبد الله بن قمنة فضرب على عاتقه بالسيف ضربة عنيفة شكا لأجلها أكثر من شهر، وضربه بأبي هو وأمي ضربة أخرى عنيفة حتى دخلت حلقتان من حلق المقفر في وجنته، فقال عليه الصلاة والسلام وهو يسלט الدم عن وجهه: «**كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله، اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**».

واستبسل سعد وطلحة في الدفاع عن رسول الله ﷺ - فقد نثل رسول الله ﷺ - كنانته لسعد بن أبي وقاص وقال: ارم فداك أبي وأمي، وأما طلحة فقد قاتل حتى شلت يده، وكان أبو بكر - إذا ذكر يوم أحد قال: ذلك اليوم كله لطلحة. وروى الترمذي أن النبي ﷺ - قال فيه يومئذ: «**من ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله**».

وخلال هذا الموقف العصيب تسارع المسلمون إلى رسول الله ﷺ - وأقاموا حوله سياجاً من أجسادهم وسلاحهم وبالغوا في الدفاع عنه، قام أبو طلحة على رسول الله ﷺ - يسور نفسه بين يدي رسول الله ﷺ - ويرفع صدره ليقويه عن سهام العدو، وكان رامياً يرمي فكلما رمى أشرف رسول الله ﷺ - ليرى موضع سهمه، فيقول له أبو طلحة: بأبي أنت وأمي لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك، وقام أبو دجانة أمام رسول الله ﷺ - فترس عليه ظهره والنبل يقع عليه، وهو لا يتحرك، وامتص مالك بن سنان الدم عن وجنته وأنقاه فقال: مجه. فقال: والله لا أمجه أبداً، ثم أدبر يقاتل، فقال النبي ﷺ - : «**من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**» فقتل شهيداً.

وقاتلت أم عمارة حول رسول الله ﷺ - فضربها ابن قمنه على عاتقها ضربة تركت جرحاً أجوف، وضربته فنجأ بدرعه، وبقيت تقاتل

حتى أصابها اثنا عشر جرحًا.

وقام النبي ﷺ فعرفه كعب بن مالك فنادى بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله - ﷺ - ، فأشار إليه أن اصمت لئلا يعرف المشركون موضعه، فلاذ إليه المسلمون فأخذ بالانسحاب المنظم إلى شعب الجبل، وأثناء القتال كان النعاس يأخذ المسلمين أمانة من الله، وفي أثناء الانسحاب عرضت لرسول الله - ﷺ - صخرة من الجبل فنهض إليها ليعلوها فلم يستطع، فجلس تحته طلحة بين عبيد الله فنهض حتى استوى عليها وقال: «**أوجب طلحة**» أي الجنة.

قال سعد بن أبي وقاص ﷺ: مر رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد، فلما نعو لها قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قال: خيرًا يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فأشير لها إليه، حتى إذا رآته قالت: كل مصيبة بعدك جل، تريد صغيرة، وهكذا يفعل الإيمان في نفوس المسلمين.

### 13- الأمور بخواتيمها:

إن الأمور بخواتيمها، وقد وقع في غزوة أحد ما يحقق هذه القاعدة المهمة في هذا الدين، فقد وقع حادثان يؤكدان هذا الأمر، وفيهما عظة وعبرة لكل مسلم متعظ ومعتبر.

**الأصيرم - ﷺ :**

واسمه عمرو بن ثابت بن وقش، عرض عليه الإسلام فلم يسلم، وروى قصته أبو هريرة - ﷺ - : أن الأصيرم كان يابى الإسلام على قومه، فجاء ذات يوم ورسول الله - ﷺ - وأصحابه بأحد فقال: أين سعد بن معاذ؟ فقيل: بأحد، فقال: أين بنو أخيه؟ قيل: بأحد: فسأل عن قومه فقيل: بأحد، فبدا له الإسلام فأسلم، وأخذ سيفه، ورمحه، وأخذ لأمته، وركب فرسه فعدا حتى دخل في عرض الناس، فلما رآه المسلمون قالوا: إليك عنا يا عمرو، قال: إني قد آمنت، فقاتل حتى أئخنته الجراحة، فبينما رجال من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذ هم به، فقالوا: والله إن هذا الأصيرم، ما جاء به؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث، فسألوه: ما جاء بك؟ أحذب على قومك أم رغبة في الإسلام؟ فقال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله - تعالى - ورسوله،

وأسلمت ثم أخذت سيفي فعدوت مع رسول الله - ﷺ -، ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني، وإن مت فأموالي إلى محمد يضعها حيث شاء، فذكروه لرسول الله - ﷺ - فقال: «**إنه من أهل الجنة**». وقيل: مات فدخل الجنة وما صلى من صلاة، فقال النبي - ﷺ -: «**عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ**» وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: حدثوني عن رجل دخل الجنة ولم يصل قط، فإذا لم يعرفه الناس سألوه من هو؟ قال: هو أصيرم بن عبد الأشهل.

### مخيريقي:

لما كانت غزوة أحد وخرج رسول الله - ﷺ - يقاتل المشركين، جمع مخيريقي قومه اليهود وقال لهم: يا معشر يهود، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق، قالوا: إن اليوم يوم السبت، قال: لا سبت لكم. فأخذ سيفه وعدته، وقال: إن أصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء، ثم غدا إلى رسول الله - ﷺ - فقاتل معه حتى قُتل، فقال رسول الله - ﷺ - «**مخيريقي خير يهود**».

وقد اختلف في إسلامه، فنقل الذهبي في التجريد وابن حجر في الإصابة عن الواقدي أن مخيريقي مات مسلمًا، وذكر السهيلي في الروض الأنف أنه مسلم، وذلك حين قال معقبًا على رواية ابن إسحاق عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: «**مخيريقي خير يهود**» قال: ومخيريقي مسلم، ولا يجوز أن يقال في مسلم هو خير النصارى، ولا خير اليهود؛ لأن أفعال من كذا، إذا أضيف فهو بعض ما أضيف إليه، فإن قيل: وكيف جاز هذا؟ قلنا: لأنه قال: خير يهود، ولم يقل خير اليهود، ويهود اسم علم كثمود، يقال: إنهم نسبوا إلى يهوذا بن يعقوب ثم عربت الذال دالا. وقد حقق هذه المسألة الدكتور عبد الله الشقاوي في كتابه: (اليهود في السنة المطهرة) وذهب إلى أن مخيريقي قد أسلم، ودفعه ذلك إلى القتال مع المسلمين، وإلى التصديق بماله مع كثرته، ومع ما عرف عن اليهود من حب المال والتكالب عليه.

## 14- إنما الأعمال بالنيات:

كان ممن قاتل مع المسلمين يوم أحد رجل يدعى قزمان، كان يعرف بالشجاعة، وكان رسول الله - ﷺ - يقول إذا ذكر له: إنه من أهل النار، فتأخر يوم أحد فغيرته نساء بني ظفر، فأتى رسول الله - ﷺ - وهو



يسوي الصفوف حتى انتهى إلى الصف الأول، فكان أول من رمى من المسلمين بسهم، فجعل يرسل نبلاً كأنها الرماح ويكت كتيت الجمل، ثم فعل بالسيف الأفاعيل حتى قتل سبعة أو تسعة وأصابته جراحة، فوقع فناداه قتادة بن النعمان: يا أبا الغيداق، هنيئاً لك الشهادة، وجعل رجال من المسلمين يقولون له: والله لقد أبليت اليوم يا قزمان فأبشر، قال: بماذا؟ فوالله ما قاتلت إلى على أحساب قومي، فلولا ذلك ما قاتلت، فذكر ذلك لرسول الله - ﷺ - فقال: «**إنه من أهل النار، إن الله - تعالى - يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**»

وفي هذا الخبر بيان لمكان النية في الجهاد، وإنه من قاتل حمية عن قومه أو ليقال شجاع ولم تكن أعماله لله - تعالى - لا يقبل الله منه.

### 15- قل هو من عند أنفسكم :

قال تعالى: ﴿**أولمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (ال عمران 165)

لقد نزلت هذه الآية الكريمة لكي تُشخّص الداء وتقوم حال الجماعة المسلمة بعد مخالفة الرماة أمر رسول الله ﷺ ونزولهم لأخذ الغنائم ونرك الجبل للمشركين كي يقلبوا النتائج ويحولوا سير المعركة لصالحهم ، وقد كان النصر حليف المسلمين ، كيف لا وقد رأى بعض الصحابة خلاخيل نساء المشركين وهن يهربن من هول المعركة . عندها قال ابن مسعود ؓ قوله المشهورة التي ذكرناها آنفاً: ما كنت أظن أن أحد من أصحاب محمد ﷺ يريد الدنيا حتى نزل قول الله عز وجل : ﴿**مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ**﴾

- إن المتأمل في هذه الآية يجد الصراحة والوضوح في تحديد الخطأ الذي وقعت فيه الأمة الإسلامية بدون مجاملة أو تعميم " **قل هو من عند أنفسكم** " .

- إنها الغنائم التي طالما حذر منها الحبيب ﷺ ، إنها الغنائم حينما تقفز على قائمة الأولويات والمهمات في حياة الدعاة والمصلحين فكذلك تنقلب قائمة النتائج والانتصارات .

- واليوم إذا أرادت الأمة الإسلامية وعلى رأسها الدعاة والمصلحون الانتصار والتمكين فلا بد من تحديد الخلل بصراحة ووضوح ثم العمل الجاد على الإصلاح والتغيير لا المراوغة والتبرير.

## 16- من دلائل النبوة:

أصيبت عين قتادة - رضي الله عنه - حتى سقطت على وجنتيه فردها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيده، فكانت أحسن عينيه وأحدّهما، وأصبحت لا ترمد إذا رمدت الأخرى، وقد قدم ولده على عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - فسأله من أنت؟ فقال له مرتجلا:

أنا ابن الذي سألت على الخد      فردت بكف المصطفى أحسن  
عينه      الـ  
فعدت كما كانت لأول أمرها      فيا حسنها عيناً ويا حسن ما  
خـ

فقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عند ذلك:

تلك المكارم لا قعبان من لبن      شيبا بماء فعادا بعد  
أبـ

## 17- تذكير المؤمنين بالسنن ودعوتهم للعلو الإيماني:

قال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: 137-139).

إن المتأمل في هذه الآيات الكريمة يجد أن الله سبحانه وتعالى لم يترك المسلمين لوساوس الشيطان في محنة غزوة بدر، بل خاطبهم بهذه الآيات التي بعث بها الأمل في قلوبهم، وأرشدهم إلى ما يقويهم ويثبتهم، ويمسح بتوجيهاته دموعهم ويخفف عنهم الأملهم.

قال القرطبي: هو تسلية من الله تعالى للمؤمنين.

ففي الآيات السابقة دعوة للتأمل في مصير الأمم السابقة التي كذبت بدعوة الله تعالى، وكيف جرت فيهم سنته على حسب عاداته، وهي الإهلاك والدمار بسبب كفرهم وظلمهم وفسوقهم على أمره. وجاء التعبير بلفظ كيف الدال على الاستفهام، المقصود به تصوير حالة هؤلاء المكذبين التي تدعو إلى التعجب، وتثير الاستغراب، وتغرس الاعتبار والاتعاظ في قلوب المؤمنين؛ لأن هؤلاء المكذبين مكن الله لهم في الأرض ومنحهم الكثير من نعمه، ولكنهم لم يشكروه عليها، فأهلكهم

بسبب طغيانهم .

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ دعاهم إلى ترك الضعف، ومحاربة الجبن، والتخلص من الوهن، وعدم الحزن؛ لأنهم هم الأعلون بسبب إيمانهم.

## 18- كيفية معالجة الأخطاء:

ترفق القرآن الكريم وهو يعقب على ما أصاب المسلمين في أحد على عكس ما نزل في بدر من آيات، فكان أسلوب القرآن الكريم في محاسبة المنتصر على أخطائه أشد من حساب المنكسر، فقال في غزوة بدر:

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّىٰ يَتَّخِذَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال:67].

وقال في أحد: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِأِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَارَ عَتَمٌ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:152]، وفي هذا حكمة عملية وتربوية قرآنية يحسن أن يلتزمها أهل التربية والقائمون على التوجيه.

## 19- ضرب المثل بالمجاهدين السابقين:

قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝ ﴾ [آل عمران:146-148].

قال ابن كثير: عاتب الله بهذه الآيات والتي قبلها من انهزم يوم أحد وتركوا القتال لما سمعوا الصائح يصيح بأن محمداً قد قتل، فعدلهم الله على فرارهم وتركهم القتال.

وضرب الله لهم مثلاً بإخوانهم المجاهدين السابقين، وهم جماعة كثيرة، ساروا وراء أنبيائهم في درب الجهاد في سبيل الله، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا عن الجهاد بعد الذي أصابهم منه، وما استكانوا للعدو، بل ظلوا صابرين ثابتين في جهادهم، وفي هذا تعريض بالمسلمين الذين أصابهم الوهن والانكسار عند الإرجاف بقتل رسول الله ﷺ، وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم، وضرب الله مثلاً للمؤمنين لتثبيتهم بأولئك الربانيين وبما قالوه: ﴿ **وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَرْجُلَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ (آل عمران: 147)، وهذا القول وهو إضافة الذنوب والإسراف إلى نفوسهم -مع كونهم ربانيين- هضم لها واعتراف منهم بالتقصير ودعاؤهم بالاستغفار من ذنوبهم مقدم على طلبهم تثبيت أقدامهم أمام العدو، ليكون طلبهم إلى ربهم النصر عن زكاة وطهارة وخضوع، وفي هذا تعليم للمسلمين إلى أهمية التضرع، والاستغفار وتحقيق التوبة. وتظهر أهمية ذلك في إنزال النصر على الأعداء ﴿ **فَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ أي وبذلك نالوا ثواب الدارين: النصر والغنيمة في الدنيا، والثواب الحسن في الآخرة، جزاء إحسانهم في أدب الدعاء والتوجه إلى الله، وإحسانهم في موقف الجهاد، وكانوا بذلك مثلاً يضربه الله للمسلمين المجاهدين، وخص الله تعالى ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه على ثواب الدنيا وأنه هو المعتمد عنده .

## 20- التعلق والارتباط بالدين:

قال ابن كثير: لما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد، وقتل من قتل منهم، نادى الشيطان، ألا إن محمداً قد قتل، ورجع ابن قميئة إلى المشركين فقال لهم: قتلت محمداً، وإنما كان قد ضرب رسول الله ﷺ فشجه في رأسه، فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس، واعتقدوا أن رسول الله ﷺ قد قُتل، وجوزوا عليه ذلك، كما قد قص الله عن كثير من الأنبياء عليهم السلام، فحصل ضعف ووهن وتأخر، عن القتال، ففي ذلك أنزل الله:

﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا** ﴾

**وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ** (آل عمران: 144) أي له أسوة بهم في الرسالة وفي جواز القتل عليه.

وقد جاء في تفسير الآية السابقة، أن الرسل ليست باقية في أقوامها أبداً، فكل نفس ذائقة الموت، ومهمة الرسول تبليغ ما أرسل به، وقد فعل، وليس من لوازم رسالته البقاء دائماً مع قومه، فلا خلود لأحد في هذه الدنيا، ثم قال تعالى منكرًا على من حصل له ضعف لموت النبي ﷺ أو قتله، فقال تعالى: **﴿أَفَأَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾** أي رجعتم القهقري، وقعدتم عن الجهاد، والانقلاب على الأعقاب يعني الإدبار عما كان رسول الله ﷺ يقوم به من أمر الجهاد ومتطلباته: **﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾** الذين لم ينقلبوا أو ظلوا ثابتين على دينهم متبعين رسوله حيًا أو ميتًا.

لقد كان من أسباب البلاء والمصائب التي حدثت للمسلمين يوم أحد أنهم ربطوا إيمانهم وعقيدتهم ودعوتهم إلى الله لإعلاء كلمته بشخص رسول الله ﷺ، فهذا الربط بين عقيدة الإيمان بالله ربًا معبودًا وحده وبين بقاء شخص النبي ﷺ خالداً فيهم خالطه الحب المغلوب بالعاطفة، الربط بين الرسالة الخالدة وبين الرسول ﷺ البشر الذي يلحقه الموت كان من أسباب ما نال الصحابة -رضي الله عنهم- من الفوضى والدهشة والاستغراب، ومتابعة الرسول ﷺ أساس وجوب التأسي به في الصبر على المكاره، والعمل الدائب على نشر الرسالة، وتبليغ الدعوة ونصرة الحق، وهذا التأسي هو الجانب الأغرّ من جوانب منهج رسالة الإسلام؛ لأنه الدعامة الأولى في بناء مسيرة الدعوة لإعلاء كلمة الله ونشرها في آفاق الأرض، وعدم ربط بقاء الدين واستمرار الجهاد في سبيله ببقاء شخص النبي ﷺ في هذه الدنيا.

قال ابن القيم رحمته: «إن غزوة أحد كانت مقدمة وإرهاصًا بين يدي موت رسول الله ﷺ فثبتهم ووبخهم على انقلابهم على أعقابهم إن مات رسول الله ﷺ، أو قتل، بل الواجب له عليهم أن يثبتوا على دينه وتوحيده ويموتوا عليه، أو يُقتلوا، فإنهم إنما يعبدون رب محمد، وهو لا يموت فلو مات محمد أو قتل، لا ينبغي لهم أن يصرفهم ذلك عن دينهم، وما جاء به فكل نفس ذائقة الموت، وما نُعت محمد ﷺ ليخلد، لا هو ولا هم، بل ليموتوا على الإسلام والتوحيد، فإن الموت لا بد منه، سواء

مات رسول الله ﷺ أو بقي، ولهذا وبخهم على رجوع من رجع منهم عن دينه لما صرخ الشيطان، إن محمداً قد قتل فقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: 144).

والشاكرون هم الذين عرفوا قدر النعمة، فثبتوا عليها حتى ماتوا أو قتلوا فظهر أثر هذا العتاب، وحكم هذا الخطاب يوم مات رسول الله ﷺ، وارتد من ارتد على عقبه، وثبت الشاكرون على دينهم فنصرهم الله، وأعزهم وظفرهم وجعل العاقبة لهم» (1).

في غزوة أحد نزل التشريع الإلهي بالعتاب على ما حدث منهم أثناء أحداث غزوة أحد، وعند موت الرسول ﷺ جاء التطبيق حيث (لما توفي رسول الله ﷺ أقبل أبو بكر الصديق ؓ على فرس من مسكنه بالسنة، حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة ؓ فتنيم رسول الله ﷺ وهو مغشي بثوب حبرة)، فكشف عن وجهه ﷺ ثم أكب عليه فقبله وبكى، ثم قال: «بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها» (2).

وعن ابن عباس ؓ قال: إن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر ؓ فقال أبو بكر ؓ: أما بعد من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: 144).

وقال: والله لكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها. فأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر ؓ قال: "والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر ؓ تلاها فَعَقِرْتُ حتى ما تقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى

(1) انظر: زاد المعاد (224/3).

(2) البخاري، كتاب المغازي، باب مرض رسول الله ووفاته، رقم 4454.

الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن النبي ﷺ قد مات".

## 21- تسلية المؤمنين وبيان حكمة الله فيما وقع يوم أحد:

قال تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (آل عمران: 140-143).

بين الله - سبحانه - لهم أن الجروح والقتلى يجب ألا تؤثر في جسدكم واجتهادهم في جهاد العدو؛ وذلك لأنه كما أصابهم ذلك فقد أصاب عدوهم مثله من قبل ذلك، فإذا كانوا مع باطلهم وسوء عاقبتهم لم يفوتوا لأجل ذلك في الحرب، فبأن لا يلحقكم الفتور مع حسن العاقبة والتمسك بالحق أولى.

قال صاحب الكشاف: والمعنى: إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتهم منهم قبله يوم بدر، ثم لم يضعف ذلك قلوبهم، ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال، فأنتم أولى أن لا تضعفوا. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إنه كان يوم أحد بيوم بدر، قتل المؤمنون يوم أحد، اتخذ الله منهم شهداء، وغلب رسول الله ﷺ يوم بدر المشركين فجعل الدولة عليهم. وقد ذكر الله تعالى أربع حكم لما حدث للمؤمنين في غزوة أحد وهي: تحقق علم الله تعالى وإظهاره للمؤمنين، وإكرام بعضهم بالشهادة التي توصل صاحبها إلى أعلى الدرجات، وتطهير المؤمنين وتخليصهم من ذنوبهم ومن المنافقين، ومحق الكافرين واستئصالهم رويًا رويًا» (1).

## 22- اللجوء إلى الله:

روى الإمام أحمد قال: لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال رسول الله - ﷺ -: «استوتوا حتى أثنى على ربي عز وجل»، فصاروا خلفه فصفوا فقال: «اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لمن أضللت، ولا مضل لمن هديت ولا

(1) انظر: تفسير الكشاف (465/1).

معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مبعد لما قربت: اللهم ايسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إني أسألك العون يوم العيلة، والأمن يوم الخوف، اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعتنا، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق».

### 23- أحد جبل يحبنا ونحبه:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم طلع له أحد فقال: «هذا جبل يحبنا ونحبه».

وهذا يدل على دقة شعور النبي صلى الله عليه وسلم حيث قارن بين ما كسبه المسلمون من منعة التحصن والاحتماء بذلك الجبل، وما أودعه الله تعالى فيه من قابلية لذلك، فعبر عن ذلك بأرقى وشائج الصلاة وهي المحبة، أفلا يعتبر هذا الوجدان الحي والإحساس المرهف مثلاً أعلى على التخلق بخلق الوفاء؟! ألا إن الذي يعترف بفضل الحجارة الصماء، ويفضي عليها من الأخلاق السامية ما لا يتصف به إلا أفاضل العقلاء لجدير به أن يعترف بأدنى فضل يكون من بني الإنسان، وإن كان وفاؤه للجماد قد سما حتى حاز أرقى العبارات وأرقها، فأخلق ببني الإنسان الأوفياء أن ينالوا منه أعظم من ذلك، فضلاً عما تجمعهم بهم الأخوة في الله تعالى .

### 24- الملائكة في أحد:

قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: " رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد، رجلين عليهما ثياب يقاتلان عنه كأشد القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد، يعني جبريل وميكائيل، عليهما السلام" (1). وهذا

(1) مسلم، كتاب الفضائل، باب في قتال جبريل وميكائيل (1802/4).



خاص بالدفاع عن النبي ﷺ؛ لأن الله تكفل بعصمته من الناس، ولم يصح أن الملائكة قاتلت في أحد سوى هذا القتال، ذلك لأن الله تعالى وعدهم أن يمدهم؛ وجعل وعده معلقًا على ثلاثة أمور: الصبر والتقوى وإتيان الأعداء من فورهم، ولم تتحقق هذه الأمور فلم يحصل الإمداد(1)، قال تعالى:

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمدِّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمدِّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (آل عمران: 124، 125).

## 25- وما النصر إلا من عند الله:

النصر ابتداءً وانتهاءً، بيد الله عز وجل، وليس ملكًا لأحد من الخلق، يهبه الله لمن يشاء ويصرفه عن من يشاء، مثله مثل الرزق، والأجل والعمل:

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال: 10).

وحيث يقدر الله تعالى النصر، فلن تستطيع قوى الأرض كلها الحيلولة دونه، وحيث يقدر الهزيمة، فلن تستطيع قوى الأرض أن تحول بينه وبين الأمة، قال تعالى:

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (آل عمران: 160).

ولكن هذا النصر له نواميس ثابتة عند الله عز وجل، نحن بحاجة إلى فقها، فلا بد أن تكون الرؤية خالصة لله سبحانه عند الذين يمثلون جنده، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: 7). ونصر الله في الاستجابة له، والاستقامة على منهجه والجهاد في سبيله.

## 26- استخراج العبودية في السراء والضراء :

ومن الحكم والدروس استخراج الله عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء وفيما يحبون وما يكرهون وفي حال ظفرهم وظفر أعدائهم بهم فإذا ثبتوا على الطاعة والعبودية فيما يحبون وما يكرهون فهم عبيده حقا وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء والنعمة والعافية .

## 27- حكمة تبدل الأحوال :

ومن الحكم والدروس أنه سبحانه لو نصرهم دائماً وأظفرهم بعدوهم في كل موطن وجعل لهم التمكين والقهر لأعدائهم أبدا لظغت نفوسهم، وشمخت، وارتفعت؛ فلو بسط لهم النصر والظفر لكانوا في الحال التي يكونون فيها لو بسط لهم الرزق فلا يصلح عباده إلا السراء والضراء والشدّة والرّخاء والقبض والبسط فهو المدبر لأمر عباده كما يليق بحكمته إنه بهم خبير بصير .

## 28- الخضوع لجبروته تعالى :

ومن الحكم والدروس أن الله إذا امتحنهم بالغلبة والكسرة والهزيمة ذلوا وانكسروا وخضعوا فاستوجبوا منه العز والنصر فإن خلعة النصر إنما تكون مع ولاية الذل والانكسار قال تعالى :

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ (آل عمران 123)، وقال:

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْنًا﴾ (التوبة 25)، فهو

- سبحانه - إذا أراد أن يعز عبده ويجبره وينصره كسره أولاً ويكون جبره له ونصره على مقدار ذلّه وانكساره .

## 29- رفع منازلهم :

الله سبحانه وتعالى هيا لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لم تبلغها أعمالهم، ولم يكونوا بالغياها إلا بالبلاء والمحنة فقيض لهم الأسباب التي توصلهم إليها من ابتلائه وامتحانه كما وفقهم للأعمال الصالحة التي هي من جملة أسباب وصولهم إليها<sup>(1)</sup>.

(1) زاد المعاد لابن القيم.

### 30- تحريضهم على الجد في العبودية لله:

ومن الحكم والدروس أن النفوس تكتسب من العافية الدائمة والنصر والغنى طغياناً وركوناً إلى العاجلة وذلك مرض يعوقها عن جدها في سيرها إلى الله والدار الآخرة فإذا أراد بها ربها ومالكها وراحمها كرامته قيص لها من الابتلاء والامتحان ما يكون دواء لذلك المرض العائق عن السير الحثيث إليه فيكون ذلك البلاء والمحنة .

### 31- تربية الأبناء على حب الجهاد:

ذكر الواقدي في المغازي في سياق رواية له " وعرض عليه غلمان عبد الله بن عمر ، وزيد بن ثابت ، وأسامة بن زيد والنعمان بن بشير وزيد بن أرقم والبراء بن عازب ، وأسيد بن ظهير ، وعرابة بن أوس ، وأبو سعيد الخدري ، وسمرة بن جندب ، ورافع بن خديج ، فردهم . قال رافع بن خديج ، فقال ظهير بن رافع يا رسول الله إنه رام وجعلت أطاول وعلي خفان لي . فأجازني رسول الله ﷺ . فلما أجازني قال سمرة بن جندب لربيبة مري بن سنان الحارثي ، وهو زوج أمه يا أبت أجاز رسول الله ﷺ رافع بن خديج وردني ، وأنا أصرع رافع بن خديج . فقال مري بن سنان الحارثي : يا رسول الله رددت ابني وأجزت رافع بن خديج وابني يصرعه . فقال رسول الله ﷺ : «**تصارعاً**» فصرع سمرة رافعا فأجازه رسول الله ﷺ - وكانت أمه امرأة من بني أسد . وقال ابن هشام : وأجاز رسول الله ﷺ يومئذ سمرة بن جندب الفزاري ورافع بن خديج ، أخا بني حارثة وهما ابنا خمس عشرة سنة وكان قد ردهما ، فقيل له يا رسول الله إن رافعا رام ، فأجازه فلما أجاز رافعا ، قيل له يا رسول الله فإن سمرة يصرع رافعا ، فأجازه ورد رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وعبد الله بن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت ، أحد بني مالك بن النجار والبراء بن عازب ، أحد بني حارثة ، وعمرو بن حزم ، أحد بني مالك بن النجار وأسيد بن ظهير ، أحد بني حارثة ثم أجازهم يوم الخندق ، وهم أبناء خمس عشرة سنة . في هذا الخبر دليل كاف على حب الصحابة للجهاد وارتفاع مستواهم التربوي، حيث حببوا الجهاد لأبنائهم فأصبح غلمانهم يتسابقون في ميادين الجهاد.

### 32- الحذر من اليهود:

قال ابن هشام : وذكر غير زياد عن محمد بن إسحاق عن الزهري : أن الأنصار يوم أحد ، قالوا لرسول الله ﷺ يا رسول الله ألا نستعين بحلفائنا من يهود ؟ فقال: « لا حاجة لنا فيهم ». وفي هذا الموقف الحذر من النبي ﷺ من اليهود يدلنا على بعد نظره فهو يعلم من عداوة اليهود للمسلمين ما لا يعلمه الأنصار الذين يظنون أن حلف اليهود لهم وهم في الجاهلية قد بقي على ما هو عليه بعد إسلامهم لكن الحال أن اليهود أشد عداوة من المشركين . ولكنهم يبطنون العداوة .

### 33- الجهاد يلزم بالشروع فيه ويتعين إذا طرق العدو ديار

#### المسلمين :

يقول ابن القيم في الزاد: " أن الجهاد يلزم بالشروع فيه حتى إن من لبس لامته وشرع في أسبابه وتأهب للخروج ليس له أن يرجع عن الخروج حتى يقاتل عدوه كما فعل النبي ﷺ ذلك وكذلك لا يجب على المسلمين إذا طرقتهم عدوهم في ديارهم الخروج إليه بل يجوز لهم أن يلزموا ديارهم ويقاتلوه فيها إذا كان ذلك أنصر لهم على عدوهم كما أشار به رسول الله ﷺ عليهم يوم أحد.

### 34- يُدفن الشهداء في مصارعهم :

ومن الدروس أن السنة في الشهداء أن يُدفنوا في مصارعهم ولا ينقلوا إلى مكان آخر فإن قوماً من الصحابة نقلوا قتلاهم إلى المدينة فنأى منادي رسول الله ﷺ بالأمر برد القتلى إلى مصارعهم قال جابر: بينا أنا في النظارة إذ جاءت عمتي بأبي وخالي عادلتها على ناضح فدخلت بهما المدينة لندفنهما في مقابرنا وجاء رجل ينادي : "ألا إن رسول الله ﷺ يأمركم أن ترجعوا بالقتلى فتدفنوها في مصارعها حيث قتلت . قال فرجعنا بهما فدفناهما في القتلى حيث قتلا فبينما أنا في خلافة معاوية بن أبي سفيان إذ جاءني رجل فقال: يا جابر والله لقد أثار أباك عمال معاوية فبدا فخرج طائفة منه قال فأتيته فوجدته على النحو الذي تركته لم يتغير منه شيء . قال فواريته فصارت سنة في الشهداء أن

يدفنوا في مصارعهم (1).

### 35- يجوز دفن الثلاثة في القبر الواحد :

ومن الدروس جواز دفن الرجلين أو الثلاثة في القبر الواحد فإن رسول الله ﷺ كان يدفن الرجلين والثلاثة في القبر ويقول أيهم أكثر أخذاً للقرآن فإذا أشاروا إلى رجل قدمه في اللحد ودفن عبد الله بن عمرو بن حرام وعمرو بن الجموح في قبر واحد لما كان بينهما من المحبة فقال ادفنوا هذين المتحابين في الدنيا في قبر واحد.

### 36- كرامات ومعجزات في أحد:

**رد عين قتادة بن النعمان:**

روى أبو يعلى وأبو نعيم من طريق عاصم بن عمر بن قتادة، عن أبيه عن جده: أنه أصيبت عينه يوم أحد فسالت حدقته على وجنته، فأرادوا قطعها، فسألوا رسول الله ﷺ، فقال: « لا »، فدعا به فغمز عينه براحته، فكان لا يدري أي عينيه أصيبت، وله طرق تأتي في المعجزات.

ومنها إخباره عن رجل قاتل الكفار قتالاً شديداً إنه من أهل النار قتل نفسه.

وتقدم بيان ذلك.

**انقلاب العسيب سيفاً:**

قال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن سعيد بن عبد الرحمن الجحشي: أخبرنا أشياخنا أن عبد الله بن جحش جاء إلى النبي ﷺ، يوم أحد، وقد ذهب سيفه فأعطاه النبي ﷺ عسيباً من نخل، فرجع في يد عبد الله سيفاً.

قال الزبير بن بكار في "الموفقيات": إن قائمة منه، وكان يسمى العرجون، ولم يزل يتناقل حتى بيع من بغاء التركي بمائتي دينار.

**عدم استطاعة هند أكل شيء من كبد حمزة:**

قال ابن سعد: أخبرنا هوزة بن خليفة، حدثنا عوف بن محمد قال: بلغني أن هنداً بنت عتبة بن ربيعة جاءت يوم أحد، وكانت نذرت لئن

(1) زاد المعاد، باب ما جاء في الحكم والدروس من أحد.

قدرت على حمزة لتأكلن من كبده، فجاءوا بجزء من كبد حمزة أخذتها تمضغها لتأكلها، فلم تستطع أن تبتلعها فلفظتها فبلغ ذلك رسول الله ﷺ: فقال: **«إن الله تعالى حرم على النار أن تذوق من لحم حمزة شيئاً أبداً»**.

ومنها: أن رجلاً قال: اللهم إن كان محمد على الحق فاخسف به، يعني نفسه، فخسف به، كما رواه البزار بسند حسن، عن بريدة.  
ومنها: وجدان أنس بن النضر وسعد بن الربيع رائحة الجنة، كما تقدم في القصة.  
ومنها: تغسيل الملائكة لحمزة وحنظلة، كما تقدم.  
ومنها: تظليل الملائكة لعبد الله والد جابر، كما رواه الشيخان.

### 37- قول فداك أبي وأمي لسعد منه ﷺ:

قال علي رضي الله عنه: « ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد: فداك أبي وأمي إلا لسعد يوم أحد ».  
رواه البخاري وغيره، وروى أيضاً عنه: « ما جمع رسول الله ﷺ بين أبويه لأحد إلا لسعد »<sup>(1)</sup>.  
قال في الروض: والرواية الأولى أصح، والله أعلم، لأنه أخبر أنه لم يسمع، وقد قال الزبير بن العوام: إنه ﷺ جمع له أيضاً أبويه، كما رواه الزبير بن بكار في كتاب النسب.  
قال السهيلي: وفقه هذا الحديث أن هذا الكلام جائز لمن كان أبواه غير مؤمنين، وأما إذا كانا مؤمنين فلا، لأنه كالعقوق لهما، كذلك سمعت شيخنا أبا بكر بن العربي يقول في هذه المسألة.  
قلت: قال الإمام النووي في كتابه " حلية الأبرار ": المذهب الصحيح المختار أنه لا يكره قول الإنسان لغيره: فداك أبي وأمي، أو جعلني الله فداك.  
وقد تظاهرت على جواز ذلك الأحاديث المشهورة في الصحيحين وغيرهما، وسواء كان الأبوان مسلمين أو كافرين، وكره ذلك بعض العلماء إذا كان مسلمين.  
قال النحاس: وكره مالك بن أنس: « جعلني الله فداك »، وأجازه

(1) أخرجه البخاري في كتاب الأدب (6184) (2) أخرجه البخاري في كتاب المغازي (4059).

بعضهم.  
قال القاضي عياض رحمه الله: ذهب جمهور العلماء إلى جواز ذلك، سواء كان المفدى به مسلماً أو كافراً.  
قال النووي: قد جاء من الأحاديث الصحيحة في جواز ذلك ما لا يحصى<sup>(1)</sup>.

### 38- جواز التداوي:

في مداواته ﷺ جرحه إشارة إلى جواز التداوي، وأن الأنبياء ﷺ قد يصابون ببعض العوارض الدنيوية من الجراحات والآلام والأسقام، ليعظم لهم بذلك الأجر، وتزداد درجاتهم، وليتأسى بهم أتباعهم في الصبر على المكاره، والعاقبة للمتقين.

### 39- سنة الله في رسله:

إن من عادة الرسل أنهم يبتلون وتكون العاقبة لهم، تكون الحرب بينهم وبين أعدائهم سجالاً، ولا ينتصرون مرة واحدة، لأنهم لو انتصروا مرة واحدة لدخل في الدين من لم يكن من أهله، وما عرف المؤمن من المنافق، يقول تعالى: ﴿ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ \* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ (العنكبوت: 2-3)، فميز الله بهذا بين المؤمن والمنافق، فلو كانت المسألة مسألة نصر وعافية ونعمة لدخل في الدين من ليس من أهل الدين، ولكنه ﷺ ابتلي مرة وانتصر مرة، ولو هزم الرسول ﷺ دائماً لما تمت الرسالة الخالدة، ولما أخرج الله الناس من الظلمات إلى النور، ولما تم المقصود من الرسالة، ولو انتصر دائماً لدخل في الدين غير أهل الدين، ولكن غلب مرة؛ وانتصر مرة، ليميز الله الخبيث من الطيب، والعاقبة لرسول الله ﷺ وللمؤمنين والمتقين، وانتصر الإسلام، وارتفعت مآذن الإسلام في كل مكان، وبقي صوت الحق مدوياً ودمغ الباطل وزهق إنه كان زهوقاً.

(1) أنظر سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للصالح الشامي، طبعة الأولى 1414 هـ - 1993 م دار الكتب

## 40- في تأخير النصر عبرة:

إن في تأخير النصر في بعض المواطن هضماً للنفس وكسراً لشموخها وجماحها، لأن النفس إذا أنعم عليها جمحت وشمخت إلا من رحم الله، فلو أن الرسول ﷺ انتصر في كل معركة، وانتصر في كل موقف هو وأصحابه لدخل بعض الصحابة شيء من العجب والتيه، وشيء من الزهو، لكن أراد الله أن يربيههم بالمعارك، مرة نصر ومرة هزيمة، وفي الخاتمة نصر لا هزيمة بعده للإسلام، لذلك لما أتت في معركة حنين قال بعض الصحابة: لن نغلب اليوم من قلة، فانهزموا في أول المعركة ثم انتصروا بعد أن تلقوا تأديباً، وأنت إذا بقي جسمك معافى بلا أمراض ولا ابتلاءات دخلك من العجب ما الله به عليم، والله عز وجل يعرف النفوس فيداويها.

لعل عتبك محمودٌ عواقبه وربما صحت الأجسام بالعلل  
ربما يكون في صحة جسمك المرض، وفي صحة قلبك الفقر والابتلاء،  
فإنه سبحانه وتعالى أعلم.

## 41- جواز الغزو بالنساء والاستعانة بهن في الجهاد :

ومن دروس هذه الغزوة جواز الغزو للنساء؛ فقد كانت غزوة أحد أول معركة في الإسلام تشارك فيها نساء المسلمين، وكان لهذا أثر بالغ في سقي المحاربين وتضميد الجرحى، وقد ظهرت بطولات النساء وصدق إيمانهن في هذه المعركة، فقد خرجن لكي يسقين العطشى ويداوين الجرحى، ومنهن من قامت برد ضربات المشركين الموجهة للرسول ﷺ فإن النساء شاركن في معركة أحد ، وأفضل من شارك في المعركة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء فقد شاركت فاطمة وأنت إلى أبيها ﷺ فأعطته ماء، وغسلت الجراح عنه، وأحرقت بعض السعف ثم حشته في الجراح.

وحضرت نسيبة الأنصارية وقاتلت حتى يقول عليه الصلاة والسلام: « ما التفت في جهة إلا وجدتتها تقاتل عني »، فرضي الله عنها ، وممن شاركن في غزوة أحد أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق، وأم عمارة، وحمنة بنت جحش الأسدية، وأم سليط، وأم سليم، ونسوة



من الأنصار (1).

وكانت النساء يوم أحد يزفرن القرب، ويملأنها للمقاتلين؛ ولذلك حين أتى إلى عمر رضي الله عنه في خلافته بشيء من الذهب والفضة فأعطى أم سليط وترك نساءه، فقلن له رضي الله عنه : تعطي أم سليط وتتركنا؟ قال: إن أم سليط لا أنسى موقفها يوم أحد ، كانت تملأ القرب للمسلمين، فانظر كيف قدمها رضي الله عنه بهذا وترك نساءه، فرحم الله تلك العظام، وأسكنها فسيح الجنان.

## 42- جواز الاستماتة:

قال أهل العلم ومنهم ابن القيم بجواز الاستماتة ، أي: الإقدام على الهلاك والاقترام في القتل، كما فعل أنس بن النضر ، فإنه ألقى درعه وكسر غمد سيفه، واقتحم حتى لقي العدو حاسراً وفي بعض الآثار: « **إِنَّ رَبَّكَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَضْحَكُ لِلْعَبْدِ يَلْقَى الْعَدُوَّ حَاسِراً** » أي: لا درع عليه حتى يقاتل ويقتل، وليس ذلك من الهلكة.

ولذلك لما حضر أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه بمعركة جهة القسطنطينية في بلاد الروم فألقى أحد المجاهدين بنفسه واستمات في المعركة، فقال بعض الناس المتأخرين في الإسلام: أما يقول الله عز وجل: **﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾** (البقرة: 195)، قال: لا.

إن التهلكة هي أن يمسك المال أو ألا يقاتل في سبيل الله. وطلب أبو أيوب رضي الله عنه من الصحابة أن يدفنوه في آخر بقعة من بقاع المسلمين وأول بقعة من بقاع الكفار، قال: حتى أبعث يوم القيامة من قبوري وأنا مسلم بين كفار.

## 43- صلاة الإمام إذا أصابته جراحة:

إن الإمام إذا أصابته جراحة صلى قاعداً وصلى الناس وراءه قعوداً، وهذه الفائدة أخذها ابن القيم ؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم صح عنه أنه في أحد صلى الفريضة إما الظهر وإما العصر قاعداً من كثرة الجراح، وصلى الناس وراءه قعوداً، فإذا كان الإمام الراتب إمام الحي العالم يصلي قاعداً لعذر، فللناس أن يصلوا وراءه قعوداً، وفرق بعض أهل

العلم فقالوا: إن ابتدأ قاعداً فيبتدون معه قعوداً، وإن طرأ عليه القعود في أثناء الصلاة فيواصلون قياماً وبسط هذه المسألة في مجال آخر.

#### 44- قاتل نفسه في النار:

إنَّ المسلم إذا قتل مسلماً أو قتل نفسه فهو من أهل النار، إذا قتل المسلم نفسه فهو من أهل النار؛ لأن رجلاً اسمه قزمان حضر معركة أحد ، وقاتل فلما أصابته جراحة، لم يصبر ولم يحتسب، فأخذ سيفه وسله واتكأ عليه حتى خرج سيفه من ظهره، فأوحى الله عز وجل إلى رسوله أحاديث: « **بادرني عبدي بنفسه حرّمت عليه الجنة** »، فحرامٌ على المسلم أن يقتل نفسه مهما أصابته الابتلاءات.

#### 45- الشهيد لا يغسل والجنب يغسل:

إنَّ السنة ألا يغسّل ولا يصلى على شهيد المعركة، أما التغسيل فمعروف، وأما الصلاة عليه فإنه ورد في آثار عند الطحاوي و النسائي أن الرسول ﷺ صلى على بعض الشهداء، وورد في حديث صحيح أنه ترك الصلاة على بعضهم، قال ابن القيم في تهذيب السنن : الإمام مخير إن شاء صلى وإن شاء ترك، وفي صحيح البخاري أن الرسول ﷺ وقف على شهداء أحد يُصلي عليهم كالمودع لهم، قيل: هذا الدعاء، وإلا فإنه لم يصل عليهم في الحال، فالإمام مخير في شهداء المعركة؛ أن يصلي أو يترك، وأكثر أحواله ﷺ أنه ما صلى على شهداء المعركة، لأن الصلاة تركية والله قد زكاهم.

والشهيد إذا كان جنباً غسل قاله ابن القيم ، لأن حنظلة بن أبي عامر ؓ كان مع زوجته فلما سمع داعي الله خرج جنباً وباع نفسه، فقتل في المعركة، فقال عليه الصلاة والسلام: « **سلوا أهله ماله؟ قالوا: خرج جنباً ولم يغتسل، قال: والذي نفسي بيده، لقد رأيت الملائكة تغسله بين السماء والأرض في صحاف من ذهب بماء المزن** »، فاستدل بذلك بعض أهل العلم على أن الجنب إذا عُلم أنه مات جنباً وهو من الشهداء أنه يغسل وقد رجح ذلك ابن القيم.

#### 46- النعاس في الخوف والحرب نعمة جليلة:

إنَّ النعاس في الخوف والحرب نعمة، وفي الصلاة ومجالس

الذكر غفلة، ففي معركة أحد لما أراد الله أن يمن على الرسول ﷺ وعلى الصحابة، أصابهم نعاس حتى سقط سيف أبي طلحة من يده كما قال أنس قال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ (الأَنْفَال: 11) أي: سكينه وهدوءاً، وراحة لقلوبكم، فهو في الخوف والحرب أمانةً وهُدوءٌ من الله، ولكنه في الصلاة وفي مجالس الذكر من الشيطان.

ومن تمام ثبات قلب المؤمن أن ينعس في المعركة، ومشاهير الشجعان في الإسلام كانوا ينعسون وسط المعركة علامة على قوة قلوبهم، وقد ذكر ابن كثير عن شبيب بن يزيد الخارجي البطل الكبير وهو من قوادهم ما سمع بأشجع منه بعد الصحابة، يقول ابن كثير في البداية والنهاية: كان في ستين رجلاً يلقي ثلاثة آلاف فيهمزهم، وكان ينعس قبيل المعركة على بغلته، وهذا من شجاعة قلبه ومن حماسته ينعس والصفوف أمامه، حتى إن زوجته واسمها غزالة، دخلت الكوفة، فأرهبت الكوفة كلها، والحجاج كان أمير الكوفة في عهداها، فلما دخلت من باب الكوفة الشرقي خرج هو من الغربي، فدخلت بعمود في يديها تضرب باب الإمارة وتقول للحجاج: اخرج يا عدو الله، ثم ارتقت المنبر منبر الجامع، فخطبت خطبة، فيقول أحد المسلمين للحجاج: يا ذليل تقتل علماء المسلمين وتقتل ضعفاء المسلمين، ولما أتت غزالة الخارجية هربت منها.

أسدٌ علي وفي الحروب فتخاء تنفر من صفير  
نعامة الصافر  
هلا برزت إلى غزالة في أم كان قلبك في جناحي  
الوغي طائر

#### 47- متابعة حركة العدو وكتمان الأخبار:

كان العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه يرقب حركات قريش واستعداداتها العسكرية، فلما تحرك هذا الجيش بعث العباس رسالة مستعجلة إلى النبي ﷺ، ضمنها جميع تفاصيل الجيش، وأسرع رسول العباس بإبلاغ الرسالة وجد في السير، حتى إنه قطع الطريق بين مكة والمدينة، التي تبلغ مساحتها خمسمائة كيلومتر، في ثلاثة أيام وسلم

الرسالة إلى النبي ﷺ وهو في مسجد قباء (1).

كان النبي ﷺ يتابع أخبار قريش بدقة بواسطة عمه العباس، قال ابن عبد البر: "وكان ﷺ يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله ﷺ، وكان المسلمون يتقون به بمكة، وكان يحب أن يقدم على رسول الله فكتب إليه رسول الله ﷺ: أن مقامك في مكة خير" (2).

كانت المعلومات التي قدمها العباس لرسول الله ﷺ دقيقة فقد جاء في رسالته: "أن قريشاً قد أجمعت المسير إليك، فما كنت صانعاً إذا حلوا بك فاصنعه، وقد توجهوا إليك وهم ثلاثة آلاف وقادوا مائتي فرس وفيهم سبعمائة نراع وثلاثة آلاف بعير، وأوعبوا (3) من السلاح" (4).

لم يكتف النبي ﷺ بمعلومات المخابرات المكية، بل حرص على أن تكون معلوماته عن هذا العدو متجددة مع تلاحق الزمن، وفي هذا إرشاد لقادة المسلمين بأهمية متابعة الأخبار التي يتولد عنها وضع خطط واستراتيجيات نافعة، ولذلك أرسل ﷺ الحباب بن المنذر بن الجموح إلى قريش يستطلع الخبر، فدخل بين جيش مكة وحزر عدده وعدده ورجع، فسأله رسول الله ﷺ: «ما رأيت؟» قال: رأيت أي رسول الله عدداً، حزرتهم ثلاثة آلاف يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً، والخيل مائتي فرس، ورأيت دروعاً ظاهرة حزرتها سبعمائة درع، قال: «هل رأيت ظعنًا؟» قال: رأيت النساء معهن الدفاف والأكبار (5) ... فقال رسول الله ﷺ: «أردن أن يحرضن القوم ويذكرونهم قتلى بدر، هكذا جاءني خبرهم لا تذكر من شأنهم حرفاً، حسبنا الله ونعم الوكيل، اللهم بك أجول وبك أصول» (6).

كما أرسل ﷺ أنساً ومونساً ابني فضالة ينتصتان أخبار قريش، فألفياها قد قاربت المدينة، وأرسلت خيلها وإبلها ترعى زروع يثرب المحيطة بها، وعادا فأخبراه بخبر القوم (7).

(1) انظر: الرحيق المختوم للمباركفوري، ص 250.

(2) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (812/2).

(3) أوعبوا: خرجوا بجميع ما عندهم من السلاح.

(4) انظر: مغازي الواقدي (204/1).

(5) الأكبار: جمع كبر: والكبر هو: الطبل الذي له وجه واحد وهو فارسي معرب.

(6) انظر: مغازي الواقدي (207/1، 208).

(7) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (187/2).

وبعد أن تأكد من المعلومات حرص ﷺ على حصر تلك المعلومات على المستوى القيادي، خوفاً من أن يؤثر هذا الخبر على معنويات المسلمين قبل إعداد العدة، ولذلك حين قرأ أبي بن كعب رسالة العباس أمره ﷺ بكتمان الأمر، وعاد مسرعاً إلى المدينة، وتبادل الرأي مع قادة المهاجرين والأنصار في كيفية مواجهة الموقف، وكان ﷺ قد أطلع سيد الأنصار سعد بن الربيع على خبر رسالة العباس فقال: والله إني لأرجو أن يكون خيراً، فاستكتمه إياه، فلما خرج رسول الله ﷺ من عند سعد، قالت له امرأته: ما قال لك رسول الله؟ فقال لها: لا أم لك، أنت وذاك، فقالت: قد سمعت ما قال لك، فأخبرته بما أسر به الرسول ﷺ فاسترجع سعد، وقال: يا رسول الله، إني خفت أن يفشو الخبر فتري أنني أنا المفشي له وقد استكتمتني إياه، فقال رسول الله ﷺ: «**خَلِّ عَنْهَا**»<sup>1</sup>.

وفي هذه الحادثة درس بالغ للعسكريين وتحذيرهم من إطلاع زوجاتهم على أسرارهم العسكرية، وخططهم وأوامرهم، وينبغي الحذر من إفشاء مثل هذه الأسرار لأن إفشاءها يهدد الأمة ومستقبلها بكارثة كبرى.

إن تاريخ الأمم والشعوب في القديم والحديث يحدثنا أن كثيراً من الهزائم والمآسي والآلام قد حلت بكثير من الأمم نتيجة لتسرب أسرار الجيوش إلى أعدائها عن طريق زوجة خائنة، أو خائن في ثوب صديق، أو قريب في الظاهر عدو في الحقيقة والواقع<sup>(2)</sup>.

## 48- دروس في الصبر تقدمها الصحابيات للأمة:

### أ- صفة بنت عبد المطلب رضي الله عنها:

لما استشهد أخوها حمزة بن عبد المطلب ﷺ في أحد وجاءت لتتظر إليه وقد مثل به المشركون؛ فجدعوا أنفه وبقروا بطنه، وقطعوا أذنيه ومذاكيره، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام: «القتها فأرجعها، لا تری ما بأخيها» فقال لها: يا أمه إن رسول الله ﷺ يأمرک أن ترجعی، قالت: ولم؟ وقد بلغني أنه قد مثل بأخي، وذلك في الله، فما أَرْضَانَا بما كان من ذلك، لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله.

(1) انظر: السيرة الحلبية (2/489).

(2) انظر: غزوة أحد لأبي فارس، ص 22.

فلما جاء الزبير بن العوام رضي الله عنه إلى رسول الله فأخبره بذلك، قال: **«خَلَّ سَبِيلَهَا»** فأتته فنظرت إليه، فصلت عليه واسترجعت(1)، واستغفرت له(2).

### ب- حمنة بنت جحش رضي الله عنها:

لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من دفن أصحابه رضي الله عنهم - ركب فرسه وخرج المسلمون حوله راجعين إلى المدينة، فلقيته حمنة بنت جحش، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«يا حمنة: «احتسبي»** قالت: من يا رسول الله؟ قال: **«أخوك عبد الله بن جحش»** قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، غفر الله له، هنيئاً له الشهادة، ثم قال لها: **«احتسبي»** قالت: من يا رسول الله؟ قال: **«خالك حمزة بن عبد المطلب»** قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، غفر الله له، هنيئاً له الشهادة، ثم قال لها: **«احتسبي»** قالت: من يا رسول الله؟ قال: **«زوجك مصعب بن عمير»**، قالت: واحزنانه، وصاحت وولولت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إن زوج المرأة منها ليمكان»** لما رأى من تثبتها على أخيها وخالها، وصياحها على زوجها ثم قال لها: **«ولم قلت هذا؟»** قالت: يا رسول الله ذكرت يتم بنيه فراعني، فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولولدها أن يحسن الله تعالى عليهم من الخلف(3). فتزوجت طلحة بن عبيد الله فولدت منه محمداً وعمران وكان محمد بن طلحة أوصل الناس لولدها(4).

### ج- المرأة الدينارية رضي الله عنها:

قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بني دينار، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد، فلما نعوا لها قالت: فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أروني حتى أنظر إليه، فأشير لها إليه، حتى إذا رآته قالت: كل مصيبة بعدك جلل(5)، تريد صغيرة، وهكذا يفعل الإيمان في نفوس المسلمين.

### د- أم سعد بن معاذ وهي كبشة بنت عبيد الخزرجية رضي الله عنها:

(1) استرجعت، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (108/3).

(3) انظر: البداية والنهاية (47/4)، غزوة أحد دراسة دعوية، ص 236.

(4) انظر: غزوة أحد لأبي فارس، ص 109.

(5) انظر: البداية والنهاية (48/4).

خرجت أم سعد بن معاذ تعدو نحو رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ واقف على فرسه، وسعد بن معاذ أخذ بعنان فرسه، فقال سعد: يا رسول الله، أمي، فقال رسول الله: «**مرحبًا بها**» فذنت حتى تأملت رسول الله فقالت: أما إذا رأيتك سالمًا، فقد أشوت<sup>1</sup> المصيبة، فعزاها رسول الله ﷺ بعمر بن معاذ ابنها، ثم قال: «**يا أم سعد، أبشري وبشري أهلكهم أن قتلهم قد تراقفوا في الجنة جميعًا، وهم اثنا عشر رجلاً، وقد شفّعوا في أهلكهم**» قالت: رضينا يا رسول الله، ومن يبكي عليهم بعد هذا؟ ثم قالت: ادع يا رسول الله لمن خلفوا. فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم أذهب حزن قلوبهم، واجبر مصيبتهم، وأحسن الخلف على من خلفوا**»<sup>(2)</sup>.

#### 49- أهمية الشورى:

بعد أن جمع ﷺ المعلومات الكاملة عن جيش كفار قريش جمع أصحابه رضي الله عنهم وشاورهم في البقاء في المدينة والتحصن فيها أو الخروج لملاقاة المشركين، وكان رأي النبي ﷺ البقاء في المدينة، وقال: «**إنا في جنة حصينة**»<sup>3</sup> فإن رأيتم أن تقيموا وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام، وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها، وكان رأي عبد الله بن أبي ابن سلول<sup>(4)</sup> مع رأي رسول الله ﷺ إلا أن رجلاً من المسلمين ممن كان فاته بدر قالوا: يا رسول الله، اخرج بنا إلى أعدائنا.

من الواضح أن الرسول ﷺ عوّد أصحابه على التصريح بأرائهم عند مشاورته لهم حتى ولو خالفت رأيه، فهو إنما يشاورهم فيما لا نص فيه تعويدياً لهم على التفكير في الأمور العامة ومعالجة مشاكل الأمة، فلا فائدة من المشورة إذا لم تقترن بحرية إبداء الرأي، ولم يحدث أن لام الرسول ﷺ أحداً؛ لأنه أخطأ في اجتهاده ولم يوفق في رأيه، وكذلك فإن الأخذ بالشورى ملزم للإمام، فلا بد أن يطبق الرسول ﷺ التوجيه القرآني: ﴿ **فِيمَا رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّيْت لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفُضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا**

(1) أشوت: صارت صغيرة خفيفة.

(2) انظر: مغازي الواقدي (315/1، 316).

(3) انظر: تاريخ الطبري، (60/2).

(4) انظر: غزوة أحد دراسة دعوية، ص82.

**عَزَمْتُ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** (آل عمران: 159)، لتعتاد على ممارسة الشورى وهنا يظهر الوعي السياسي عند الصحابة رضوان الله عليهم، فرغم أن لهم إبداء الرأي، فإنه ليس لهم فرضه على القائد، فحسبهم أن يبينوا رأيهم ويتركوا للقائد حرية اختيار ما يترجح لديه من الآراء، فلما رأوا أنهم أحووا في الخروج وأن الرسول ﷺ عزم على الخروج بسبب إلحاحهم، عادوا فاعتذروا إليه، لكن الرسول الكريم علمهم درساً آخر هو من صفات القيادة الناجحة وهو عدم التردد بعد العزيمة والشروع في التنفيذ، فإن ذلك يزعزع الثقة بها ويغرس الفوضى بين الأتباع<sup>1</sup>.

### 50- تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة :

عند خروجه ﷺ إلى الغزوة قال لأصحابه: **«من رجل يخرج بنا على القوم من طريق لا يمر بنا عليهم؟»** فأبدى أبو خيثمة ﷺ استعداده قائلاً: أنا يا رسول الله، فنفذ به في حرة بني حارثة وبين أموالهم، حتى سلك به في مال لربيعي بن قبيصة، وفي رواية ابن هشام: لمربع بن قبيصة وكان رجلاً منافقاً ضرير البصر، فلما أحس برسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين، قام يحنو في وجوههم التراب، وهو يقول: إن كنت رسول الله فلا أحل لك أن تدخل حائطي، وقد ذكر أنه أخذ حفنة من تراب بيده، ثم قال: والله لو أعلم أنني لا أصيب بها غيرك يا محمد، لضربت بها وجهك، فابتدره القوم ليقتلوه، فقال لهم: **«لا تقتلوه، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر»**، وقد بدر إليه سعد بن زيد أخو بني الأشهل<sup>2</sup> قبل نهي رسول الله عنه، فضربه بالقوس في رأسه فشجه<sup>(3)</sup>.

ولا شك في أن مروره ﷺ بين الأشجار والبساتين يدلنا على حرصه ﷺ على الأخذ بالاحتياطات الأمنية المناسبة في أثناء السير؛ لأن الطرق العامة تكشف للأعداء على مقدار قوات المسلمين، وهذا أمر محذور، فالرسول ﷺ علم الأمة الأخذ بالسرية من حيث المكان، ومن حيث الزمان، لئلا يستطيع الأعداء معرفة قواتهم فيضعوا الخطط المناسبة

(1) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (380/2).

(2) بنو الأشهل: حي من الأنصار.

(3) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (73/3).



لمجابتها، وبذلك يذهب تنظيم القادة وإعدادهم لجيوشهم في مهب الرياح.

وفي هذا الخبر تطبيق عملي لتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة إذا تعارضت المصلحتان فالرسول ﷺ حينما مر بالجيش في أرض المنافق مربع بن قيظي، وترتب على ذلك إفساد المزرعة، لكن فيه مصلحة للجيش باختصار الطريق لهم إلى أحد، فبين ﷺ أن ما يكون به مصلحة للدين مقدم على ما سواه من المصالح الأخرى، فهنا تعارضت مصلحتان مصلحة عامة ومصلحة خاصة، ومصلحة الدين في هذا الموقف مصلحة عامة وهي مقدمة على المصلحة الخاصة، وهي مصلحة المال<sup>(1)</sup>. وقد رتب الشارع الحكيم مقاصد الشرع في تحقيق المنافع لعباده من حفظ دينهم ونفوسهم وعقولهم ونسلهم وأموالهم طبق ترتيب معين فيما بينها<sup>(2)</sup>، فإذا نظرنا إلى كليات الدين الخمس وأهميتها وجدنا أن هذه الكليات متدرجة حسب الأهمية: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، فما يكون به حفظ الدين مقدم على ما يكون به حفظ النفس عند تعارضهما، وما يكون به حفظ النفس مقدم على ما به يكون حفظ العقل، وما به يكون حفظ النسل مقدم على ما به حفظ المال، والترتيب بهذا الشكل من هذه الكليات يحظى باتفاق العلماء<sup>(3)</sup>.

## 51- سنة الابتلاء:

من العبر والدروس في غزوة أحد ذلك الدرس الذي تجده ظاهراً في جميع فصول هذه الغزوة وأحداثها، ألا وهو الابتلاء، فإن ابتلاء الله تعالى للمؤمنين سنة ماضية وراسخة، فيه من الفوائد والحكم ما لا يحصل بالعافية والأمن، فعلى رغم أن البلاء في هذه الغزوة كان مريراً قاسياً، إلا أن الله عاتب بعض من استنكر ذلك فقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: 142)، فمن ظن أن الجنة تحصل له بأبخس الأثمان وأضعف الأعمال فقد أخطأ الحساب؛ إذ لا بد للجنة من مهر يقدمه العبد في هذه الدنيا، به يتميز الأولياء من الأدعياء، فالبلاء يميز الصادق من

(1) انظر: غزوة أحد، دراسة دعوية، ص 168.

(2) انظر: ضوابط المصلحة، محمد رمضان البوطي، ص 23.

(3) انظر: المقاصد العامة للشريعة، يوسف حامد العالم، ص 166.

الكاذب والمؤمن من المنافق، والبلاء يكشف عن معادن الرجال، كما قال الأول:

جزى الله الشدائد كل خير  
عرفت بها عدوي من  
صديقي

فإن الله لما ابتلى المسلمين بهذه النازلة أبدى المنافقون رؤوسهم، وتكلموا بما كانوا يكتُمون، وظهرت مخبأتهم، وعاد تلويحهم تصریحًا، وانقسم الناس في هذه الغزوة إلى كافر ومؤمن ومنافق، وعرف المؤمنون أن لهم عدوًّا في أنفسهم، فماز الله بذلك الخبيث من الطيب، قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (آل عمران: 179).

فعرف المؤمنون في هذه الغزوة ضعفهم، وبها عرفوا أعداءهم، وهذبهم بها، ومحص قلوبهم، وجعلها سببًا لبلوغ منازل ودرجات قضى في سابق حكمه أنها لهم، قصرت عنها أعمالهم فاتخذ منهم شهداء كتب لهم أعلى المنازل ورفعهم أعلى الدرجات.

كما أن الله سبحانه وتعالى هياً بما حدث في هذه الغزوة من البغي والعدوان على أولياء الله تعالى وأحبابه وأصفيائه، هياً بذلك أسباب محق أعدائه؛ فإن الله إذا أراد أن يهلك أعداءه قبيض لهم الأسباب التي يستحقون بها الهلاك والمحق، ومن أعظم هذه الأسباب بعد الكفر بالله بغيهم وطغيانهم ومبالغتهم في أذى أوليائه، وتفننهم في محاربتهم وقتالهم والتسلط عليهم، كما قال الله تعالى في الحديث القدسي: «**من أذى لي ولياً فقد أذنته بالحرب**». فإذا عتا أعداء الله على أوليائه وحزبه فإن ذلك من أمارات وعلامات قرب محق الله لهم، قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: 140، 141).

وما تشهده الأمة اليوم من تسلط الكفار وأشياعهم على حزب الله وأوليائه ما هو إلا إحدى علامات قرب محق الله لهؤلاء المعتدين. فالحمد لله الحكيم العليم الخبير.

وعلى ورثة الأنبياء من أهل العلم والدعوة وأهل الخير والصحة أن يتقوا الله ويصبروا؛ فإن أجل الله قريب، وعليهم أن لا يضجروا إذا أصابهم أذى أو نزل بهم مكروه؛ فإن الله قد قال: ﴿**كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا**

وَرَسُولِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿المجادلة: 21﴾، وقد صدق القائل:

لعل عتبك محمود عواقبه      وربما صحت الأجسام  
بالعالم

والابتلاء مهما طالمت مدته وامتد وقته واشتدت كربيته وتوالت أحداثه  
وكثررت ضحاياه فإن عاقبته أن يرتفع وينكشف فإنه  
مهما دجى الليل فالتاريخ أن النهار بأحشاء الدجى يثب  
أخبرنا

وينبغي لأولياء الله أن لا يهنوا ولا يذلوا لما نزل بهم من كرب أو  
حل بهم من ضيم؛ فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، لا يرفعها انكسار  
عسكري ولا يزيلها ضعفه، بل الأمر كما قال الله تعالى لأوليائه بعد  
انقضاء هذه المعركة: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ  
مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: 139)، فإن ما أصابهم إنما هو في ذات الله تعالى، فعليهم

أن يتجددوا لأعدائهم والشامتين بهم، كما قيل:  
وتجددي للشامتين أريهم      أني لريب الدهر لا أتضعع

وعلى أولياء الله أن يعلموا أنه إذا كان البلاء يصيب الرسل ومن  
معهم مع صحة إيمانهم وصدق بذلهم وعظيم جاههم عند الله تعالى  
فإصابته لمن دونهم أولى وأحرى.  
والى هنا أكتفي وأسأل الله عز وجل بمنه وكرمه أن ينفعنا بما نقول  
ونسلم ونكتب وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم .



## غزوة الأحزاب دروس وعبر

الحمد لله قاصم الجبابرة قهراً، كاسر الأكاسرة كسراً، واعد من نصره من لدنه نصراً، خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً شهدت جميع الكائنات بربوبيته وهي على وحدانيته آية كبرى فسبحانه من اله سميع لا يعزب عم سمعه ديبب النملة الصغرى ولا يخفى على بصره جريان الغذاء في دقيق عروق البعوض إذا يُجرى .

احمده سبحانه على نعم لم تنزل تنرى واشكره على منن ترجع الألسن عن عدها حسرى واشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يحط بها عن شاهدها وزرا وتكون له عند الله ذخرا .

واشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي اعز به بعد الذلة وأغنى به بعد العيلة وجمع به بعد الفرقة وكثر به بعد القلة إحسانا منه تعالى وبراً اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى اله وأصحابه الذين رفع الله ذكرا وأعلى لهم قدرا .

وبعد ..

ها نحن نستمر وإياك أخي القارئ ضمن هذه الموسوعة المباركة "غزوات النبي المصطفى دروس وعبر"، وها نحن نحط رحالنا مع المحطة الثالثة من هذه الموسوعة "غزوة الأحزاب دروس وعبر" وأقول وبالله التوفيق والسداد..

كلما رأينا استمرار الكيد للإسلام والمسلمين، وتجمع قوى الكفر بشتى الملل والنحل فالكفر كله ملّة واحدة، كلما رأينا ذلك نذكر غزوة الأحزاب يوم جمع الكفار وحشدوا أكبر قوة ممكنة، فتحالف اليهود مع قريش وأحابيشهم، وبني كنانة ومن تبعهم من أهل تهامة، وقبائل غطفان ومن تبعهم من أهل نجد؛ للقضاء على الإسلام في مهده. لكن الله جل وعلا أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده. ولنا في هذه الغزوة دروس وعبر . إنها دروس في الجهاد، و دروس في الصبر، ودروس في الإيمان، ودروس في السياسة، و دروس في الذكاء والحكمة.

إنها دروس من أعظم الدروس فهي قبس من سيرة نبينا ﷺ .



## غزوة الأحزاب

### غزوة الأحزاب :

التي سببها : خروج كُبراءِ اليهودِ بعدَ إجلاءِ النبيِّ ﷺ لبني النضير بسبب ما كان منهم من غدِرٍ وتأمِرٍ خرجَ كبراًؤهم كُحَيِّ بنِ أخطبٍ وسلام بن أبي الحقيق وغيرهما إلى قريش بمكة يُحرِّضُونَهُمْ عَلَى غزْوِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ووعدهم من أنفسهم النصر لهم. فأجابتهم قريش ، ثُمَّ حَرَجُوا إِلَى عَطْفَانَ : فاستجابوا لهم ثُمَّ طَافُوا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ يَدْعُونَهُمْ إِلَى ذَلِكَ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ مَنْ اسْتَجَابَ .

فخرجت قريش – وقائدهم أبو سفيان - فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ ، وَوَأَفَقَهُمْ بنو سُليْمٍ بِمَرِّ الظُّهْرَانِ ، وبنو أسد ، وفزارة وأشجع وغيرهم ، وكان من وافي الخندق من المشركين عشرة آلاف .

### غزوة الأحزاب :

تلك الغزوة التي ذهب جمهور أهل السير والمغازي إلى أنها كانت في شهر شوال من السنة الخامسة<sup>(1)</sup> ، وقال الواقدى<sup>(2)</sup> : إنها وقعت في

(1) انظر : السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص443.

(2) انظر : المغازي (440/2) بدون إسناد.

يوم الثلاثاء الثامن من ذي القعدة في العام الخامس الهجري، وقال ابن سعد(1): إن الله استجاب لدعاء الرسول فهزم الأحزاب يوم الأربعاء من شهر ذي القعدة سنة خمس من هجرته ﷺ ، ونقل عن الزهري، ومالك بن أنس، وموسى بن عقبة، أنها وقعت سنة أربع هجرية(2).

ورأي الجمهور هو الراجح، واليه مال ابن القيم حيث قال: وكانت سنة خمس من الهجرة في شوال على أصح القولين، إذ لا خلاف أن أحدًا كانت في شوال سنة ثلاث، وواعد المشركون رسول الله في العام المقبل وهو سنة أربع، ثم أخلفوه من أجل جذب تلك السنة، فرجعوا فلما كانت سنة خمس جاءوا لحربه(3).

### ✽ غزوة الأحزاب :

سورة كاملة نزلت باسمها ففي قلب الأحداث وعقبها تننزل الآيات بالمنهج الرباني الذي يُقَوِّمُ المَعْوَجَّ ، ويسدُّ الخلل ، ويُدَاوِي العِلْلَ ، وَيُطَيِّبُ القُلُوبَ ، وَيُطَيِّبُ الخَوَاطِرَ ، وَيُنَقِّي الصَّفوفَ ، وَيُزَكِّي النفوسَ ، وَيُحَفِّزُ الهِمَمَ ، وَيَنْهَضُ بالشَّخْصِيَّةَ المسلمةَ ، ويصل بها إلى أعلى مراتب النُّضجِ ، وَيَرْقِي بِهَا إلى مُسْتَوَى المسؤولية في إِدَارَةِ الأزمات ، ويربط ماضيها يحاضرها ، ويضع لها القواعد والأصول لاستشراف مستقبلها ، فيجعل من هذه الأحداث المنصرمة : رصيْدًا زاحِرًا ، وكتابًا مسطورًا ومشاهد حيَّةً وصورًا نابضةً(4).

### ✽ غزوة الأحزاب :

إنها معركة ليست معركة خسائر، وإنما هي معركة عقيدة وإيمان، فقتلى الفريقين من المؤمنين والكفار يعدون على الأصابع، ومع هذه الحقيقة فهي من أهم المعارك في تاريخ الإسلام فلقد كانت ابتلاءً كاملاً وامتحاناً دقيقاً وتمييزاً بين المؤمنين والمنافقين، فلقد اشترك الجميع في الشعور بالكرب، ولم يختلف الشعور من قلب إلى قلب، وإنما الذي اختلف هو استجابة تلك القلوب وظنها بالله، وسلوكها في الشدة، ويقينها بالنصر، واطمئنانها وقت الزلزال، فلقد نافق أقوام وظنوا

(1) الطبقات (65/2، 73) بإسناد متصل.

(2) انظر: البداية والنهاية (105/4).

(3) انظر: زاد المعاد (288/2)

(4) أنظر التوثيق القرآني لغزوة الأحزاب - بحث من إعداد أحمد محمد الشرقاوي

بالله الظنونا وحاولوا في ثني المؤمنين عن الجهاد والتسليم للكافرين لكي يذلوهم ويخنقوا الإسلام معهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ [الأحزاب: 13].

### ✽ غزوة الأحزاب:

أعلنت أن قدر الله هو المسيطر على الأحداث والمصائر، يدفعها في الطريق المرسوم، وينتهي بها إلى النهاية المحتومة . والموت أو القتل قدر لا مفر من لقائه ، في مواعده ، لا يستقدم لحظة ولا يستأخر.

✽ غزوة الأحزاب : تبرز أمامنا صفحة من تاريخ اليهود وتكشف عن أسلوبهم الدنيء في إثارة الأحقاد وتسخير قيمهم لخدمة مصالحهم ومآربهم .

### ✽ غزوة الأحزاب :

تكشف عن قوة الإسلام وكيف أن أصحاب العقيدة يصبرون على البلاء والجوع.

### ✽ غزوة الأحزاب :

تكشف لنا عن شخصية الرسول ﷺ في قيادته الحكيمة وفي صموده أمام طواغيت الشر.

### ✽ غزوة الأحزاب:

تحتاج منا كمسلمين أن نُحِلَّ تفاصيلها وأحداثها وما جرى فيها ليكون المسلم على بينة بان نبي الإسلام محمد ﷺ لم يكن يحب الحرب وإنما كان يضطر لخوضها دفاعاً عن نفسه وعن الكيان الإسلامي ، إنه كان يحمل راية السلام بيمينه وينادي على الناس في كل مكان أن يدخلوا تحت راية السلام لأنه وسيلة التقدم والازدهار .

### ✽ غزوة الأحزاب :

حيث : " الامتحان لهذه الجماعة الناشئة ، ولكل قيمها وتصوراتها ، ومن تدبَّر النصَّ القرآنيَّ (سورة الأحزاب)، وطريقة عرضه للحادث ، وأسلوبه في الوصف والتعقيب ووقفه أمام بعض

المشاهد والحوادث ، والحركات والخوارج ، وإبرازه للقيم والسنن :  
 يدرك كيف كان الله يربي هذه الأمة بالأحداث والقرآن في آنٍ واحدٍ ."  
 (1)

### ✽ غزوة الأحزاب :

غزوة علق عليها القرآن أعظم تعليق، يصور نماذج البشر وأنماط الطباع، يصور القيم الثابتة والسنن الباقية التي لا تنتهي بانتهاء الحادث.  
 فهلم أخي القارئ لناخذ شيئاً من الوقفات التي أشار إلى وصفها القرآن وذكرت بعضها السنة، نستلهم الدروس والعبر والفوائد .







## دروس وعبر من غزوة الأحزاب

دعونا نُبحر وإياكم مع دروس وعبر هذه الغزوة المباركة وأسأل الله بمنه وكرمه أن يُعجل بالنصر القريب لأمة الإسلام إنه ولي ذلك والقادر عليه.

### 1- الأمل والثقة بالله تعالى:

تأمل! بالرغم من كل تلك الظروف العصيبة الشديدة التي أحاطت بالمسلمين من حصار جماعي من مختلف قبائل العرب واليهود، وبجيش يبلغ عشرة آلاف مقاتل، ومن جوع وخوف وهلع وشدة برد..، لم ييأس المسلمون، ولم يفقدوا ثقتهم بالله تعالى، بل إن الرسول ﷺ كان في ظل تلك الظروف يعدهم بفتح الشام، وفارس، واليمن، وهي الدول العظمى في ذلك الوقت. وتأمل موقف المنافقين إزاء تلك الوعود، وتزعزع قلوبهم حينما رأوا كثرة جيوش الأحزاب: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: 12]. ثم تأمل موقف المؤمنين لما رأوا الأحزاب:

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 22].

وفي أحلك المواقف كان النبي ﷺ يربي أصحابه على الثقة بموعد الله وعلى التفاؤل وعدم اليأس والاستكانة للكافرين، فيجتمع الكفر على المؤمنين معادياً لهم ينوي استئصالهم، ومع ذلك والصحابة يعانون في حفر الخندق تعترض لهم صخرة في الخندق، أعيتهم، فجاء النبي ﷺ وأخذ المعول فقال: بسم الله ثم ضرب ضربة، وقال: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إنني لأنظر قصورها الحمر الساعة»، ثم ضرب الثانية فقطع آخر، فقال:

«الله أكبر، أعطيت فارس، والله إنني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن»، ثم ضرب الثالثة، فقال: «بسم الله فقطع بقية الحجر، فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن،

والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني» (1).

يقول ذلك في هذه المرحلة الحرجة ليبشر المؤمنين ويعلمهم درساً في التفاؤل والثقة بنصر الله، ثم يأتيه الخبر بنقض بني قريظة للعهد فيقول: «الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين».

وفي قلب هذه المحنة وشدة هذا الهول يقول: «إني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق وأخذ المفتاح، وليهلكن الله كسرى وقيصر، ولتنفقن أموالهم في سبيل الله» وصدق المؤمنون بهذه البشارات لإيمان في قلوبهم.

واليوم.. في ظل تحزب قوى الكفر على الأمة الإسلامية، وتضييقها على المسلمين في كل مكان، وتنكيلها بدعاتهم، واغتصابها أراضيهم، واستنزافها ثرواتهم..؛ كم نحن بحاجة إلى مراجعة حساباتنا، وتقوية صلتنا بديننا، وأن ما يحصل للمسلمين من الهوان وتسليط الأعداء إنما هو لحكم عديدة، وأسباب كثيرة.. كما أننا بحاجة ماسة إلى النظر إلى المستقبل، والثقة بالله تعالى، ووعده للأمة بالعز والتمكين إن هي استمسكت بالإسلام، وما يدعو إليه من وجوب إعداد العدة، وأن الأمة إن بكت مرة فقد بكت قبل ذلك مرات، وكانت تعود في كل مرة كأقوى ما تكون، وأن ما تمر به أمتنا اليوم من الضربات المتتالية والصفعات الموجعة ما هي إلا إرهاصات مبشرة لنهضة الأمة، وصحتها من غفلتها، وعودتها مرة أخرى إلى دينها، ومصدر عزها ومجدها؛ فإن الظلام كلما أحلوك وادلهم فإن وراء الأفق نوراً، وفي حضن الكون شمس ساطعة، وكلما اشتد غلس الليل اقترب ميلاد النهار.

ومهما كان واقع الأمة مؤلماً يفرض على كثير من المسلمين أفسى الظنون، إلا أنها في طريق التغيير الإيجابي تسير، وهي الآن أفضل بكثير من سنوات مضت، فلا ينبغي استبطاء النصر، واستعجال الظفر. ولنتأمل كيف أن الشام، وفارس، واليمن التي وعد الرسول ﷺ بفتحها، لم يظفر بها المسلمون إلا بعد وفاته ﷺ بسنين؛ وفي ذلك.

## 2- الكفر ملة واحدة:

نرى في هذه الغزوة بوضوح تكالب الكفر على المسلمين، لقد تملاً العرب واليهود في الجزيرة، وقاد أبو سفيان أضخم جيش شهدته

(1) رواه أحمد والنسائي وحسنه ابن حجر.

جزيرة العرب الذي كان عشرة أضعاف جيش بدرٍ وقرابة أربعة أضعاف جيش أحد، إضافة إلى العدو الداخلي يهود بني قريظة الذين نقضوا العهد وانضموا إلى الأحزاب.

لقد جاء الكفر جملة واحدة وكما وصفهم ﷺ: «لقد رأيت العرب

**رمتكم عن قوس واحدة وكاليوكم من كل جانب**» وإن فلا بد أن يقرَّ في حس المسلمين أن الكفر كلُّه قد يلتقي في مرحلة من المراحل على إبادة الإسلام والمسلمين ويتناسى ما بينه من عداوات؛ لأن الكفر ملة واحدة في الحقيقة؛ ولأنهم جميعاً حرب على الإسلام؛ لأنهم يشتركون في الخطر المحقق بهم من ظهور الدين الحق الذي يقطع مصالحهم في استعباد الناس وتسخيرهم لأهوائهم.

### 3- المنافقون وخطرهم:

المنافقون أصحاب المصالح والأهواء ليس لهم قرار واضح ولا قاعدة ثابتة تراهم مع المؤمنين تارة ومع الكافرين تارات رسل فساد وأصل كل بلية وهزيمة: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُفْرٍ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: 141].

ولاء المنافقين للكافرين، ولو عاشوا بين ظهراي المسلمين، وقلوبهم مع أعداء الدين، وإن كانوا بألسنتهم وأجسامهم وعدادهم في المسلمين، يخشون الدوائر فيسارعون للولاء والمودة للكافرين، ويسئون الظن بأمتهم فيرتمون في أحضان أعدائهم ويزعمون إبقاء أياد عند الكافرين تحسباً لظفرهم بالمسلمين :

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة: 52]، المنافقون هم الأعداء الحقيقيون للمسلمين وهم الذين خططوا لأعظم نكبات المسلمين، هم رسل الفساد وعقارب النفاق، قال تعالى: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: 4].

لقد كان موقف المنافقين عندما تكالب الكافرون وتحزبوا على

المسلمين متسماً بالجبن والإرجاف وتخذيل المؤمنين، وقد وردت روايات ضعيفة تحكي أقوالهم في السخرية والإرجاف والتخذيل، ولكن القرآن الكريم تكفل بتصوير ذلك أدق التصوير فقد وجد هؤلاء في الكرب المزلزل، والشدة الأخذة بالخناق فرصة للكشف عن خبيثة نفوسهم، وهم آمنون من أن يلومهم أحد؛ وفرصةً للتوهين والتخذيل وبث الشك والريبة في وعد الله ووعد رسوله، ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب:

[12].

ومثل هؤلاء المنافقين والمرجفين قائلون في كل عصر ومصر، وموقفهم في الشدة هو موقف إخوانهم المنافقين هؤلاء؛ فهم نموذج مكرر في الأجيال والجماعات على مدار الزمان!

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ [الأحزاب: 13]، فهم يحرضون أهل المدينة على ترك الصفوف، والعودة إلى بيوتهم ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ يستأذنون بحجة أن بيوتهم مكشوفة للعدو. متروكة بلا حماية، وهنا يكشف القرآن عن الحقيقة، ويجردهم من العذر والحجة: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ ويضبطهم متلبسين بالكذب والاحتتيال والجبن والفرار: ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾.

وهؤلاء المنافقون من أنشط الناس عند الفتن وأكثرهم استعداداً لنقض العهود مما يوضح وهن العقيدة، وخور القلوب، والاستعداد للانسلاخ من الإسلام بمجرد مصادفة غير مبقين على شيء، ولا متجملين لشيء:

﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأْتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: 14] ذلك كان شأنهم، والأعداء بعد خارج المدينة؛ ولم تقتحم عليهم بعد، فأما لو وقع واقتحمت عليهم المدينة من أطرافها. . ثم سألوا الفتنة وطلبت إليهم الردة عن دينهم لأتوها سراعاً غير متلبثين، ولا مترددين إلا قليلا من الوقت. ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدُّبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ [الأحزاب: 15].

ثم يبين لهم سبحانه أن الفرار لا يدفع أمر الله ولا يطيل العمر قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَأُثْمِتُنَّكُمْ إِلَّا قَلِيلًا قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب:

[17، 16]

ويرسم القرآن للمنافقين صورة تثير الاحتقار لهم ، صورة للجبن والانزواء ، والفرع والهلع. ( في ساعة الشدة) . والانتفاش وسلطة اللسان (عند الرخاء) . والشح على الخير والظن ببذل أي جهد فيه . والجزع والاضطراب (عند توهم الخطر من بعيد).

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا أَسِخَّ عَلَيْكُمْ فَادَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدَوَّرُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَسَبُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَاذَا دَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ حَدَادٍ أَسِخَّ عَلَى الْخَيْرِ أَوْلَيْكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: 18 - 20].

مثيرة للسخرية تلك الصورة المنافقين بعد أن يذهب الخوف ويجيء الأمن:

﴿فَاذَا دَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ حَدَادٍ﴾ خرجوا من الجحور ، وارتفعت أصواتهم بعد الارتعاش ، وانتفتحت أوداجهم بالعظمة، وانتفشوا بعد الانزواء، وادعوا في غير حياء ، ماشاء لهم الادعاء ، من البلاء في القتال والفضل في الأعمال ، والشجاعة والاستبسال.

﴿أَوْلَيْكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.

لقد نافق أقوام بسبب إرجافهم وتخذيلهم ونعى القرآن عليهم ذلك فكيف لو ناصروا قريشاً وأحلافها . . . . إنها الردة ولو كان صاحبها متعلقاً بأستار الكعبة.

#### 4- درس في الشورى:

في زحمة الأحداث، وعندما نقضت قريظة العهد، واشتد على النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم الحال، رأى النبي ﷺ أن يخفف عن أصحابه رحمة بهم، صلى الله عليك يا نبي الرحمة.

بعث إلى قائدي غطفان يعرض عليهما صلحاً، وهو أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة على أن يرجعوا بمن معهم من قومهم، وتم الصلح ثم استشار النبي ﷺ السعديين، سعد بن معاذ، وسعد بن عباد، فقالا له: يارسول الله أمراً تحبه فتصنعه، أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به، أم شيئاً تصنعه لنا؟ قال: «**بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب. فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما.**»

فقال سعد بن معاذ ﷺ: يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله، وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرئاً أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا؟ والله ما لنا بهذا حاجة، والله العظيم لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. فقال رسول الله ﷺ: «**فأنت وذاك.**»

و الحكمة في استشاراته ﷺ لبعض أصحابه في هذا الصلح لكي يطمئن إلى مدى ما يتمتع به أصحابه من القوة المعنوية والاعتماد على نصر الله وتوفيقه على الرغم من ذلك الذي فوجئوا به من اجتماع أشتات المشركين عليهم في كثرة ساحقة ، إلى جانب خذلان بني قريظة للمسلمين ونقض موآثيقهم معهم.

وأما الدلالة التشريعية في هذه الاستشارة ، فهي محصورة في مجرد مشروعية مبدأ الشورى في كل ما لا نص فيه. وهي بعد ذلك لا تحمل أي دلالة على جواز صرف المسلمين أعداءهم عن ديارهم إذا ما اقتحموها ، باقتطاع شيء من أرضهم أو خيراتهم لهم. إذ إن مما هو متفق عليه في أصول الشريعة الإسلامية أن الذي يحتج به من تصرفاته ﷺ إنما هو أقواله ، وأفعاله التي قام بها ، ثم لم يرد اعتراض عليها من الله في كتابة العزيز.

وفي قبول الرسول ﷺ رأي الصحابة في رفض هذا الصلح يدل على أن القائد الناجح هو الذي يربط بينه وبين جنده رباط الثقة، حيث يعرف قدرهم ويدركون قدره، ويحترم رأيهم ويحترمون رأيه، ومصالحة النبي ﷺ مع قائدي غطفان تعد من باب السياسة الشرعية التي تراعي فيها المصالح والمفاسد حسب ما تراه القيادة الرشيدة للأمة(1).

وليس في هذه الاستشارة دليل على جواز دفع المسلمين الجزية إلى أعدائهم. أما إذ أجنبوا إلى اقتطاع جزء من أموالهم فعليهم التربص بأعدائهم لاسترداد حقهم المسلوب.

### 5- الحكمة في اختيار غطفان بالذات للصلح:

ظهرت حنكته ﷺ وحسن سياسته حين اختار قبيلة غطفان بالذات لمصالحتها على مال يدفعه إليها على أن تترك محاربتهم وترجع إلى بلادها، فهو يعلم ﷺ أن غطفان وقادتها ليس لهم من وراء الاشتراك في هذا الغزو أي هدف سياسي يريدون تحقيقه، أو باعث عقائدي يقاتلون تحت رايته، وإنما كان هدفهم الأول والأخير من الاشتراك في هذا الغزو الكبير هو الحصول على المال بالاستيلاء عليه من خيرات المدينة عند احتلالها؛ ولهذا لم يحاول الرسول ﷺ الاتصال بقيادة الأحزاب من اليهود (كحبي بن أخطب، وكنانة بن الربيع) أو قادة قريش كأبي سفيان بن حرب، لأن هدف أولئك الرئيسي، لم يكن المال، وإنما كان هدفهم هدفًا سياسيًا وعقائديًا يتوقف تحقيقه والوصول إليه على هدم الكيان الإسلامي من الأساس؛ لذا فقد كان اتصاله (فقط) بقيادة غطفان، الذين (فعلاً) لم يترددوا في قبول العرض الذي عرضه عليهم النبي ﷺ (1)، فقد استجاب القائدان الغطفانيان (عبيدة بن حصن، والحارث بن عوف) لطلب النبي ﷺ وحضرا مع بعض أعوانهما إلى مقر قيادة النبي ﷺ واجتمعوا به وراء الخندق مستخفين دون أن يعلم بهما أحد، وشرع رسول الله ﷺ في مفاوضاتهم.

ولقد أبرز ﷺ في هذه المفاوضات جانبًا من جوانب منهج النبوة في التحرك لفك الأزمات عند استحكامها وتأزمها، لتكون لأجيال المجتمع المسلم درسًا تربويًا من دروس التربية المنهجية عند اشتداد البلاء (2).

### 6- رسالة للمسلمين عبر التاريخ:

في قوله ﷺ: «إني قد علمت أن العرب قد رمتكم عن قوس واحدة» دليل علي أن رسول الله ﷺ كان يستهدف من عمله ألا يجتمع الأعداء عليه صفاً واحداً، وهذا يرشد المسلمين إلى عدة أمور منها:

(1) انظر: غزوة الأحزاب، محمد أحمد باشميل، ص 201.  
(2) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (176/4).



\* أن يحاول المسلمون التفتيش عن ثغرات القوى المعادية.

\* أن يكون الهدف الإستراتيجي للقيادة المسلمة تحييد من تستطيع تحييده، ولا تنسى القيادة الفتوى والشورى والمصلحة الأنية والمستقبلية للإسلام(1).

## 7- في موقف الصحابة من الصلح دروس:

إن موقف الصحابة من الصلح مع غطفان يوم قال سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله، وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرئ أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا؟ والله ما لنا بهذا حاجة، والله العظيم لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. فقال رسول الله ﷺ: «فأنت وذاك» وهذا يحمل في طياته ثلاثة معانٍ:

- أ- أنه يؤكد شجاعة المسلمين الأدبية في إبداء الرأي، والمشورة في أي أمر يخص الجماعة، إذا دعت الحاجة إلى ذلك.
- ب- أنه يكشف عن جوهر المسلمين وعن حقيقة اتصالهم بالله ورسوله وبالإسلام.
- ت- أنه يبين ما تمتلئ به الروح المعنوية لدى المسلمين من قدرة على مواجهة المواقف الحرجة بالصبر، والرغبة القوية في قهر العدو، مهما كثر عدده وعتاده أو تعدد حلفاؤه(2).

## 8- شدة التضرع سبب من أسباب النصر:

كان رسول الله ﷺ كثير التضرع والدعاء والاستعانة بالله، وخصوصاً في مغازيه، وعندما اشتد الكرب على المسلمين أكثر مما سبق حتى بلغت القلوب الحناجر وزلزلوا زلزالاً شديداً، فما كان من المسلمين إلا أن توجهوا إلى الرسول ﷺ وقالوا: يا رسول الله هل من شيء نقوله؟ فقد بلغت القلوب الحناجر، فقال: نعم. **اللهم استر عوراتنا، وأمن روعاتنا**

(3) انظر: الأساس في السنة (687/2).

(2) المصدر نفسه، ص 415، 416.

(1). وجاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم» (2)، فاستجاب الله سبحانه دعاء نبيه ﷺ، فأقبلت بشائر الفرج فقد صرفهم الله بحوله وقوته، وزلزل أبدانهم وقلوبهم، وشتت جمعهم بالخلاف، ثم أرسل عليهم الريح الباردة الشديدة، وألقى الرعب في قلوبهم، وأنزل جنودًا من عنده سبحانه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: 9].

قال القرطبي -رحمه الله-: وكانت هذه الريح معجزة للنبي ﷺ؛ لأن النبي ﷺ والمسلمين كانوا قريبًا منهم، ولم يكن بينهم إلا عرض الخندق، وكانوا في عافية منها ولا خبر عندهم بها... وبعث الله عليهم الملائكة فقلعت الأوتاد وقطعت أطناب الفساطيط (3)، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وجالت الخيول بعضها في بعض، وأرسل عليهم الرعب، وكثر تكبير الملائكة في جوانب المعسكر حتى كان سيد كل خباء يقول: يا بني فلان هلم إليّ فإذا اجتمعوا قال لهم: النجاء النجاء، لما بعث الله عليهم الرعب (4).

وحرص الرسول عليه الصلاة والسلام أن يؤكد لصحبه ثم للمسلمين في الأرض، أن هذه الأحزاب التي تجاوزت عشرة آلاف مقاتل لم تهزم بالقتال من المسلمين، رغم تضحياتهم، ولم تهزم بعقرية المواجهة، إنما هزمت بالله وحده:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: 9].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا إله إلا الله وحده، أعز جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء

(1) مسند الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري (18/4).

(2) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الأحزاب (59/5) رقم 4114.

(3) الفساطيط: جمع فسطاط نوع من الأبنية في السفر وهو دون السرادق.

(4) انظر: تفسير القرطبي (144/4).

بعده»(1).

ودعاء رسول الله ﷺ ربه، واعتماده عليه وحده، لا يتناقض أبداً مع التماس الأسباب البشرية للنصر، فقد تعامل ﷺ في هذه الغزوة مع سنة الأخذ بالأسباب، فبذل جهده لتفريق الأحزاب، وفك الحصار، وغير ذلك من الأمور التي ذكرناها(2).

إن رسول الله ﷺ يعلمنا سنة الأخذ بالأسباب، وضرورة الالتجاء إلى الله وإخلاص العبودية له؛ لأنه لا تجدي وسائل القوة كلها إذا لم تتوافر وسيلة التضرع إلى الله والإكثار من الإقبال عليه بالدعاء والاستغاثة، فقد كان الدعاء والتضرع إلى الله من الأعمال المتكررة الدائمة التي فزع إليها رسول الله ﷺ في حياته كلها(3).

### دروس وعبر من قصة حذيفة:

كان رسول الله ﷺ يتابع أمر الأحزاب، وأحب أن يتحرى عما حدث عن قرب فقال: ألا رجل يأتينا بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة(4). فاستعمل ﷺ أسلوب الترغيب، وكرره ثلاث مرات، وعندما لم يُجد هذا الأسلوب لجأ إلى أسلوب الجزم والحزم في الأمر، فعين واحداً بنفسه فقال: **«قم يا حذيفة فانتنا بخبر القوم، ولا تدعهم عليّ»**(5).

وفي هذا معنى تربوي وهو أن القيادة الناجحة هي التي توجه جنودها إلى أهدافها عن طريق الترغيب والتشجيع، ولا تلجأ إلى الأمر والحزم إلا عند الضرورة.

قال حذيفة رضي الله عنه: فمضيت كأنما أمشي في حمام، فإذا أبو سفيان يصلي ظهره بالنار، فوضعت سهمًا في كبد القوس، وأردت أن أرميه ثم ذكرت قول رسول الله ﷺ: لا تدعهم عليّ، ولو رميته لأصبته فرجعت كأنما أمشي في حمام، فأتيت رسول الله ﷺ وأصابني البرد حين رجعت وقررت، فأخبرت رسول الله ﷺ وألبسني فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها، فلم أبرح نائمًا حتى الصبح فلما أن أصبحت قال رسول الله ﷺ:

(1) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق (5-59) رقم 4114.

(2) انظر: فقه السيرة النبوية للغضبان، ص 503.

(3) انظر: فقه السيرة للبطوي، ص 222.

(4) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب (1414/3) رقم 1788.

(5) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب رقم 1788.

«قم يا نومان»<sup>(1)</sup>.

ولنا من قصة حذيفة دروس وعبر:

### 9- معرفة رسول الله ﷺ بمعادن الرجال:

حيث اختار حذيفة ليقوم بمهمة التجسس على الأحزاب، وأن معدن حذيفة معدن ثمين فهو شجاع، ولا يقوم بهذه الأعمال إلا من كان ذا شجاعة نادرة. وهو بالإضافة إلى ذلك لبق ذكي خفيف الحركة، سريع التخلص من المأزق الحرجة.

### 10- الانضباط العسكري الذي يتحلى به حذيفة:

لقد مرت فرصة سانحة يقتل فيها قائد الأحزاب وهمّ بذلك، ولكنه ذكر أمر الرسول ﷺ ألا يذعرهم، وأن مهمته الإتيان بخبرهم، فنزع سهمه من قوسه<sup>(2)</sup>.

### 11- كرامات الأولياء:

إن ما حدث لحذيفة بن اليمان ﷺ عندما سار لمعرفة خبر الأحزاب في جو بارد ماطر شديد الريح، وإذا به لا يشعر بهذا الجو البارد، ويمشي وكأنما يمشي في حمام، وتلازمه هذه الحالة مدة بقائه بين الأحزاب وحتى عاد إلى معسكر المسلمين؛ لا شك هذه كرامة يمنُّ الله بها على عباده المؤمنين<sup>(3)</sup>.

### 12- لطف النبي ﷺ مع حذيفة عند رجوعه:

فقد كان ﷺ يترفق بأصحابه، ولم تمنعه صلاة الليل وحلاوة المناجاة من التلطف بحذيفة الذي جاء بأحسن الأنباء وأصدق الأخبار وأهمها، فشمله بكسائه الذي يصلي فيه، ليدفنه، وتركه ملفوفاً به حتى أتم صلاته، بل حتى بعد أن أفضى إليه بالمهمة، فلما وجبت المكتوبة أيقظه بلطف وخفة ودعابة قائلاً: «قم يا نومان»، دعابة تقطر حلاوة، وتفيض بالحنان، وتسيل رقة، إنها صورة نموذجية للرفقة والرحمة اللتين تحلى بهما فؤاد الرسول ﷺ، وتطبيق فريد رفيع لهما في أصحابه

(1) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، (1414/3) رقم 1788.

(2) انظر: فقه السيرة النبوية للغضبان، ص505، السيرة النبوية لأبي فارس، ص367.

(3) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس، ص367.

الكرام<sup>(1)</sup>، وصدق الله العظيم في قوله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

### 13- سرعة البديهة:

وتستوقفنا سرعة البديهة لدى الصحابي الكريم، وقد دخل في القوم، كما في رواية الزرقاني، وقال أبو سفيان: ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه، قال حذيفة: فضربت بيدي على يد الذي على يميني فقلت: من أنت؟ قال: معاوية بن أبي سفيان، ثم ضربت بيدي على يد الذي عن شمالي، فقلت: من أنت؟ قال: عمرو بن العاص<sup>(2)</sup>. وهكذا بدرهم بالمسألة حتى لا يتيح لهم فرصة ليسألوه، وبهذا تخلص من هذا المأزق الحرج الذي ربما كان أودى بحياته<sup>(3)</sup>.

### 14- الحكمة ضالة المؤمن يتلمسها أنى وجدها:

ففي قوله ﷺ إشارة سلمان بحفر الخندق، وهو أمر لم تكن تعرفه العرب من قبل، دليل على أن الإسلام لا يضيق ذرعاً بالاستفادة مما عند الأمم الأخرى من تجارب تنفيذ الأمة وتنفع المجتمع فلا شك أن حفر الخندق أفاد إفادة كبرى في دفع خطر الأحزاب عن المدينة، وقبول رسول الله هذه المشورة، دليل على مرونته ﷺ، واستعداده لقبول ما يكون عند الأمم الأخرى من أمور حسنة، وقد فعل الرسول مثل ذلك أكثر من مرة، فلما أراد إنفاذ كتبه إلى الملوك والأمراء والرؤساء قيل له: إن من عادة الملوك ألا يقبلوا كتاباً إلا إذا كان مختوماً باسم مرسله، فأمر على الفور بنقش خاتم له كتب عليه: محمد رسول الله، وصار يختم به كتبه، ولما جاءت الوفود من أنحاء العرب بعد فتح مكة تعلن إسلامها، قيل له: يا رسول الله إن من عادة الملوك والرؤساء أن يستقبلوا الوفود بثياب جميلة فخمة، فأمر رسول الله ﷺ أن تشتري له حلة، قيل: إن ثمنها بلغ أربعمئة درهم، وقيل: أربعمئة بغير، وغداً يستقبل بها الوفود، وهذا هو صنيع الرسول الذي أرسل بأخر الأديان وأبقاها إلى أبد الدهر، فان مما تحتمه مصلحة أتباعه في كل زمان وفي

(1) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 246.

(2) انظر: شرح الزرقاني (120/2).

(3) انظر: من معين السيرة، ص 293.

كل بيئة أن يأخذوا بأحسن ما عند الأمم الأخرى، مما يفيدهم، ولا يتعارض مع أحكام شريعتهم وقواعدها العامة، والامتناع عن ذلك جمود لا تقبله طبيعة الإسلام الذي يقول في دستوره الخالد: ﴿قَبِّشِرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: 17 و18] ولا طبيعة رسوله الذي رأينا أمثلة عما أخذ من الأمم الأخرى، وهو القائل: «**الحكمة ضالة المؤمن يتلمسها أنى وجدها**» ويوم غفل المسلمون في العصور الأخيرة، وخاصة بعد عصر النهضة الأوروبية عن هذا المبدأ العظيم في الإسلام، وقاوموا كل إصلاح مأخوذ عن غيرهم مما هم في أشد الحاجة إليه، أصيبوا بالانهيار، وتأخروا من حيث تقدم غيرهم ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: 41].

### 15- درس للحكام والمحكومين:

لقد ضرب الرسول ﷺ المثل الأعلى للحكام والمحكومين في العدالة والمساواة وعدم الاستثناء بالراحة يوم وقف جنبا إلى جنب مع أفراد جيشه ليعمل بيده في حفر الخندق. وهذه هي صفة العبودية الحقبة التي تجلت في شخصية الرسول ﷺ .  
والعدالة والمساواة ليستا في الإسلام مجرد شعارات يزين بها ظاهر المجتمع، وإنما العدالة والمساواة هما الأساس الواقعي الذي تنبثق منه القيم والمبادئ الإسلامية عامة ظاهراً وباطناً .

### 16- الرؤوف الرحيم ﷺ :

أعطى الرسول ﷺ مثلاً آخر على رأفته بالمؤمنين، يوم شاركهم في حفر الخندق ويوم أشركهم معه في طعام جابر، ولم يستأثر به مع قلة من الصحابة. وفي ضوء هذه المعاني يفهم قول الله - تعالى - : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

وفي هذا الموقف أيضاً رسالة في أهمية الإيثار عند المسلم فمهما كان الفقر شديداً نتعلم ألا نأكل وغيرنا جائع.

### 17- واعدوا لهم:

إن حفر الخندق يدخل في مفهوم المسلمين لقوله - تعالى -: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: 60] فينبغي على المسلمين اتخاذ وسائل القوة المتاحة مهما كان مصدرها، لأن الحكمة ضالة المؤمن، فحيثما وجدها التقطها.

## 18- أول مستشفى إسلامي حربي:

أنشأ المسلمون أول مستشفى إسلامي حربي في غزوة الأحزاب، فقد ضرب الرسول صلوات الله وسلامه عليه خيمة في مسجده الشريف في المدينة، عندما دارت رحى غزوة الأحزاب، فأمر ﷺ أن تكون رفيدة الأسلمية الأنصارية رئيسة ذلك المستشفى النبوي الحربي، وبذلك أصبحت أول ممرضة عسكرية في الإسلام (1)، وجاء في السيرة النبوية لابن هشام: ... وكا ﷺ قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم، يقال لها رفيدة، في مسجده، كانت تداوي الجرحى، وتحسب بنفسها على خدمة من به ضيعة من المسلمين، وكان ﷺ قد قال لقومه حين أصاب سعد بن معاذ السهم بالخندق: «اجعلوه في خيمة رفيدة، حتى أعوده من قريب» (2).

ويفهم من النص السابق أن من أصيب من المسلمين إن كان له أهل اعتنى به أهله، وإن لم يكن له أهل، جيء به إلى المسجد حيث ضربت خيمة فيه لمن كانت به ضيعة من المسلمين، وسعد بن معاذ الأوسي، ليس به ضيعة، ولكن لما أراد الرسول ﷺ الاطمئنان عليه باستمراره، جعله في تلك الخيمة التي أعدت لمن به ضيعة وليس له أهل، ذلك أن هؤلاء هم في رعاية رسول الله ﷺ وإلا فلم ضربت الخيمة في المسجد، وكان بالإمكان ضربها في أي مكان آخر؟

إن سعد بن معاذ ﷺ يكرم لمآثره وما بذله في سبيل الله تعالى، فيكون هذا التكريم أن يجعل في خيمة أعدت لمن به ضيعة، وهكذا حينما يرتفع السادة يجعلون مع المغمورين الذين أخلصوا أعمالهم لله تعالى فاستحقوا أن يكونوا في رعاية رسول الله ﷺ (3)، وهذا منهج نبوي كريم أصبح دستوراً للمسلمين على مدى الزمن.

(1) انظر: المستشفيات الإسلامية، الدكتور عبد الله السعيد، ص 43.

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (263/3).

(3) انظر: من معين السيرة، ص 294.

## 19- النصر من عند الله وحده:

ظهرت معجزاتٌ للنبي ﷺ في حفر الخندق لتؤكد أن الله تعالى هو الذي يهزم العدو وينصر حزبه (( لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده، ونصر جنده، وهزم الأحزاب وحده)) وحرص الرسول ﷺ أن يؤكد لصحبه ثم للمسلمين في الأرض أن الأحزاب التي تتجاوز عشرة آلاف مقاتل لم تهزم بالقتال من المسلمين رغم تضحياتهم ولم تهزم بعقوبة المواجهة وإنما هزمت بالله وحده، وما يسره من أسباب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب:9].

إن النصر بيد الله، فإذا نصر المؤمنين فلا ضرر عليهم إذا خذلتهم الأقطار الإسلامية كلها، بل وحتى لو نصرت الكافرين، فلن يغلبوا من نصر الله يقيناً {إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [آل عمران:160].

## 20- المسلم يقح في الإثم ولكنه يسارع في التوبة:

أرسل بنو قريظة إلى أبي لبابة بن عبد المنذر -وكانوا حلفاءه- فاستشاروه في النزول على حكم رسول الله ﷺ، فأشار إلى حلقه يعني الذبح، ثم ندم فتوجه إلى مسجد النبي ﷺ فارتبط به حتى تاب الله عليه، وقد ظل مرتبطاً بالجدع في المسجد ست ليالٍ تأتيه امرأته في وقت كل صلاة فتحله للصلاة ثم يعود فيرتبط في الجذع (1)، وقد قال أبو لبابه: لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله عليّ مما صنعت: قالت أم سلمة: فسمعت رسول الله ﷺ من السحر وهو يضحك فقلت: مم تضحك يا رسول الله؟ أضحك الله سنك. قال: تيب على أبي لبابة، قالت: قلت: أفلا أبشره يا رسول الله؟ قال: بلى إن شئت، فقامت على باب حجرتها، وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب، فقالت: يا أبا لبابة، أبشر فقد تاب الله عليك قالت: فثار الناس ليطلقوه فقال: لا والله حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده. فلما مر عليه رسول الله ﷺ خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه (2). وذلك في الاعتراف بالذنب والتوبة النصوح، وإن

(1) انظر: المستفاد من قصص القرآن (286/2).

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (262/3).



موطن العبرة في هذا الموقف يكمن في تصرف أبي لبابة بعدما وقعت منه هذه الزلة التي أفشى بها سرًا حربيًا خطيرًا، فأبو لبابة لم يحاول التكتّم على ما بدر منه والظهور أمام رسول الله ﷺ والمسلمين بمظهر الرجل الذي أدى مهمته بنجاح، وأنه لم يحصل منه شيء من المخالفات، وكان بإمكانه أن يخفي هذا الأمر حيث لم يطلع عليه أحد من المسلمين، وأن يستكتم اليهود أمره، ولكنه تذكر رقابة الله عليه وعلمه بما يسر ويعلن، وتذكر حق رسول الله ﷺ العظيم عليه وهو الذي ائتمنه على ذلك السر، ففزع لهذه الزلة فزعًا عظيمًا(1)، وأقر بذنبه واعترف به وبادر إلى العقوبة الذاتية التلقائية، دون انتظار التحقيق وتوقيع العقوبة الواجبة، إنها صورة تطبيقية لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾ [النساء: 17].

إنها صورة فريدة لتوقيع العقوبة من الإنسان نفسه على نفسه... ولا يفعل ذلك إلا أهل الإيمان، وما ذلك إلا من آثار الإيمان العميق الراسخ، الذي لا يرضى لصاحبه أن يخالطه إثم أو فسوق. وقد فرح الصحابة وفرح النبي ﷺ نفسه، بتوبة الله على أبي لبابة، وتسابقوا إلى تهنئته حتى كانت أم سلمة زوجة النبي ﷺ هي التي بادرت بالتهنئة بعد الإذن فبشرته بقبول الله توبته(2). وقد أنزل الله تعالى في أبي لبابة قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأنفال: 27]. ونزل في توبته قوله تعالى:

﴿ **وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [التوبة: 102](3).

## 21- مشروعية قضاء الفائتة:

عندما شغل المشركون الرسول ﷺ وأصحابه عن صلاة، صلواها قضاءً بعد المغرب، وفي هذا دليل على مشروعية قضاء الفائتة.

## 22- ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله:

(1) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (165/6).

(2) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 261.

(3) انظر: السيرة النبوية لابن هشام، (262/3).

روى عبد الرزاق في مصنفه بالسند إلى سعيد بن المسيب، فذكر بعض خبر الأحزاب وقريظة إلى أن قال: فلما فضَّ الله جموع الأحزاب انطلق -يعني حيي بن أخطب- حتى إذا كان بالروحاء ذكر العهد والميثاق الذي أعطاهم، فرجع حتى دخل معهم، فلما أقبلت بنو قريظة أتى به مكتوفًا بعد، فقال حيي للنبي ﷺ أما والله ما لمت نفسي في عداوتك، ولكنه من يخذل الله يُخذل، فأمر به النبي ﷺ فضربت عنقه (1). ثم أنه أقبل على الناس قبل تنفيذ حكم الإعدام وقال لهم: أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه (2).

### 23- جلد الكافر في مواطن الشدة:

لقد تجلَّد حيي بن أخطب وتقدم لتضرب عنقه حتى لا يشمت فيه شامت، وهو يعرف أنه على باطل، ظالم لنفسه، قد أورد لها موارد الهلاك، ومع هذا يموت على ذلك، والعزة بالإثم تأخذه إلى جهنم وبئس المصير؛ لأنه يعبد هواه، ولا يعبد ربه، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: 23].

### 24- من يخذل الله يُخذل:

إن الله تعالى إذا خذل أحداً ليس له نصير يمنع أو يدفع عنه، قال سبحانه:

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: 160].

كما أن عداوة حيي بن أخطب للرسول ﷺ باعثها الحسد والحقد؛ ولذلك عبر حيي صراحة أن الله لم يكن معه يوماً من الأيام، بل كان حيي في شق الشيطان عدواً لأولياء الرحمن، يشاقق الله، فالله خذله ومُسَلِّمَه لكل ما يؤذيه ويتعبه، ولا توجد قوة في الأرض ولا في السماء تنصره وتحول بينه وبين الهزيمة؛ لأن إرادة الله هي النافذة، وقدره هو

(1) انظر: مصنف عبد الرزاق (371/5) رقم 9727.

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (265/3).

الكائن، لا راداً لقضائه، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء(1). قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: 17].

## 25- فضائل لسعد بن معاذ رضي الله عنه

منها:

1- استجابة الله تعالى لدعائه عندما قال: (اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إليّ أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك ﷺ وأخرجوه، اللهم فإن بقي من حرب قريش شيء فأبقني له حتى أجاهدهم فيك)، وقد استجيب دعاؤه فتحجر جرحه، وتمائل للشفاء(2) حتى كانت غزوة بني قريظة، وكان سعد قد دعا أيضاً: (ولا تمتني حتى تفر عيني من بني قريظة(3))، وجعل رسول الله ﷺ الحكم فيهم إليه، فحكم فيهم بالحق ولم تأخذه في الله لومة لائم، وهذا دليل على تجرد قلبه لله تعالى(4).

وعندما نفذ حكم الله في يهود بني قريظة رفع سعد يده يدعو الله ثانية يقول: اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم (يعني قريشاً والمشركين)، فإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها واجعل موتي فيها(5)، وقد استجيب دعاؤه فانفجر جرحه تلك الليلة ومات رحمه الله(6). ومن خلال دعائه الأول والثاني، نلاحظ هذا الدعاء العجيب، دعاء العظماء الذين يعرفون أن رسالتهم في الحياة ليست الاستشهاد فقط، بل متابعة الجهاد إلى اللحظة الأخيرة، فهو المسؤول عن نصرته الإسلام في قومه وأمته(7).

2- إكرام رسول الله له، ونجد ذلك في قوله ﷺ للأنصار عندما جاء

(1) انظر: الصراع مع اليهود (113/2، 114).

(2) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص228.

(3) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب إخراج اليهود (1389/3) رقم 1769.

(4) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (170/6).

(5) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (275/3).

(6) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص228.

(7) انظر: التربية القيادية (70/3).

سعد للحكم في بني قريظة: «**قوموا إلى سيدكم**»<sup>(1)</sup>. وهذا تكريم لسعد، وتقدير لشجاعته حيث سماه سيِّدًا، وأمر بالقيام له<sup>(2)</sup>.

### 3- لو أقسم على الله لأبره :

ونرى ذلك في سيرته أنه لو أقسم على الله لأبره، فهو وجيه في السماوات والأرض، فقد شاءت إرادة المولى تعالى أن يعيد الأمر في بني قريظة كله إليه، وأن يطلب بنو قريظة أن يكون الحكم فيهم لسعد بن معاذ.

### 4- زهده في الحياة ورغبته في لقاء الله :

فهو لم يحرص كثيرًا على الحياة، بعد انتهاء الجهاد، وانتهاء المسؤولية وتأدية الأمانة المناطة به في قيادة قومه لحرب الأحمري والأسود من الناس، فإذا انتهت الحروب ووضعت بين المسلمين وقريش، وشفى غيظ قلبه في الحكم في بني قريظة، وبدا قطف الثمار للإسلام فلا ثمرة أشهى من الشهادة (فأفجر جرحي واجعل موتي فيه)<sup>(3)</sup>. وقد تحققت آماله، فقد أصدر حكمه في بني قريظة وشهد مصرع حلفاء الأمس أعداء اليوم، وها هو جرحه ينفجر<sup>(4)</sup>.

5- الملائكة تشيع سعد بن معاذ: عندما انفجر جرحه ﷺ نقله قومه فاحتملوه إلى بني عبد الأشهل إلى منازلهم.

وجاء رسول الله ﷺ فقيل: انطلقوا فخرج وخرج معه الصحابة، وأسرع حتى تقطعت شسوع نعالهم، وسقطت أريدتهم، فقال: إني أخاف أن تسبقنا الملائكة فتغسله كما غسلت حنظلة، فانتهى إلى البيت وهو يغسل، وأمه تبكيه وتقول:

ويل أم سعد سعدًا حزامه وجدًا

فقال: **كل نائحة تكذب إلا أم سعد**، ثم خرج به، وقال: يقول له القوم: ما حملنا يا رسول الله ميثًا أخف علينا منه قال: «**وما يمنعه أن يخف؟ وقد هبط من الملائكة كذا وكذا لم يهبطوا قط قبل يومهم قد حملوه**

(1) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (263/3).

(2) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 265.

(3) انظر: التربية القيادية (71/4).

(4) المصدر نفسه (74/4).

معكم»(1).

وقد جاء في النسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما عدد الملائكة الذين شاركوا في تشييع جنازة سعد فقد قال ﷺ: «هذا العبد الصالح الذي تحرك له العرش، وفتحت أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة، لم ينزلوا إلى الأرض قبل ذلك، لقد ضم ضمة ثم أفرج عنه»(2) يعني سعداً.

وها هو رسول الله ﷺ يودع سعداً كما روى عبد الله بن شداد: دخل رسول الله ﷺ وهو يكيده نفسه فقال: «جزاك الله خيراً من سيد قوم، فقد أنجزت ما وعدته، ولينجزك الله ما وعدك»(3).

### 6- يهتز لموته عرش الرحمن :

لقد أتى النبي ﷺ على هذا العبد الصالح بعد موته كثيراً أمام الصحابة ليتعرف الناس على أعماله الصالحة فيتأسوا به (4)، فقد قال ﷺ: «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ»(5) وفي حديث البراء بن عازب ﷺ قال: أهديت لرسول الله ﷺ حلة حرير فجعل أصحابه يلمسونه ويعجبون من لينها، فقال: «أتعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها وألين»(6).

### 26- ضمة القبر نسأل الله العافية :

ومع المآثر والمحاسن والأعمال الجليلة التي قدمها سعد بن معاذ رضي الله عنه لخدمة دين الله، فقد تعرض لضمة القبر: لما انتهوا إلى قبر سعد ﷺ نزل فيه أربعة: الحارث بن أوس، وأسيد بن الحضير، وأبو نائلة سلكان، وسلمة بن سلامة بن وقش، ورسول الله ﷺ واقف، فلما وضع في قبره، تغير وجه رسول الله ﷺ وسبح ثلاثاً، فسبح المسلمون حتى ارتج البقيع ثم كبر ثلاثاً، وكبر المسلمون، فسئل عن ذلك فقال: «تضايق على صاحبكم القبر، وضم ضمة لو نجا منها أحد

(1) انظر: سير أعلام النبلاء (287/1) إسناده حسن.

(2) انظر: سير أعلام النبلاء (295/1) إسناده صحيح، أخرجه النسائي (100/4) في الجنائز.

(3) انظر: سير أعلام النبلاء (288/1) رجاله ثقات.

(4) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (171/6).

(5) مسلم، فضائل الصحابة رقم 2466.

(6) مسلم، فضائل الصحابة، رقم 2468.

لنجا هو، ثم فرج الله عنه»(1).

## 27- الحرب خدعة:

وجد ذلك في طلبه الرسول ﷺ من نعيم بن مسعود، أن يخذل بين الأحزاب ما استطاع في "غزوة الأحزاب" دليل على أن الخديعة في حرب الأعداء مشروعة إذا كانت تؤدي إلى النصر، وأن كل طريق يؤدي إلى النصر وإلى الإقلال من سفك الدماء مقبول في نظر الإسلام، ما عدا الغدر والخيانة، وهذا من حكمته السياسية والعسكرية ﷺ، وهو لا ينافي مبادئ الأخلاق الإسلامية، فإن المصلحة في الإقلال من عدد ضحايا الحروب مصلحة إنسانية.

والمصلحة في انهزام الشر والكفر والفتنة مصلحة إنسانية وأخلاقية، فاللجوء إلى الخدعة في المعارك يلتقي مع الأخلاق الإنسانية التي ترى في الحروب شراً كبيراً، فإذا اقتضت الضرورة قيامها، كان من الواجب إنهاؤها عن أي طريق كان، لأن الضرورة تقدر بقدرها، والله لم يشرع القتال إلا لحماية دين أو أمة أو أرض، فالخدعة مع الأعداء بما يؤدي إلى هزيمتهم، تعجيل بانتصار الحق الذي يحاربه أولئك المبطلون. ولذلك أثار عن الرسول ﷺ في "غزوة الأحزاب" قوله لعروة ابن مسعود: "**الحرب خدعة**" وهذا مبدأ مسلم به في جميع الشرائع والقوانين.

## 28- الإسلام يكرم المرأة :

كانت سلمى بنت قيس وكنيتها أم المنذر أخت سليط بن قيس، وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ، قد صلت معه القبلتين، وبايعته بيعة النساء، سأله رفاعة ابن سموال القرظي، وكان رجلاً قد بلغ، فلاذ بها، وكان يعرفهم قبل ذلك فقالت: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، هب لي رفاعة، فإنه قد زعم أنه سيصلي ويأكل لحم الجمل، فوهبه لها، فاستحيته (2). وفي هذا الخبر دليل على أن الإسلام يكرم المرأة ويعتبر شفاعتها، هذه هي معاملة المرأة في هذا الدين، إنه يكرمها، ويساعدها

(1) انظر: التربية القيادية (77/4)، نقلاً عن مسند الإمام أحمد (141/6).

(2) انظر: الصراع مع اليهود (116/2).

ويشجعها على فعل الخير (1).

## 29- شجاعة المرأة المسلمة:

فمن ذلك ما حدث من صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها وأرضاها، لما رأت رجلاً من اليهود يطيف بالحصن، وفيه النساء والصبية، وقد حاربت بنو قريظة ونقضوا العهد، وقطعت ما بينها وبين النبي ﷺ، وليس بينهم أحد يدافع عنهم، فخشيت أن يدل اليهودي على عورات المسلمين، وقد شغل رسول الله ﷺ وأصحابه، فاحتجزت ثم أخذت عموداً، ثم نزلت من الحصن إليه، فضربته بالعمود حتى قتلتها، ثم رجعت إلى الحصن.

الله أكبر ليت في رجالنا كثير من مثل صفية بنت عبد المطلب. وكان لهذا الفعل من صفية، وهي عمة رسول الله ﷺ الأثر العظيم في حفظ ذراري المسلمين ونسائهم، فظن اليهود أن الأطم والحصون ممنعة من الجيش، فلم يجترئوا ثانية على القيام بمثل هذا العمل.

## 30- من أدب الخلاف:

في اختلاف الصحابة في فهم كلام رسول الله ﷺ: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة» (2)، فبعضهم فهم منه المراد الاستعجال، فصلى العصر لما دخل وقته، وبعضهم أخذ بالظاهر فلم يصل إلا في بني قريظة، ولم يعنف النبي ﷺ أحداً منهم أو عاتبه، ففي ذلك دلالة هامة على أصل من الأصول الشرعية الكبرى وهو تقرير مبدأ الخلاف في مسائل الفروع، واعتبار كل من المتخالفين معذوراً ومثاباً، كما أن فيه تقريراً لمبدأ الاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية، وفيه ما يدل على أن استئصال الخلاف في مسائل الفروع التي تنبع من دلالات ظنية أمر لا يمكن أن يتصور أو يتم (3).

إن السعي في محاولة القضاء على الخلاف في مسائل الفروع، معاندة للحكمة الربانية والتدبير الإلهي في تشريعه، عدا أنه ضرب من العبث الباطل، إذ كيف تضمن انتزاع الخلاف في مسألة ما دام دليلها

(1) انظر: فقه السيرة النبوية للبوطي، ص 226.

(2) البخاري، كتاب المغازي، (60/5) رقم 4119.

(3) انظر: فقه السيرة النبوية للبوطي، ص 226.

ظنيًا محتملاً؟... ولو أمكن ذلك أن يتم في عصرنا، لكان أولى العصور به عصر رسول الله ﷺ، وكان أولى الناس بألا يختلفوا هم أصحابه، فما بالهم اختلفوا مع ذلك كما رأيت؟<sup>(1)</sup> وفي الحديث السابق من الفقه أنه لا يعاب على من أخذ بظاهر حديث نبوي أو آية من كتاب الله، كما لا يعاب من استنبط من النص معنى يخصه، وفيه أيضاً أن المختلفين في الفروع من المجتهدين لا إثم على المخطئ، فقد قال ﷺ: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد**» (2).

وحاصل ما وقع أن بعض الصحابة حملوا النهي على حقيقته، ولم يبالوا بخروج الوقت وقت الصلاة توجيهاً لهذا النهي الخاص على النهي العام عن تأخير الصلاة عن وقتها (3).

وقد علق الحافظ ابن حجر على هذه القصة فقال: ثم الاستدلال بهذه القصة على أن كل مجتهد مصيب على الإطلاق ليس بواضح، وإنما فيه ترك تعنيف من بذل وسعه واجتهد، فيستفاد منه عدم تأثيمه، وحاصل ما وقع في القصة أن بعض الصحابة حملوا النص على حقيقته، ولم يبالوا بخروج الوقت ترجيحاً للنهي الثاني على النهي الأول، وهو ترك تأخير الصلاة عن وقتها، واستدلوا بجواز التأخير لمن اشتغل بأمر الحرب بنظير ما وقع في تلك الأيام بالخندق، والبعض الآخر حملوا النهي على غير الحقيقة، وأنه كناية على الحث والاستعجال والإسراع إلى بني قريظة، وقد استدل به الجمهور على عدم تأثيم من اجتهد؛ لأنه ﷺ لم يعنف أحداً من الطائفتين، فلو كان هناك إثم لعنف من أثم (4).

### 31- عدم صحة ما يروى عن جبن حسان:

ففي قصة صفة عمه رسول الله ﷺ وقتلها لليهودي جاء في رواية سندها ضعيف أن صفة رضي الله عنها- قالت لحسان بن ثابت: إن هذا اليهودي يطيف بالحصن كما ترى، ولا آمنه أن يدل على عورتنا من ورائنا من يهود، وقد شغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه فانزل إليه

(1) سنن أبي داود (3557).

(2) المستفاد من قصص القرآن (286/2)

(3) اختصار من فتح الباري (473/7).

(4) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص365.



فاقتله، فقال: يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا، قالت صفيّة: فلما قال ذلك، احتجرت عمودًا ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلتها، ثم رجعت الحصن، فقلت: يا حسان انزل فاستلبه، فإنه لم يمنعني أن استلبه إلا أنه رجل، فقال: مالي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب (1).

وهذا الخبر لا يصح لأمر منها:

- 1- من حيث الإسناد فالخبر ليس مسندًا، وهو ساقط لا يصح ولا يجوز أن يروى، فيساء إلى صحابي من صحابة رسول الله ﷺ كان ينافح عن الدعوة وعن رسول الله ﷺ عمره كله.
- 2- لو كان حسان بن ثابت ؓ معروفًا بالجبن الذي ذكر عنه لهجاه أعداؤه ومبغضوه بهذه الخصلة الذميمة، لا سيما الذين كان يهاجهم، فلم يسلم من هجائه أحد من زعماء الجاهلية، والرسول ﷺ كان يؤيده ويدعو له، ويشجعه على هجاء زعماء المشركين (2).

### 32- التوفيق في اختيار المواقع :

فقد ذكر الواقدي: أن رسول الله ﷺ ركب فرسًا له ومعه نفر من أصحابه من المهاجرين والأنصار، فارتاد موضعًا ينزله، فكان أعجب المنازل إليه أن يجعل سلعًا خلف ظهره ويخندق من المذاد إلى ذباب (3) إلى راتج (4)، وقد استفاد ﷺ من مناعة جبل سلع (5) في حماية ظهور الصحابة.

كان اختيار تلك المواقع موفقًا؛ لأن شمال المدينة هو الجانب المكشوف أمام العدو والذي يستطيع منه دخول المدينة وتهديدها، أما الجوانب الأخرى فهي حصينة منيعة، تقف عقبة أمام أي هجوم يقوم به الأعداء، فكانت الدور من ناحية الجنوب متلاصقة عالية كالسور المنيع، وكانت حرة واقم (6) من جهة الشرق، وحرّة الوبرة من جهة الغرب،

(1) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 365.

(2) نفس المصدر، ص 366.

(3) ذباب: أكمة صغيرة في المدينة يفصل بينها وبين جبل سلع ثنية الوداع.

(4) راتج: حصن من حصون المدينة لأناس من اليهود.

(5) جبل سلع: هو أشهر جبال المدينة، انظر: معجم البلدان (236/3).

(6) هي حرة المدينة الشرقية: انظر: معجم معالم الحجاز (283/2، 285).

تقومان كحصن طبيعي، وكانت أطام بني قريظة في الجنوب الشرقي كقبيلة بتأمين ظهر المسلمين، وكان بين الرسول ﷺ وبني قريظة عهد ألا يمالئوا عليه أحداً، ولا يناصروا عدوًّا ضده (1).

ويستفاد من بحث الرسول ﷺ عن مكان ملائم لنزول الجند أهمية الموقع الذي ينزل فيه الجند، وأنه ينبغي أن يتوافر فيه شرط أساسي وهو الحماية التامة للجند؛ لأن ذلك له أثر واضح على سير المعركة ونتائجها (2).

### 33- إحكام الخطة في المعركة:

لقد كانت خطة الرسول ﷺ في الخندق متطورة، ومتقدمة، حيث شرع بالأخذ بالأساليب الجديدة في القتال، ولم يكن حفر الخندق من الأمور المعروفة لدى العرب في حروبهم، بل كان الأخذ بهذا الأسلوب غريباً عنهم، وبهذا يكون الرسول ﷺ هو أول من استعمل الخندق في الحروب في تاريخ العرب والمسلمين، فقد كان هذا الخندق مفاجأة مذهلة لأعداء الإسلام، وأبطل خطتهم التي رسموها، وكان من عوامل تحقيق هذه المفاجأة ما قام به المسلمون من إتقان رفيع لسرية الخطة وسرعة إنجازها، وكان هذا الأسلوب الجديد في القتال له أثر في إضعاف معنويات الأحزاب وتشثيت قواتهم.

### 34- الاهتمام بالجبهة الداخلية:

ونرى ذلك في الآتي:

1- تأمين النساء والذراري : لما علم النبي ﷺ بقدم جيش الأحزاب وأراد الخروج إلى الخندق أمر بوضع ذراري المسلمين ونسائهم وصبيانهم في حصن بني حارثة، حتى يكونوا في مأمن من خطر الأعداء، وقد فعل ذلك ﷺ لأن حماية الذراري والنساء والصبيان لها أثر فعال على معنويات المقاتلين؛ لأن الجندي إذا اطمأن على زوجه وأبنائه يكون مرتاح الضمير هادئ الأعصاب، فلا يشغل تفكيره أمر من أمور الحياة، يسخر كل إمكاناته وقدراته العقلية والجسدية للإبداع في القتال، أما إذا كان الأمر بعكس ذلك فإن أمر الجندي يضطرب ومعنوياته

(1) انظر: العبقرية العسكرية في غزوات الرسول، ص 442.

(2) انظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول، ص 426.

تضعف ويستولي عليه القلق، مما يكون له أثر في تراجعته عن القتال؛ وبذلك تنزل الكارثة بالجميع (1).

## 2- مشاركة النبي جنده في الحفر:

ومن الأمور التي ساهمت في تقوية وتماسك الجبهة الداخلية مشاركة النبي ﷺ جنده أعباء العمل، فقد شارك الرسول ﷺ الصحابة في العمل المضني، فأخذ يعمل بيده الشريفة، في حفر الخندق، فعن ابن إسحاق قال: سمعت البراء يحدث قال: لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله ﷺ رأيتَه ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه، وكان كثير الشعر (2).

فعمل رسول الله ﷺ مع الصحابة بهمة عالية لا تعرف الكلل، فأعطى القدوة الحسنة لأصحابه حتى بذلوا ما في وسعهم لإنجاز حفر ذلك الخندق.

## 3- مشاركة النبي ﷺ في الآلام والآمال:

فقد كان ﷺ يشارك الصحابة -رضي الله عنهم- في الآلام وآمالهم، بل كان يستأثر بالمصاعب الجمة دونهم، ففي غزوة الأحزاب نجد أنه ﷺ كان يعاني من ألم الجوع كغيره، بل أشد، حيث وصل به الأمر إلى أن يربط حجرًا على بطنه الشريف من شدة الجوع (3)، ثم إنه ﷺ شاركهم في آلامهم فحين وجد ما يسد رمقه بعد هذا الجوع الذي استمر ثلاثًا، لم يستأثر بذلك دونهم، وهذا ما سوف نعرفه بإذن الله عند الحديث عن وليمة جابر بن عبد الله ﷺ.

فالنبي ﷺ هو القائد الأعلى وهو المشرف المباشر على إدارة المعركة فهو الذي يرسم الخطط ويراقب تنفيذها فهو الذي:

أ- أمر بحفر الخندق بعد أن تمت المشاورة في ذلك، فاختار مكانًا مناسبًا لذلك، وهي السهول الواقعة شمال المدينة، إذ كانت هي الجهة الوحيدة المكشوفة أمام الأعداء.

ب- قسم أعمال حفر الخندق بين الصحابة، كل أربعين ذراعًا لعشرة من الصحابة، وكل بكل جانب جماعة يحفرون فيه.

(1) انظر: غزوة الأحزاب، د. محمد عبد القادر أبو فارس، ص 98.

(2) انظر: البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الأحزاب، (57/5) رقم 4106.

(3) انظر: غزوة الأحزاب، د. محمد أبو فارس، ص 116، 117.

ج- سيطر ﷺ على العمل، فلا يستطيع أحد ترك عمله إلا بإذن منه ﷺ .  
د- قسم ﷺ واجبات احتلال الموضع بنفسه، بحيث تستمر الحراسة على كل شبر من الخندق ليلاً ونهاراً، ثم إنه ﷺ كان يقوم بمهمة الإشراف العام على الجند بتشجيعهم ورفع معنوياتهم.

#### 4- رفع معنويات الجنود وإدخال السرور عليهم:

اقترن حفر الخندق بصعوبات جمة، فقد كان الجو بارداً، والريح شديدة والحالة المعيشية صعبة، بالإضافة إلى الخوف من قدوم العدو الذي يتوقعونه في كل لحظة، ويضاف إلى ذلك العمل المضني، حيث كان الصحابة يحفرون بأيديهم وينقلون التراب على ظهورهم، ولا شك في أن هذا الظرف بطبيعة الحال يحتاج إلى قدر كبير من الحزم، والجد، ولكن النبي ﷺ لم ينسَ في هذا الظرف أن هؤلاء الجند إنما هم بشر كغيرهم، لهم نفوس بحاجة إلى الراحة من عناء العمل، كما أنها بحاجة إلى من يدخل السرور حتى تنسى تلك الآلام التي تعانيها فوق معاناة العمل الرئيسي. ولهذا نجد أن النبي ﷺ كان يرتجز بكلمات ابن رواحه وهو ينقل التراب :

اللهم لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صالينا  
فأنزلن سكينتنا علينا  
إن الأعداء قد بغوا علينا  
ثم يمد صوته بأخرها(1).

وعن أنس رضي الله عنه أن أصحاب محمد ﷺ كانوا يقولون يوم الخندق:  
نحن الذين بايعوا محمداً  
أوقال على الجهاد والنبي يقول:

اللهم إن الخير خير الآخرة  
فأغفر للأصهار

لقد كان لهذا التبسط والمرح في ذلك الوقت أثره في التخفيف عن الصحابة مما يعانونه نتيجة للظروف الصعبة التي يعيشونها، كما كان له أثره في بعث الهمة والنشاط بإنجاز العمل الذي كلفوا بإتمامه، قبل

(1) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق (57/5) رقم 4106.  
(2) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب (1432/3) رقم 129.

وصول عدوهم(1).

### 5- تقدير ظروف الجند والإذن بالانصراف عند الحاجة:

كان الصحابة رضي الله عنهم على قدر كبير من الأدب مع النبي ﷺ، فكانوا يستأذنونهم في الانصراف إذا عرضت لهم ضرورة، فيذهبون لقضاء حوائجهم، ثم يرجعون إلى ما كانوا فيه من العمل، رغبة في الخير واحتساباً له، فأنزل الله فيهم:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور: 62].

ومعنى الآية الكريمة: إذا استأذنتك يا محمد الذين لا يذهبون عنك إلا بإذنتك في هذه المواطن لقضاء بعض حاجاتهم التي تعرض لهم فأذن لمن شئت منهم في الانصراف عنك لقضائها، واستغفر لهم(2)، فكان النبي ﷺ بالخيار، إن شاء أذن له إذا رأى ذلك ضرورة للمستأذن، ولم ير فيه مضرة على الجماعة، فكان يأذن أو يمنع حسب ما تقتضيه المصلحة ويقتضيه مقام الحال(3).

### 6- تقسيم الصحابة إلى دوريات للحراسة:

قسم النبي ﷺ أصحابه إلى مجموعات للحراسة ومقاومة كل من يريد أن يخترق الخندق، وقام المسلمون بواجبهم في حراسة الخندق وحراسة نبيهم ﷺ، واستطاعوا أن يصدوا كل هجوم حاول المشركون شنه، وكانوا على أهبة الاستعداد جنوداً وقيادة، حتى أنهم استمروا ذات يوم من السحر إلى جوف من الليل في اليوم الثاني، ويفوت المسلمون الصلوات الأربع، ويقضونها لعجزهم عن التوقف لحظة واحدة أثناء الاشتباك المباشر للقتال، واستطاع علي بن أبي طالب مع مجموعة من الصحابة أن يصدوا محاولة عكرمة ابن أبي جهل، بل تصدى علي لبطل قريش عمرو بن عبد ود وقتله(4)، وكانت هناك مجموعة من

(1) انظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول، ص 482.

(2) انظر: صفوة التفاسير للصابوني (351/2).

(3) أحكام القرآن لابن العربي (1410/3).

(4) انظر: فقه السيرة لمخير الغضبان، ص 504.

الأنصار تقوم بحراسة النبي ﷺ في كل ليلة على رأسهم عباد بن بشر

### 35- معجزات أيد الله بها نبيه ﷺ :

ظهرت خلال مرحلة حفر الخندق معجزات للنبي ﷺ، منها تكثير الطعام الذي أعده جابر بن عبد الله، فعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: إنا يوم الخندق مُحَقَّرٌ (1)، فعرضت كدية شديدة، فجاءوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: «أنا نازل» ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقًا، فأخذ النبي ﷺ المعول، فضرب في الكدية فعاد كثيبًا أهيل (2) أو أهيم (3).

قال جابر: فقلت: يا رسول الله، ائذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي ﷺ شيئًا ما كان في ذلك صبر، فعندك شيء؟ فقلت: عندي شعير وعناق (4)، فذبحت العناق، وطحنت الشعير، حتى جعلنا اللحم بالبرمة (5)، ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي (6). قد كادت أن تنضج، فقلت: طُعِمْتُ لي، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان، قال: «كم هو؟» فذكرت له، فقال «كثير طيب»، قال: قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي. فقال: «قوموا»، فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخل على امرأته قال: ويحك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، قالت: هل سألك؟ قلت: نعم، فقال «ادخلوا ولا تصاغطوا» (7) فجعل يكثر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه، ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية، قال: «كلي هذا وأهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة» (8).

وهذه ابنة بشير بن سعد تقول: دعنتني أُمِّي عمرة بنت رواحة

(1) محقر: اسم فاعل من حقر.

(2) أهيل: رملا سائلا. انظر: النهاية في غريب الحديث (289/5).

(3) أهيم: الرمل الذي لا يمالك، انظر: لسان العرب (858/3).

(4) العناق: الأثني من أولاد المعاز، انظر: النهاية في غريب الحديث (310/3).

(5) البرمة: هي القدر مطلقا، انظر: النهاية في غريب الحديث (121/1).

(6) الأثافي: الحجارة التي تنصب ويجعل القدر عليها، انظر: القاموس المحيط (120/3).

(7) ولا تصاغطوا: أي لا تراحموا. انظر: لسان العرب (537/2).

(8) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق (55/5) رقم 4101.

فأعطتني حفنة من تمر في ثوبي، ثم قالت: أي بنية، اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما، قالت: فأخذتها فانطلقت بها، فمررت برسول الله ﷺ وأنا ألتمس أبي وخالي، فقال: تعالي يا بنية ما هذا معك؟ فقلت: يا رسول الله، هذا تمر بعثتني به أمي إلى أبي بشير بن سعد، وخالي عبد الله بن رواحة يتغذيانه، قال: هاتيه، قالت: فصببته في كفي رسول الله ﷺ فما ملأتهما، ثم أمر بثوب فبسط له ثم دعا بالتمر عليه فتبدد فوق الثوب، ثم قال لإنسان عنده: **اصرخ في أهل الخندق أن هلم إلى الغذاء**، فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه، وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه، وإنه ليسقط من أطراف الثوب(1).

ومن دلائل النبوة أثناء حفر الخندق إخباره ﷺ عمار بن ياسر - وهو يحفر معهم الخندق - بأن ستقتله الفئة الباغية، فقتل في صفين وكان في جيش علي(2)، وعندما اعترضت صخرة الصحابة وهم يحفرون، ضربها الرسول ﷺ ثلاث ضربات فتفتتت قال إثر الضربة الأولى: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إنني لأبصر قصورها الحمراء الساعة»، ثم ضربها الثانية فقال: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إنني لأبصر قصر المدائن أبيض»، ثم ضرب الثالثة، وقال: «الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إنني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذه الساعة»(3). وقد تحققت هذه البشارة التي أخبرت عن اتساع الفتوحات الإسلامية والإخبار عنها في وقت كان المسلمون فيه محصورين في المدينة يواجهون المشاق والخوف والجوع والبرد القارس(4).

### 36- بث الخذلان في صفوف الأعداء:

استخدام النبي ﷺ سلاح التشكيك والدعاية لتمزيق ما بين الأحزاب من ثقة وتضامن، فلقد كان يعلم ﷺ أن هناك تصدعاً خفياً بين صفوف الأحزاب، فاجتهد أن يبرزه ويوسع شقته ويستغله في جانبه، فقد سبق أن أطمع غطفان ففكك عزمها، والآن ساق المولى عز وجل نعيم بن

(1) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (241/3).

(2) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 448.

(3) المصدر نفسه، ص 449.

(4) انظر: المرأة في العهد النبوي، ص 175.

مسعود الغطفاني إلى رسول الله ﷺ ليعلم إسلامه، وقال له: يا رسول الله، إن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت، فقال له رسول الله ﷺ: **«إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة»**(1).

فقام نعيم بزرع الشك بين الأطراف المتحالفة بأمر من رسول الله ﷺ، فأغرى اليهود بطلب رهائن من قريش لئلا تدعمهم وتتصرف عن الحصار، وقال لقريش بأن اليهود إنما تطلب الرهائن لتسليمها للمسلمين ثمناً لعودتها إلى صلحهم، لقد اشتهرت قصة نعيم بن مسعود في أنها لا تتنافى مع قواعد السياسة الشرعية، فالحرب خدعة(2).

وقد نجحت دعاية نعيم بن مسعود أيما نجاح، فغرست روح التشكيك، وعدم الثقة بين قادة الأحزاب؛ مما أدى إلى كسر شوكتهم، وتهيب عزمهم.

وكان من أسباب نجاح مهمة نعيم قيامها على الأسس التالية:

أ- أنه أخفى إسلامه عن كل الأطراف، بحيث وثق كل طرف فيما قدمه له من نصح.

ب- أنه ذكر بني قريظة بمصير بني قينقاع وبني النضير، وبصرهم بالمستقبل الذي ينتظرهم إن هم استمروا في حروبهم للرسول ﷺ، فكان هذا الأساس سبباً في تغيير أفكارهم وقلب مخططاتهم العدوانية.

ج- أنه نجح في إقناع كل الأطراف بأن يكتم كل طرف ما قال له، وفي استمرار هذا الكتمان نجاح في مهمته، فلو انكشف أمره لدى أي طرف من الأطراف لفشلت مهمته. وهكذا قام نعيم بن مسعود بدور عظيم في غزوة الأحزاب(3).

### 37- أهمية الصلاة الوسطى:

قال ﷺ: **«ملا الله عليهم بيوتهم وقبورهم ناراً، كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس»**(4).

وقد استدلت طائفة من العلماء بهذا الحديث على كون الصلاة

(1) انظر: البداية والنهاية (113/4).

(2) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (430/2).

(3) انظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول، ص 477.

(4) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق رقم 4111.



الوسطى هي صلاة العصر، كما هو منصوص عليه، وألزم القاضي الماوردي مذهب الشافعي بهذا لصحة الحديث، وقد استدل طائفة من العلماء بهذا الصنيع على جواز تأخير الصلاة لعذر القتال كما هو مذهب مكحول والأوزاعي(1).

قال الدكتور البوطي(2): لقد فاتت النبي ﷺ صلاة العصر كما رأيت في هذه الموقعة، لشدة انشغاله، حتى صلاها قضاء بعدما غربت الشمس. وفي روايات أخرى غير الصحيحين أن الذي فاتته أكثر من صلاة واحدة، صلاها تباعاً بعدما خرج وقتها وفرغ لأدائها، وهذا يدل على مشروعية قضاء الفائتة، ولا ينقض هذه الدلالة ما ذهب إليه البعض من أن تأخير الصلاة لمثل ذلك الانشغال كان جائزاً إذ ذاك ثم نسخ حينما شرعت صلاة الخوف للمسلمين رجالاً وركباً عند التحام القتال بينهم وبين المشركين، إذ النسخ على فرض صحته ليس وارداً على مشروعية القضاء، وإنما هو وارد على صحة تأخير الصلاة بسبب الانشغال، أي أن نسخ صحة التأخير ليس نسخاً لما كان قد ثبت من مشروعية القضاء أيضاً، بل هي مسكوت عنها، فتبقى على مشروعيتها السابقة(3).

### 38- بين التصور والواقع:

قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله، أرايتم رسول الله وصحبتموه؟ قال: نعم، يا ابن أخي، قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد، قال: فقال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض، ولحملناه على أعناقنا، فقال حذيفة: يا ابن أخي، والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ، بالخندق، ثم ذكر حديث تكليفه بمهمة الذهاب إلى معسكر المشركين.

هذا تابعي يلتقي بالصحابي حذيفة ويتخيل أنه لو وجد مع رسول الله ﷺ لاستطاع أن يفعل ما لم يفعله الصحابة الكرام، والخيال شيء والواقع شيء آخر، والصحابة - رضي الله عنهم - بشر، لهم طاقات البشر، وقدراتهم، وقد قدموا كل من يستطيعون، فلم ييخلوا بالأنفس فضلا عن

(1) انظر: الأساس في السنة (682/2).

(99) أنظر: فقه السيرة للبوطي ص 240-241

(3) انظر: فقه السيرة النبوية، ص 223.

المال والجهد، وقد وضع ﷺ الأمور في نصابها بقوله: «خير القرون قرني» فبين أن عملهم لا يعدله عمل.

إن الذين جاءوا من بعد، فوجدوا سلطان الإسلام ممتدًا، وعاشوا في ظل الأمن والرخاء والعدل، بعيدين عن الفتنة والابتلاء، هم بحاجة إلى نقلة بعيدة يستشعرون من خلالها أجواء الماضي بكل ما فيه من جهالات وضلالات وكفر، وبعد ذلك يمكنهم تقدير الجهد المبذول من الصحابة حتى قام الإسلام في الأرض .

### 39- ولينصرن الله من ينصره:

إن المؤمنين إذا اجتهدوا في الدفاع عن دينهم وجهاد أعداء الله وأعداء رسوله وفعلوا قصارى طاقتهم في نصر الله ورسالته فإن الله - سبحانه وتعالى - يكرمهم بعون منه وتأييد فيصنع لهم ويهيئ لهم من أسباب الغلبة والنصر ويبعث لهم من جنود العز والتمكين ما لم يكن لهم على حساب ويؤيدهم بجند من عنده وما يعلم جنود ربك إلا هو فإذا صدقنا إيماننا وتمسكنا بديننا والتزمنا بنهج نبينا في كل أمورنا فلا يضرنا كيد الكائدين ولا مكر الماكرين..

فالله جل جلاله يدافع عن الذين آمنوا كما قال جل ذكره: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فالله سبحانه نعم المولى ونعم النصير يبتلي أوليائه ليميز الخبيث من الطيب فإذا تبين أهل محبته وأهل دينه وتميزت الصفوف جاءهم وعده ووقع خبره ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾.

### 40- شدة عداوة اليهود للإسلام وأهله:

إنهم قومٌ عادوا الإسلام وعادوا نبي الإسلام ووقفوا في طريق تبليغ دعوة الله حجر عثرة ومنع دون وصوله إلى الناس، ولم يجد معهم أي قانون ولم يحترموا أي عهد فكان ما كان من تعامل النبي الأكرم معهم، بحكمة السياسي المحنك، وقوة المسلم الأبوي وتوفيق الله لنبيه ﷺ، لا سيما مع قوم شيمتهم اللؤم وطبعهم الغدر وعتهم الخيانة والجبن.. وفي هذه المعركة نرى بنو قريظة نقضوا العهد، جاء في الصحيحين " أن النبي ﷺ لما رجع من الخندق ووضع السلاح واغتسل،

أتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال: قد وضعت السلاح؟ والله ما وضعناه، فاخرج إليهم قال: فإلى أين؟ قال: ههنا، وأشار إلى بني قريظة، فخرج النبي ﷺ إليهم.

ونادى ﷺ في المسلمين: "ألا لا يُصلين أحدُ العصرِ إلا في بني قريظة"، فسار الناس، فأدرك بعضهم في الطريق، فقال بعضهم: لا نُصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم بل نُصلي، ولم يرد منا بذلك، فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فلم يُعنف أحدًا منهم.

ثم أنهم نزلوا على حُكم رسول الله ﷺ فيهم، وقد كانت بنو قريظة حُفَاءَ لِلأوس- فأحبَّ رسول الله ﷺ أن يكلَّ الحكم عليهم إلى واحدٍ من رؤساء الأوسيين، فجعل الحكم فيهم إلى سعد بن معاذ، وكان قد أُصيب بسهم في الخندق في خيمة هناك، فلمَّا حكَّه رسول الله ﷺ في بني قريظة وأرسل إليه بذلك، أتى على جمار، فلمَّا دنا من المسجد، قال للأنصار: "قوموا إلى سيدكم أو خيركم"، ثم قال: "إنَّ هؤلاء نزلوا على حكمك"، قال: "تقتل مقاتلهم وتسبي ذريتهم"، فقال: له النبي ﷺ: - "قضيت بحكم الله تعالى."

وحاصر رسول الله ﷺ بني قريظة (وهم متحصنون في حصونهم) خمسًا وعشرين ليلة وقيل خمسة عشر يومًا، حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب .

ودعونا نواصل الدروس والعبر من هذه الغزوة ومن قصة بني قريظة فلقد استنبط علماء الحديث والسيرة من قصة بني قريظة هذه أحكامًا مهمَّة تُجملها فيما يلي:

#### 41- جواز قتال من نقض العهد :

وقد جعل الإمام مسلم- رحمه الله- هذا الحكم عنواناً لغزوة بني قريظة، فالصلح والمعاهدة والاستئمان بين المسلمين وغيرهم، كُلُّ ذلك ينبغي احترامه على المسلمين ما لم ينقض الآخرون العهد أو الصلح أو الأمان، وحينئذٍ يجوز للمسلمين قتالهم إن رأوا المصلحة في ذلك.

#### 42- جواز التحكيم في أمور المسلمين ومهامهم:

قال النووي- رحمه الله -: فيه جواز التحكيم في أمور المسلمين وفي مهامهم العظام والرجوع في ذلك إلى حُكم مسلمٍ عادلٍ صالح الحكم،

وقد أجمع العلماء عليه في شأن الخوارج، فإنهم أنكروا على عليّ التحكيم، وأقام الحجة عليهم، وفيه جواز مصالحة أهل قرية أو حصن على حكم حاكم مسلمٍ عادلٍ صالحٍ للحكم أمين على هذا الأمر، وعليه الحكم بما فيه مصلحة المسلمين، وإذا حكم بشيء لزم حكمه، ولا يجوز الإمام ولا لهم الرجوع، ولهم الرجوع قبل الحكم.

### 43- مشروعية الاجتهاد في الفروع وضرورة وقوع

#### الخلافا فيها:

وفي اختلاف الصحابة في فهم كلام رسول ﷺ «ألا لا يُصلين أحدًا العصر إلا في بني قريظة» على النحو الذي روينا، مع عدم تعنيف النبي ﷺ أحداً منهم أو معاتبته، دلالة مهمة على أصل من الأصول الشرعية الكبرى، وهو تقرير مبدأ الخلاف في مسائل الفروع واعتبار كل المتخالفين معذوراً ومثاباً، سواء قلنا إنّ المصيب واحد أو متعدد، كما أنّ فيه تقريراً لمبدأ الاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية، وفيه ما يدلُّ على أنّ استئصال الخلاف في مسائل الفروع التي تنبع من دالاتٍ ظنية، أمرٌ لا يمكن أن يتصور أو يتم، فالله سبحانه وتعالى تعبد عباده بنوعين من التكليف:

**أولهما:** تطبيق أوامر معينة واضحة تتعلق بالعقيدة أو السلوك.  
**ثانيهما:** البحث وبذل الجهد ابتغاء فهم المبادئ والأحكام الفرعية من أدلتها العامة المختلفة، وليس المطلوب ممن أدركته الصلاة في بادية التبت عليه جهة القبلة فيها، أكثر من أن تتجلى عبوديته لله تعالى في أنّ يبذل كل ما لديه من وسع لمعرفة جهة القبلة حسب فهمه وما يبدو له من أدلة، حتى إذا سكنت نفسه إلى جهة ما، استقبلها فصلّى إليها.

ثم إنّ هنالك حكماً باهرةً لمجيء كثير من الأدلة والنصوص الشرعية الظنية الدلالة غير قطعية من أبرزها، أن تكون الاجتهادات المختلفة في مسألة ما، كلها وثيقة الصلة بالأدلة المعتبرة شرعاً، حتى يكون للمسلمين متسع في الأخذ بأيها شاءوا حسبما تقتضيه ظروفهم ومصالحهم المعتبرة، وتلك من أجلى مظاهر رحمة الله بعباده، في كل عصرٍ وزمن.

وإذا تأملت هذا، وعلمت أنّ السعي في محاولة القضاء على الخلاف في مسائل الفروع، معاندة للحكمة الربانية والتدبير الإلهي في تشريع، عدا أنه ضرب من العبث الباطل، إذ كيف تضمن انتزاع

الخلاف في مسألة ما دام دليلها ظنيًا محتملاً، لو أمكن ذلك أن يتم في عصرنا، لكان أولى العصور به عصر رسول الله ﷺ، ولكان أولى الناس بأن لا يختلفوا هم الصحابة، فما بالهم اختلفوا مع ذلك كما قد رأيت؟!

#### 44- يعرفونه كما يعرفون أبناءهم :

جاء برئيس بني قريظة كعب بن أسد، وقبل أن يضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنقه جرى بينه وبين كعب الحوار التالي: قال رسول الله ﷺ: «كعب بن أسد؟». قال كعب بن أسد: نعم يا أبا القاسم. قال رسول الله ﷺ: «ما انتفعتم بنصح ابن خراش لكم، وكان مصداقاً بي، أما أمركم باتباعي، وإن رأيتموني تقرئوني منه السلام؟». قال كعب: بلى والتوراة يا أبا القاسم، ولولا أن تعيرني يهود بالجزع من السيف لاتبعتك، ولكني على دين يهود. فأمر رسول الله ﷺ بضرب عنقه فضربت.

لقد رأيت من مجرى كلام كعب بن أسد مع إخوانه اليهود أنهم كانوا على يقين من نبوة محمد ﷺ وعلى اطلاع تام على ما أثبتته التوراة من الحديث عنه وعن علاماته وبعثته، ولكنهم كانوا عبيداً لعصبيتهم وتكبرهم، وذلك هو سبب الكفر عند كثير ممن يتظاهر بعدم الإيمان والفهم، وذلك هو الدليل البين على أن الإسلام في عقيدته وجامعة أحكامه إنما هو دين الفطرة البشرية الصافية، ينسجم في عقيدته مع العقل وينسجم في تشريعاته وأحكامه مع حاجات الإنسان ومصالحه، فلن تجد من عاقل سمع باسم الإسلام وألم بحقيقته وجوهره ثم كفر به كفرًا عقلياً صادقاً، إنما هو أحد شيين، إما أنه لم يسمع بالإسلام على حقيقته وإنما قيل له عنه كلام زائف باطل، وإما أنه وقف على حقيقته واطلع على جوهره، فهو ياباه إباءً نفسياً لحقد على المسلمين أو غرض أو هوى يخشى فواته.

#### 45- حكم القيام إكراماً للقادم :

أمر النبي ﷺ الأنصار حينما أقبل نحوهم سعد بن معاذ راجياً دابته أن يقوموا إليه تكريماً له، ودل على هذا التعليل قوله: لسيدكم أو خيركم، وقد استدلل عامة العلماء بهذا وغيره على مشروعية إكرام الصالحين والعلماء بالقيام إليهم في المناسبات الداعية إلى ذلك عرفاً. يقول الإمام النووي في تعليق على هذا الحديث: "فيه إكرام أهل

الفضل وتلقبهم بالقيام لهم إذا أقبلوا.. هكذا احتجَّ به جماهير العلماء لاستحباب القيام، قال القاضي: وليس هذا من القيام المنهي عنه، وإنما ذلك فيمن يقومون إليه وهو جالس ويمثلون قيامًا طول جلوسه.. قلت: القيام للقيام من أهل الفضل مستحب، وقد جاء فيه أحاديث ولم يصح في النهي عنه شيء صريح.

ومن الأحاديث الثابتة الدالة أيضًا على ذلك ما جاء في حديث كعب بن مالك المتفق عليه، وهو يقصُّ خبر تخلفه عن غزوة تبوك، قال: فانطلقتُ أتأمم رسول الله ﷺ فتلقاني الناس فوجًا فوجًا يهنئوني بالتوبة، ويقولون لي: لتهنك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله جالس حوله الناس، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله ﷺ يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره- فكان كعب لا ينساها لطلحة.

ومن ذلك أيضًا ما رواه الترمذي وأبو داود والبخاري في الأدب المفرد عن عائشة- رضي الله عنها - قالت " ما رأيتُ أحدًا من الناس كان أشبه بالنبي ﷺ كلامًا ولا حديثًا ولا جلسةً من فاطمة، قالت: وكان النبي ﷺ إذا رآها أقبلت رَحَبَ بها ثم قام فقبَّلها، ثم أخذ بيدها فجاء بها حتى يجلسها في مكانه، وكانت إذا أتاها النبي ﷺ رَحَبَتْ به ثم قامت إليه فقبَّلته."

واعلم أنَّ هذا كله لا يتنافى مع ما صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ النَّاسُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»**، لأنَّ مشروعية إكرام الفضلاء وتوقيرهم لا تستدعي السعي منهم إلى ذلك أو تعلق قلوبهم بمحبته؛ بل إنَّ من أبرز صفاتِ الصالحين والفضلاء أن يكونوا متواضعين لإخوانهم زهادًا في طلبِ هذا الشيء، رأيت إلى الفقير المحتاج؟ إنَّ الأدب الإسلامي يُوصيه ويُعلمه الترفع عن المسألة وإظهار الفاقة والحاجة للناس، ولكن هذا الأدب الإسلامي نفسه يُوصي الأغنياء بالبحث عن هؤلاء الفقراء المتعطفين ويأمرهم وإعطائهم من فضول أموالهم.

غير أنَّ من أهم ما ينبغي أن تعلمه في هذا الصدد أنَّ لهذا الإكرام حدودًا إذا تجاوزها، انقلب الأمر محرماً، واشترك في الإثم كلُّ من مقترفه والساكت عليه.

فمن ذلك ما قد تجده في مجالس بعض المتصوفة من وقوف

المريدين عليهم وهم جلوس، يقف الواحد منهم أمام شيخه في انكسارٍ وذلٍّ مطرفاً لا يطرف إلى أن يأذن له بالجلوس، ومنه ما يفعله بعضهم من السجود على رُكبة الشيخ أو يده عند قدومه أو ما يفعله من الحبو إليه عندما يغشى المجلس، ولا يخذعك ما قد يُقال في تسويغ ذلك من أنه أسلوب من التربية للمريد!

فالإسلام قد شرَّع مناهجَ وأساليبَ للتربية وحظر على المسلمين الخروج عليها، وليس بعد الأسلوب النبوي في التربية أسلوبٌ.

#### 46- البلاء والصبر:

ظهر في هذه المعركة حسن بلاء النبي ﷺ وأصحابه حيث إنهم صبروا على ما قدره الله - تعالى - عليهم بقلوب ثابتة وعزائم راسخة فلم تستفزهم الكروب ولم تقعدهم الخطوب بل كانوا كلما اشتدت الكروب وادلهمت الخطوب زادهم ذلك إيماناً وتسليماً وتصديق ذلك في هذه الغزوة قوله - تعالى - : ﴿ **وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب:22].

#### 47- الحلال والحرام:

عرضت قريش فداء مقابل جثة عمرو بن ود، فقال ﷺ : «**ادفعوا إليهم جيفته، فإنه خبيث الجيفة، خبيث الدية فلم يقبل منهم شيئاً**». حدث هذا والمسلمون في ضنك من العيش، ومع ذلك فالحلال حلال والحرام حرام، إنها مقاييس الإسلام في الحلال والحرام، فأين هذا من الناس المحسوبين على المسلمين الذين يحاولون إيجاد المبررات لأكل الربا وما شابهه؟.

#### 48- جزاء عادل:

إن الحكم الذي نزل ببني قريظة صدر لأنهم من الناحية القانونية خونة فلقد أثبتت التجارب والأحداث منذ وصول النبي ﷺ المدينة أن اليهود عاشوا وهم يعملون بكل طاقاتهم لاستئصال الإسلام والقضاء عليه والكيد للنبي ﷺ ونشر الإشاعات ضده والغدر والخيانة كلما سنحت لهم الفرصة، فكان ما نزل بهم عين العدل ويتفق مع نصوص القوانين

**49- تخطيط محكم:**

القائد الحكيم دائماً يتصرف حسبما تمليه الحاجة ويتطلب الموقف لذلك وجه النبي ﷺ على:

1- طول الخندق لأنه كان يتوقع الهجوم في كل لحظة ويخشى أن يهاجمه المشركون على حين غرة، لذلك احتاط للأمر وأقام الحراسة الدائمة على طول الخندق، وقد علم أصحابه كلمة السر كي يتعارفون بها في ظلمات الليل ولا يقتل بعضهم بعضاً وهذه الكلمة هي "هم لا ينصرون" أرئيت الدقة والمهارة والتنظيم.

2- طائفة أخرى من المسلمين تحرس المدينة خوفاً من أن يقوم بني قريظة بفتح ثغرة للمسلمين فأرسل جند ليؤمنوا هذا الجانب وكانت كلمة سرهم "الله أكبر".

3- فرقة أخرى تحرس النبي ﷺ مع العلم أن العرب كانت تنفر من القتل غيلة وهدراً وتعدده دناءة وعاراً، لكن اليهود يعدون الغدر شرفاً وهو يتخوف منهم.



## 50 - جنود الله تأتي بعد العمل بالأسباب:

المسلمين صبروا صبراً جميلاً ومع هذا الابتلاء الشديد كان الصبر لهم ضياءً، فما ضعفوا وما استكانوا لإيمانهم القوي أن الله يحقق لعباده الصالحين ما وعدهم به من النصر والتمكين والرسول ص كان يلح في الدعاء ومن دعاءه كما جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: **اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم**(1). و من المسلمين إلا أن توجهوا إلى الرسول ﷺ وقالوا: يا رسول الله هل من شيء نقوله؟ فقد بلغت القلوب الحناجر، فقال: نعم. **اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا** (2) فأرسل الله جنده:

1- **الريح:** وكانت هذه الريح معجزة للنبي ﷺ؛ لأن النبي ﷺ والمسلمين كانوا قريباً منهم، ولم يكن بينهم إلا عرض الخندق، وكانوا في عافية منها ولا خبر عندهم بها... , قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا **اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا** ﴾ [الأحزاب: 9].

2- **الملائكة:** وبعث الله عليهم الملائكة فقلعت الأوتاد وقطعت أطناب الفساطيط(3)، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وجالت الخيول بعضها في بعض، وأرسل عليهم الرعب، وكثر تكبير الملائكة في جوانب المعسكر حتى كان سيد كل خباء يقول: يا بني فلان هلم إليّ فإذا اجتمعوا قال لهم: النجاء النجاء، لما بعث الله عليهم الرعب(4).

وفي الأخير أسأل الله جل وعلا بمنه وكرمه أن ينفع بهذا العمل وأن يجعله لوجهه خالصاً .

اللهم إنا نسألك الشهادة في سبيلك بعد طول عمرٍ وحسن عمل يا أرحم الراحمين .

(1) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الأحزاب (59/5) رقم 4114.

(2) مسند الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري (18/4).

(3) الفساطيط: جمع فسطاط نوع من الأبنية في السفر وهو دون السرادق.

(4) انظر: تفسير القرطبي (144/4).



## غزوة خيبر دروس وعبر

الحمد لله رب العالمين، نحمده تعالى ونستغفره ونستعينه ونستهديه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

**﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:1].**

وبعد

ما أجمل أن نداوي الجراح المكلومة الغائرة بالسيرة العطرة المعطرة لرسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه، فسيرته بلسم للجراح وملاذ للخائف وحصن للراجي ، والعود عندما تدلهم المصائب والأزمات.

أن على الأمة اليوم أن تستنير بأنوار السيرة النبوية التي تضيء القلوب والنفوس والعقول ، كما تضيء العالم والمنهج والسير والمقصد

ومن هذا الباب لا زلنا وإياكم في هذه الموسوعة المباركة بإذن  
الله :

**(غزوات النبي المصطفى دروس وعبر).**

**ومع : (غزوة خيبر دروس وعبر)**

وأسال الله الكريم الوهاب العزيز التواب أن ينفع بهذا العمل وأن  
يجعله لوجهه خالصاً ولعباده نافعاً وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم  
ألقاه إنه ولي ذلك والقادر عليه .



## غزوة خيبر

### ✽ غزوة خيبر:

ومدينة خيبر هي مدينة مليئة بالحصون و بها ماء من تحت الأرض و طعام يكفيها سنوات و بها عشرة آلاف مقاتل من اليهود منهم آلاف يجيدون الرمي، و كانت خيبر ممتلئة بالمال و كان اليهود يعملون بالربا مع جميع البلدان.

### ✽ غزوة خيبر:

ذكر ابن إسحاق (1) أنها كانت في المحرم من السنة السابعة للهجرة، وذكر الواقدي (2) أنها كانت في صفر أو ربيع الأول من السنة السابعة للهجرة، بعد العودة من غزوة الحديبية، وذهب ابن سعد (3) إلى أنها في جمادى الأولى سنة سبع، وقال الإمامان الزهري ومالك: إنها في محرم من السنة السادسة (4)، وقد رجح ابن حجر (5) قول ابن إسحاق على قول الواقدي (6).

### ✽ غزوة خيبر :

كانت الغزوة بعد عشرون يوماً من صلح الحديبية، و كان عدد المقاتلين المسلمين وقتها ألف و ثمان مائة مقاتل فقط لأن الرسول قرر أن يقاتل معه في هذه المعركة كل من كان في صلح الحديبية فقط وهم الذين سوف يُقسم عليهم الغنائم أما من زاد عليهم فله ثواب الجهاد

(1) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (455/3)، معلقاً.

(2) انظر: المغازي (634/2).

(3) انظر: الطبقات لابن سعد (106/2).

(4) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (33/1).

(5) انظر: الفتح (41/16)، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص500.

(6) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص500.

فقط و ليس له غنائم.

### ✽ غزوة خيبر:

التي فيها قال ﷺ: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله عليه وليس بفرار»، فلما كان من الغد دعا علياً وهو أرمم شديد الرمد فقال: "سر"، فقال: يا رسول الله ما أبصر موضع قدمي، فنقل عليه الصلاة والسلام في عينيه وعقد له اللواء ودفع إليه الراية وقال: «خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك»، فقال: علي ما أقاتلهم يا رسول الله قال: «علي أن يشهدوا أن لا اله إلا الله واني رسول الله فإذا فعلوا ذلك فقد حقتوا دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم عند الله تعالى».

### ✽ غزوة خيبر:

التي تحوي كثيراً من العبر والحكم والدروس التي يمكن أن يستفيد منها المسلمون على مر التاريخ والعصور، ومن ذلك أن اليهود كانوا على مر التاريخ ومنذ عهد النبي ﷺ إلى يومنا هذا، بل قبل ذلك مصدر خطر داهم على العرب والمسلمين، فهم قوم غدر وخيانة يحقدون على الإسلام والمسلمين، وينقضون العهود والمواثيق، وهم دائماً يخونون ولا يؤمنون، وهم الذين بسبب كفرهم وحقدهم قتلوا عدداً من الأنبياء وما زالوا إلى أيامنا هذه مصدر خطر كبير وشر مستطير.

### ✽ غزوة خيبر:

إن هذه الغزوة توضح معلماً عامًا لخطة المصطفى ﷺ لتوحيد جزيرة العرب تحت راية الإسلام، وتحويلها إلى قاعدة لنشر الإسلام في العالمين، فقد خطط عليه السلام ألا يسير إلى مكة إلا بعد أن يكون قد مهد شمال الحجاز إلى حدود الشام، وأن تكون الخطوة الأخيرة هي الاستيلاء على خيبر وغيرها من المراكز اليهودية شمال الحجاز وخاصة خيبر وفدك ووادي القرى؛ ليحرم القبائل المحيطة به من أي مركز يمكن أن يعتمدوا عليه في مهاجمة الدولة الإسلامية الناشئة.

### ✽ غزوة خيبر:

كانت خيبر هي وكر الدس والتأمر، ومركز الاستفزازات العسكرية، ومعدن التحرشات وإثارة الحروب، فلا ننسى أن أهل خيبر هم الذين حزبوا الأحزاب ضد المسلمين، وأثاروا بني قريظة على الغدر

والخيانة، ثم أخذوا في الاتصال بالمنافقين \_ الطابور الخامس في المجتمع الإسلامي \_ وبغطفان وأعراب البادية، وكانوا هم أنفسهم يستعدون للقتال، وقد عاش المسلمون بسببهم محناً متواصلة، اضطرت المسلمين إلى الفتك ببعض رؤوسهم أمثال سلام بن أبي الحقيق وأسير بن زارم، ولكن كان لابد من عمل أكبر من ذلك إزاء هؤلاء اليهود، وما كان يمنع النبي ﷺ من مجابتهم إلا وجود عدو أكبر وأقوى وألد ألا وهو قريش .

### ☆ غزوة خيبر :

لقد كانت الغزوات السابقة كلها قائمة على أسباب دفاعية اقتضت المسلمين أن يدافعوا بها عن وجودهم وأن يردوا بها هجمات أعدائهم كما قد رأيت لدى بيان سبب كل غزوة منها .  
أما هذه الغزوة وهي أول غزوة تأتي بعد وقعة بني قريظة وصلاح الحديبية، فإن لها وضع آخر وإنما تختلف اختلافاً جوهرياً عن تلك التي كانت من قبلها وهي تدل بذلك على أن الدعوة الإسلامية قد دخلت مرحلة جديدة من بعد صلح الحديبية .

### ☆ غزوة خيبر :

التي خاضها النبي ﷺ بنفسه والتي كان فيها عز ونصر للمؤمنين وذل وهوان لليهود الذين عاندوا واستكبروا عن قبول دعوة الحق والدخول في دين الإسلام وغدروا وخانوا، هؤلاء اليهود الذين لم يدخلوا في دين الإسلام بعدما بلغهم أصل الدعوة الإسلامية التي دعا إليها النبي عليه الصلاة والسلام، وكانت قلوبهم وصدورهم مليئة بأحقادهم ضد الإسلام والمسلمين منذ عهد النبي ﷺ وإلى أيامنا هذه.

### ☆ غزوة خيبر :

التي سببها: لما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقوي أجنحة الأحزاب الثلاثة، وهو قريش، وأمن منه تماماً بعد صلح الحديبية أراد أن يحاسب الجناحين الباقين - اليهود وقبائل نجد - حتى يتم الأمن والسلام، ويسود الهدوء في المنطقة، ويفرغ المسلمون من الصراع الدامي المتواصل إلى تبليغ رسالة الله والدعوة إليه .  
ولما كانت خيبر هي وكرة الدس والتأمر ومركز الاستفزازات العسكرية، ومعدن التحرشات وإثارة الحروب، كانت هي الجديرة

بالتفات المسلمين أولاً.

### ✽ غزوة خيبر :

والجديد فيها وما يختلف عن الغزوات السابقة، هي حصونهم وقلاعهم التي أقاموا بها، فمحاولة الهجوم عليهم تتطلب جهداً ضخماً وتعبئة مناسبة ومؤونة كافية للجيش لفترة طويلة، والمسلمون لا يملكون هذه الطاقات في مقابل اليهود الذي قيل عنهم: (وهم أهل الحصون التي لا ترام، وسلاح وطعام كثير، ولو حصروا لسنين لكفاهم، وماء متوفر يشربونه في حصونهم، وما أرى لأحد بهم من طاقة).  
والمسلمون لم يسبق لهم من قبل خبرة في قتال أهل الحصون إلا ما كان من بني قريظة يوم حربهم.



## دروس وعبر من غزوة خيبر

### 1- النصر من عند الله :

إن من أهم ما ينبغي أن نعتبر به في غزوة خيبر أن النصر من عند الله عزّ وجلّ، ينصر من يشاء كما قال في الكتاب العزيز: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: 126]، فالله تبارك وتعالى ينصر عباده المؤمنين الذين يجاهدون في سبيله وينصرون دينه ويطبقون شرعه بأداء الواجبات واجتناب المحرمات. قال الله تبارك وتعالى:

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ \* الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: 41]

## 2- الإخلاص في الجهاد:

جاء رجل من الأعراب إلى النبي ﷺ ، فأمن به، واتبعه، فقال: أهاجر معك؟ فأوصى به بعض أصحابه، فلما كانت غزوة خيبر، غنم رسول الله ﷺ شيئاً فقسمه، وقسم للأعرابي فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك رسول الله ﷺ فأخذه فجاء به للنبي ﷺ فقال: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «**قسم قسمته لك**» قال: ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أرمي هاهنا، وأشار إلى حلقه، بسهم، فأموت فأدخل الجنة، فقال: إن تصدق الله يصدقك، ثم نهض إلى قتال العدو، فأتي به إلى النبي ﷺ، وهو مقتول، فقال: «**أهو هو؟**» قالوا: نعم. قال: «**صدق الله فصدقه**». فكفنه النبي ﷺ في جنته، ثم قدمه، فصلى عليه، وكان من دعائه له: «**اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك، قُتل شهيداً، وأنا عليه شهيد**»(1).

## 3- دخل الجنة وما سجد لله سجدة:

جاء عبدٌ أسود حبشي من أهل خيبر، كان في غنم لسيده، فلما رأى أهل خيبر قد أخذوا السلاح، سألهم: ما تريدون؟ قالوا: نقاتل هذا الذي يزعم أنه نبي، فوقع في نفسه ذكر النبي، فأقبل بغنمه إلى رسول الله ﷺ فقال: ماذا تقول؟ وما تدعو إليه؟ قال: «**أدعو إلى الإسلام، وأن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وألا تعبد إلا الله**» قال العبد: فما لي إن شهدت وأمنت بالله عز وجل، قال: «**لك الجنة إن مت على ذلك**». فأسلم ثم قال: يا نبي الله، إن هذه الغنم عندي أمانة، فقال رسول الله ﷺ: «**أخرجها من عندك وارمها ب (الحصباء) فإن الله سيؤدي عنك أمانتك**» ففعل فرجعت الغنم إلى سيدها، فعلم اليهودي أن غلامه قد أسلم، فقام رسول الله ﷺ في الناس، فوعظهم وحضهم على الجهاد، فلما التقى المسلمون واليهود قتل فيمن قتل العبد الأسود واحتمله المسلمون إلى معسكرهم فأدخل في الفسطاط فزعموا أن رسول الله ﷺ اطلع في الفسطاط، ثم أقبل على أصحابه، وقال: «**لقد أكرم الله هذا العبد، وساقه إلى خيبر، ولقد رأيت عند رأسه اثنتين من الحور العين، ولم يصل لله**

(1) أخرجه النسائي (60/4)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (291/1)، والحاكم (595/3)، والبيهقي (15/4)، (16)، وإسناده صحيح نقلاً عن زاد المعاد (324/3).



#### 4- بطل لكنه إلى النار:

كان في جيش المسلمين بخيبر رجل لا يدع للمشركين شاذة ولا فاذة(2) إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقال رسول الله ﷺ: «**أما إنه من أهل النار**» فقالوا: أينا من أهل الجنة إن كان من أهل النار؟ فقال رجل: والله لا يموت على هذه الحال أبدًا، فاتبعه حتى جرح، فاشتدت جراحته واستعجل الموت، فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فجاء رجل إلى رسول الله فقال: أشهد أنك رسول الله، قال: «**وما ذاك**» فأخبره، فقال النبي ﷺ: «**إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وإنه من أهل النار، وإنه ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وإنه لمن أهل الجنة**»(3).

#### 5- صفية بنت حيي وزواجها من النبي ﷺ:

زواج رسول الله ﷺ من صفية بنت حيي بن أخطب: لما فتح المسلمون القموص -حصن بني أبي الحقيق- كانت صفية في السبي فأعطاها دحية الكلبي، فجاء رجل إلى النبي ﷺ: فقال يا رسول الله، أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قومها، وهي ما تصلح إلا لك، فاستحسن النبي ﷺ ما أشار به الرجل، وقال لدحية، «**خذ جارية من السبي غيرها**»(4)، ثم أخذها رسول الله ﷺ وأعتقها وجعل عتقها صداقها، ثم تزوجها بعد أن طهرت من حيضتها(5)، وبعد أن أسلمت.

ولم يخرج النبي ﷺ من خيبر حتى طهرت صفية من حيضها، فحملها وراءه فلما صار إلى منزل على ستة أميال من خيبر مال يريد أن يعرس بها، فأبت عليه، فوجد في نفسه، فلما كان بالصهباء نزل بها هناك فمشطتها أم سليم، وعطرتها، وزفتها إلى النبي ﷺ وبنى بها، فسألها: «**ما حملك على الامتناع من النزول أولاً**» فقالت: خشيت عليك من قرب اليهود، فعظمت في نفسه، ومكث رسول الله ﷺ بالصهباء ثلاثة

(1) انظر: زاد المعاد (3/323، 324)، السيرة الحلبية (39/3).

(2) الشاذ: الذي يفارق الجماعة، الفاذ: الذي لم يختلط بالجماعة.

(3) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر 4207.

(4، 5) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (2/383).

(5) انظر: الصراع مع اليهود (3/101).

أيام، وأولم عليها ودعا المسلمين، وما كان فيها من لحم وإنما التمر والأقط والسمن، فقال المسلمون: إحدى أمهات المؤمنين أو ما ملكت يمينه، فلما ارتحل وطأ له خلفه ومد عليها الحجاب، فأيقنوا أنها إحدى أمهات المؤمنين(1).

وقد كانت أم المؤمنين صفية بنت حيي قد رأت رؤية، فقد روى البيهقي - رحمه الله - بإسنادٍ صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما في حديث طويل قال: ورأى رسول الله ﷺ بعين صفية خضرة، فقال: «يا صفية ما هذه الخضرة؟» فقالت: كان رأسي في حجر ابن حقيق، وأنا نائمة، فرأيت كأن قمرًا وقع في حجري، فأخبرته بذلك فاطمني، وقال: تمنين ملك يثرب(2).

وهكذا صدق الله رؤيا صفية رضي الله عنها، وأكرمها بالزواج من رسول الله ﷺ، وأعتقها من النار، وجعلها أمًّا للمؤمنين، وزوجًا في الجنة لخاتم الأنبياء والمرسلين(3)، وقد أكرمها رسول الله ﷺ غاية الإكرام، وكان يجلس عند بعبيره فيضع ركبته لتضع صفية رجلها على ركبته حتى تتركب، وقد بلغ من أدبها أنها كانت تأبى أن تضع رجلها على ركبته، فكانت تضع ركبته على ركبته وتركب(4).

وهذه صفية رضي الله عنها تحدثنا عن خلق رسول الله ﷺ فنقول: ما رأيت أحدًا قط أحسن خلقًا من رسول الله ﷺ، لقد رأيت ركب بي في خيبر، وأنا على عجر ناقته ليلاً، فجعلت أنعس، فتضرب رأسي مؤخرة الرجل، فيمسني بيده، ويقول: «يا هذه مهلاً»(5). وعن صفية رضي الله عنها أنها بلغها عن عائشة وحفصة أنهما قالتا: نحن أكرم على رسول الله ﷺ من صفية، نحن أزواجه وبنات عمه، فدخل عليها ﷺ فأخبرته فقال: «الأقلت: وكيف تكونان خير مني وزوجي محمد وأبي هارون، وعمي موسى»(6).

(1) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (384/2).

(2) انظر: السنن الكبرى (138/9) نقلا عن الصراع مع اليهود (103/3).

(3) انظر: الصراع مع اليهود (122/3). (2)

(4) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (384/2).

(5) انظر: السيرة الحلبية (45/3).

(6) انظر: شرح المواهب اللدنية (233/2).

لقد تأثرت صفة بأخلاق رسول الله ﷺ، وأصبح ﷺ أحب إليها من أبيها وزوجها والناس أجمعين، بل أصبح أحب إليها من نفسها، تفديه بكل ما تملك حتى نفسها، وإذا ألم به مرض تمنى أن يكون فيها، وأن يكون رسول الله ﷺ سليماً معافى، فقد أخرج ابن سعد -رحمه الله- بإسناد حسن عن زيد بن أسلم ﷺ قال: اجتمع نساؤه ﷺ في مرضه الذي توفي فيه، فقالت صفة رضي الله عنها: إني والله يا نبي الله لوددت أن الذي بك بي، فغمز بها أزواجه، فأبصرهن رسول الله ﷺ فقال: **«مضمضن»**، فقلن: من أي شيء فقال: **«من تغامزكن بها، والله إنها لصادقة»** (1).

وكان زواج رسول الله ﷺ بصفة فيه حكمة عظيمة، فهو لم يرد بزواجه منها قضاء شهوة، أو إشباعاً لغريزة، كما يزعم الأفاكون، وإنما أراد إعزازها وتكريمها، وصيانتها من أن تفتش لرجل لا يعرف لها شرفها ونسبها في قومها، وهذا إلى ما فيه من العزاء لها، قد قتل أبوها من قبل، وزوجها وكثير من قومها، ولم يكن هناك أجمل مما صنعه الرسول معها، كما أن فيه رباط المصاهرة بين النبي واليهود عسى أن يكون هذا ما يخفف من عدائهم للإسلام والانضواء تحت لوائه والحد من مكرهم وسعيهم بالفساد، وكانت أم المؤمنين صفة عاقلة وحليمة، وصادقة، يروى أن جارية لها أتت عمر بن الخطاب ﷺ فقالت: إن صفة تحب السبب، وتصل اليهود، فبعث إليها فسألها عن ذلك، فقالت: أما السبب فإني لم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة، وأما اليهود فإن لي فيهم رحماً فأنا أصلها، فقبل منها، ثم قالت للجارية: ما حملك على هذا؟ قالت: الشيطان، فقالت لها: اذهبي فأنت حرة.

وكانت وفاتها في رمضان سنة خمسين للهجرة في زمن معاوية، وقيل سنة اثنتين وخمسين رضي الله عنها وأرضاها (2).

## 6- تحريم أكل لحوم الحمر الإنسية:

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ نهى يوم خيبر عن

(1) انظر: زاد المعاد (328/3).

(2، 2) المصدر نفسه (385/2).

لحوم الحمر الأهلية(1). وضح عنه تعليل التحريم بأنها رجس وهذا مقدم على قول من قال من الصحابة إنما حرمها لأنها كانت ظهر القوم وحمولتهم فلما قيل له فني الظهر وأكلت الحمر حرمها وعلى قول من قال إنما حرمها لأنها كانت حول القرية وكانت تأكل العذرة وكل هذا في " الصحيح " لكن قول رسول الله ﷺ «إنها رجس» مقدم على هذا كله لأنه من ظن الراوي وقوله بخلاف التعليل بكونها رجساً .

﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ [الأنعام : 145] ، فإنه لم يكن قد حُرِّمَ حين نزول هذه الآية من المطاعم إلا هذه الأربعة والتحريم كان يتجدد شيئاً فشيئاً فتحريم الحمر بعد ذلك تحريم مبتدأ لما سكت عنه النص لا أنه رافع لما أباحه القرآن ولا مخصص لعمومه فضلاً عن أن يكون ناسخاً . والله أعلم .

## 7- حرمة وطء السبايا الحوامل:

ومن أقواله ﷺ في غزوة خيبر: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسق ماءه زرع غيره» (2).

## 8- حرمة وطء السبايا غير الحوامل قبل استبراء الرحم:

ومن دروس هذه الغزوة قوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يقع على امرأة من السبي حتى يستبرئها» (3).

والاستبراء إنما يكون بأن تطهر من حيضة واحدة فقط، ولا تجب عليها العدة وإن كانت متزوجة من كافر سواء مات أو بقي حياً؛ لأن العدة وفاء الزوج الميت وحداد عليه، ولا يحد على الكافر كما

(1) انظر: زاد المعاد (123، 122/4)، البخاري، كتاب المغازي رقم 4215.

(2) انظر: الطبقات (113/2).

(3) انظر: الروض الأنف (41/4).

علمت(1).

## 9- حرمة ربا الفضل:

عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ استعمل رجلاً على خيبر، فجاءه بتمر جنيب فقال رسول الله ﷺ: «كل تمر خيبر هكذا؟» فقال: لا والله يا رسول الله، إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين والثلاثة، فقال: «لا تفعل بـع الجمع بالدراهم، ثم ابتع بالدراهم جنيباً»(2). فالتفاضل مع اتحاد الجنس هو ربا الفضل، إذ اشترى صاعاً بأكثر من صاع، فالزيادة هنا هي الربا، وهذا محرم، كما رأيت إذ نهى النبي ﷺ عن ذلك وأرشد إلى الحل السليم بأن يبيع ما لديه من تمر ثم يشتري بما لديه من نقود ما يشتهي من تمر؛ لأن الحاجة قد تدفع صاحبها إلى قبول الربا(3).

## 10- حرمة بيع الذهب بالذهب العين، وتبر الفضة بالورق

### العين:

روى عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال: نهانا رسول الله يوم خيبر أن نبيع أو نبتاع تبر الذهب بالذهب العين، وتبر الفضة بالورق العين، وقال «ابتاعوا تبر الذهب بالورق والعين، وتبر الفضة بالذهب والعين»(4). والمراد من الحديث: أن يباع الذهب بالذهب مثلاً بمثل والفضة بالفضة مثلاً بمثل، بلا زيادة ولا نقص، وعندما يقابل الذهب بالفضة لا تشترط المماثلة، كما هو معلوم وثابت في الصحاح(5).

## 11- مشروعية المساقاة والمزارعة:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أعطى النبي ﷺ خيبر لليهود أن يعملوها ويزرعوها، ولهم شطر ما يخرج منها(6).

(1) انظر: الصراع مع اليهود (134/3).

(2) البخاري كتاب المغازي رقم 4244.

(3) انظر: الصراع مع اليهود (134/3).

(4) انظر: السيرة النبوية لابن هشام مع الروض الأنف (41/4).

(5) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 321.

(6) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4248.

وهي أن يعامل مالك الأرض غيره على ما فيها من شجر ليتعهده بالسقاية و التريية على أن الثمار تكون بينهما وقد ذهب مالك و الشافعي وأحمد رضي الله عنهم إلى صحة هذا العقد مستدلين على ذلك بمعاملته ﷺ أهالي خيبر وانفرد أبو حنيفة ﷺ فلم يجوز ذلك قال : ولا دليل في الحديث لأن خيبر فتحت عنوة فكان أهلها عبيداً لرسول الله ﷺ فما أخذه فهو له وما تركه فهو له وخالفه الصحابان فاتفقا مع الجمهور على صحته، ثم اختلف العلماء : هل ينبغي أن يقال بصحة هذا العقد على كل أنواع الشجر أم هو خاص بالنخيل و العنب وقوفاً عند مورد الدليل إذا كانت عامة أشجار خيبر نخيلاً وعنباً والذي ذهب إليه كثير من الفقهاء هو التعميم في كل أنواع الشجر ، أما المزارعة فقد منعها قسم كبير ممن صحح عقد المساقاة ، منهم الشافعية ، وهي أن يعامل مالك الأرض شخصاً آخر على أن يعمل فيها بالزراعة و الاستنابات بجزء مما ستخرجه الأرض ، قال جمهور الشافعية هو غير صحيح ' لما ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ نهى عن المزارعة وأمر بالمؤاجرة ' قالوا : إلا أن يكون عقد المزارعة تبعاً للمساقاة أي بأن يكون بين الشجر بياض اتفق الطرفان على زراعته ضمن اتفاقهما على عقد المساقاة .

والراجح لدى التأمل في مجموع الأدلة صحة كل من عقد المساقاة و المزارعة فقد قالوا في بيانه أن النهى كان في أول الأمر لحاجة الناس وكون المهاجرين ليست لهم أرض ، فأمر النبي ﷺ الأنصار بالتكرم بالمواساة ، ويدل له ما أخرجه مسلم من حديث جابر قال : كان لرجال من الأنصار فضول أرض وكانوا يكرونها بالثلث و الربع فقال النبي ﷺ : « **من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه ' فإن أبي فليمسكها** » ، ثم بعد توسع حال المسلمين زال الاحتياج فأبيحت لهم المزارعة وأن يتصرف المالك في ملكه كما يشاء ' ويدل على ذلك ما وقع من المزارعة و المؤاجرة في عهده ﷺ وعهد الخلفاء من بعده .

وقد تساءل بعض الباحثين: لِمَ جاءت أحكام هذه البيوع في خيبر وما الحكمة من ذلك؟ وأجاب الشيخ محمد أبو زهرة على هذا فقال: إن فتح خيبر كان فتحاً جديداً بالنسبة للعلاقات المالية التي يجري في ظلها التبادل المالي، فكانت فيها شرعية المزارعة والمساقاة ولم تكن تجري

كثيراً في يثرب(1).

## 12- حل أكل لحوم الخيل:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن أكل لحوم الحمر، ورخص في الخيل(2).

## 13- تحريم المتعة:

عن علي رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء يوم خيبر، وعن أكل لحوم الحمر الأنسية(3).

وقد رجح ابن القيم أنه لم تحرم المتعة يوم خيبر وإنما كان تحريمها عام الفتح بقوله في زاد المعاد "هذا هو الصواب وقد ظن طائفة من أهل العلم أنه حرمها يوم خيبر واحتجوا بما في "الصحيحين" من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل لحوم الحمر الأنسية. وفي "الصحيحين" أيضاً: أن علياً رضي الله عنه سمع ابن عباس يلين في متعة النساء فقال مهلاً يا ابن عباس فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها يوم خيبر وعن لحوم الحمر الأنسية وفي لفظ للبخاري عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل لحوم الحمر الأنسية. أباحها عام الفتح ثم حرمها قالوا: حرمت ثم أبيحت ثم حرمت. قال الشافعي: لا أعلم شيئاً حُرِّمَ ثم أُبيحَ ثم حُرِّمَ إلا المتعة قالوا: نسخت مرتين وخالفهم في ذلك آخرون وقالوا: لم تحرم إلا عام الفتح وقبل ذلك كانت مباحة. قالوا: وإنما جمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه بين الإخبار بتحريمها وتحريم الحمر الأهلية لأن ابن عباس كان يبيحهما فروى له علي تحريمهما عن النبي صلى الله عليه وسلم رداً عليه وكان تحريم الحمر يوم خيبر بلا شك وقد ذكر يوم خيبر ظرفاً لتحريم الحمر وأطلق تحريم المتعة ولم يقيد بزمان كما جاء ذلك في "مسند الإمام أحمد" بإسناد صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر وحرم متعة النساء وفي لفظ حرم متعة النساء وحرم لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر هكذا رواه سفيان بن عيينة مفصلاً مميزاً فظن

(1) انظر: خاتم النبیین (1104/2)، الصراع مع اليهود (136/3).

(2) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4219.

(3) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4216.

بعض الرواة أن يوم خيبر زمن للتحريمين فقيدهما به ثم جاء بعضهم فاقترصوا على أحد المحرمين وهو تحريم الحمر وقيده بالظرف فمنها هنا نشأ الوهم . وقصة خيبر لم يكن فيها الصحابة يتمتعون باليهوديات ولا استأذنوا في ذلك رسول الله ﷺ ولا نقله أحد قط في هذه الغزوة ولا كان للمتعة فيها ذكر البتة لا فعلا ولا تحريما بخلاف غزاة الفتح فإن قصة المتعة كانت فيها فعلا وتحريما مشهورة وهذه الطريقة أصح الطريقتين . وفيها طريقة ثالثة وهي أن رسول الله ﷺ لم يحرمها تحريما عاما البتة بل حرمها عند الاستغناء عنها وأباحها عند الحاجة إليها وهذه كانت طريقة ابن عباس حتى كان يفتي بها ويقول هي كالميتة والدم ولحم الخنزير تباح عند الضرورة وخشية العنت فلم يفهم عنه أكثر الناس ذلك وظنوا أنه أباحها إباحة مطلقة وشببوا في ذلك بالأشعار فلما رأى ابن عباس ذلك رجع إلى القول بالتحريم .

#### 14- مشاركة المرأة في غزوة خيبر:

روت أمية بنت أبي الصلت عن امرأة من بني غفار قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نسوة من بني غفار فقلن: يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا -وهو السير إلى خيبر- فنداوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا، فقال: على بركة الله، قالت: فخرجنا معه، قالت: فوالله لنزل رسول الله ﷺ إلى الصبح ونزلت عن حقيبة رحله، قالت: وإذا بها دم مني وكانت أول حيضة حضتها، قالت: فتقبضت إلى الناقة واستحييت، فلما رأى رسول الله ﷺ ما بي ورأى الدم قال: «**ما لك؟ لعلك نفست؟**» قالت: قلت: نعم؟ قال: «**فأصلي من نفسك ثم خذي إناء من ماء فاطرحي فيه ملحا ثم اغسلي ما أصاب الحقيبة من الدم، ثم عودي لمركبك**» قالت: فلما فتح الله خيبر رضخ لنا من الفيء، وأخذ هذه القلادة التي ترين في عنقي فأعطانيها وعلقها بيده في عنقي، فوالله لا تفارقني أبداً(1)، وكانت في عنقها حتى ماتت، ثم أوصت أن تدفن معها، قالت: وكانت لا تطهر من حيضها، إلا جعلت في طهرها ملحا، وأوصت به أن يجعل في غسلها حين ماتت(2). وهي صورة حية أمام كل فتاة مسلمة، تحرص على أن تشارك في أجر الجهاد مع

(1) انظر: البداية والنهاية (205/4).

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (372/3، 373).



## 15- جواز القتال في الأشهر الحرم :

من دروس وحكم هذه الغزوة جواز محاربة الكفار ومقاتلتهم في الأشهر الحرم فإن رسول الله ﷺ رجع من الحديبية في ذي الحجة فمكث بها أياما ثم سار إلى خيبر في المحرم كذلك قال الزهري عن عروة عن مروان والمسور بن مخرمة وكذلك قال الواقدي : خرج في أول سنة سبع من الهجرة ولكن في الاستدلال بذلك نظر فإن خروجه كان في أواخر المحرم لا في أوله وفتحها إنما كان في صفر . وأقوى من هذا الاستدلال بيعة النبي ﷺ أصحابه عند الشجرة بيعة الرضوان على القتال وألا يفروا وكانت في ذي القعدة ولكن لا دليل في ذلك لأنه إنما بايعهم على ذلك لما بلغه أنهم قد قتلوا عثمان وهم يريدون قتاله فحينئذ بايع الصحابة ولا خلاف في جواز القتال في الشهر الحرام إذا بدأ العدو إنما الخلاف أن يقاتل فيه ابتداء فالجمهور جوزوه وقالوا : تحريم القتال فيه منسوخ وهو مذهب الأئمة الأربعة رحمهم الله . وذهب عطاء وغيره إلى أنه ثابت غير منسوخ وكان عطاء يحلف بالله ما يحل القتال في الشهر الحرام ولا نسخ تحريمه شيء . وأقوى من هذين الاستدلاليين الاستدلال بحصار النبي ﷺ للطائف فإنه خرج إليها في أواخر شوال فحاصروهم بضعا وعشرين ليلة فبعضها كان في ذي فتح مكة لعشر بقين من رمضان وأقام بها بعد الفتح تسع عشرة يقصر الصلاة فخرج إلى هوازن وقد بقي من شوال عشرون يوما ففتح الله عليه هوازن وقسم غنائمها ثم ذهب منها إلى الطائف فحاصرها بضعا وعشرين ليلة وهذا يقتضي أن بعضها في ذي القعدة بلا شك .

## 16- عدم اشتراط كون البذر من رب الأرض :

ومن الدروس أنه دفع ﷺ إلى اليهود الأرض على أن يعملوها من أموالهم ولم يدفع إليهم البذر ولا كان يحمل إليهم البذر من المدينة قطعا فدل على أن هديه عدم اشتراط كون البذر من رب الأرض وأنه يجوز أن يكون من العامل وهذا كان هدي خلفائه الراشدين من بعده وكما أنه هو المنقول فهو الموافق للقياس فإن الأرض بمنزلة رأس المال في القراض والبذر يجري مجرى سقي الماء ولهذا يموت في

الأرض ولا يرجع إلى صاحبه ولو كان بمنزلة رأس مال المضاربة لاشتراط عوده إلى صاحبه وهذا يفسد المزارعة فعلم أن القياس الصحيح هو الموافق لهدي رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين في ذلك . والله أعلم .

### 17- إذا خالف أهل الذمة شيئاً مما شرط عليهم لم يبق

#### لهم ذمة :

ومنها : أن أهل الذمة إذا خالفوا شيئاً مما شرط عليهم لم يبق لهم ذمة وحلت دماؤهم وأموالهم لأن رسول الله ﷺ عقد لهؤلاء الهدنة وشرط عليهم أن لا يغيبوا ولا يكتموا فإن فعلوا حلت دماؤهم وأموالهم فلما لم يفوا بالشرط استباح دماءهم وأموالهم وبهذا اقتدى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في الشروط التي اشتراطها على أهل الذمة فشرط عليهم أنهم متى خالفوا شيئاً منها فقد حل له منهم ما يحل من أهل الشقاق والعداوة .

### 18- حب الصحابة للنبي ﷺ :

ومما له صلة بزواج رسول الله ﷺ بصفية بنت حيي، حراسة أبي أيوب الأنصاري لرسول الله ﷺ يوم أن دخل بصفية، فعن ابن إسحاق أنه قال: ولما أعرس رسول الله ﷺ بصفية بخيبر، أو ببعض الطريق.. فبات بها رسول الله ﷺ في قبة له، وبات أبو أيوب خالد بن زيد أخو بني النجار متوشحاً سيفه، يحرس رسول الله ﷺ ويطيف بالقبة، حتى أصبح رسول الله ﷺ، فلما رأى مكانه قال: «**ما لك يا أبا أيوب؟**» قال: يا رسول الله، خفت عليك من هذه المرأة، وكانت امرأة قد قتلت أباهما وزوجها وقومها، وكانت حديثة عهد بكفر، فخفتها عليك (1)، فسر رسول الله ﷺ بعمله الذي ينبئ على غاية الحب، والإيمان، وقال: «**اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحرسني**» .

### 19- الغلول قبل القسم لا يملك وإن كان دون الحق:

ومنها : أن من أخذ من الغنيمة شيئاً قبل قسمتها لم يملكه وإن كان دون حقه وأنه إنما يملكه بالقسمة ولهذا قال في صاحب الشملة التي غلها : إنها تشتعل عليه نارا وقال لصاحب الشراك الذي غله شراك من

(1) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (385/2).

نار أرض العنوة بين قسمتها وتركها وقسم بعضها وترك بعضها .

## 20- استحباب التفاؤل :

ومنها : جواز التفاؤل بل استحبابه بما يراه أو يسمعه مما هو من أسباب ظهور الإسلام وإعلامه كما تفاءل النبي ﷺ برؤية المساحي والفؤوس والمكاتل مع أهل خيبر فإن ذلك فال في خرابها .

## 21- جواز إجلاء أهل الذمة من دار الإسلام إذا استغني

**عنهم :**

ومن الدروس جواز إجلاء أهل الذمة من دار الإسلام إذا استغني عنهم كما قال النبي ﷺ نقركم ما أقركم الله وقال لكبيرهم كيف بك إذا رقصت بك راحلتك نحو الشام يوماً ثم يوماً وأجلاهم عمر بعد موته ﷺ وهذا مذهب محمد بن جرير الطبري وهو قول قوي يسوغ العمل به إذا رأى الإمام فيه المصلحة . ولا يقال أهل خيبر لم تكن لهم ذمة بل كانوا أهل هدنة فهذا كلام لا حاصل تحته فإنهم كانوا أهل ذمة قد أمنوا بها على دمائهم وأموالهم أماناً مستمراً نعم لم تكن الجزية قد شرعت ونزل فرضها وكانوا أهل ذمة بغير جزية فلما نزل فرض الجزية استؤنف ضربها على من يعقد له الذمة من أهل الكتاب والمجوس فلم يكن عدم أخذ الجزية منهم لكونهم ليسوا أهل ذمة بل لأنها لم تكن نزل فرضها بعد .

## 22- جواز جعل عتق الرجل أمته صداقاً لها بغير إذنها

**وبلا شهود ولا ولي غيره :**

ومنها : جواز عتق الرجل أمته وجعل عتقها صداقاً لها ويجعلها زوجته بغير إذنها ولا شهود ولا ولي غيره ولا لفظ إنكاح ولا تزويج كما فعل ﷺ بصفية ولم يقل قط هذا خاص بي ولا أشار إلى ذلك مع علمه باقتداء أمته به ولم يقل أحد من الصحابة إن هذا لا يصلح لغيره بل روى القصة ونقلوها إلى الأمة ولم يمنعوهم ولا رسول الله ﷺ من الاقتداء به في ذلك والله سبحانه لما خصه في النكاح بالموهوبة قال: ﴿

**خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴿ [الأحزاب: 50] ؛ فلو كانت هذه خالصة له

من دون أمته لكان هذا التخصيص أولى بالذكر لكثرة ذلك من السادات مع إمائهم بخلاف المرأة التي تهب نفسها للرجل لندرتة وقلته أو مثله في الحاجة إلى البيان ولا سيما والأصل مشاركة الأمة له واقتداؤها به فكيف يسكت عن منع الاقتداء به في ذلك الموضع الذي لا يجوز مع قيام مقتضى الجواز هذا شبه المحال ولم تجتمع الأمة على عدم الاقتداء به في ذلك فيجب المصير إلى إجماعهم وبالله التوفيق .

### 23- تربية المجاهدين:

وحين يكون القتال منطلقاً من شهوة القتال، بعيداً عن الهدف، فسيكون وبالاً على صاحبه، وما أحوج أبناء الدعوة والحركة أن يفقهوا هذه المعاني، وأن يفقهوا أن حمل السلاح وإلقاءه، ليس اندفاعاً ذاتياً، ليس حملة تهوراً وشجاعة فائقة، وليس إلقاءه جبناً أو ضعفاً أو تخاذلاً. إن حمل السلاح وإلقاءه مهمة شرعية تنفذ بقرار الأمير بالقناعة الشخصية: (وكان رسول الله - ﷺ - حين انتهى إلى حصن ناعم وصف أصحابه نهى عن القتال حتى يأذن لهم، فعمد رجل من أشجع فحمل على يهودي، وحمل عليه مرحب فقتله، فقال الناس: يا رسول الله استشهد فلان! فقال رسول الله - ﷺ -: «أبعد ما نهيت عن القتال؟» فقالوا: نعم. فأمر رسول الله - ﷺ - منادياً ينادي: «لا تحل الجنة لعاص». ثم أذن الرسول - ﷺ - في القتال وحث عليه).

فهذا قاتل في ظاهر الأمر وقتله اليهودي، ولكنه قاتل بعد النهي عن القتال فحرمت الجنة عليه وهو مسلم عريق في الإسلام. إن التزام أمر القائد المسلم دين يلقي الله - تعالى - الجندي المسلم عليه: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن عصى الأمير فقد عصاني».

### 24- التزام الأمر في كل شيء وليس في القتال فقط أو

#### الكف عنه:

روى الحارث بن أبي أسامة عن أبي أمامة والبيهقي عن ثوبان - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال في غزوة خيبر: «من كان مضجعاً [أي: كان جملة ضعيفاً] أو مصعباً [أي: من كان جملة صغيراً لم يدرب بعد] فليرجع) وأمر بلالاً فنادى بذلك، فرجع الناس وفي القوم رجل على صعب فمر الناس وفي القوم رجل على صعب فمر من الليل

على سواد فنفر به فصرعه، فلما جاؤوا به رسول الله - ﷺ - قال: «**ما شأن صاحبكم؟**»، فأخبروه فقال: «**يا بلال ما كنت أذنت في الناس من كان مضعفاً أو مصعباً فليرجع**»، قال: نعم، فأبى أن يصلى عليه. زاد البيهقي: وأمر بلالاً فنأدى في الناس: «**الجنة لا تحل لعاص**» ثلاثاً. فالأمر يطاع في الكف عن القتال أو في استعمال آله. أو في الإذن فيه، أو في مواجهة العدو، وأي مخالفة شخصية هي معصية قد تحول بين الجنة وبين المجاهد.

واستجاب المسلمون لنداء رسول الله - ﷺ - رغم ما بهم من الجوع والفاقة، فهم لا يجدون ما يأكلونه، وعليهم أن يمضوا لحرب ضروس، لا يعلم إلا الله مداها، وهم ماضون إلى موعود الله في أن يعطيهم غنائم خيبر، لكن متى؟ وكيف؟ فعلمها عند الله.

\* وها هم يحاصرون، ويشتد جوعهم، ويشتد تعبهم وإرهاقهم حتى ليضطروا إلى إعلام الرسول - ﷺ -، وكان الإعلام من أسلم، وأسلم على الجيش الإسلامي، وما يملك لهم رسول الله - ﷺ - إلا الدعاء: «**والله ما بيدي ما أقويهم به، قد علمت حالهم وأنهم ليست لهم قوة**» ثم قال: «**اللهم افتح عليهم أعظم حصن فيها، أكثرها طعاماً، وأكثرها ودكاً**».

## 25- جواز كذب الإنسان على نفسه وعلى غيره إذا كان

### يتوصل بالكذب إلى حقه ما لم يتضمن ضرر ذلك الغير :

ومنها : جواز كذب الإنسان على نفسه وعلى غيره إذا لم يتضمن ضرر ذلك الغير إذا كان يتوصل بالكذب إلى حقه كما كذب الحجاج بن علاط على المسلمين حتى أخذ ماله من مكة من غير مضرة لحقت المسلمين من ذلك الكذب وأما ما نال من بمكة من المسلمين من الأذى والحزن فمفسدة يسيرة في جنب المصلحة التي حصلت بالكذب ولا سيما تكميل الفرح والسرور وزيادة الإيمان الذي حصل بالخبر الصادق بعد هذا الكذب فكان الكذب سبباً في حصول هذه المصلحة الراجعة ونظير هذا الإمام والحاكم يوهم الخصم خلاف الحق ليتوصل بذلك إلى استعمال الحق كما أوهم سليمان بن داود إحدى المرأتين بشق الولد نصفين حتى توصل بذلك إلى معرفة عين الأم .

## 26- جواز إشراك غير المقاتلين في الغنيمة ممن حضر

## مكان القتال :

وذلك بعد استئذان أصحاب الحق فيها ، فقد أشرك النبي ﷺ جعفر ابن أبي طالب ومن معه في الغنائم ، بإذن من الصحابة حينما عادوا من الحبشة واليمن .

### 27- مشروعية تقبيل القادم والتزامه :

وهو مما لا نعلم فيه خلافاً معتداً به إذا كان قادماً من سفر أو طال العهد به ، واستدل العلماء في ذلك بتقبيل رسول الله ﷺ جعفر ابن أبي طالب ﷺ بين عينيه والتزامه إياه عند قدومه من الحبشة ، والحديث رواه أبو داود بسند صحيح، وروى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : قدم زيد ابن حارثة المدينة ورسول الله ﷺ في بيتي فأتاه فقرع الباب ، فقام إليه النبي ﷺ يجر ثوبه ، فاعتنقه وقبله . ويشكل عليه في الظاهر ما رواه الترمذي أيضاً عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : قال رجل يا رسول الله ، الرجل منا يلقي أخاه أو صديقه أينحني له ؟ قال : لا قال : أفيلتزمه ويقبله ؟ قال : لا قال : فيأخذ بيده ويصافحه ؟ قال : نعم .

وجواب الإشكال أن سؤال الرجل في هذا الحديث عن اللقاءات العادية المتكررة بين الرجل و صاحبه، والتقبيل و الالتزام أمر غير مرغوب فيه في مثل هذه الحال ، أما ما فعله رسول الله ﷺ من ذلك بالنسبة إلى جعفر وزيد فإنما كان ذلك - كما قد علمت - أثر قدوم من سفر فالحالتان مختلفتان .

### 28- معجزات النبي ﷺ في خيبر:

إن في هذه الغزوة حادثتين، كل منهما ثابت بالحديث الصحيح تعدان من الخوارق العظيمة التي أيد الله بها محمد ﷺ :  
أولاهما:- أنه ﷺ تفل في عين عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه وقد كان يشتكى منها فبرأت في الوقت نفسه حتى كأن لم يكن به وجع .  
الثانية :- ما أوحى الله إليه من أمر الشاة المسمومة عندما أراد الأكل منها، ولأمر ما سبق قضاء الله تعالى فابتلع بشر ابن البراء لقمته قبل أن ينطق رسول الله ﷺ بأنها مسمومة فكان قضاؤه في ذلك ، ولعل في ذلك مزيداً من بيان ما اختص الله تعالى به نبيه ﷺ من الحفظ و العصمة من أيدي الناس و كيدهم تنفيذاً لوعده جل جلاله : ﴿ **وَاللَّهُ**

يَعِصْمَكَ مِنَ النَّاسِ ﴿[المائدة:67] .

ولقد ذكرنا أن الرواة اختلفوا : هل أسلمت المرأة اليهودية أم لا ؟ ،  
و الذي يغلب - على ما جزم به الزهري - أنها أسلمت ، ولذلك لم يقتلها  
النبي ﷺ على ما ذكره مسلم .  
لا يقال إن القصاص كان يقتضى قتلها، لأن القاعدة المتفق عليها :  
أن الإسلام يجب ما قبله ' فالقتل الذي يستوجب القصاص هو ما كان  
واقعا بعد إسلام القاتل أما ما قبله فالأمر في ذلك راجع إلى الحراية  
ومعلوم أن الحراية تنتهي بالدخول في الإسلام .

### 29- فضل الدعوة الى الله تعالى :

وهذا نأخذه من وصيته ﷺ لعلي ﷺ بأن يدعو اليهود إلى الإسلام  
قبل أن يداهمهم، وقال له: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير  
لك من أن تكون لك حمر النعم» وعندما سأله علي: يا رسول الله على  
ماذا أقاتل الناس؟ قال: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن  
محمدًا رسول الله، فإذا فعلوا ذلك منعوا منكم دماءهم وأموالهم، إلا  
بحقها وحسابهم على الله»(1).

### 30- حادي القوم:

وكان سيره ﷺ بالجنود ليلا، فقد قال سلمة بن الأكوع ﷺ: خرجنا مع  
النبي ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلاً(2)، وكان عامر بن الأكوع يحدو بالقوم  
ويقول:

اللهم لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا  
فاغفر فداء لك(3) ما اتقينا وثبت الأقدام إن لاقينا  
وألقين سكينه علينا إنا إذا صيح بنا أتينا  
وبالصياح عولوا علينا

فقال رسول الله ﷺ: «من هذا السائق؟» قالوا: عامر بن الأكوع.

قال: «يرحمه الله».

قال رجل -وهو عمر بن الخطاب(1)- من القوم: وجبت يا نبي الله، لولا متعتنا به(2).

### 31- الشورى في غزوة خيبر:

تقدم رسول الله ﷺ حتى اختار لمعسكره منزلاً، فأتاه حُبَاب بن المنذر، فقال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل أنزلك الله، أم هو الرأي في الحرب؟ قال: «بل هو الرأي» فقال: يا رسول الله، إن هذا المنزل قريب جداً من حصن نطاة، وجميع مقاتلي خيبر فيها، وهم يدرون أحوالنا، ونحن لا ندري أحوالهم، وسهامهم تصل إلينا، وسهامنا لا تصل إليهم، ولا نأمن من بياتهم، وأيضاً هذا بين النخلات، ومكان غائر، وأرض وخيمة، لو أمرت بمكان خال عن هذه المفاصد نتخذة معسكراً، قال ﷺ: «الرأي ما أشرت»، ثم تحول إلى مكان آخر.

### 32- ومن الأحكام في هذه الغزوة:

\* خرص الثمار على رؤوس النخيل وقسمتها كذلك، وأن القسمة ليست بيعاً، والاكتفاء بخارص واحد وقاسم واحد.  
\* جواز عقد المهادنة عقداً جائزاً للإمام فسخه متى شاء.  
\* جواز تعليق عقد الصلح والأمان بالشرط، كما عقد لهم رسول الله ﷺ بشرط ألا يغيبوا ولا يكتموا، كما في قصة مسك حبي.  
\* جواز كذب الإنسان على نفسه وعلى غيره، إذا لم يتضمن ضرر ذلك الغير، إذا كان يتوصل بالكذب إلى حقه، كما كذب الحجاج بن علاط على المسلمين والمشركين حتى أخذ ماله من مكة من غير مضرة لحقت بالمسلمين من ذلك بالكذب.  
\* إن من قتل غيره بسم يقتل مثله قصاصاً، كما قتلت اليهودية ببشر بن البراء.

\* جواز الأكل من ذبائح أهل الكتاب وحل طعامهم وقبول هديتهم، كما في حادثة الشاة المسمومة.

\* الإمام مخير في الأرض التي تفتح عنوة إن شاء قسمها وإن شاء وقفها وإن شاء قسم البعض ووقف البعض الآخر، وقد فعل رسول الله

(1) انظر: فتح الباري (466/7). (8) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4196.



ﷺ الأنواع الثلاثة ، فقسم قريظة والنضير ، ولم يقسم مكة ، وقسم شطراً من خيبر وترك شطرها الآخر.

### 33- اللجوء إلى الله وتعظيم شعائر الإسلام:

وهذا نجده واضحا عندما وصل جيش المسلمين إلى مشارف خيبر قال رسول الله ﷺ لأصحابه: قفوا. ثم قال: «اللهم رب السموات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقلن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين، فإننا نسألك خير هذه القرية، وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها، وشر ما فيها»، أقدموا باسم الله، وكان يقولها لكل قرية دخلها(1).

وكان النبي ﷺ إذا أتى قوماً بليل لم يقربهم حتى يصبح، فإن سمع اذانا امسك وان لم يسمع أغار وفي هذا تعظيم للصلاة، فبات رسول الله ولم يسمع أذاناً، فلما أصبح صلي الفجر بعأس، وركب المسلمون، فخرج أهل خيبر بمساحيهم ومكاتلهم، ولا يشعرون، بل خرجوا لأرضهم، فلما رأوا الجيش قالوا: محمد، والله محمد والخميس، ثم رجعوا هاربين إلى مدينتهم، فقال النبي ﷺ: «الله أكبر، خربت خيبر، الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين» .

فارسول ﷺ مع ربه بيقينه وتوكله عليه، فيسأله عونته ونصره وتأيبه جل جلاله.

### 34- موقف حزم وخبرة من عباد بن بشر:

وكان ﷺ قد بعث عباد بن بشر ؓ في سرية استطلاعية يتلقط أخبار العدو، ويستطلع إن كان هناك كمائن، فلقي في الطريق عيناً لليهود من أشجع فقال: من أنت؟ قال: باغ ابتغى أبعة ضلت لي، أنا على إثرها، قال عباد: ألك علم بخيبر؟ قال: عهدي بها حديث، فيم تسألني عنه؟ قال: عن اليهود؟ قال: نعم، كان كنانة بن أبي الحقيق وهوذة بن قيس ساروا في حلفائهم من غطفان، فاستنفروهم وجعلوا لهم ثمر خيبر سنة، فجاءوا معدين مؤيدين بالكراع والسلاح يقودهم عتبة بن بدر، ودخلوا معهم في حصونهم، وفيهم عشرة آلاف مقاتل، وهم أهل الحصون التي لا ترام، وسلاح وطعام كثير لو حصروا لسنين لكفاهم، وماء وأنى يشربون في

(1) انظر: المستدرك (100/2) قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد وأقره الذهبي.

حصونهم، ما أرى لأحد بهم طاقة، فرفع عباد بن بشر السوط فضربه ضربات، وقال: ما أنت إلا عين لهم، اصدقني وإلا ضربت عنقك. فقال الأعرابي: القوم مرعوبون منكم خائفون، وجلون لما صنعتم بمن كان بيثرب من اليهود، وقال لبي كنانة: اذهب معترضاً للطريق فإنهم لا يستنكرون مكانك واحزرهم لنا، وادن منهم كالمسائل لهم ما تقوى به، ثم ألق إليهم كثرة عددنا ومادتنا، فإنهم لن يدعوا سؤلك، وعجل الرجعة إلينا بخبرهم.

وهكذا استطاع عباد بحكمته وحزمه استخراج المعلومات الصحيحة من ذلك الجاسوس.

### 35- شجاعة علي بن أبي طالب عليه السلام:

رأى اليهود الجيش فروا إلى مدينتهم وتحصنوا في حصونهم، وكان من الطبيعي أن يستعدوا للقتال . وأول حصن هاجمه المسلمون من حصونهم الثمانية هو حصن ناعم

وكان خط الدفاع الأول لليهود لمكانه الاستراتيجي، وكان هذا الحصن هو حصن مرحب البطل اليهودي الذي كان يعد بالألف. خرج علي بن أبي طالب عليه السلام بالمسلمين إلى هذا الحصن، ودعا اليهود إلى الإسلام، فرفضوا هذه الدعوة، وبرزوا إلى المسلمين ومعهم ملكهم مرحب، فلما خرج إلى ميدان القتال دعا إلى المبارزة، قال سلمة بن الأكوع : فلما أتينا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول :  
قد علمت خيبر أني مَرْحَبٌ \*\* شَاكِي السِّلَاحِ بَطْلٌ مُجْرَبٌ  
إذا الحروب أقبلت تَلَهَّبُ

فبرز له عامر فقال :

قد علمت خيبر أني عامر \*\* شَاكِي السِّلَاحِ بَطْلٌ مُعَامِرٌ  
فاختلفا ضربتين، فوقع سيف مرحب في ترس عمي عامر، وذهب عامر يسفل له، وكان سيفه قصيراً، فتناول به ساق اليهودي ليضربه، فيرجع دُباب سيفه فأصاب عين ركبته فمات منه، وقال فيه النبي ﷺ: «  
إن له لأجرين - وجمع بين إصبعيه - إنه لجَاهِدٌ مُجَاهِدٌ، قَلَّ عَرَبِيٌّ مَشِيٌّ  
بِهَا مِثْلُهُ » .

ويبدو أن مرحباً دعا بعد ذلك إلى البراز مرة أخرى وجعل يرتجز بقوله :

قد علمت خيبر أني مرحب . . . إلخ، فبرز له علي بن أبي طالب  
 ﷺ . قال سلمة ابن الأكوع : فقال علي :

أنا الذي سمتني أمي حَيْدَرَه \*\* كَأَيْثِ غَابَاتِ كَرِيهِ الْمَنْظَرَه  
 أَوْ فِيهِمْ بِالصَّاعِ كَيْلِ السَّنْدَرَه

فضرب رأس مرحب فقتله، ثم كان الفتح على يديه .  
 ولما دنا علي ﷺ من حصونهم اطلع يهودي من رأس الحصن، وقال  
 : من أنت ؟ فقال : أنا علي بن أبي طالب، فقال اليهودي : علوتم وما  
 أنزل على موسى .

ثم خرج ياسر أخو مرحب، وهو يقول : من يبارز ؟ فبرز إليه  
 الزبير، فقالت صفية أمه : يا رسول الله، يقتل ابني، قال : ( بل ابنك  
 يقتله ) ، فقتله الزبير .

ودار القتال المرير حول حصن ناعم، قتل فيه عدة سراة من اليهود،  
 انهارت لأجله مقاومة اليهود، وعجزوا عن صد هجوم المسلمين،  
 ويؤخذ من المصادر أن هذا القتال دام أيامًا لاقى المسلمون فيها مقاومة  
 شديدة، إلا أن اليهود ينسوا من مقاومة المسلمين، فتسللوا من هذا  
 الحصن إلى حصن الصَّعْب، واقتحم المسلمون حصن ناعم .

### 36- نتائج خيبر:

وهكذا كانت حياة الرسول ﷺ تعليمًا وتربية للأمة في السلم والحرب  
 على معاني العقيدة وحقيقة العبادة، وهذا غيظ من فيض وجزء من  
 كل.

هذا وقد أحدث فتح خيبر وفدك ووادي القرى وتيماء دويًا هائلًا في  
 الجزيرة العربية بين مختلف القبائل، وقد أصيبت قريش بالغیظ والكآبة  
 إذ لم تكن تتوقع ذلك، وهي تعلم مدى حصانة قلاع يهود خيبر، وكثرة  
 مقاتليهم ووفرة سلاحهم ومؤنتهم ومتاعهم(1)، أما القبائل العربية  
 الأخرى المناصرة لقريش فقد أدهشها خبر هزيمة يهود خيبر وخذلها  
 انتصار المسلمين الساحق؛ ولذلك فإنها جنحت إلى مسالمة المسلمين  
 وموادعتهم بعد أن أدركت عدم جدوى استمرارها في عدائهم، مما فتح  
 الباب واسعًا لنشر الإسلام في أرجاء الجزيرة العربية، بعد أن تعززت  
 مكانة المسلمين في أعين أعدائهم إلى جانب ما تحقق له من خير

وتعزيز لوضعهم الاقتصادي(1).

واستمرت حركة سرايا بعد خيبر، وكانت كثيرة، وأمر عليها ﷺ كبار الصحابة، وكان في بعضها قتال، ولم يكن في بعضها قتال(2).  
إلى هنا واكتفي بما جمعت من دروس وعبر هذه الغزوة المباركة،  
وأتوجه إلى الله عز و جل بأن يقبل هذا العمل، ويجعله خالصاً لوجهه  
الكريم .  
هذا وصلّ اللهم على نبينا محمد وعلى آبه وصحبه وسلم .



## غزوة بني المصطلق دروس وعبر

الحمد لله الذي يسمع ويرى، الحمد لله الذي يعلم السر وأخفى،  
الحمد لله الذي يسمع دبيب النملة السوداء تحت الصخرة الصماء في  
الليلة الظلماء وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن

(1) المصدر نفسه، (353/1).

(2) انظر: السيرة النبوية للندوي، ص221.

محمداً عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1].

وبعد

فلا تزال السيرة النبوية معيناً لا ينضب لكل باحث عن الحق ساع إلى معرفة هدي خير الورى - ﷺ - ، ومهما كثر على هذا المعين الواردون ونهل منه الناهلون فسوف يظل كما هو في صفائه وقوته وجزارة مادته .

ولما كان الجهاد في سبيل الله من أهم سمات حياته المباركة - ﷺ - ، فقد اعتنى أهل العلم بدراسة غزواته وبعوثة، ليس فقط لمعرفة هديه في حربه وسلمه، بل أيضاً لاستنباط كثير من الأحكام الفقهية التي لا تخلو من الإشارة إليها غزوة، ومحاولة استخلاص بعض الحكم العظيمة من تلك الغزوات، واستجلاء بعض أساليبه - ﷺ - في إعداد أصحابه وتربيتهم، وغير ذلك مما قد يفتح الله به على من يشاء من عباده.

ومن هذا الباب لا زلنا وإياكم في هذه الموسوعة المباركة بإذن الله :

(غزوات النبي المصطفى دروس وعبر)، ومع (غزوة بني المصطلق دروس وعبر).

وأسأل الله الكريم الوهاب العزيز التواب أن ينفع بهذا العمل، و يجعله لوجهه خالصاً ولعباده نافعاً، و يجعله في ميزان حسناتي يوم ألقاه إنه ولي ذلك والقادر عليه .



## غزوة بني المصطلق

### ✽ غزوة بني المصطلق:

ومن هم بنو المصطلق: هم بطن (1) من خزاعة، والمصطلق (2) جدّهم، وهو جذيمة بن سعد ابن عمرو بن ربيعة ابن حارثة بن عمرو بن عامر ماء السماء (3).

### ✽ غزوة بني المصطلق:

التي اختلف العلماء في تاريخها، وانحصرت أقوالهم فيها في ثلاثة أقوال، فمن قائل إنها في شعبان سنة ست، قال بذلك ابن إسحاق وخليفة بن خياط، وابن جرير الطبري. ومن قال بأنها في شعبان من العام الرابع للهجرة، مثل المسعودي.

وذهبت طائفة إلى أنها كانت في شعبان من السنة الخامسة، منهم موسى بن عقبة، وابن سعد، وابن قتيبة، والبلاذري، والذهبي، وابن القيم، وابن حجر العسقلاني، وابن كثير -رحمهم الله- ومن المحدثين الخصري بك، والغزالي، والبوطي.

(1) فرع.

(2) المصطلق: بضم الميم وسكون الصاد وفتح الطاء المهملتين وكسر اللام.

(3) انظر: حديث القرآن عن غزوات الرسول (311/1).

وقد كانت وفاة سعد بن معاذ في أعقاب غزوة بني قريظة، وغزوة بني قريظة كانت في ذي القعدة من السنة الخامسة على القول الراجح، فيتعين أن تكون غزوة بني المصطلق قبلها(1).

### ✽ غزوة بني المصطلق :

التي من أهم أسبابها:

أ- تأييد هذه القبيلة لقريش واشترائها معها في معركة أحد ضد المسلمين، ضمن كتلة الأحابيش التي اشتركت في المعركة تأييداً لقريش.

ب- سيطرة هذه القبيلة على الخط الرئيسي المؤدي إلى مكة، فكانت حاجزاً منيعاً من نفوذ المسلمين إلى مكة(2).

ج- أن الرسول ﷺ بلغه أن بني المصطلق يجمعون له، وكان قائدهم الحارث بن أبي ضرار ينظم جموعهم، فلما سمع بهم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له: المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل فهزمهم شر هزيمة(3).

### ✽ غزوة بني المصطلق:

التي فيها زواج رسول الله ﷺ من جويرية بنت الحارث رضي الله عنها.

### ✽ غزوة بني المصطلق:

التي من أسماءها أيضاً المريسيع فعندما بلغ الرسول ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له، وكان قائدهم الحارث بن أبي ضرار ينظم جموعهم، فلما سمع بهم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له: المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل فهزمهم شر هزيمة(4).

### ✽ غزوة بني المصطلق:

تعتبر هذه الغزوة من الغزوات الفريدة المباركة التي أسلمت

(1) من أراد مزيداً من التفصيل فليرجع إلى مرويات غزوة بني المصطلق، ص 97.

(2) انظر: صحيح السيرة النبوية للعلي، ص 332.

(3) حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (315/1).

(4) حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (315/1).

عقبها قبيلة بأسرها.

### ✽ غزوة بني المصطلق :

التي كان شعار المسلمين فيها: يَا مَنْصُورُ ، أمت أمت.

### ✽ غزوة بني المصطلق :

التي أعتق فيها المسلمين كل ما كان في أيديهم من بني المصطلق، كرامة لمصاهرة رسول الله ﷺ وزواجه من جويرية بنت الحارث.

قالت عائشة رضي الله عنها: أعتق مائة أهل بيت بتزوج رسول الله ﷺ إياها، فلا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها(1).

### ✽ غزوة بني المصطلق :

في مرجع الناس منها قال أهل الإفك ما قالوا، وأنزل الله تعالى في ذلك برأءة عائشة أم المؤمنين رضوان الله عليها ما أنزل.

## دروس وعبر من غزوة بني المصطلق

### 1- المنافقين و محاولة إثارة الفتنة بين المهاجرين والأنصار:

خرج في غزوة بني المصطلق عددٌ كبير من المنافقين مع المسلمين، وكان يغلب عليهم التخلف في الغزوات السابقة، لكنهم لما رأوا اطراد النصر للمسلمين خرجوا طمعاً في الغنيمة(2). وعند ماء المريسيع كشف المنافقون عن الحقد الذي يضمرونه للإسلام والمسلمين، فكلموا كسب الإسلام نصرًا جديدًا ازدادوا غيظًا على غيظهم، وقلوبهم تتطلع إلى اليوم الذي يهزم فيه المسلمون لتتشفى من الغل، فلما انتصر المسلمون في المريسيع سعى المنافقون إلى إثارة العصبية بين المهاجرين والأنصار ويحكي شاهد عيان آخر هو جابر بن عبد الله الأنصاري ما حدث عند ماء المريسيع، وأدى إلى كلام المنافقين لإثارة

(1) أخرجه أحمد في المسند 5 / 179 والبيهقي في السنن 9 / 75 والحاكم في المستدرک 4 / 26 وابن حبان (1547)

وابن سعد في الطبقات 8 / 83 وذكره المتقي الهندي في كنز العمال (39708).

(2) انظر: حديث القرآن الكريم (318/1). (7) انظر: السيرة الصحيحة للعمري (408/2).



العصبية وتمزيق وحدة المسلمين، قال: (كنا في غزاة فكسع (1) رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**ما بال دعوى الجاهلية؟**».

قالوا: يا رسول الله، كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال: «**دعوها فإنها منتنة**» فسمع بذلك عبد الله بن أبي فقال: فعلوها؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ النبي ﷺ فقام عمر فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «**دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه**» (2).

وفي رواية قال عمر بن الخطاب ﷺ: مُرُّ به عباد بن بشر فليقتله، فقال له رسول الله ﷺ: «**فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، لا، ولكن أذن بالرحيل**»، وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها، فارتحل الناس (3).

ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياماً.

وإنما فعل ذلك رسول الله ﷺ ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس، من حديث عبد الله بن أبي، ونزلت السورة التي ذكر فيها المنافقون في ابن أبي ومن كان على مثل أمره، فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد بن أرقم، ثم قال: هذا الذي أوفى الله بأذنه (4).

## 2- عبد الله بن أبي والإساءة إلى الرسول ﷺ :

لما أخفقت المحاولة سعوا إلى إيذاء الرسول ﷺ في نفسه وأهل بيته، فشنوا حرباً نفسية مريرة من خلال حادثة الإفك التي اختلقوها، ولنترك الصحابي زيد بن أرقم وهو شاهد عيان ومشارك في الحادث الأول

(2) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (409/2).

(3) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (319/3).

(4) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (319/3، 320).

يحكي خبر ذلك، قال: (كنت في غزاة (1) فسمعت عبد الله بن أبي يقول: لا تتفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعرز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي (2)، فذكره للنبي ﷺ فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه، فأصابني هم لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلا أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [المنافقين: 1] فبعث إلي رسول الله ﷺ فقرأ، فقال: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَقَكَ يَا زَيْدٌ» (3).

وقد مشى عبد الله بن أبي ابن سلول إلى رسول الله حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمعه منه، فحلف بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به، فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه. فلما سار رسول الله ﷺ، لقيه أسيد بن حضير، فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال: يا نبي الله لقد رحت في ساعة منكرا، ما كنت تزوح في مثلها، فقال له رسول الله ﷺ: «أو بلغك ما قال صاحبكم؟». قال: وأي صاحب يا رسول الله؟ قال: «عبد الله بن أبي؟» قال: وما قال؟ قال: «زعم إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل». قال: فأنت يا رسول الله تخرجه منها إن شئت، هو الذليل وأنت العزيز. ثم قال: يا رسول الله، ارفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه، فإنه يرى أنك استلبت ملكه.

إن هذه الحادثة من السيرة النبوية العطرة مليئة بالدروس والعبر، فمن أهم تلك الدروس:

### 3- (أ) الحفاظ على السمعة السياسية ووحدة الصف

(1) غزاة: صرحت الروايات الأخرى بأنها بني المصطلق.

(2) يريد بعمه سعد بن عبادة وهو رأس الخزرج وليس عمه حقيقة.

(3) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (408/2).

## الداخلية:

وهذا الدرس يظهر في قوله ﷺ: فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟(1).

إنها المحافظة التامة على السمعة السياسية، والفرق كبير جداً بين أن يتحدث الناس عن حب أصحاب محمدٍ محمداً، ويؤكدون على ذلك بلسان قائدهم الأكبر أبي سفيان: ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمدٍ محمداً(2)، وبين أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، ولا شك أن وراء ذلك محاولات ضخمة ستتم في محاولة الدخول إلى الصف الداخلي في المدينة من العدو، بينما هم يائسون الآن من قدرتهم على شيء أمام ذلك الحب وتلك التضحيات(3).

ولم يقف النبي ﷺ موقفاً سلبياً حيال تلك المؤامرة التي تزعمها ابن سلول لتصديع الصف المسلم، وإحياء نعرات الجاهلية في وسطه، بل اتخذ إزاءها الخطوة الإيجابية التالية:

أ- سار رسول الله بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم الثاني حتى أدتهم الشمس، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقوا نياماً(4).

وبهذا التصرف البالغ الغاية في السياسة الرشيدة قضى على الفتنة قضاء مبرماً، ولم يدع مجالاً للحديث فيما قال ابن أبي.

ب- لم يواجه النبي ﷺ ابن سلول ومؤمراته المدبرة بالقوة واستعمال السلاح حرصاً على وحدة الصف المسلم، وذلك لأن لابن أبي أتباعاً وشيعة مسلمين مغرورين، ولو فتك به لأرعدت له أنوف، وغضب له رجال متحمسون له، وقد يدفعهم تحمسهم له إلى تقطيع الوحدة المسلمة، وليس في ذلك أي مصلحة للمسلمين ولا للإسلام، وإنها لسياسة شرعية حكيمة رشيدة في معالجة المواقف العصبية في حزم وقوة أعصاب

(1) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (409/2).

(2) انظر: التربية القيادية (463/3).

(3) المصدر نفسه (463/3).

(4) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (255/2).

وَبُعِدَ نَظْرُ (1). وهذه البراعة في الحكمة والسياسة وتدبير الأمور متفرعة عن كونه ﷺ نبياً ورسولاً إلى الناس (2) لكي تقتدي به الأمة في تصرفاته العظيمة.

وقد كان لتسامح الرسول ﷺ مع رأس المنافقين أبعد الآثار فيما بعد، فقد كان ابن أبي سلول كلما أحدث حدثاً كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه، ويعنفونه، ويعرضون قتله على النبي ﷺ، والرسول يأبى ويصفح، فأراد رسول الله أن يكشف لسيف الحق عن آثار سياسته الحكيمة، فقال: «كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي لأرعدت له أنوف لو أمرتها اليوم لقتلته» فقال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري (3).

#### 4- (ب) (بل نترفق به، ونحسن صحبته ما بقي معنا):

كان لابن أبي سلول ولدٌ مؤمن مخلص يسمى عبد الله بن عبد الله بن أبي سلول، فلما علم بالأحداث ونزول السورة، أتى رسول الله ﷺ فقال له: (يا رسول الله، بلغني أنك تريد قتل أبي سلول فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً، فمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخرج ما كان بها من رجل أبر بوالده مني، وإني لأخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي بين الناس، فأقتله، فأقتل رجلاً مؤمناً بكافر فأدخل النار، فقال رسول الله ﷺ: «**بل نترفق به، ونحسن صحبته ما بقي معنا**» (4). ولما وصل المسلمون مشارف المدينة تصدى عبد الله لأبيه عبد الله بن أبي، وقال له: قف فوالله لا تدخلها حتى يأذن رسول الله ﷺ في ذلك، فلما جاء رسول الله ﷺ استأذنه في ذلك، فأذن له (5).

#### 5- (ج) مثل أعلى في الإيمان:

(1) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 202.

(2) انظر: فقه السيرة النبوية للبوطي، ص 409.

(3) انظر: السيرة النبوية لابن شهبة (257/2).

(4) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (321/3).

(5) انظر: الولاء والبراء في الإسلام، ص 209 للقططاني.

جسده عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول في موقفه من والده، وتقديمه وإخلاصه لله ولرسوله، وتقديم محبتها ومراضيتها على محبة ومراضي الأبوة (1). لقد ضرب الابن أروع مثل في الإيمان والتضحية بعاطفة الأبوة، فقابله ﷺ صاحب القلب الكبير والخلق العظيم بمثل رفيع في العفو والرحمة وحسن الصحبة «بل نترفق به، ونحسن صحبته ما بقي معنا» يا لروعة العفو، ويا لجلال العظمة النبوية (2)، فقد تطف النبي ﷺ بهذا الصحابي الجليل، وهدأ من روعه، وأذهب هواجسه (3).

## 6- (د) محاربة العصبية الجاهلية:

إن العصبية الممقوتة والتي نصفها بالجاهلية غير مقصورة على العصبية القبلية أي الاشتراك في النسب الواحد، نسب القبيلة التي ينتمون إليها، وإنما الاشتراك في معنى أو وصف معين يجعل المشتركين فيه يتعاونون ويتناصرون فيما بينهم بالحق وبالباطل، ويكون ولاؤهم فيما بينهم على أساس هذا المعنى أو الوصف المشترك، فعندما كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، قال الأنصاري: يا لأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذلك النبي ﷺ فقال: «ما بال دعوى الجاهلية؟» قالوا: رجل من المهاجرين كسع رجلاً من الأنصار، فقال النبي ﷺ: «دعوها فإنها منتنة» (4)، ووجه الدلالة بهذا الخبر، أن النبي ﷺ أنكر هذه المناداة لما تشعره من معنى العصبية، مع أن المنادي استعمل اسماً استعمله القرآن وهو (المهاجرين) (والأنصار). فالمهاجري استنصر بالمهاجرين مع أنه هو الذي كسع، فكأنه بنداؤه هذا يريد عونهم، لاشتراكه وإياهم بمعنى واحد وهو (المهاجرة)، وكذلك الأنصاري استنصر بالأنصار؛ لأنه منهم ويشترك وإياهم بوصف واحد ومعنى واحد وهو مدلول كلمة (الأنصار)، وكان حق الاثنين - إذا كان لا بد من الاستنصار بالغير - أن يكون الاستنصار بالمسلمين جميعاً، وعلى هذا فالمطلوب من الدعاة التأكيد على نبذ العصبية بجميع أنواعها سواء كانت عصبية تقوم على أساس الاشتراك

(1) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون، (163/3).

(2) انظر: السيرة النبوية لابن شهبة (257/2).

(3) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (163/3).

(4) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (209/2).

بالقبيلة الواحدة، أو على أي أساس آخر، من بلد، أو مذهب، أو حزب، أو عرق، أو لون، أو دم، أو جنس، وأن يكون الولاء والتناصر على أساس الاشتراك بالأخوة الإسلامية التي أقامها وأثبتها واعتبرها الله تعالى بين المسلمين بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ [الحجرات: 10]. وأن يكون التناصر فيما بينهم تناصراً على الحق لا على الباطل بمعنى أن ينصروا المحق، وأن يكونوا معه، لا مع المعتدي (1).

لقد أوضح الرسول ﷺ أن العصبية هي من دعاوى الجاهلية، وقال: « **لينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً، إن كان ظالماً فلينهه فإنه له نصر، وإن كان مظلوماً فلينصره** » (2) فجعل التناصر في طلب الحق والإنصاف وأبطل المفهوم الجاهلي: انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً (3).

إن مهمة الدعاة وطلاب العلم والعلماء والفقهاء في التخلص من العصبية، ودعوة المسلمين إلى نبذها، كما أمر بذلك رسول الله ﷺ مهمة صعبة، ولكنها ليست مستحيلة، ولأهميتها الكبيرة علينا أن نبذل ما في وسعنا لقلعها من النفوس (4).

## 7- توجيه القرآن الكريم للمجتمع الإسلامي في أعقاب

### غزوة بني المصطلق:

نزلت سورة (المنافقون) في أعقاب غزوة بني المصطلق، حيث كان المسلمون راجعين إلى المدينة، وذلك بدليل رواية الإمام الترمذي (فلما أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقون) (5). فقد تحدثت السورة بإسهاب عن المنافقين، وأشارت إلى بعض الحوادث والأقوال التي وقعت منهم ورويت عنهم وفضحت أكاذيبهم، إلا أنها في الختام حذرت المؤمنين من الانشغال بزينة الدنيا ومتاعها، وحثت على الإنفاق، ويمكن

(1) انظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة (302، 301/2).

(2) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (209/2).

(3) المصدر نفسه (209/2).

(4) انظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة (302/2).

(5) انظر: سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب «ومن سورة المنافقون» (415/5).

لدارس هذه السورة أن يلاحظ عدة محاور مهمة منها:

1- تحدثت السورة الكريمة في البدء عن أخلاق المنافقين، وفضحت كذبهم في أقوالهم ووصفت حالهم(1)؛ فابتدأت هذه السورة بإيراد صفات المنافقين التي من أهمها الكذب في ادعاء الإيمان، وحلف الإيمان الكاذبة، وجبنهم وضعفهم وتآمرهم على النبي ﷺ وعلى المؤمنين، وصددهم الناس عن دين الله(2)، قال تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ □ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ □ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ □ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مَّسْنُودٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [المنافقون: 4-1].

2- ثم بينت الآيات عنادهم وتصميمهم على الباطل، وعصيانهم لمن يدعوهم إلى الحق وبينت مقالاتهم الشنيعة بالتفصيل خاصة ما قالوه في غزوة بني المصطلق من أنهم سيطرردون الرسول والمؤمنين من المدينة، وأن العزة لهم، إلى غير ذلك من الأقوال العظيمة الفظيعة(3).

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ \* سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ \* هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَاللَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ \* يَقُولُونَ لَنْ نَرْجِعَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَاللَّهُ الْعِزَّةُ لِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون: 5-8].

وهكذا كان المجتمع المدني يتربى بالأحداث، والقرآن الكريم يقوم بتوجيهه وتعليمه، ورسول الله ﷺ يقوم بالإشراف على ذلك.

(1) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (327/1).

(2) انظر: التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، (213/28).

(3) انظر: حديث القرآن الكريم (327/1).

## حادثة الإفك والدروس والعبر منها:

حاك المنافقون في هذه الغزوة حادثة الإفك، بعد أن فشل كيدهم في المحاولة الأولى لإثارة النعرة الجاهلية، فقد أمت بالبيت النبوي هذه النازلة الشديدة والمحنة العظيمة التي كان القصد منها النيل من النبي ﷺ ومن أهل بيته الأطهار. هذا وقد أجمع أهل المغازي والسير (1) على أن حادثة الإفك كانت في أعقاب غزوة بني المصطلق، وتابعهم في ذلك المفسرون (2)، والمحدثون (3).

وقد أخرج البخاري ومسلم حديث الإفك في صحيحيهما، وهذا سياق القصة من صحيح البخاري: قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه، فأيتها خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها (4) فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما نزل الحجاب فأنا أحمل في هودجي (5) وأنزل فيه. فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك، وقفل ودنونا من المدينة قافلين، أذن ليلة بالرحيل، فقامت حين أذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فإذا عقد لي من جَزَع ظَفَارٍ (6) قد انقطع، فالتمست عقدي وحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط (7) الذين كانوا يرحلون لي، فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت ركبت، وهم يحسبون أنني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يتقلهن اللحم، إنما نأكل العُلقة (8) من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه، وكنت جارية حديثة السنة فبعثوا الجمل، وساروا، فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش

(1) كالواقدي، والذهبي، والطبري، وابن سعد، وابن حزم

(2) كابن كثير، والرازي، والطبري وغيرهم.

(3) كابن حجر، والنووي.

(4) هي غزوة بني المصطلق.

(5) الهودج: محمل له قبة تستر بالثياب يوضع على ظهر البعير تركب فيه النساء.

(6) جزع ظفار: هو خرز معروف في سواده بياض كالعروق وهي مدينة باليمن.

(7) الرهط: الجماعة من ثلاثة إلى عشرة.

(8) العُلقة: البلغة من الطعام.



فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب، فأقمت منزلي الذي كنت فيه، وظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إليّ، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي (1) ثم الذكواني من وراء الجيش فأدلج (2) فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رأني وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه (3) حين عرفني، فخرمت (4) وجهي بجلبابي والله ما كلمني كلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة، حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين (5) في نحر الظهيرة (6)، فهلك من هلك، وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول.

كانت قصة الإفك حلقة من سلسلة فنون الإيذاء والمحن التي لقيها رسول الله ﷺ من أعداء الدين، وكان من لطف الله تعالى بنبيه ﷺ وبالمؤمنين أن كشف الله زيفها وبطلانها، وسجل التاريخ بروايات صحيحة مواقف المؤمنين من هذه الفرية، لا سيما موقف أبي أيوب وأم أيوب، وهي مواقف يتأسى بها المؤمنون عندما تعرض لهم في حياتهم مثل هذه الفرية، فقد انقطع الوحي، وبقيت الدروس لتكون عبرة وعظة للأجيال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها (7).

8- (أ) **تبرئة السيدة عائشة ل:** من الإفك بقرآن يتلى إلى آخر

الزمان، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ** ﴾ [النور:

[11].

9- (ب) **الخير يبرز في الشر:**

(1) صحابي جليل كان صاحب ساقية رسول الله ﷺ في غزواته.

(2) فأدلج: بالتشديد سار آخر الليل.

(3) أي يقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(4) فخرمت: أي غطيت.

(5) موغرين: الوغرة: شدة الحر.

(6) نحر الظهر: أولها وهو وقت شدة الحر.

(7) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 440

حكمة الله تعالى اقتضت أن يبرزغ الخير من ثنايا الشر، فقد كان ابتلاء أسرة أبي بكر الصديق ﷺ بحديث الإفك خيراً لهم، حيث كتب لهم الأجر العظيم على صبرهم وقوة إيمانهم، قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور: 11].

### 10- (ج) الحفاظ على سمعة المؤمنين:

الحرص على سمعة المؤمنين، وعلى حسن الظن فيما بينهم، قال تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: 12].

### 11- (د) تكذيب القائلين بالإفك:

قال تعالى: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النور: 13].

### 12- (هـ) بيان فضل الله على المؤمنين ورافته بهم:

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النور: 14].

### 13- (و) التثبت من الأقوال قبل نشرها:

يجب التثبت من الأقوال قبل نشرها، والتأكد من صحتها، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: 16].

### 14- (ز) النهي عن اقرار مثل هذا الذنب العظيم أو

### العودة إليه:

قال تعالى: ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ □ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: 17، 18].

### 15- (ح) النهي عن إشاعة الفاحشة بين المؤمنين:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾

وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿﴾ [النور: 19].

## 16- (ط) بيان فضل الله سبحانه على عباده المؤمنين

ورأفته بهم وكرر ذلك تأكيداً له:

قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور: 20].

## 17- (ي) النهي عن تتبع خطوات الشيطان التي تؤدي

للهلاك:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور: 21].

## 18- (ك) الحث على النفقة على الأقارب وإن أساءوا(1):

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: 22].

## 19- (ل) غيرة الله تعالى على عباده المؤمنين(2): الصادقين,

ودفاعه عنهم, وتهديده لمن يرميهم بالفحشاء باللعن في الدنيا والآخرة, قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ \* يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ [النور: 23-25].

قال صاحب الكشاف عند تفسيره لهذه الآيات:

(1) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (385/1، 386).

(2) إن اردت الاستزادة من الدروس والعبر فقد أفردت لها بحثاً علمياً متكاملأ بعنوان(حادثة الإفك دروس وعبر) تجده

ولو قلبت القرآن كله وفتشت عما أوعده به العصاة لم تر الله قد غلظ في شيء تغليظه في إفاك عائشة رضوان الله عليها، ولا أنزل من الآيات القوارع، المشحونة بالوعيد الشديد، والعقاب البليغ، والزجر العنيف، واستعظام ما ارتكب من ذلك، واستفطاع ما أقدم عليه، ما أنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مُفْتَنَة، كل واحد منها كاف في بابه، ولو لم ينزل إلا هذه الآيات الثلاث: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ** ﴾ إلى قوله: ﴿ **هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ** ﴾ [النور: 23-25] لكفى بها حديثاً جعل القذفة معلونين في الدارين جميعاً، وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة، وبأن أسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا، وأنه يوفيهم جزاءهم الحق الذي هم أهله(1).

## 20- من سنن الله:

جاء في سياق الآيات بيان سنة من سنن الله الجارية في الكون وهي أن الطيبين يجعلهم الله من نصيب الطيبات، والطيبات يجعلهن من نصيب الطيبين، قال تعالى: ﴿ **الْحَبِيبَاتُ لِّلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِّلْحَبِيبَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِّلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِّلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مَبْرُؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** ﴾ [النور: 26].

## 21- الناس مع الإفك أربعة أقسام:

والناس عندما رُميت الصديقة بنت الصديق بالإفك كانوا على أربعة أقسام(2):

قال فضيلة الشيخ عبد القادر شيبه الحمد - عند تعليقه على حديث يتعلق بقصة الإفك-: إن الناس عندما رُميت الصديقة بنت الصديق بالإفك كانوا أربعة أقسام:

**قسم:** وهو أكثر الناس، حموا أسماعهم وألسنتهم فسكتوا، ولم ينطقوا إلا بخير ولم يصدقوا ولم يكذبوا، و**قسم:** سارع إلى التكذيب، وهم أبو أيوب الأنصاري وأم أيوب رضي الله عنهما، فقد وصفوه عند سماعه بأنه إفاك وبرؤوا عائشة مما نسب إليها في الحال.

(1) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (386/1) نقلاً عن تفسير الكشاف (223/3).

(2) انظر: حديث القرآن الكريم (387/1).

أما القسم الثالث: فكانوا جملة من المسلمين لم يصدقوا ولم يكذبوا ولم ينفوه، ولكنهم يتحدثون بما يقول أهل الإفك، وهم يحسبون أن الكلام بذلك أمر هين لا يعرضهم لعقوبة الله؛ لأن ناقل الكفر ليس بكافر، وحاكي الإفك ليس بقاذف، ومن هؤلاء حمنة بنت جحش وحسان بن ثابت، ومسطح بن أثاة.

أما القسم الرابع: فهم الذين جاءوا بالإفك وعلى رأس هؤلاء عدو الله عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين لعنه الله وهو الذي تولى كبره.

وقد أشار الله عز وجل إلى فضل القسم الثاني من هذه الأقسام، وأنه كان ينبغي لجميع المسلمين أن يقفوا هذا الموقف، فقال: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: 12].

أما القسم الثالث: فقد أشار الله عز وجل إلى أنه ما كان ينبغي لهم أن يتحدثوا بمثل هذا الحديث حيث يقول: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ \* وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: 15، 16].

وقد أثبت الله عز وجل لأهل هذا القسم فضائلهم التي عملوها حيث أثبت لمسطح هجرته وإيمانه عندما حلف أبو بكر أنه لن ينفق على مسطح، ولن يتصدق عليه وهو من ذوي قرابته، فقال عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: 22].

أما القسم الرابع: وهو جماعة عبد الله بن أبي الذين جاءوا بالإفك واخترعوا هذا الكذب، فقد أشار الله إلى موتهم على الكفر، وأنه لن يقبل منهم توبة، وأنه أنزل عليهم لعنته في الدنيا والآخرة (1)، حيث قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ □ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا

(1) انظر: فقه الإسلام، شرح بلوغ المرام، لفضيلة الشيخ عبد القادر شيبه الحمد (5/9).

كَانُوا يَعْمَلُونَ □ يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ  
الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿ [النور: 23-25].

## 22- الصالحون مستهدفون:

من هذه الحادثة نأخذ أن الأنبياء وأتباعهم مستهدفون من قبل أعداء الإسلام من الكافرين والمنافقين وأتباعهم؛ بتفليق التهم ضدهم، ورميهم في أعراضهم وفي أنفسهم، ولكن الله يدافع عنهم، ويرد كيد الأعداء في نحورهم، ويزيد أنبياءه وأوليائه الصالحين رفعة في الدنيا وثواباً في الآخرة، وأنه مهما لفق الملقون من التهم ورموا به أولياء الله؛ فإن الله تعالى كاشف ذلك، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون (4).  
سبحان ربنا عالم السر وأخفى! سبحانك ما أحلمك!

## 23- بشرية الرسول ﷺ:

جاءت محنة الإفك منطوية على حكمة إلهية استهدفت إبراز شخصية النبي ﷺ وإظهارها صافية مميزة عن كل ما قد يلتبس بها، فلو كان الوحي أمراً ذاتياً غير منفصل عن شخصية الرسول ﷺ، لما عاش الرسول ﷺ تلك المحنة بكل أبعادها شهراً كاملاً، ولكن الحقيقة التي تجلت للناس بهذه المحنة أن ظهرت بشرية الرسول ﷺ ونبوته، فعندما حسم الوحي اللغظ الذي دار حول أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- عادت المياه إلى مجاريها بينها وبين الرسول ﷺ، وفرح الجميع بهذه النتيجة بعد تلك المعاناة القاسية، فدل ذلك على حقيقة الوحي، وأن الأمر لو لم يكن من عند الله تعالى لبقيت رواسب المحنة في نفس رسول الله ﷺ بصفة خاصة، ولانعكس ذلك على تصرفاته مع زوجته عائشة رضي الله عنها، وهكذا شاء الله أن تكون هذه المحنة دليلاً كبيراً على نبوة محمد ﷺ (1).

## 24- منهج مواجهة الشائعات:

(1) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص441.

قد رسم القرآن الكريم لنا منهجاً في مواجهة الشائعات - وما أكثرها في زماننا هذا-!!:

فأولى الخطوات: عرض الأمر على القلب، واستفتاء الضمير؛ فالمؤمن لا ينبغي أن يكون أذنا يمر الكلام عليه بلا ترو ولا تفهم، إنما بنقد واعتبار، فيتوقف حتى يتبين **﴿أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾** [الحجرات:6]

قال تعالى مبيناً للمؤمنين أهمية هذه الخطوة في قصة الإفك: **﴿ولو لا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً﴾** [النور:12]

نعم، كان هذا هو الأولى: أن يظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً، وأن يستبعدوا سقوط أنفسهم في هذه الحماة، وكذلك فعل أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه حينما قالت له امرأته أم أيوب: أما تسمع ما يقول الناس في عائشة رضي الله عنها؟ قال: نعم، وذلك الكذب؛ أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله. قال: فعائشة والله خير منك.

وهكذا إذا سمع المسلم شائعة أو تهمة ملفقة رمي بها أحد عباد الله الصالحين أو الدعاة المخلصين؛ عليه أن يظن بأخيه خيراً، ويعلم أبعاد حرب الحق والباطل، وليعلم أن رسول الله - ﷺ - قبله رمي في عرضه، لكن الله يدافع عن الذين آمنوا، وليعلم أن هذا هو دأب المنافقين والمأجورين والحاقدين مع عباد الله المؤمنين، الذين يدعون إلى صراط الله المستقيم، وأن هذا هو دأب الجبناء الذين يعملون من خلف الأستار بتلفيق أخس التهم الباطلة، ولكن؛ إن ربك لبالمرصاد. والخطوة الثانية من منهج مقابلة الشائعات: طلب الدليل الخارجي والبرهان الواقعي:

قال تعالى مبيناً ذلك: **﴿ولو لا جاؤوا عليه بأربعة شهداء فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون﴾** [النور:13]؛ فعند طلب البيينة تتضح الحقيقة، ولن يجد المبطل الأفاك بيينة.

ويبين سبحانه وتعالى خطورة الغفلة عن هاتين الخطوتين: قال تعالى: **﴿ولو لا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم﴾** [النور:15]

فلقد احتسبها الله للجماعة المسلمة درساً قاسياً، فأدركمهم بفضلهم ورحمته، ولم يمسه بعقابه أو عذابه.

## 25- حد القذف وأهميته في المحافظة على أعراض المسلمين:

كان المجتمع الإسلامي يتربى من خلال الأحداث، فعندما وقعت حادثة الإفك أراد المولى -عز وجل- أن يشرع بعض الأحكام التي تساهم في المحافظة على أعراض المؤمنين، ولذلك نزلت سورة النور، التي تحدثت عن حكم الزاني والزانية وعن قبح فاحشة الزنا، وعمّا يجب على الحاكم أن يفعله إذا ما رمى أحد الزوجين صاحبه، وعن العقوبة التي أوجبها الله على الذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء إلى غير ذلك من الأحكام(1).

إن الإسلام حرم الزنا، وأوجب العقوبة على فاعله، فقد حرم أيضاً كل الأسباب المسببة له، وكل الطرق الموصلة إليه، ومنها إشاعة الفاحشة والقذف بها لتنزيه المجتمع من أن تسري فيه ألفاظ الفاحشة والحديث عنها؛ لأن كثرة الحديث عن فاحشة الزنا وسهولة قولها في كل وقت يهون أمرها لدى سامعيها، ويجري ضعفاء النفوس على ارتكابها، لهذا حرمت الشريعة الإسلامية القذف بالزنا، وأوجبت على من قذف عفيفاً أو عفيفة، طاهرًا أو طاهرة، بريئاً أو بريئة من الزنا حد القذف وهو الجلد ثمانين جلدة وعدم قبول شهادته إلا بعد توبته توبة صادقة نصحاً(2).

هذا وقد أقام رسول الله ﷺ حد القذف على مسطح وحسان وحمنة، وروى محمد بن إسحاق وغيره أن النبي ﷺ جلد في الإفك رجلين وامرأة: مسطحاً وحساناً وحمنة، وذكره الترمذي(3) قال القرطبي: والمشهور من الأخبار والمعروف عند العلماء أن الذي حُدَّ حسان ومسطح وحمنة، ولم يسمع بحد عبد الله بن أبي(4). وقد وردت آثار ضعيفة تدل على أن عبد الله بن أبي أقيم عليه الحد، ولكنها كلها ضعيفة لا تقوم بها حجة(5).

(1) انظر: حديث القرآن الكريم (357/1).

(2) انظر: آثار تطبيق الشريعة، د. محمد الزاحم، ص117.

(3) انظر: تفسير القرطبي (197/12).

(4) نفس المصدر (201/12).

(5) انظر: مرويات غزوة بني المصطلق، ص242.



## 26- الحكمة في عدم حد عبد الله بن أبي:

- وقد ذكر ابن القيم وجه الحكمة في عدم حد عبد الله بن أبي فقال:
- أ- قيل: لأن الحدود تخفيف عن أهلها وكفارة، والخبيث ليس أهلاً لذلك، وقد وعده الله بالعذاب العظيم في الآخرة ويكفيه عن الحد.
- ب- وقيل: كان يستوشي الحديث ويجمعه ويحكيه ويخرجه في قوالب من لا ينسب إليه.
- ج- وقيل: الحد لا يثبت إلا ببينة أو إقرار وهو لم يقر بالقذف ولا شهد به عليه أحد، فإنه كان يذكره بين أصحابه ولم يشهدوا عليه، ولم يكن يذكره بين المؤمنين.
- د- وقيل: بل ترك حده لمصلحة هي أعظم من إقامته عليه، كما ترك قتله مع ظهور نفاقه وتكلمه بما يوجب قتله مراراً، وهي تأليف قومه وعدم تنفيرهم من الإسلام.
- ثم قال في ختام كلامه ولعله تُرك لهذه الوجوه كلها(1).

## 27- اعتذار حسان رضي الله عنه للسيدة عائشة رضي الله عنها:

قد بينت الروايات أن مَنْ خاض في الإفك قد تاب ما عدا ابن أبي، وقد اعتذر حسان رضي الله عنه عما كان منه، وقال يمدح عائشة بما هي أهل له (2):

من المحصنات غير ذات	رأيتك وليغفر لك الله حرة
وتصبح غرثي من لحوم	حصان رزان ما تزن بريية
بك الدهر بل قيل امرئ متناحل	وإن الذي قد قيل ليس بلائق
فلا رفعت سوطي إلي أناملي	فإن كنت أهجوكم كما
لأل رسول الله زين المحافل	فكيف وودي ما حييت

(1) انظر: زاد المعاد (3/263، 264).

(2) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (2/263).

وإن لهم عزًا يرى الناس قصارًا، وطال العز كل

## 28- جواز الإغارة على من بلغتهم دعوة الإسلام دون

إنذار:

ومن دروس هذه الغزوة جواز الإغارة على من بلغتهم دعوة الإسلام دون إنذار، ومنها صحة جعل العتق صدقًا كما فعل ﷺ مع جويرية بنت الحارث في هذه الغزوة.

## 29- مشروعية القرعة بين النساء عند إرادة السفر:

ومن الدروس مشروعية القرعة بين النساء عند إرادة السفر ببعضهن.

## 30- كفر من سب عائشة رضي الله عنها:

وقد أجمع العلماء قاطبة على أن من سب عائشة رضي الله عنها بعد براءتها براءة قطعية بنص القرآن ورمائها بما اتهمت به فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن(2).

## 31- حكم العزل عن النساء:

ومن الأحكام التي عرفت في هذه الغزوة حكم العزل عن النساء حيث سأل الصحابة الرسول ﷺ عنه فأذن به وقال: «ما عليكم ألا تفعلوا، ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة»(3). فذهب

(1) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، المغازي، ص281.

(2) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (643/5).

(3) انظر: السيرة النبوية الصحيحة للعبري (415/2).

الجمهور إلى جواز العزل عن الزوجة الحرة بإذنها(1)، ونزلت آية التيمم في هذه الغزوة، تنويهاً بشأن الصلاة، وتنبيهاً على عظيم شأنها، وأنه لا يحول دون أدائها فقد الماء، وهو وسيلة الطهارة التي هي أعظم شروطها، كما لا يحول الخوف وفقد الأمن من إقامتها(2).

واكتفي بهذا القدر من الدروس والعبر من هذه الغزوة، أسأل الله أن ينفع بها، ويكتب الأجر، ويرزقنا الاخلاص في القول والعمل. هذا وصلّ اللهم على نبينا محمد وعلى آبه وصحبه وسلم.



## فتح مكة دروس وعبر

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تُضاعف الحسنات، وبغفوه تُمحي السيئات، له الحمد جل وعلا يسمع من حمده، ويعطي من سألته، ويزيد من شكره، ويطمئن من ذكره، نحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يليق بجلاله وعظيم سلطانه، حمداً يوافي فضله وإنعامه، وينيلنا رحمته ورضوانه، ويقينا سخطه وعذابه، ونصلي ونسلم على المبعوث رحمة للعالمين، خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من تبعهم واقفياً أثرهم إلى يوم الدين، وعلينا

(1) انظر: نيل الأوطار للشوكاني (6/222-224).

(2) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 210، 211.

وعلى عباد الله الصالحين.  
وبعد

فإن الأمة اليوم بحاجة إلى العودة إلى السيرة النبوية تستجلي منها معالم الفتح والنصر ؛ لأن هدي وسنة النبي ﷺ وسيرته هي المعلم الدائم الذي نستنير به في ظلمات حياتنا، والذي نرى فيه معالم الطريق إلى مرضاة ربنا، والذي نأخذ منه المنهج الصحيح لمواجهة الأخطار ومقارعة الأعداء في واقع حياتنا، فإن الله جل وعلا قد منّ علينا بأن جعل القرآن والإسلام ممثلاً تمثيلاً كاملاً عظيماً في سيرة المصطفى ﷺ ، وأرشدنا إلى ذلك ووجهنا إليه كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:21].

ونحن اليوم في هذا الواقع الذي تعيشه أمتنا محاطة بأعدائها مخذولة إلى حد كبير من قبل أبنائها، وفيها من التقصير والتفريط إضافة إلى الضعف والهوان ما فيها نحتاج دائماً إلى أن نرجع إلى معين السيرة العذب لننهل منه فنروي ظمأ قلوبنا وفهومنا، ونوجه مسيرة حياتنا بإذن الله عز وجل.

ونحن وإياكم في هذه الموسوعة المباركة بإذن الله (غزوات النبي المصطفى دروس وعبر) نقف مع الفتح الأعظم للنبي ﷺ .  
أسأل الله أن يجعلها ذخراً لنا يوم نلقاه وأن ينفع بها كل موحد إنه ولي ذلك والقادر عليه.



## غزوة فتح مكة

### ☆ غزوة فتح مكة :

هي الفتح الأعظم الذي أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحزبه الأمين، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدي للعالمين، من أيدي الكفار والمشركين.

### ☆ غزوة فتح مكة :

هي الفتح الذي استبشر به أهل السماء، وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء، ودخل الناس به في دين الله أفواجا، وأشرق به وجه الأرض ضياء وابتهاجا.

### ☆ غزوة فتح مكة :

غزوة تتميز بطابع خاص في سجل التاريخ العسكري الإسلامي، فهي مثال كامل لأرقى مراتب الفكر العسكري والسياسي معاً، وأنبل الطرق للتوفيق بين الغاية والوسيلة، وظهرت فيها سماحة الإسلام بأجلى معانيها.

### ☆ غزوة فتح مكة :

كانت في شهر الانتصارات شهر رمضان المبارك الشهر المليء بالمناسبات الطيبة التي يفتخر بها المسلمون على مر الأيام بالليل والنهار، فهو الشهر الذي أنزل الله فيه القرآن، وهو شهر ليلة القدر.

### ☆ غزوة فتح مكة :

كانت بداية فتح عظيم للمسلمين، وقد كان الناس تبعاً لقريش في جاهليتهم، كما أنهم تبع لقريش في إسلامهم، وكانت مكة عاصمة الشرك والوثنية، وكانت القبائل تنتظر ما يفعل رسول الله - ﷺ - مع قومه وعشيرته، فإن نصره الله عليهم، دخلوا في دينه، وإن انتصرت قريش، يكونوا بذلك قد كفوهم أمره، فقد روى البخاري عن عمرو بن سلمة، قال: كنا بماء ممر الناس وكان يمر بنا الركبان فنسألهم: ما للناس، ما للناس؟ ما هذا الرجل؟، فيقولون: يزعم أن الله أرسله، أوحى إليه أو أوحى الله بكذا، فكنتم أحفظ ذلك فكأنما يقر في صدري وكانت العرب

تَلَوُّمٌ بِإِسْلَامِهِمُ الْفَتْحَ، فَيَقُولُونَ: اتْرَكُوهُ وَقَوْمَهُ فَإِنَّهُ إِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ، فَلَمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ أَهْلِ الْفَتْحِ بَادِرَ كُلِّ قَوْمٍ بِإِسْلَامِهِمْ..."

### ✽ غزوة فتح مكة :

فيها نستطيع أن ندرك تماماً قيمة الجهاد والاستشهاد والمحن التي وقعت من قبله. إن شيئاً من هذا الجهاد والتعب والمحن لم يذهب ببدأ، ولم تترق نقطة دم لمسلم هدرأ، ولم يتحمّل المسلمون كلّ ما لاقوه مما قد علمنا في هجرتهم وغزواتهم وأسفارهم، لأنّ رياح المصادفة فاجأتهم بها، ولكن كل ذلك كان وفق قانون سماوي، وبحسب سنة الله في خلقه فكل التضحيات المتقدمة كانت تؤدي أقساطاً من ثمن الفتح والنصر وتلك هي سنة الله في عباده... لا نصر بدون إسلام صحيح ولا إسلام بدون عبودية لله، ولا عبودية بدون بذل وتضحية وضراعة على بابه وجهاد في سبيله.

### ✽ غزوة فتح مكة :

كان سببها يوم ارتكبت فيها قريش خطأ فادحاً عندما أعانت حلفاءها بني بكر على خزاعة حليفة المسلمين بالخييل والسلاح والرجال، وهاجم بنو بكر وحلفاؤهم قبيلة خزاعة عند ماء يقال له الوثير، وقتلوا أكثر من عشرين من رجالها(1)، ولما لجأت خزاعة إلى الحرم الأيمن - ولم تكن متجهزة للقتال - لتمنع بني بكر منه، قالت لقائدهم: يا نوفل، إنا قد دخلنا حرم إلهك! فقال نوفل: لا إله اليوم، يا بني بكر أصيبوا بأركم(2)، عندئذ خرج عمرو بن سالم الخزاعي، في أربعين من خزاعة، حتى قدموا على رسول الله ﷺ في المدينة، وأخبروه بما كان من بني بكر، وبمن أصيب منهم، وبمناصرة قريش بني بكر عليهم، فقال النبي ﷺ: «نُصِرْتِ يَا عَمْرُو بْنَ سَالِمٍ! (3) لَا نَصْرَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ أَنْصُرْ بَنِي كَعْبٍ» ولما عرض السحاب من السماء قال: إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب(4).

### ✽ غزوة فتح مكة :

- (1) انظر: الواقدي (781/2 - 784).  
 (2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (39/4).  
 (3) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (44/4).  
 (4) المصدر نفسه (44/4)، البداية والنهاية (278/4).

أظهرت عاقبة نكت العهود وأنه وخيم للغاية، إذ نكتت قريش عهدها فحلت بها الهزيمة، وخسرت كيائها الذي كانت تدافع عنه وتحميه.

### ✽ غزوة فتح مكة :

فيها تجلّى النبوة المحمدية والوحي الرباني في الإخبار بالمرأة حاملة خطاب حاطب بن أبي بلتعة؛ إذ أخبر عنها وعن المكان الذي انتهت إليه في سيرها وهو (رَوْضة خاخ).

### ✽ غزوة فتح مكة :

ظهر فيها فضيلة إقالة عثرة الكرام، وفضل أهل بدر، وقد تجلّى ذلك واضحاً في العفو عن حاطب بعد عتابه، واعتذاره عن ذلك، بالتوبة منه.

### ✽ غزوة فتح مكة :

فيها بيان الكمال المحمدي في قيادة الجيوش، وتحقيق الانتصارات الباهرة.

### ✽ غزوة فتح مكة :

فيها بيان الكمال المحمدي في عدله ووفائه، تجلّى ذلك في رد مفتاح الكعبة لعثمان بن أبي طلحة، ولم يُعطه مَنْ طلبه منه وهو "علي بن أبي طالب" - عليه السلام - وهو صهره الكريم وابن عمه. وبعد هذا الإجمال إليك أخي القارئ الدروس والعبر من هذا الفتح الأعظم مفصلة، والله بيده العون والتوفيق والسداد .



## دارولس وعبر من غزوة فتح مكة

### 1- على المسلمين أن يمتلكوا المبادرة:

إن المبادرة أو المبادرة تعني باختصار "حرية العمل"، والذي يملك المبادرة يحرم خصمه من حرية العمل، ويجعل أعماله محصورة في نطاق "رد الفعل"، وإحراز المبادرة من أهم عوامل النجاح والنصر في السياسة والحرب على حد سواء .

ولقد نقضت قريش العهد الذي أقرت بنوده في الحديبية في السنة السادسة من الهجرة وذلك عمل ينطوي - ولا شك - على "نوايا عدوانية" تتجاوز إطار عملية ثأر محدودة بين بني بكر حلفاء قريش وبني خزاعة حلفاء المسلمين، ولا بد أن يفتن القارئ المحنك إلى ما في ذلك من خطر على الإسلام والمسلمين، فلا يقف مكتوف الأيدي أمام نوايا العدوان الذي تأمل به قريش تحقيق هدفها الإستراتيجي الكبير وهو القضاء على الدين الجديد بالهجوم على قاعدته بالمدينة. من أجل ذلك قرر الرسول الكريم - ﷺ - أن يأخذ بزمام المبادرة فيسير إلى قريش في عقر دارها.

### 2- تحقيق المفاجأة وخداع العدو:

إن المفهوم العلمي للمفاجأة أو المباغته هو "إحداث موقف لا يكون العدو مستعداً له". وهناك مستويان للمفاجأة، فهي تكون "مفاجأة تكتيكية" إذا وقعت في نطاق محدود أو محلي وتم فيها إخفاء قوة الهجوم ومكانه ووقته واتجاهه عن المدافعين، فإذا تمكن المهاجم من إخفاء "نية الهجوم" نفسه تصبح المفاجأة "مفاجأة إستراتيجية"، وهذا المستوى من المفاجأة ليس أمراً يسيراً خاصة في العصر الحاضر الذي تقدمت فيه وسائل الحصول على المعلومات والتجسس تقدماً مذهلاً، لذلك فهو يتطلب تخطيطاً غاية في المهارة والحدق والسرية والخداع وليس من شك في أن تحقيق المفاجأة له أثاره النفسية التي تفعل فعلها في نفوس وعقول من يتعرضون لها وفي كفاءتهم وإرادتهم القتالية بالتالي.

وأهم هذه الآثار أن العدو "يفقد" مزية المبادرة وحرية العمل، فتتحصّر أعماله وحركاته في نطاق رد الفعل في مواجهة الطرف الآخر الذي يحاربه من (موقع قوة) بتملكه للمبادرة وحرية العمل.



وقد اتخذ الرسول الكريم - ﷺ - لفتح مكة من تدابير التخطيط والتنفيذ ما يمكن معه أن نقول: إنه أحرز "المفاجأة الإستراتيجية" على أعدائه، وقد كان من آثار ذلك زعزعة إرادة قريش في المقاومة والقتال. وقد قال كعب بن مالك رضي الله عنه يصف عناية الرسول - ﷺ - بإجراء العمليات الخداعية: "ولم يكن الرسول - ﷺ - يريد غزوة إلا وارى غيرها" (1). ، ولا غرابة في ذلك فهو عليه الصلاة والسلام القائل «الحرب خُدعة» (2).

### 3- الكتمان:

ما أحوج المسلمين اليوم أن يتعلموا الكتمان من هذه الغزوة، فأمورهم كلها مكشوفة، بل مكشوفة، وأعداؤهم يعرفون عنهم كل شيء، لا تكاد تخفى عليهم، فلا سر لدى المسلمين يبقى مكتوماً. لقد حرص النبي ﷺ أشد الحرص على ألا يكشف نيته لفتح مكة لأي إنسان، عندما اعتزم الحركة إلى مكة وكان سبيله إلى ذلك الكتمان الشديد من خلال ما يأتي:

#### 1- أنه كتم أمره حتى عن أقرب الناس إليه:

فقد أخذ النبي ﷺ بمبدأ السرية المطلقة والكتمان الشديد حتى عن أقرب الناس إليه وهو أبو بكر رضي الله عنه أقرب أصحابه إلى نفسه، وزوجته عائشة رضي الله عنها أحب نسائه إليه، فلم يعرف أحد شيئاً عن أهدافه الحقيقية، ولا باتجاه حركته، ولا بالعدو الذي ينوي قتاله؛ بدليل أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه عندما سأل ابنته عائشة رضي الله عنها عن مقصد الرسول ﷺ قالت له: ما سمى لنا شيئاً. وكانت أحياناً تصمت، وكلا الأمرين يدل على أنها لم تعلم شيئاً عن مقصده ﷺ (3).

ويستنبط من هذا المنهج النبوي الحكيم أنه ينبغي للقادة العسكريين أن يخفوا خططهم عن زوجاتهم؛ لأنهن ربما يذعن شيئاً من هذه الأسرار - عن حسن نية- فتنقلها الألسن حتى تصير سبباً في حدوث كارثة عظيمة (4).

#### 2- أنه بعث سرية بقيادة أبي قتادة إلى بطن إضم:

(1) [رواه البخاري]

(2) [رواه مسلم]

(3) انظر: البداية والنهاية (282/4)، الرسول القائد، شيت خطاب، ص 333، 334.

(4) انظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول، ص 395، 396.

بعث النبي ﷺ قبل مسيرة مكة سرية مكونة من ثمانية رجال؛ وذلك لإسدال الستار على نياته الحقيقية، وفي ذلك يقول ابن سعد: (لما هم رسول الله ﷺ بغزو أهل مكة بعث أبا قتادة بن ربعي في ثمانية نفر سرية إلى بطن إضم (1) ليظن ظان أن رسول الله ﷺ توجه إلى تلك الناحية؛ ولأن تذهب بذلك الأخبار، فمضوا ولم يلقوا جمعاً، فانصرفوا حتى انتهوا إلى ذي حُشب (2) فبلغهم أن رسول الله ﷺ قد توجه إلى مكة، فأخذوا على (بيبين) حتى لقوا النبي ﷺ بالسُّقيا (3) (4).

وهذا منهج نبوي حكيم في توجيه القادة من بعده إلى وجوب أخذ الحذر وسلوك ما يمكن من أساليب التضليل على الأعداء والإيهام التي من شأنها صرف أنظار الناس عن معرفة مقاصد الجيوش الإسلامية التي تخرج من أجل الجهاد في سبيل الله حتى تحقق أهدافها وتسلم من كيد أعدائها (5).

### 3- أنه بعث العيون لمنع وصول المعلومات إلى الأعداء:

بعث رسول الله ﷺ رجال استخبارات الدولة الإسلامية داخل المدينة وخارجها حتى لا تنتقل أخباره إلى قريش، وأخذ رسول الله ﷺ بالأنقاب (6)، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف على الأنقاب قيماً بهم فيقول: لا تدعوا أحدا يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه.. إلا من سلك إلى مكة فإنه يتحفظ به ويسأل عنه أو ناحية مكة (7).

إن جمع المعلومات سلاح ذو حدين، وقد استفاد الرسول ﷺ من حدّه النافع لصالح المسلمين، وأبطل مفعول الحد الآخر باتباعه السرية واتخاذها أساساً لتحركاته واستعداداته؛ ليحرم عدوه من الحصول على المعلومات التي تفيده في الاستعداد لمجابهة هذا الجيش بالقوة المناسبة (8).

والواجب على المسلم إذا أراد أمراً في مصلحة لنفسه في الدنيا والآخرة لا إضرار على المسلمين أن يكتب هذا الأمر.

(1) بطن إضم: وادي المدينة الذي يجتمع فيه الوديان الثلاثة، بطحان، وقناة، والعقيق.

(2) ذو حشب: هو موضع على مرحلة من المدينة إلى الشام يبعد عن المدينة 35 ميلاً.

(3) السقيا: موضع يقع في وادي القرى، معجم البلدان (288/3).

(4) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (132/2).

(5) انظر: القيادة العسكرية، ص 498.

(6) الأنقاب: جمع نقب، وهو كالعرف على القوم.

(7) التحفظ: هو الاحتراز والتبقيط، مغازي الواقدي (796/2).

(8) انظر: القيادة العسكرية، ص 365.

وهناك أثر يرفعه بعض أهل العلم، يقول: { استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان } وقال عمر رضي الله عنه: [ من كتم أمره كان الخيار في يده ] .

فأنت إذا كتمت أمرك فالخيار في يدك أن تمضي هذا الأمر أو تسحبه.

فواجب المسلم أن يكتم أموره إلا عن صديق محب يستشيره في ذات الله عز وجل.

#### 4- دعاؤه ﷺ بأخذ العيون والأخبار عن قريش:

وبعد أن أخذ رسول الله ﷺ بالأسباب البشرية التي في استطاعته توجه إلى الله عز وجل بالدعاء والتضرع قائلاً: «اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا إلا بغتة ولا يسمعون بنا إلا فجأة» (1). وهذا شأن النبي ﷺ في أموره؛ يأخذ بجميع الأسباب البشرية، ولا ينسى التضرع والدعاء لرب البرية ليستمد منه التوفيق.

فالله عز وجل خالق الخلق أجمعين، وبيده مقاليد الأمور ومفاتيح الفرج، ولا يقع شيء إلا بعلمه وحكمته وإرادته، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وإن ما يحل بالمسلم خاصة وبالمسلمين عامة هو بإرادة الله عز وجل، إما بسبب ذنوبهم ومعاصيهم، وإما تمحيصاً لهم وابتلاء، فمن نزل به هم أو غم أو ابتلاء فليلجأ إلى الله عز وجل، وليرجع إلى ربه ومولاه، وليعلم أنه لا يرفع الضر والبلاء إلا الله سبحانه وتعالى وحده.

#### 5- إحباط محاولة تجسس حاطب لصالح قريش:

عندما أكمل النبي ﷺ استعداداه للسير إلى فتح مكة، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى أهل مكة يخبرهم فيه نبأ تحرك النبي ﷺ إليهم، وأرسله مع امرأة مسافرة إلى مكة، ولكن الله -سبحانه وتعالى- أطلع نبيه ﷺ عن طريق الوحي على هذه الرسالة، ففضى ﷺ على هذه المحاولة وهي في مهدها، فأرسل النبي ﷺ علياً والزبير والمقداد فأمسكوا بالمرأة في روضة خاخ على بعد اثني عشر ميلاً من المدينة، وهددوها أن يفتشوها إن لم تخرج الكتاب فسلمته لهم، ثم استدعي حاطب رضي الله عنه للتحقيق، فقال: يا رسول الله، لا تعجل علي، إني كنت امرأ م لصقاً في قريش -يقول: كنت حليفاً- ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم،

فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «أما إنه قد صدقكم».

إن تدابير النبي ﷺ في الكتمان أمنت له مباغته كاملة لقريش، وأجبرتها على الرضوخ للأمر الواقع: الاستسلام. وهذا الكتمان لا مثيل له في سائر الحروب، ما أحرانا أن نتعلمه ونفتدي به ونسير على منواله.

#### 4- بعد النظر:

القائد المتميز هو الذي يتسم ببعد النظر، بالإضافة إلى مزاياه الأخرى، ويتخذ لكل أمر محتمل الوقوع التدابير الضرورية لمعالجته، دون أن يترك مصائر قواته للاحتتمالات بدون إعداد كامل.

إن النصر من عند الله، يؤتية من يشاء، ولكن الله سبحانه وتعالى ينصر من أعدّ عدّته واحتاط لكل احتمال كبير أو صغير قد يصادفه، لذلك يشدد العسكريون على إدخال أسوأ الاحتمالات في حسابهم في أية عملية عسكرية.

لقد أمر النبي ﷺ أن يحبس أبو سفيان في مدخل الجبل إلى مكة، حتى تمر عليه جنود المسلمين، فيحدث قومه عن بينة ويقين، ولكي لا يتكون إسراره في العودة إلى قريش قبل أن تنهار معنوياته تماماً، سبباً لاحتتمال وقوع أية مقاومة من قريش، مهما تكن نوعها ودرجة خطورتها. وفعلاً اقتنع أبو سفيان بعد أن رأى قوات المسلمين كلها، أن قريشاً لا قبل لها بالمقاومة.

وقد أدخل النبي ﷺ في حساباته أسوأ الاحتمالات أيضاً، عند تنظيمه خطة الفتح، فكانت تلك الخطة تؤمن تطويق البلد من جهاته الأربع بقوات مكثفية بذاتها، بإمكانها العمل مستقلة عن القوات الأخرى عند الحاجة، وبذلك تستطيع القضاء على أية مقاومة في أية جهة من جهات مكة، كما تؤمن توزيع قوات قريش إلى أقسام لمقاومة المسلمين، فتكون قوات قريش ضعيفة في كل مكان.

واتخذ النبي ﷺ هذه التدابير الفاعلة بالرغم من اعتقاده بأن احتمال مقاومة قريش للمسلمين ضعيف جداً، وذلك ليحول دون مباغته قواته وإيقاع الخسائر لها، مهما تكن الظروف والأحوال.

فما أحرى أن يتعلم المسلمون هذا الدرس ويطبقوه في إعداد

خطتهم المصيرية!

## 5- العقيدة قوة عظمى:

كان جيش الفتح مؤلفاً من المهاجرين والأنصار ومسلمي أكثر القبائل العربية المعروفة في حينه، لا يوحد بينه غير العقيدة الواحدة، التي يضحى الجميع من أجلها، وتشيع بينهم الانسجام الفكري الذي يجعل التعاون الوثيق بينهم سائداً.

لقد كانت انتصارات المسلمين الأولين انتصارات عقيدة بلا مرء، وكان النصر من أول ثمرات هذه العقيدة على النطاق الجماعي. أما على النطاق الفردي، فقد رأيت كيف طوت أم حبيبة زوج النبي ﷺ فراش النبي ﷺ عن أبيها أبي سفيان، وقد جاء من سفر قاصد بعد غياب طويل ذلك لأنها رغبت به عن مشرك نجس، ولو كان هذا المشرك أباهما الحبيب.

وعندما جاء أبو سفيان مع العباس ليواجه النبي ﷺ، رآه عمر بن الخطاب، فغادر خيمته واشتد نحو خيمة النبي ﷺ، فلما وصل إليها قال: يا رسول الله! دعني اضرب عنقه. قال العباس: يا رسول الله! إنني قد أجزته، فلما أكثر عمر قال العباس: مهلاً يا عمر، ما تصنع هذا إلا لأنه من بني عبد مناف، ولو كان من بني عدي ما قلت هذه المقالة، فقال عمر: مهلاً يا عباس، فوالله إسلامك يوم أسلمت كان أحب لي من إسلام الخطاب لو أسلم. لقد كان يمثل عقيدة المسلمين الأولين، بينما كان العباس حديث عهد بالإسلام.

وكيف نعلل إقدام المهاجرين على المشاركة في غزوة الفتح، التي لم يكن من المستبعد أن تصطرع فيها قوات المسلمين وقوات قريش؟ إن عقيدة المسلمين لا تخضع للمصالح الشخصية، بل هي رهن المصالح العامة وحدها، وقد انتصر المسلمون بالعقيدة الراسخة، وهي اليوم غائبة عنهم فذلوا وهزموا، فما أحرأهم أن يعودوا إلى عقيدتهم ليستعيدوا مكانتهم بين الأمم، ولينتصروا على أعدائهم، فقد غاب عنهم النصر منذ غاب عنهم الإسلام.

## 6- أهمية المعنويات في الجهاد:

لم تكن معنويات المسلمين في وقت من الأوقات أعلى وأقوى مما كانت عليه أيام فتح مكة، البلد المقدس عند المسلمين الذين يتوجهون إليه في صلاتهم كل يوم، ويحجون بيته كل سنة. وكانت أهمية مكة

للمهاجرين أكثر من أنها بلد مقدس، فهي بلدهم الذي هاجروا منه فراراً بدينهم وخفوا فيها أموالهم وذويهم وكل عزيز عليهم. لذلك لم يتخلف أحد من المسلمين عن هذه الغزوة إلا القليل من ذوي الأعذار القاهرة الصعبة.

أما معنويات قريش، فقد كانت متردية للغاية، فقد أثرت فيهم عمرة القضاء، كما أثر فيهم انتشار الإسلام في كل بيت من بيوت مكة تقريباً، وبذلك فقدت مكة روح المقاومة وروح القتال. ومما زاد في انهيار معنويات قريش، ما اتخذ النبي ﷺ من إيقاد عشرة آلاف نار في ليلة الفتح، ومرور الجيش كله بأبي سفيان قائد قريش أو أكبر قادتها، ودخول جيوش المسلمين في كل جوانب مكة.

لقد كانت غزوة الفتح معركة معنويات بالدرجة الأولى، ما أحرانا أن نتعلمها لحاضرنا ومستقبلنا.

### 7- رسول السلم ﷺ:

حرص النبي ﷺ من خروجه لفتح مكة على نياته السلمية، ليؤلف بذلك قلوب المشركين، ويجعلها تقبل على الإسلام.

وقد عهد عليه الصلاة والسلام إلى قاداته حين أمرهم أن يدخلوا مكة ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم. وبقي النبي ﷺ مصراً على نيته السلمية بعد الفتح أيضاً، فقد أصدر العفو العام عن قريش قائلاً: «**أذهبوا فأنتم الطلقاء**».

وكما حرص النبي ﷺ الجماعي، حرص كذلك على السلم الفردي، فمنع القتل حتى لفرد واحد من المشركين، مهما تكن الأسباب والأعدار.

فقد قتلت خزاعة حلفاء المسلمين رجلاً من هذيل غداة يوم الفتح لثأر سابق لها عنده، فغضب النبي ﷺ أشد الغضب، وقام في الناس خطيباً، ومما قاله: «**يا معشر خزاعة، ارفعوا أيديكم عن القتل فقد كثر إن نفع، لقد قتلتهم قتيلاً لأدينه، فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين، إن شأؤوا قدم قاتله، وإن شأؤوا فعقله**»، أي ديته، ثم ودي بعد ذلك الرجل الذي قتلت خزاعة.

بل إن النبي ﷺ لم يقتل رجلاً من المشركين أراد اغتياله شخصياً وهو يطوف في البيت، بل تطف معه. فقد اقترب فضالة بن عمير يريد أن يجد له فرصة ليقتله، فنظر إليه النبي ﷺ نظرة عرف بها طويته،

فاستدعاه وسأله: «**ماذا كنت تحدث به نفسك؟**» قال: لا شيء، كنت أذكر الله! فضحك النبي ﷺ وتلطف معه ووضع يده على صدره، فانصرف الرجل وهو يقول: ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إلي منه.

ورأى علي بن أبي طالب رضي الله عنه مفتاح الكعبة بيد النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية، فقال عليه الصلاة والسلام: «**أين عثمان بن طلحة؟ فلما جاء عثمان قال له: «يا ابن طلحة، هاك مفتاحك، اليوم يوم بر ووفاء».**

وقد رأى المسلمون النبي ﷺ يوم الفتح يتواضع لله، حتى رأوه يوم ذلك ورأسه قد انحنى على رحله، وبدا عليه التواضع الجرم، حتى كادت لحيته تمس واسطة راحلته خشوعاً، وترقرقت في عينيه الدموع تواضعاً لله وشكراً.

تلك هي سمات الخلق الإسلامي الرفيع في السلم والوفاء والتواضع، ولكنه سلم الأقوياء لا سلم الضعفاء، ووفاء القادرين لا وفاء العاجزين، وتواضع العزة لا تواضع الذلة.

إن سلم الأقوياء القادرين هو السلام الذي يأمر به الإسلام، أما سلم الضعفاء العاجزين فهو الاستسلام الذي ينهى عنه الإسلام. ذلك ما ينبغي أن نتعلمه من فتح مكة، لحاضر المسلمين ومستقبلهم، لحاضر أفضل ومستقبل أحسن، وهي عبر لمن يعتبر.

## 8- حكم التحالف مع غير المسلمين فيما لا يتعارض مع

### الإسلام:

و نجد من دروس هذا الفتح، وهي جواز التحالف مع غير المسلمين فيما لا يتعارض مع الإسلام وفيما يحقق مصلحة الإسلام، وفيما لا يقع به مضرة على المسلمين ولا تنازل عن أحكام الإسلام، والنبي ﷺ في صلح الحديبية - وهو الذي كان سبباً لفتح مكة - كانت قد دخلت خزاعة في عهدها مع رسول الله ﷺ، وكانت حليفة له، وكان النبي ﷺ قد جعل خزاعة عيبة نصحه، أي: يثق بهم لما علم من صدقهم في جوانب تعاملهم معه، فعاهدتهم وحالفهم، وكانوا معه عليه الصلاة والسلام.

إلا أن ذلك لا ينبغي أن يكون عن ضعف أو ذل أو هوان للمسلمين، ولا ينبغي أن يكون فيه إعطاء دنية في الدين، ولا ينبغي أن

يكون ذلك على حساب مصالحهم وتحقيق أمور دينهم، فضلاً عن أن يكون ذلك تغييراً في أساسيات وثوابت من شرع الله عز وجل، سواء ثبتت في كتاب الله أو في سنة رسوله ﷺ.

ونحن نرى اليوم من يحتجون بالآيات القرآنية، لكنهم لا ينزلونها تنزيلها الحقيقي الصحيح، ولا يطبقونها التطبيق العملي الذي كان أنموذجه الأمثل في سيرة النبي ﷺ: ﴿ **وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا** ﴾ [الأنفال:61] لكن الله جل وعلا يقول: ﴿ **وَلَا تَهَنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ [آل عمران:139] والنبي ﷺ قد بين في سيرته مثل ذلك، فهذه مواقف بين يدي الفتح، أي: قبل بلوغه.

### 9- أسباب مساعدة لفتح مكة وتأديب كفارها :

وأمام نقض قريش للعهد والمواثيق مع المسلمين فقد عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة وتأديب كفارها، وقد ساعده على ذلك العزم بعد توفيق الله - عدة أسباب منها:

أ- قوة جبهة المسلمين الداخلية في المدينة وتماسكها: فقد تخلصت الدولة الإسلامية من غدر اليهود، وتم القضاء على يهود بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة، ويهود خيبر.

ب- ضعف جبهة الأعداء في الداخل: وفي مقدمة هؤلاء المنافقون الذين فقدوا الركن الركين لهم - وهو يهود المدينة- فهم أسأتذتهم الذين يوجهونهم ويشيرون عليهم.

ج- اهتم رسول الله ﷺ بتطوير القوة العسكرية، وإرسال السرايا في فترة الصلح؛ وبذلك أصبحت منفوقة على قوة مشركي قريش حيث العدد والعدة والروح المعنوية.

د- كانت الغزوة بعد أن ضعفت قريش اقتصادياً وبعد أن قويت الدولة الإسلامية اقتصادياً، فقد فتح المسلمون خيبر وغنموا منها أموالاً كثيرة.

هـ- انتشار الإسلام في القبائل المجاورة للمدينة، وهذا يطمئن القيادة حين تتخذ قرارها العسكري بنقل قواتها ومهاجمة أعدائها.

و- قيام السبب الجوهري والقانوني لغزو مكة، وهو نقض قريش للعهد والعقد(1). ونلاحظ أن النبي ﷺ لم يضيع قانون الفرصة وتعامل معه بحكمة بالغة، فكان فتح خيبر، وذلك بعد صلح الحديبية،

(1) انظر: السيرة لأبي فارس، ص401.



والآن تتاح فرصة أخرى بعد أن نقضت قريش عهدها، وتغيرت موازين القوى في المنطقة، فكان لا بد من الاستفادة من المعطيات الجديدة، فأعد ﷺ جيشاً لم تشهد له الحجاز مثيلاً من قبل، فقد وصلت عدته إلى عشرة آلاف رجل<sup>(1)</sup>.

## 10- عزل العدو دولياً

ومن أهم وسائل إدارة الصراعات أن نفرض العزلة الدولية على عدونا حتى يتلفت حوله فلا يجد حليفاً أو نصيراً، وهذا هو الوضع الذي فرضه المسلمون على قريش فقد جردها الرسول الكريم -ﷺ- من الحلفاء والمناصرين نتيجة للسياسة الحكيمة التي اتبعها بعد الهجرة، والتي قامت على عقد الاتفاقيات والمعاهدات مع مختلف القبائل العربية لكفالة حرية الدعوة وحسن الجوار والمعاملة، فكانت النتيجة المباشرة لتلك المعاهدات حرمان قريش من قوى كان يمكنها أن تتحالف معها أو تشد أزرها.

أضف إلى ذلك أن انتشار الإسلام بين قسم كبير من القبائل ومن ضمنها قريش، ينطوي على "تحييد" للقسم الآخر الذي بقي على الشرك، وخاصة بالنسبة للمعتدلين الذين يرون أنه لا جدوى من القتال، ويعتبرون الحرب كارثة تحيق بهم.

## 11- الثقة واليقين بنصر الله عز وجل:

ومن الدروس التي نحتاج إلى أن نتدبر فيه ينقسم إلى قسمين، وكلاهما متعلق بعقيدة المؤمن و يقينه: الأول منهما: الثقة بنصر الله عز وجل، واليقين بتحقيق وعده، قال الله عز وجل: ﴿ **إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ** ﴾ [محمد:7] ، وقال جل وعلا: ﴿ **وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [الأعراف:128] ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [القصص:83] كل هذه الوعود صادقة لا تتخلف، إنما الذي يتخلف فعل المسلمين، فلا تأتيهم حينئذ تلك الوعود؛ لأنهم لم يأتوا بالشروط.

ولقد ظل النبي ﷺ يدعو في مكة عشرة أعوام، وظل بعد ذلك يجاهد ويكابد المشاق أعواماً أخرى، وخرج من مكة مهاجراً ومطارداً، وخرج لا يملك شيئاً من الدنيا، وكل المؤشرات المادية كانت في غير صالح

(1) انظر: الكامل في التاريخ (244/2)، التاريخ السياسي والعسكري ص366.

المسلمين.

ولو قسنا ذلك بالزمن لرأينا أنه عليه الصلاة والسلام خرج من مكة مهاجراً طريداً وعاد إليها فاتحاً عزيزاً بعد ثمانية أعوام، فما هي في عمر الزمان؟ إنها مدة قصيرة، وخرج النبي ﷺ لا يملك مالاً ولا يملك سلاحاً، والمسلمون في ذلك الوقت قلة لا يؤبه لها، والأجواء المحيطة بهم والقبائل التي من حولهم كلها على الكفر والشرك.

ثم لم يكن النصر في هذا العنصر المادي بقوة المسلمين أو كثرة جيوشهم، بل ما فتحوا مكة إلا بعد أن فتحوا قلوباً كثيرة وعقولاً كثيرة، ودخل في الإسلام من القبائل ومن الناس أعداداً هائلة عظيمة، وبعد العام الثامن في العام العاشر عندما حج النبي عليه والسلام حجة الوداع كان معه ما يزيد على مائة ألف نفس من أصحابه الذين حجوا معه.

لقد فتح الله على رسوله ﷺ القلوب والعقول قبل أن يفتح البلاد والدور والحصون، ولذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ \* وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا \* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَعِذْ بِهِ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا** ﴾ [النصر: 1-3].

فنحن -إذاً- لا بد من أن نعظم اليقين بنصر الله عز وجل، خاصة في هذه الظروف، فبعض الناس اليوم يقول: كيف سينتصر المسلمون؟! أمريكا الدولة العظمى في العالم والأمم المتحدة ضدهم، والأسلحة عابرة القارات! كأن بعض الناس نسوا أن هناك قرآناً يتلى، ونسوا أن هناك سنناً، ونسوا أن هناك قوة عظمى وهي قوة الله عز وجل القائل: ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْتَمُونَ \* الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَرَزُلْوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ** ﴾ [البقرة: 214].

وفي يوم الأحزاب اجتمع على المسلمين شدة الجوع وشدة الخوف وشدة البرد، وجيش المشركين يحيط بهم من كل جانب، وقريظة نقضت العهد، وأصبح المسلمون محاطين من كل جانب، وليست عندهم حيلة ولا قوة، فما الذي جرى؟ يقين بنصر الله، فكبر النبي عليه الصلاة والسلام وبشر أصحابه بالنصر، ثم جاءت الرياح فأطفت النيران، وأكفأت القدر، وقلعت الخيام، وطردت أولئك الكفرة والمعتدين ﴿ **وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ** ﴾ [الأحزاب: 25] ، وبعدها قال النبي عليه الصلاة والسلام: « **اليوم نغزوهم ولا يغزونا** »، فلم يكن النبي عليه الصلاة والسلام

عندما خرج من مكة وهو مهاجر طريد عنده أدنى شك في أنه سينصر بإذن الله، وأن كلمته ستعلو، وأن دينه سينتشر، وأن رايته ستخفق، وأن دولته ستعم بقاع الأرض كلها، كما قال عليه الصلاة والسلام: « **إن الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها، وإن ديني سيبلغ ما زوي لي منها** ».«

فنحن اليوم في حاجة إلى أن نزيل هذا الوهن الذي سرى إلى النفوس، واليأس الذي تسلل إلى القلوب، واستعظام قوة الخلق ونسيان قوة الخالق، ونقول للذين أصبحوا اليوم يفتنون في العصد ويقولون لنا: كونوا واقعيين، فماذا تريدون أن تفعلوا؟ وماذا يفعل هؤلاء الفلسطينيون في فلسطين؟ إنهم يزهقون أرواحهم، ويسفكون دماءهم، ويخربون بيوتهم بأيديهم، ثم لم ينجزوا شيئاً.

نقول: سبحان الله! ننسى قوة الله عز وجل، وننسى قوله تعالى: ﴿ **كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ [البقرة:249]، وننسى كيف نصر الله رسوله في يوم بدر، وكيف نصر المسلمين في عهد النبي عليه الصلاة والسلام! بل إلى قريب من عهدنا هذا في حرب رمضان التي انتصر فيها المسلمون على اليهود في أول هذه المعارك.

فلماذا نخفل عن ذلك كله؟! درس الفتح يعلمنا أن الدائرة تدور وأن الأيام تتوالى، وأن الأعوام تكرر، وأن العاقبة للمتقين، وأن النصر للمؤمنين ولو بعد حين.

وفيما فعله الرسول ﷺ مع أهل مكة حكمة أخرى، فقد علم الله أن العرب سيكونون حملة رسالته إلى العالم، فأبقى على حياة أهل مكة وهم زعماء العرب ليدخلوا في دين الله، ولينطلقوا بعد ذلك إلى حمل رسالة الهدى والنور إلى الشعوب، يبذلون من أرواحهم وراحتهم ونفوسهم ما أنقذ تلك الشعوب من عمايتها، وأخرجها من الظلمات إلى النور.

## 12- تجريد العدو من إرادة القتال:

إن الحرب في حقيقتها "صراع بين إرادتين": إرادتنا وإرادة عدونا، والطرف الذي يفقد الإرادة القتالية سوف يكون هو الخاسر المهزوم.

ولقد كان من الأمور البارزة في غزوة فتح مكة حرص الرسول الكريم -ﷺ- على تجريد قريش من إرادة المقاومة والقتال بعدة وسائل:

### 1- غزو قلب وعقل ونفس زعيم قريش:

ومن الأساليب التي اتخذها الرسول -ﷺ- لذلك إقناع أبي سفيان عن طريق "إظهار القوة وتجسيدها" بأنه لا جدوى من المقاومة وقاتل المسلمين، فقد أوصى عليه الصلاة والسلام عمه العباس حين جاء بأبي سفيان إلى معسكر المسلمين خارج مكة باحتجازه في مدخل الجبل إلى مكة حتى يمر به جيش المسلمين فيحدث قومه عما رآه عن بيعة يقيين، فيقضي على أي أمل لديهم في المقاومة، فقد قال عليه الصلاة والسلام:

« يا عباس، احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها، » قال العباس : فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادي ، حيث أمرني رسول الله -ﷺ- أن أحبسه، ومرت القبائل على راياتها، كلما مرت قبيلة قال: يا عباس، من هذه فأقول سليم فيقول: مالي ولسليم، ثم تمر القبيلة فيقول :مالي ولمزينة، حتى نفذت القبائل ما تمر به قبيلة إلا يسألني عنها فإذا أخبرته بهم قال: مالي ولبني فلان، حتى مرَّ رسول الله -ﷺ- في كتيبته (الخضراء) لكثرة الحديد ) وظهر فيها المهاجرون والأنصار -ﷺ- لا يرى منهم إلا الحدق (العيون) من الحديد.

فقال: سبحان الله يا عباس من هؤلاء؟ قلت: هذا رسول -ﷺ- في المهاجرين والأنصار قال: ما لأحد بهؤلاء قِبَل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً، قلت يا أبا سفيان :إنها النبوة، قال : فنعم إذن؟ قلت: النجاء (السرعة) إلى قومك.

ومما يدل على حرص الرسول الكريم -ﷺ- على إيقاع أكبر قدر من التخويف والضغط النفسي على أبي سفيان اختياره لمضيق الوادي بالذات لوقوف أبي سفيان، فمرور الجيش في مضيق يختلف عن مروره في الأرض المكشوفة ، فالمضيق يجعل أبا سفيان يرى قوة الجيش بصورة مجسمة، أما الأرض المكشوفة فسوف ينتشر فيها الجيش ويتفرق فلا يقع التأثير المطلوب، وقد أسرع أبو سفيان إلى قومه فقال "يا معشر قريش، هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به" وذلك أوضح دليل على تجريده من إرادة المقاومة والقتال.

## 2- تجريد قريش نفسها من إرادة القتال:

وفضلاً عما يحدثه قول أبي سفيان لقومه السابق ذكره من دفع قريش إلى الاستسلام، فقد كان تنظيم الرسول الكريم -ﷺ- لجيش المسلمين على نحو يضعف الدافع لدى المشركين إلى القتال ويجعلهم يترددون في المقاومة، فقد كان الجيش لا يتألف من المهاجرين والأنصار فحسب بل من مسلمي أكثر القبائل العربية المعروفة يومئذ:

ألف رجل من بني سليمان، وألف رجل وثلاثة رجال من مزينة، وأربعمائة من بني جهينة؛ وأربعمائة من أسلم، وعدد من تميم وأسد وقيس وغيرها من القبائل العربية الأخرى.

هذا التنظيم أصاب المشركين بالتردد في الإقدام على القتال؛ لأن كل قبيلة لها في جيش المسلمين عدد كبير، بل إن كثيراً من القبائل تعتبر نجاح هذا الجيش نجاحاً لها على الرغم من اختلاف العقيدتين، والأكثر من ذلك فإن انتصار هذا الجيش لا يعتبر فخراً لقبيلة دون أخرى كما أن فشل أية قبيلة في التغلب عليه، لا يعتبر عاراً عليها؛ لأن هذا الجيش لم يكن لقبيلة دون أخرى بل لم يكن للعرب دون غيرهم بل كان للإسلام وللمعتنقي هذا الدين من العرب وغير العرب..

ثم جاءت الضربة النفسية القاضية على إرادة القتال حين أعطى الرسول -ﷺ- "الأمان" لقريش مقابل الاستسلام، فقد نصح العباس عم النبي -ﷺ- أبا سفيان بأن يلجأ إلى الرسول الكريم -ﷺ- حتى ينظر في أمره قبل أن يدخل الجيش مكة صباح غد فيحقيق به ويقومه العقاب، فقال العباس للرسول الكريم -ﷺ- إن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئاً (وكان أبو سفيان قد أسلم ليحقق دمه قبل لقائه بالرسول -ﷺ-)، فقال عليه الصلاة والسلام "نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن"، فكان ذلك من أقوى أسباب استسلام قريش، فإنه لما قال أبو سفيان لقومه "يا معشر قريش، هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن" قالت قريش: قاتلك الله، وما تغني عنا دارك؟ قال ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن" فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد.

### 13- النصر ليس مدعاة للكبر:

إن النصر لا يؤدي إلى الكبر، وإن النصر لا يقود إلى الخيلاء، وإن النصر لا يؤدي إلى فتنة النفوس بالإعجاب، ولا إلى الطغيان الذي يكون مع المنتصرين من غير أهل الإيمان والإسلام.

لما دخل النصارى بيت المقدس عام اثنين وتسعين وأربعمائة من الهجرة قتلوا في داخل المسجد وفي أنحاءه نحواً من سبعين ألف نفس، حتى خاضت ركب الخيل في الدماء.

وفي يوم دخول التتار إلى بغداد قتلوا نحو ثمانمائة ألف نفس، وقيل:

ألف ألف وثمانمائة ألف نفس.

كما ذكر ابن كثير في البداية والنهاية، واستحر القتل بأهل بغداد أربعين يوماً حتى سألت ميازيب البيوت من دماء المسلمين، وحتى بلغ نتن الجيف من أرض بغداد إلى بلاد الشام، وذلك هو طغيان النصر.

لكن انظر إلى رسول الله ﷺ يوم دانت له مكة التي استعصى عليه أهلها، مكة التي كان أهلها أشد الناس إيذاءً له، مكة التي كانت مؤلبة ومحرضة عليه للقبائل، ولكل الأعداء الذين سعت قريش إلى أن تجعلهم في صفها ضد رسول الله عليه الصلاة والسلام، دخل عليه الصلاة والسلام مطأطأً رأسه تواضعاً لله عز وجل، وفي بعض الروايات: (حتى مست لحيته ظهر دابته) عليه الصلاة والسلام، دخل وهو المنتصر لا في نشوة المنتصر، بل في ذلة العابد الحامد لربه سبحانه وتعالى، ولذلك لم تطغ نفسه، فلم يأت بالناس ليقص رقابهم ويسيل دماءهم، بل عفا عنهم.

هلاً... تواضعنا لله، وهلاً تواضعنا لخلق الله ونزعنا رداء العجب والفخر، إذ المطلوب منك - أيها المؤمن - أن تعطف وترحم المساكين، وأن تصل رحمك والوالدين، وأن تغض الطرف عن إساءة المسيئين، وتسامح المذنبين، وتأتسي بسيد العالمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وجاءه ﷺ من هرب كحكيم بن حزام وغيره، وجلسوا بين يديه يلتمسون عفوه فوجدوا نفسه سمحة بذلك، إلا من كان عدواً لله ولرسوله، من اجترأ على دينه أو سب وأذى رسوله ﷺ، فأولئك بضعة نفر في أعلى روايات السيرة أنهم تسعة أهدر النبي ﷺ دماءهم وأمر بقتلهم ولو كانوا معلقين بأستار الكعبة.

لكن جمهور أهل مكة ما أصاب أحداً منهم من رسول الله عليه الصلاة والسلام ضر، ومكة نفسها ما هُدم فيها بيت، ولا قلعت فيها شجرة، ولا أضرمت فيها نار، تلك هي انتصارات الإسلام، ولعلنا نستحضر يوم السابع والعشرين من شهر رجب في العام السابع والثمانين بعد الخمسمائة من الهجرة يوم دخل صلاح الدين منتصراً إلى بيت المقدس في يوم جمعة، ولعلنا نتذكر الخطبة التي خطبها القاضي الفاضل، وكلها تذكير بفضل الله، وإقرار بنعمة الله، واعتراف بضرورة شكر الله، ولعلنا نعرف صنع صلاح الدين الذي قضى دهرًا طويلاً من عمره مرابطاً في جهاده في سبيل الله.

## 14- الإسلام دين سلام ودين قوة:

كان قرار الرسول الكريم -ﷺ- أن يتم فتح مكة بلا "قتال" فعهد إلى أمرائه ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم.

وكان عليه الصلاة والسلام حريصاً على ذلك كل الحرص وهو ما ينطق به أسلوبه في إدارة المعركة والسيطرة المحكمة على كل مرحلة من مراحلها، ولقد بلغ من حرصه -ﷺ- على تجنب القتال أنه بلغه أن سعد بن عبادة الذي كان يقود رتلأً من الأرتال الأربعة التي يتألف منها جيش المسلمين قال: "اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة" فأخذ الراية منه ودفعها إلى ابنه قيس بن سعد حتى يحول دون اندفاع سعد لإثارة الحرب.

ومن هذا الحرص على حقن الدماء أنه ﷺ لم يكتفِ بالتخطيط والقرار بأن يكون الفتح بغير قتال؛ لأنه يكون بذلك "عملاً من جانب واحد" لا بد أن يقابله عمل من الجانب الآخر ينسجم معه ويحقق هدفه هو "عدم المقاومة"، أي أنه لا بد من اتخاذ التدابير التي "تمنع" العدو من المقاومة والقتال، وهذا هو بالضبط ما فعله الرسول الكريم القائد-ﷺ- بحرصه على المفاجأة والخداع وتجريد قريش من إرادة القتال على نحو ما قدمنا..

وهكذا كان جمعه عليه الصلاة والسلام بين الأمرين) تجنب القتال من جانبه ومنع قريش من المقاومة والقتال) آية من آيات حسن القيادة، وإدارة الصراع على أعلى مستوى، وتأكيداً لمقاصد الإسلام النبيلة. على أن الرسول الكريم -ﷺ- لم يكتفِ بهذه التدابير، بل أعد عدته للقتال" على أتم ما يكون الإعداد:

1. فقد حشد لفتح مكة عشرة آلاف مقاتل وهو أكبر حشد منذ بدأ الصراع .

2. ووضع خطته لدخول مكة بحيث يؤمن تطويقها من جهاتها الأربع :

-من الشمال: الزبير بن العوام.

• من الجنوب: خالد بن الوليد .

• من الغرب: رتل سعد بن أبي عبادة (قوات الأنصار ومن الشمال الغربي من اتجاه جبل هند رتل أبي عبيدة بن الجراح قوات الهاجرين).

1. وهذه الخطة المحكمة أدت إلى تحقيق هدفين في غاية الأهمية

من وجهة نظر الفن الحربي :

1. ضمان القضاء على أية مقاومة في أية جهة من مكة " في الحال" نظرًا لوجود المسلمين في كل جهة من جهاتها .
2. تشتيت قوات قريش إذا قررت المقاومة إلى أقسام لمواجهة جيش المسلمين على ؛ مما يحرمها من تركيز قواتها وحشدها في جبهة واحدة ويجعلها ضعيفة في كل مكان

## 15- مواقف دعوية وقدرة رفيعة في التعامل مع النفوس:

### 1- إسلام سهيل بن عمرو:

قال سهيل بن عمرو: لما دخل رسول الله ﷺ مكة وظهر، انقمت (1) بيتي وأغلقت عليّ بابي، وأرسلت إلى ابني عبد الله بن سهيل أن اطلب لي جوارًا من محمد، وإني لا آمن من أن أقتل، وجعلت أتذكر أثري عند محمد وأصحابه فليس أحد أسوأ أثرًا مني، وإني لقيت رسول الله ﷺ يوم الحديبية بما لم يلحقه أحد، وكنت الذي كاتبته، مع حضوري بدرًا وأحدًا، وكلما تحركت قريش كنت فيها، فذهب عبد الله بن سهيل إلى رسول الله فقال: يا رسول الله، تؤمنه؟ فقال: «نعم»، هو آمن بأمان الله، فليظهر، ثم قال رسول الله ﷺ لمن حوله: «من لقي سهيل بن عمرو فلا يشد النظر إليه، فليخرج، فلعمري إن سهيلا له عقل وشرف، وما مثل سهيل يجهل الإسلام، ولقد رأى ما كان يوضع فيه أنه لم يكن له بنافع» فخرج عبد الله إلى أبيه، فقال سهيل: كان والله برًا، صغيرًا وكبيرًا. فكان سهيل يقبل ويدبر، وخرج إلى حنين مع النبي ﷺ وهو على شركه حتى أسلم بالجعرانة (2).

لقد كان لهذه الكلمات التربوية الأثر الكبير على سهيل بن عمرو، حيث أتى على رسول الله ﷺ بالبر طوال عمره، ثم دخل في الإسلام بعد ذلك، وقد حسن إسلامه وكان أكثرًا من الأعمال الصالحة (3) يقول الزبير بن بكار: كان سهيل بعدُ كثير الصلاة والصوم والصدقة، خرج بجماعته إلى الشام مجاهدًا، ويقال: إنه صام وتهجد حتى شحبت لونه وتغير، وكان كثير البكاء إذا سمع القرآن، وكان أميرًا على كردوس (4)

(1) أي رميت بنفسي.

(2) انظر: مغازي الواقدي (846/2، 847)، المستدرک للحاكم (381/3).

(3) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (216/7، 217).

(4) كردوس: فرقة كبيرة.



يوم اليرموك (1).

## 2- إسلام صفوان بن أمية:

قال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: ... وأما صفوان بن أمية فهرب حتى أتى الشعبية (2) وجعل يقول لغلامه يسار وليس معه غيره: ويحك، انظر من ترى، قال: هذا عمير بن وهب، قال صفوان: ما أصنع بعمير؟ والله ما جاء إلا يريد قتلي، قد ظاهر محمدا عليّ. فلحقه فقال: يا عمير، ما كفاك ما صنعت بي؟ حملتني دينك وعيالك، ثم جئت تريد قتلي، قال: أبا وهب جعلت فداك، جئتك من عند أبر الناس وأوصل الناس. وقد كان عمير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، سيد قومي خرج هاربا ليقتل نفسه في البحر، وخاف ألا تؤمنه فداك أبي وأمي، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد أمنته»، فخرج في أثره فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمنك، فقال صفوان: لا والله، لا أرجع معك حتى تأتيني بعلامة أعرفها، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، جئت صفوان هاربا يريد أن يقتل نفسه فأخبرته بما أمنته فقال: لا أرجع حتى تأتي بعلامة أعرفها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خذ عماتي».

قال: فرجع عمير إليه بها، وهو البرد الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ معتجرا (3) به، برد حبرة (4) فخرج عمير في طلبه الثانية، حتى جاء بالبرد فقال: أبا وهب جئتك من عند خير الناس، وأوصل الناس، وأبر الناس، وأحلم الناس، مجده مجدك، وعزه عزك، وملكه ملكك، ابن أمك وأبيك، اذكر الله في نفسك، قال له: أخاف أن أقتل، قال: قد دعاك إلى أن تدخل في الإسلام، فإن رضيت وإلا سيرك شهرين، فهو أوفى الناس وأبرهم، وقد بعث إليك ببرده الذي دخل فيه معتجرا، تعرفه؟ قال: نعم، فأخرجه، فقال: نعم، هو هو، فرجع صفوان حتى انتهى إلى رسول الله، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالمسلمين العصر بالمسجد، فوقفا، فقال صفوان: كم تصلون في اليوم والليلة؟ قال: خمس صلوات، قال: يصلي بهم محمد؟ قال: نعم، فلما سلم صاح صفوان: يا محمد، إن عمير بن وهب جاءني ببردك، وزعم أنك دعوتني إلى القدوم عليك، فإن رضيت أمرا وإلا سيرتني شهرين، قال: «انزل أبا وهب» قال: لا والله حتى

(1) انظر: سير أعلام النبلاء (195/2).

(2) الشعبية: مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز، وهو كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة. معجم البلدان (276/5).

(3) الاعتجار بالعمامة: هو أن يلفها على رأسه ويرد طرفها على وجهه ولا يعمل منها شيئا تحت ذقنه. (النهاية 69/3).

(4) الحبرة: ضرب من ثياب اليمن.

تبين لي، قال: «بل تُسَيِّر أربعة أشهر» فنزل صفوان. وخرج رسول الله ﷺ قبل هوازن وخرج معه صفوان وهو كافر، وأرسل إليه يستعيره سلاحه، فأعاره سلاحه مائة درع بأداتها، فقال: طوعاً أو كرهاً؟ قال رسول الله ﷺ: «**عارية مؤداة**» فأعاره، فأمره رسول الله ﷺ فحملها إلى حنين، فشهد حنيناً، والطائف ثم رجع رسول الله ﷺ إلى الجعرانة، فبينما رسول الله ﷺ يسير في الغنائم ينظر إليها ومعه صفوان بن أمية جعل صفوان ينظر إلى شعب مليء نعماً وشاء ورعاء فأدام إليه النظر ورسول الله ﷺ يرمقه، فقال: «**أبا وهب، يعجبك هذا الشعب؟**» قال: نعم، قال: «**هو لك وما فيه**»، فقال صفوان عند ذلك: ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفس نبي، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. وأسلم مكانه(1).

ونلاحظ في هذا الخبر أن النبي ﷺ حاول أن يتألف صفوان بن أمية إلى الإسلام حتى أسلم، وذلك بإعطائه الأمان ثم بتخييره في الأمر أربعة أشهر، ثم بإعطائه من مال العطايا الكبيرة التي لا تصدر من إنسان عادي، فأعطاه أولاً مائة من الإبل مع عدد من زعماء مكة، ثم أعطاه ما في أحد الشعاب من الإبل والغنم فقال: ما طابت نفس أحد بهذا إلا نفس نبي. ثم أسلم مكانه(2)، وقد وصف لنا صفوان بن أمية عطاء النبي ﷺ فقال: (والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إليّ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ)(3).

### 3- إسلام عكرمة بن أبي جهل:

قال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: قالت أم حكيم امرأة عكرمة بن أبي جهل: يا رسول الله، قد هرب عكرمة منك إلى اليمن، وخاف أن تقتله فأمنه، فقال رسول الله ﷺ: «**هو آمن**»، فخرجت أم حكيم في طلبه ومعها غلام لها رومي، فراودها عن نفسها، فجعلت تمنيه حتى قدمت على حيٍّ من عاكٍ(4) فاستغاثتهم عليه فأوثقوه رباطاً، وأدركت عكرمة، وقد انتهى إلى ساحل من سواحل تهامة فركب البحر، فجعل نُوتِيَّ السفينة يقول له: أخلص، فقال: أي شيء أقول؟ قال: قل لا إله إلا الله، قال عكرمة: ما

(1) انظر: مغازي الواقدي (853/2-855).

(2) انظر: التاريخ الإسلامي (220/7).

(3) مسلم، كتاب الفضائل، رقم 2313، ص 1806.

(4) عك: مخلاف من مخاليف مكة النهائية، معجم ما استعجم، ص 223.

هربت إلا من هذا، فجاءت أم حكيم على هذا الكلام، فجعلت تلح عليه وتقول: يا ابن عم، جنتك من عند أوصل الناس، وأبرّ الناس، وخير الناس، لا تهلك نفسك. فوقف لها حتى أدركته فقالت: إني قد استأمنت لك محمدًا رسول الله ﷺ. قال: أنت فعلت؟ قالت: نعم، أنا كلمته فأمنك. فرجع معها وقال: ما لقيت من غلامك الرومي؟ فخبرتة خبره فقتله عكرمة، وهو يومئذ لم يسلم، فلما دنا من مكة قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمنًا مهاجرًا، فلا تسبوا أباه، فإن سب الميت يؤدي الحي ولا يبلغ الميت».

قال: وجعل عكرمة يطلب امرأته يجامعها، فتأبى عليه، وتقول: إنك كافر وأنا مسلمة، فيقول: إن أمرًا منعك مني لأمر كبير، فلما رأى النبي ﷺ عكرمة وثب إليه -وما على النبي ﷺ رداء- فرحا بعكرمة، ثم جلس رسول الله ﷺ فوقف بين يديه، وزوجته متنقبة، فقال: يا محمد إن هذه أخبرتني أنك أمنتني، فقال رسول الله ﷺ: «صدقت، فأنت آمن» فقال عكرمة: فالإمّ تدعو يا محمد؟ قال: «أدعوك إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتفعل وتفعل» حتى عد خصال الإسلام، فقال عكرمة: والله ما دعوت إلا إلى الحق وأمر حسن جميل، قد كنت والله فينا قبل أن تدعو إلى ما دعوت إليه وأنت أصدقنا حديثًا وأبرنا براء، ثم قال عكرمة: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فسُرَّ بذلك رسول الله ﷺ، ثم قال: يا رسول الله علمني خير شيء أقوله، قال: «تقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله» قال عكرمة: ثم ماذا؟ قال رسول الله ﷺ: «تقول: أشهد الله وأشهد من حضر أي مسلم مهاجر ومجاهد» فقال عكرمة ذلك.

فقال رسول الله: «لا تسألني اليوم شيئاً أعطيه أحدًا إلا أعطيتك» فقال عكرمة: فإني أسألك أن تستغفر لي كل عداوة عاديتكها، أو مسير وضعت فيه، أو مقام لقيتك فيه، أو كلام قلته في وجهك أو وأنت غائب عنه، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اغفر له كل عداوة عادانيها، وكل مسير سار فيه إلى موضع يريد بذلك المسير إطفاء نورك، فاغفر له ما نال مني من عرض، في وجهي أو وأنا غائب عنه» فقال عكرمة: رضيت يا رسول الله، لا أدع نفقة كنت أنفقها في صدّ عن سبيل الإسلام إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قتالاً كنت أقاتل في صدّ عن سبيل الله إلا أبليت ضعفه في سبيل الله، ثم اجتهد في القتال حتى قُتل

شهيدياً (1).

وبعد أن أسلم ردّ رسول الله ﷺ امرأته له بذلك النكاح الأول (2). كان سلوك النبي ﷺ في تعامله مع عكرمة لطيفاً حانيماً يكفي وحده لاجتذابه إلى الإسلام، فقد أعجل نفسه عن لبس ردائه، وابتسم له ورحب به، وفي رواية قال له: «**مرحبا بالراكب المهاجر**» (3) فتأثر عكرمة من ذلك الموقف فاهتزت مشاعره وتحركت أحاسيسه، فأسلم، كما كان لموقف أم حكيم بنت الحارث بن هشام أثر في إسلام زوجها، فقد أخذت له الأمان من رسول الله ﷺ، وغامرت بنفسها تبحث عنه لعل الله يهديه إلى الإسلام كما هداها إليه، وعندما أرادها زوجها امتنعت عنه وعللت ذلك بأنه كافر وهي مسلمة، فعظم الإسلام في عينه وأدرك أنه أمام دين عظيم، وهكذا خطت أم حكيم في فكر عكرمة بداية التفكير في الإسلام ثم توج بإسلامه بين يدي رسول الله ﷺ، وكان صادقاً في إسلامه، فلم يطلب من رسول الله ﷺ دنيا، وإنما سأله أن يغفر الله تعالى له كل ما وقع فيه من ذنوب ماضية، ثم أقسم أمام النبي ﷺ بأن يحمل نفسه على الإنفاق في سبيل الله تعالى بضعف ما كان ينفق في الجاهلية، وأن يبلي في الجهاد في سبيل الله بضعف ما كان يبذله في الجاهلية، ولقد بر بوعده فكان من أشجع المجاهدين والقادة في سبيل الله تعالى في حروب الردة ثم في فتوح الشام حتى وقع شهيداً في معركة اليرموك بعد أن بذل نفسه وماله في سبيل الله (4).

#### 4- مثل من تواضع النبي ﷺ: إسلام والد أبي بكر:

قالت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما: لما دخل رسول الله ﷺ مكة ودخل المسجد، أتى أبو بكر بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «**هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه؟**» قال أبو بكر: يا رسول الله، هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت، قالت: فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره، ثم قال له: «**أسلم**» فأسلم، قالت: فدخل به أبو بكر وكان رأسه ثغامة، فقال رسول الله ﷺ: «**غيروا**

(1) يعني يوم اليرموك.

(2) انظر: مغازي الواقدي (851/2 - 853).

(3) انظر: مجمع الزوائد (385/9) مرسل ورجاله رجال الصحيح في إحدى سنده. وأما الإسناد الآخر من رواية الطبراني فرجاله رجال الصحيح إلا مصعب بن سعد لم يسمع من عكرمة.

(4) انظر: التاريخ الإسلامي (223/7 - 225).

**هذا من شعره» (1)** ويروى أن رسول الله ﷺ هنا أبا بكر بإسلام أبيه (2). وفي هذا الخبر منهج نبوي كريم سنة النبي ﷺ في توقير كبار السن واحترامهم، ويؤكد ذلك قوله ﷺ: **«ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا» (3)** وفي قوله ﷺ: **«إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشئبة المسلم» (4)** كما أنه ﷺ سن إكرام أقارب ذوي البلاء والبذل والعطاء والسبق في الإسلام؛ تقديرًا لهم على ما بذلوه من الخدمة للإسلام والمسلمين ونصر دعوة الله تعالى (5).

### 5- مثل من عفو النبي ﷺ وحلمه: إسلام فضالة بن عمير:

أراد فضالة بن عمير بن الملوح الليثي قتل النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه، قال رسول الله ﷺ: **«أفضالة؟»** قال: نعم، فضالة يا رسول الله، قال: **«ماذا كنت تحدث به نفسك؟»** قال: لا شيء، كنت أذكر الله، قال: فضحك النبي ﷺ ثم قال: **«استغفر الله»**، ثم وضع يده على صدره، فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إليّ منه، قال فضالة: فرجعت إلى أهلي، فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها، فقالت: هلم إلى الحديث، فقلت: لا، وانبعث فضالة يقول:

قلت هلم إلى      يا أبى عليك الله  
لو ما رأيت محمدًا      بالفتح يوم تكسر  
لرأيت دين الله      والشرك يغشى وجهه

### 16- العاقبة للمتقين:

ما نذكره من دروسها ودروس معاركه الحربية ﷺ، هي العبرة البالغة بما انتهت إليه دعوة الله من نصر في أمد لا يتصوره العقل، وهذا من أكبر الأدلة على أن محمدًا رسول الله ﷺ، وعلى أن الإسلام دعوة الله التي تكفل بنصرها ونصر دعائها والمؤمنين بها والحاملين

(1) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (54/4، 55).

(2) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 577.

(3) انظر: سنن الترمذي، كتاب البر، باب 15 رقم 1986.

(4) انظر: سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب 20، رقم 4843.

(6) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (195/7).

(5) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4304.

(6) التاريخ الإسلامي للحميدي (213/7).

للوائها، وما كان الله أن يتخلى عن دعوته وهي حق ورحمة ونور، والله هو الحق وهو الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، والله نور السماوات والأرض، فمن يستطيع أن يطفئ نور الله! وكيف يرضى للباطل أن ينتصر النصر الأخير على الحق، وللهمجية والقسوة والفساد أن تكون لها الغلبة النهائية على الرحمة والصلاح<sup>(1)</sup>.

### 17- في الإسلام "لا ويل للمغلوب"

وإذا كان من شأن المنتصر أن يستبد ويملي شروطه بدافع الغيظ والتشفي والانتقام والغرور بالقوة، فإن الرسول الكريم -ﷺ- رغم ما فعلت قريش ضد الإسلام والمسلمين- لم يفعل شيئاً من ذلك، بل كان كل همه وكل قصده أن يؤلف قلوب المشركين، ويجعلها تقبل على الإسلام الذي هو دين السلام.

لقد استسلمت قريش التي يعرف عليه الصلاة والسلام فيها من تأمروا عليه ليقتلوه، ومن عذبوه وأصحابه من قبل، ومن قاتلوه في بدر وفي أحد، ومن حاصروه في الخندق، ومن ألبوا عليه العرب جميعاً، ومن لو استطاعوا قتله وتمزيقه إرباً إرباً لما توانوا في ذلك لحظة.. لقد أصبحت قريش في قبضته عليه الصلاة والسلام وتحت قدميه، أمره نافذ في رقابهم، وحياتهم جميعاً معلقة بين شفتيه، وفي سلطانه، هذه الألوف المدججة بالسلاح تستطيع أن تبيد مكة وأهلها في لمح البصر.

لكن رسول الله -ﷺ- ليس بالرجل ولا بالقائد الذي يعرف العداوة أو يريد أن تقوم بين الناس، وليس هو بالجار ولا بالمتكبر أو بالذي يرفع شعار "ويل للمغلوب" لقد مكنه الله من عدوه، فماذا فعل؟ لقد نهض عليه الصلاة والسلام والمهاجرون والأنصار بين يديه وخلفه وحوله، حتى دخل المسجد الحرام، فطاف بالبيت العتيق وطهره من الأصنام والصور، ثم وقف على باب الكعبة وقريش تنتظر ماذا يصنع وقال «يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل بكم؟».. قالوا خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم.. قال: «فإني أقول كما قال يوسف لإخوته، لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء».

وكانت أعظم الآثار الاستراتيجية لسماحة الإسلام التي تجلت بأجلى معانيها أن قريشاً لم تقبل على الإسلام فحسب، بل حملت رايات الجهاد

(1) السيرة النبوية دروس وعبر ، مصطفى السباعي.

في سبيل الله، وتحولت اتجاهاتها من أشد الناس عداوة للإسلام، إلى أحرص الناس على رفع راية الجهاد في سبيله وتلك صورة رفيعة انفرد بها الإسلام.

## 18- لا شفاعة في حدود الله؟

قال عروة بن الزبير: إن امرأة سرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح، ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعون، قال عروة: فلما كلمه أسامة فيها تلون وجه رسول الله، فلما كان العشي قام رسول الله خطيباً فأتى على الله بما هو أهله، ثم قال: «**أما بعد فإنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. والذي نفس محمد بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**»، ثم أمر رسول الله ﷺ بتلك المرأة فقطعت يدها.

فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت، قالت عائشة: فكانت تأتيني بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ.

وهكذا يستمر البناء التربوي للأمة، ونرى العدل في إقامة شرع الله على القريب والبعيد على حد سواء، ووجدت قریش نفسها أمام تشريع رباني لا يفرق بين الناس، فهم كلهم أمام رب العالمين سواء، وأصبحت معايير الشرف هي الالتزام بأوامر الله تعالى، وفي هذا الموقف الذي أثار غضب رسول الله الشديد واهتمامه الكبير، عبرة للمسلمين حتى لا يتهاونوا في تنفيذ أحكام الله تعالى، أو يشفعوا لدى الحاكم، من أجل تعطيل الحدود الإسلامية(1).

## 19- الوفاء المحمدي: المحيا محياكم والممات مماتكم:

قال أبو هريرة: ... أتى رسول الله ﷺ الصفا، فعلاه حيث ينظر إلى البيت، فرفع يديه، فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره، ويدعوه، قال: والأنصار تحته، قال: يقول بعضهم لبعض: أما الرجل فأدر كته رغبة في قرينته، ورأفة بعشيرته. قال أبو هريرة: وجاء الوحي، وكان إذا جاء لم يخف علينا فليس أحد من الناس يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى يقضي، قال: فلما قضى الوحي رفع رأسه ثم قال: **يا معشر الأنصار قلتم أما الرجل فأدر كته رغبة في قرينته، ورأفة بعشيرته؟**

(1) انظر: معين السيرة، ص402، التاريخ الإسلامي، (233/7).



قالوا: قلنا ذلك يا رسول الله، قال: فما اسمي إذن؟ **كلا، إني عبد الله ورسوله هاجرت إلى الله وإليكم، فالمحيا محياكم، والممات مماتكم،** قال: فأقبلوا إليه يبكون، ويقولون: والله ما قلنا الذي قلنا إلا الظن بالله ورسوله، قال: فقال رسول الله ﷺ: **«فإن الله ورسوله ليصدقانكم ويعذرانكم»**(1).

## 20- السلام لا يعني الاسترخاء في الإعداد وبناء القوة:

كان جيش الإسلام في غزوة فتح مكة عشرة آلاف مقاتل، ولكن بعد الفتح واستسلام العدو الرئيسي للإسلام (قريش) ارتفعت قوة الجيش حتى بلغت ثلاثين ألف مقاتل في غزوة تبوك عام 9 هـ، ومعنى ذلك أنها خلال عام واحد وصلت إلى ثلاثة أمثالها يوم الفتح. هذه الحقيقة التاريخية تستحق أن نتدبرها ونستخلص الدرس منها، وهو درس ينطوي على المبادئ التالية:

1. إن إعداد القوة التي ترهب العدو واجب مستمر في السلم والحرب على حد سواء .
2. إن فترات الهدنة أو السلام لا تعني الاسترخاء في الإعداد وبناء القوة .
3. إن الإسلام دين سلام ورحمة، لكنه في الوقت نفسه - دين قوة، فهو دين عملي، يأخذ الحياة من واقعها، وينظر إلى الناس من خلال فطرتهم التي فطروا عليها، فقد راعى طبائع الخلائق، وميلها إلى المشاحنات فأمر أهله بإعداد القوة لا ليعتدوا بها على الآخرين بل ليدافعوا بها عن أنفسهم ويرغموا أعداءهم أن يلزموا حدودهم .
4. وأخيراً، فإن السلام الذي يدعو إليه الإسلام هو : السلام الذي تحميه القوة؛ لأن القوة هي أكبر ضمان لتحقيق ذلك السلام والمحافظة عليه .

## 21- كشف خبر حاطب:

فإن الله أطلعته على بعض علم الغيب، والله هو الذي يطلع على علم الغيب - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - من يريد، ولا يطلع على علم الغيب أحداً غير الأنبياء والأولياء الصالحين. وأما غيرهم من المشعوذين والكهنة، فقد يأتيهم من الجن، ومن



خداهم، والذين يتولونهم من الشياطين؛ فإن الكاهن يأتي إليه الشيطان، ويأتي إليه وليه، فيخبره، فيكذب معها مائة كذبة، كما قال ﷺ.

وفي حديث في ( سنن أبي داود ) قال: « **ويقرأها في أذنه كما تقر الدجاجة، فيأخذها فيزيد عليها مائة كذبة** ».

أما الرسول عليه الصلاة والسلام فيأتيه الخبر صافياً نقياً، لا شائبة فيه، من السماء.

## 22- قبول عذر المسلم:

فقد كاد حاطب رضي الله عنه وأرضاه أن يُودي بالإسلام والمسلمين في داهية، ولكن مع ذلك قبل ﷺ معذرتة.

ومن حُسن إسلام المرء أن يقبل اعتذار من يعتذر إليه؛ فإنه ما اعتذر إليك إلا لجلالتك في قلبه، ولمحبتك إليه، والله عز وجل سيِّئِر يحب الستر، وعذر العاذرين في الدنيا، ويسامح المسامحين، ويبسر على الميسرين، والجزاء من جنس العمل.

فإذا اعتذر إليك مسلم قد أخطأ، فاقبل عذره، واحمله على أتم المحامل فإن هذا من شيم الصالحين، بل إنه من شيم العرب من قبل ذلك.

ف النابغة الذبياني لما أساء مع النعمان بن المنذر ، قبل النعمان معذرتة، فيقول:

لئن كنت قد بلغت عني وشايةً لمبلغك الواشي أغش وأكذب  
فقبل النعمان عذره، فيقول:

حلفت فلم أترك لنفسك ريباً وليس وراء الله للمرء مذهب  
والرسول عليه الصلاة والسلام قبل أعدار الناس، حتى الذين كادوا له، والذين دبروا اغتياله، وأخرجوه من دياره.

وفي حديث في سننه نظر: أن كعب بن زهير قدم على الرسول عليه الصلاة والسلام وقد أساء، وأهدر دمه، فلما وصل إلى المدينة قال للصحابة: ماذا أفعل؟ والرسول عليه الصلاة والسلام قد أهدر دمي، والله ما تهنيئُ بطعام ولا شراب، ولا اكتحلْتُ بنوم؛ لأنه كان يمضي في الليل وينام في النهار، قالوا: أنت شاعر مجيد، اصنع لك أبياتاً وقدمها للرسول عليه الصلاة والسلام، فأتى في صلاة الفجر، فلما صلى ﷺ ألقى عليه تلك المقطوعة الرائعة:

بانبت سعاد فقلبي اليوم متبولٌ مُتيمٌ إثرها لم يُفدَ مكبولٌ

إلى أن يقول:

نبئت أن رسول الله أو عدني والوعد عند رسول الله مأمول مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة القرآن فيها مواعظٌ وتفصيلٌ لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب ولو كثرت في الأقويل فعفا عنه ﷺ وسامحه، ومع ذلك حَطَّ له جُبَّتَه من عليه، فبيعت بأربعين ألفاً في عهد معاوية، وبقيت يتداولها خلفاء الدولة العثمانية في الأتراك، وقيل في بعض الروايات: إنها لا تزال في المتحف في اسطنبول، والله أعلم.

### 23- غضب الصحابة لله:

الغضب للنفس ردى، والغضب للناس علياء، والغضب لله عز وجل علياء وأجر.

ولذلك يقول بعض أهل العلم: طابع أصحاب محمد ﷺ أنهم يغضبون لله، ويرضون لله؛ فلا يغضبون لأنفسهم.

فَعَمَرَ كان يُسَبُّ أمام الصحابة من بعض الناس، ويُسَبُّ أمام الناس، فما يغضب، فإذا سمع أن دين الله أو رسالة الله، أو شيئاً من مبادئ الدين الخالد يناله شيء، غضب وأصبح كالأسد.

فهذا هو الغضب لله، والرضا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. ثم هناك حول الغضب لله مسائل:

ورد من الغضب لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه طارد مجرماً كافراً مشركاً، فلما طارده وقع المجرم على ظهره، فأتى علي رضي الله عنه يطعنه بالسيف، فبصق هذا المشرك في وجه أبي الحسن، فكفَّ رضي الله عنه وأرضاه عن قتل المشرك.

قال الصحابة: ما لك؟ قال: أولاً كنت أريد قتله لوجه الله، والآن أردت أن أقتله لنفسي، فترك ما لنفسه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فيا لتلك القلوب! كيف بلغت من التربية ومن الصدق؟!]

وهم كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: [أخلص الأمة إيماناً، وأعمقها علماً، وأبرها قلوباً، وأقلها تكلفاً]].

ولذلك يقول الله فيهم يوم الفتح: ﴿ **فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا** ﴾ [الفتح:18].

قال ابن القيم رحمته الله: "علم ما في قلوبهم من اليقين والإيمان، ومن

التقوى والبر، فهم أتقى الناس، وأبر الناس، وأصدق الناس، وأخشى الناس".

فسبحان الذي اختارهم لصحبة رسوله ﷺ.

## 24- الفطر في السفر وأنه أفضل لمن شق عليه الصوم:-

وذلك بدلالة هذا الحديث، الذي أفطر فيه ﷺ وهو مسافر إلى مكة لَمَا شق على الناس، ولما خالفه بعض الناس، قال: « **أولئك العصاة، أولئك العصاة** ».

فمن شق عليه الصيام في السفر، فالأفضل في حقه أن يفطر؛ لهذا الحديث ولغيره.

## 25- إرهاب العدو بالقوة:

وفيها معلم من معالم الإسلام وهو أن الواجب على المسلمين أن يظهروا التكاثر والتعاون، وأن يظهروا المراسيم الإسلامية بقوة، حتى يرهبوا أعداء الله، خاصة في الأعياد، وفي الجمع، ومناسبات الخير.

**فمن إرهاب العدو:-**

حمل ذلك بعض الصحابة رضوان الله عليهم على لبس الحرير في المعركة؛ ليرهبوا أعداء الله: فإذا رأى المسلم أن من اللباس ما يغيظ به الكافر والمنافق فله أن يلبسه.

وبعضهم مشى مشية الخيلاء: ك أبي دجانة ، الفارس المشهور؛ فإنه أخذ يتبختر يوم أحد ، فقال عليه الصلاة والسلام: « **إن هذه مشية يبغيضها الله؛ إلا في مثل هذا الموطن** » حيث أراد أن يغيظ بها الكفار.

وإذا كان من القوة والاجتماع ومن الشيء أن يغيظ به أعداء الله فإن الدين -كما يقول ابن القيم - يكون على المراغمة: أي: أن تراغم أعداء الله، فما أحسن المراغمة! وأعظم ما يُراغم الشيطان، فإنك كلما عصيته أرغمت أنفه في التراب.

ولذلك كان عليه الصلاة والسلام متعمداً لهذا العدو، فإنه دخل بعشر كتائب، وزعها على أربعة جيوش، وأشعل كل جندي ناراً، حتى أخذت جبال مكة تلتهب، فأدخل الله الرعب في قلوب الكفار.

## 26- قراءة القرآن على الدابة:

فهذا جائز، ولا بأس به، فالرسول عليه الصلاة والسلام في قصة الفتح، قرأ: ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا** ﴾ [الفتح:1] وأخذت تُهَوِّجُ به

الدابة، فأخذ صوته يتردد ﷺ ، قال أحد الصحابة: { والله لولا أن يجتمع عليّ الناس لرَجَعْتُ بكم بصوتي كما رَجَعَ رسول الله ﷺ بصوته } .  
فإذا ركبت السيارة، أو الطائرة، أو أي دابة فلك أن تقرأ كتاب الله عز وجل، فإنه نعم الأنيس؛ لأن بعض الناس يتحرج؛ لأنه راكب أو ليس مستقراً في مكان.

وورد عنه عليه الصلاة والسلام: « **أن داؤد عليه السلام سهل الله عليه الزبور** » وفي لفظ آخر: (القرآن) لكن حَمَلَهُ بعض المحدثين على أنه الزبور: { فكان يقرأه قبل أن تُسْرَج له الدابة } .  
فهذا دليل على أنهم كانوا يقرءون في أسفارهم، فلا بأس من القراءة على الدابة، ولا بأس أن تقرأ وأنت تمشي، إذا كان هذا أصلح لقلبك وأفيد وأحفظ لوقتك.

كان بعض الصالحين إذا رأى الشباب يتوجهون إلى المساجد قال: تفرقوا من طريقكم إلى المسجد وفي رجوعكم.  
قالوا: لماذا؟ قال: لأنكم إذا سرتم سويّاً تحدثتم، وإذا تفرقتم قرأتم القرآن وذكرتم الله.

## 27- طمس الصور:

فالرسول عليه الصلاة والسلام لما دخل البيت، طمس صورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وهذا واجب المسلم ألا يبقى في بيته صورة، خاصة تلك التي تعلق، فإن الرسول ﷺ قال: « **لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة** » وفي لفظ: (ولا جُنُب) أو كما قال ﷺ.

فعلى المسلم أن يكون بيته نظيفاً من هذه الصور، خاصة الخليعة منها، أو التي تُعَلَّق للذكرى وللتعظيم، فهذه محرمة.  
أما الضرورية التي في الحفاظ والمستندات فلا بأس بها للضرورة.

## 28- عدم موالة المشرك ولو كان قريباً:

فإن أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان لما دخل عليها أبوها، سَحَبَتْ عنه فراش رسول الهدى ﷺ .  
فعلى المسلم أن ينتبه لهذه، والألّ يوالي مشركاً ولو كان ابناً أو أباً أو أماً إذا كان يحاد الله عز وجل ويعارض كتابه وسنة رسوله ﷺ بل يعاديه، فإن هذا هو الإيمان.

## 29- رعي النبي ﷺ للغنم:

فقد كان سيد المتواضعين، وكان يعلن حالات الفقر والذكريات الأولى التي مرت به في أول حياته؛ فإن بعض الناس إذا رفعه الله في الدنيا وتولى منصباً أو تصدر في الناس أو توجه، لا يذكر ذاك الماضي، كأنه نشأ في هذا النعيم منذ نعومة أظفاره، وكأنه ما عرف البؤس ولا الجوع؛ لكن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يقول:

« **رعى الغنم على قراريط لأهل مكة لـ ابن أبي مُعَيْط** ».

و عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب في الناس، فلما خطب فيهم قال: [[ من أنا؟ قالوا: أنت أمير المؤمنين، قال: أنا عمر بن الخطاب، كنت أدعى في الجاهلية عميراً، كنت أرعى على قراريط لآل أبي مُعَيْط الغنم، فلما انصرف قال ابنه عبد الله: ما حملك على ما فعلت؟ قال: لما رأيت الجموع أمامي أعجبتني نفسي، فأردت أن أكسرها. ]]

وفي فتح مكة أتت بنت قبيلة إلى الرسول ﷺ، فرأت الرسول عليه الصلاة والسلام فأرعدت فرانسها، وخافت من هيئته، فقال: « **هَوْنِي عَلَيْكَ** » وعند أحمد: أنه رجل، قال له: « **هَوْنٌ عَلَيْكَ، فإني ابن امرأة كانت تأكل القديد بـ مكة** » عليه الصلاة والسلام.

نعم، كانت تأكل القديد بـ مكة؛ لكن أصلح الله على يديك البشرية، ورفع على يديك معالم الإنسانية، وزعزع بفضل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ثَم بَارِسَالِكِ مَعَالِمِ الْوُثْنِيَةِ.

ذكروا عن الإمام أحمد: أنه خرج إلى السوق، فأراد الناس أن يحملوا الحطب عنه، وكان على ظهره، فقال: نحن قوم مساكين، لولا ستر الله لافتضحنا.

## 30- قبول الهدية ولو كانت يسيرة:

فإن الرسول عليه الصلاة والسلام وهو قائد الجيش ومعلم البشرية أرسلت له فخذ أرنب طُبِحَتْ، فقبلها ﷺ ودعا لـ أبي طلحة. فالمسلم يقبل الهدية، ويقبل ما عرض له سواء كان كثيراً أو قليلاً؛ لأنه لا قيمة للمسلم عند نفسه؛ لأن الذي يرفع ويكرم ويسدد ويوفق هو الحي القيوم، أما الناس فليس لأحد عندهم قدر إلا ما قدره لأسباب دنيوية.

قال ابن تيمية في المجلد الأول وهو يتحدث عن العقيدة: إن الناس إذا أكرموا الإنسان فإنما يكرمونه لأسباب أكثرها دنيوية.

حتى أنه قيل: من استغثت عنه فأنت نظيره، ومن احتجت إليه فأنت أسيره، ومن احتاج إليك فأنت أميره فأنت بين أمير أو أسير أو نظير.

### 31- الأمان للمشرك:

فإن الرسول عليه الصلاة والسلام ما باهتَ المشركين وما عاجلهم حتى أسمعهم داعي الله وكلامه، كما فعل بـ أبي سفيان يوم أتاه في الخيمة.

### 32- صلاة الضحى:

وهي من أعظم النوافل التي يتقرب بها المتقربون إلى الله، وهي صلاة الأوابين، صلاها ﷺ ثماني ركعات يوم الفتح، وقيل: صلاها ستاً، في بعض الأوقات، وقيل: صلاها أربعاً، وأكثر ما أوصى ﷺ أن تصلى ركعتين اثنتين، فإنه أوصى أبا هريرة كما في (الصحيح) قال: «**أوصاني خليلي ﷺ بثلاث، لا أدعهن حتى أموت: بركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام، وبصيام ثلاثة أيام من كل شهر**» وعند أحمد في (المسند) في رواية أخرى: «**وبغسل يوم الجمعة**».

فعلى المسلم أن يفرغ من وقته دقائق في النهار، ليصلي ركعتي الضحى؛ فإنها تعادل أجر ثلاثمائة وستين صدقة، فالتسبيحة بصدقة، والتحميدة، والتكبيرة، والتهليلة، وإصلاح بين الناس، وأمر بمعروف ونهي عن منكر صدقة، على كل مفصل وكل سلامي، وفي الإنسان ثلاثمائة وستون مفصلاً، فيغني عن ذلك كله ركعتان من الضحى. ووقت صلاة الضحى: بعد طلوع الشمس، من ارتفاعها إلى قريب الظهر، سبجاً طويلاً، فمن أراد أن يتقرب فليتقرب.

وقل لـ بلال العزم من قلب صادق أرحنا بها إن كنت حقاً مُصلياً  
توضاً بماء التوبة اليوم مخلصاً به ترق أبواب الجنان  
الثماني

### 33- الصلاة داخل الكعبة:

وذلك خلافاً لما ذهب إليه بعض أهل العلم، حيث قالوا: لا يُصلى داخل الكعبة، والصحيح أن الرسول عليه الصلاة والسلام صلى داخل الكعبة، وأنه لا بأس به.

وأما الأمر الممنوع: فهو الصلاة على ظهر الكعبة، فوق السطح؛

لحديث الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: { سبع مواطن نهى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فيها: ظهر الكعبة، ومعاطن الإبل، والمقبرة، والمجزرة، وقارعة الطريق } إلى آخر تلك السبعة؛ لكن هذا الحديث في سنده زيد بن جبيرة الأنصاري، وهو ضعيف عند أهل العلم.

### 34- قبول إجارة المرأة:

فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قبل إجارة أم هانئ لـ ابن هبيرة لَمَّا أجات ابن هبيرة من علي بن أبي طالب .

### 35- الكلام في الغتسل للحاجة:

فيجوز لك للحاجة وأنت تغتسل أن تتكلم، إلا إذا كان في مكان تُقضى فيه الحاجة فكره أهل العلم ذلك، لكن المكان الذي يُغتسل فيه، فلك أن تتكلم ولا بأس؛ لأنه لم يرد مانع من ذلك. فالرسول عليه الصلاة والسلام و فاطمة تستره، قال: { من هذه؟ قالت: أم هانئ، قال: مرحباً بـ أم هانئ } فتكلم معها عليه الصلاة والسلام وهو في الغتسل.

### 36- عودة حرمة مكة:

فإنه لما خطب صلى الله عليه وسلم الجموع يوم مكة، خاف أن يُتَوَهَّم أنه يجوز استحلال مكة دائماً، والدخول بالجيوش والمقاتلة، فقال: « يا أيها الناس! إنما أُحِلَّت لي مكة ساعة من نهار، ثم عادت حُرْمَتُها كما كانت يوم خلق الله السموات والأرض، لا يُعْضَدُ شوْكُها، ولا يُخْتَلَى خِلاها، ولا ينفر صيدها، فمن فعل ذلك - في بعض الروايات - فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ».

ولذلك في صحيح البخاري: عن أبي شريح قال: لما حَزَّب عمرو بن سعيد الأشدق - وهو أموي، وهو أول مَنْ رَعَفَ على منبر الرسول عليه الصلاة والسلام حيث يقول صلى الله عليه وسلم في أثر فيه ضعف: « كَأني بِنبي أمية يَتَنَازِرُونَ عن منبري كما تَتَنَازِرُ القردة، يَرَعْفُونَ » أي: يَرَعْفُونَ بالدم، فأتى عمرو بن سعيد، وكان جباراً بائساً ظلوماً غشوماً، دخل المدينة وخطب على المنبر، ثم سَعَلَ، ثم رَعَفَ، نزل الدم من أنفه، فعرف الصحابة أن هذا منهم.

فأتى عمرو بن سعيد هذا فحَزَّب الجيوش، يريد بها مهاجمة ابن الزبير في مكة، فأتى أحد الصحابة وهو أبو شريح، فقال: يا أيها

الأمير! اسمع مني كلاماً، قال: ما هو؟ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ غداة الفتح، سمعته أذناي، ورأته عيناي، ووعاه قلبي، يقول: « **إن مكة أُحِلَّت لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها كما كانت يوم خلق الله السماوات والأرض، لا يُخْتَلَى خلاها، ولا يُعْضَدُ شوْكُها، ولا يُنْفَرُ صيدها، فَبَسَرَ الأميرُ في وجهه، وَكَأَح، وقال: نعم أعلم بهذا منك، يا أبا شريح! والله ليس بأعلم ولا أدري، لكن هكذا ثم قال: الحرم لا يُعِيدُ فَاراً بِخَرْبَةٍ** » هذه رواية، بمعنى أنه لا يعيد هذا. فليُعلم هذا.

### 37- لا يرث المسلم الكافر:

وهذا هو الصحيح؛ إلا ما خالف معاذ رضي الله عنه وأرضاه جمهور أهل العلم في المسألة، وقال: المسلم يرث من الكافر؛ لكن الكافر لا يرث من المسلم، واستدل معاذ أبو عبد الرحمن، وهو سيد العلماء بقوله ﷺ: « **الإسلام يعلو ولا يُعلَى عليه** » فيقول: المسلم يرث من الكافر، والكافر لا يرث من المسلم.

لكن جماهير أهل العلم، وهذا هو الصحيح، يقولون: لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم.

فالرسول عليه الصلاة والسلام ترك أملاكه وتركته لما دخل؛ لأن الكفار أخذوها، ولأن الذي ورث طالب بن أبي طالب، وميراث الرسول ﷺ كان عند عمه أبي طالب، فأخذها طالب، فأصبحت ميراث مشرك.

### 38- تغيير الشيب بغير السواد:

وقد مرت قصة، لكنني صدفت عنها، وهي: أن أبا قحافة والد أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه أبو بكر اسمه: عبد الله بن عثمان بن أبي قحافة، فابو قحافة هو أبوه- كان يوم الفتح موجوداً، أتدرون أين كان؟ كان يرعى الغنم في جبل من جبال مكة، ولم يسلم حتى ذلك اليوم، وقيل: أسلم، فقال لابنته، أخت أبي بكر: ماذا ترين؟ قالت: يا أبتاه! إنني أرى سواداً ينقاد، قال: المَجِي، هل هو ثابت أو لا؟ قالت: لا. ثابتٌ بالأرض، قال: هذا الخيل.

أترين شيئاً؟ قالت: أرى رجلاً يصعد وينزل أمام الخيل، قال: هذا الخيال يَرُدُّ الخيلَ ويصنّفها أي: خيل الرسول عليه الصلاة والسلام، فلما قدم الرسول عليه الصلاة والسلام من تواضعه ﷺ ومن معرفته لمكان



أبي بكر ولمقامه في الإسلام، قام ﷺ وذهب ليزور أبا قحافة هذا، فقال أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه: نحن نأتي به يا رسول الله، أي: لمكانة الرسول عليه الصلاة والسلام فأتوا به وهو شيخ كبير، ولحيته كالثغامة البيضاء، أي: أنها بيضاء كلها ليست مُعَيَّرَة، لا بأسود ولا بأحمر ولا أصفر، فقال ﷺ: « **غَيَّرُوا هَذَا وَجَنَّبُوا السَّوَادَ** » وجنبوه السواد: ليست ضعيفة، بل هي صحيحة، وليست مُدْرَجَة بل هي متصلة في المتن.

فالصحيح أن السواد لا يصبغ به، وأنه منهي عنه؛ ولكن يغير الشيب إما بأحمر أو بحناء، أو بكتم، أو بشيء من الأصفر.

وعند أبي داود في سننه حديث فيه كلام: يقول ﷺ: « **لِيَكُونَ أَقْوَامٌ مِنْ أُمَّتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ لِحَاهِمُ كَحَوَاصِلِ الْحَمَامِ، لَا يَرِيحُونَ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** » أو كما قال ﷺ ، قيل: هؤلاء الذين يغيرون بالسواد؛ لأن فيه خديعة.

واستثنى بعض العلماء - كما يقول ابن حجر - استثنوا ذا السلطان؛ فإن ذا السلطان يغير بالسواد؛ لكن هذا الاستثناء ينبغي أن يتوقف إلى الدليل، وقالوا: إن الحسن و الحسين غيرا بالسواد.

لكن الأولى للمسلم أن يجتنب هذه الأمور التي فيها مخالفة؛ لأنها ظهرت النصوص فيها.

### 39- أداء الأمانة إلى أهلها:

فإن الرسول عليه الصلاة والسلام أخذ مفاتيح الكعبة، فأتى علي بن أبي طالب فقال: { سلم لنا المفاتيح يا رسول الله! فقال: لا، اليوم وفاء وبر، ثم دعا عثمان بن طلحة ، وقال: « **خُذْهَا تَالِدَةً وَوَالِدَةً فِي يَدَيْكَ، لَا يَنْزِعُهَا مِنْكُمْ إِلَّا ظَالِمٌ** » أي: مفاتيح الكعبة، فأخذها، وهي ما زالت في أيديهم إلى اليوم.

### 40- لبس السواد للحاجة:

فإن بعض أهل العلم كره السواد؛ لكن لا بأس به، فالرسول عليه الصلاة والسلام لبس ثوباً مَرَحَلًا من شعر أسود، ولبس عمامة يوم الفتح سواداً.

ولذلك لما أتى أبو مسلم الخراساني ، الطاغية الظالم، الذي قاد حملة دولة بني العباس ودخل إلى بغداد ، وهو الذي أسقط دولة بني أمية، وقتل مليوناً من المسلمين، أي: ألف ألف - كما يقول الذهبي - وهو مسلم في الظاهر، وأظنه مسلماً، لما أتى ووقف على المنبر يوم الجمعة

وعليه عمامة سوداء، وقف أحد المسلمين وقال: ما لي أراك تلبس السواد؟ قال أبو مسلم الخراساني: حدثني فلان عن فلان عن أبي الزبير عن جابر { أن الرسول عليه الصلاة والسلام دخل يوم الفتح وعليه عمامة سوداء } يا غلام! تناوله فاضرب عنقه، فضرب عنقه وسط الصف.

هذا أبو مسلم .

فالرسول ﷺ لبس السواد صراحةً؛ ولكن أحسن اللباس هو البياض: « **البسوا البياض وكفنوا فيه موتاكم** ».

#### 41- لبس أدوات السلاح داخل الحرم:

فلا كراهة في ذلك، وإنما كره أهل العلم ذلك لغير الحاجة، أما للحاجة فيجوز لبس السلاح داخل الحرم؛ وهي مسألة عالجه البخاري في ( صحيحه ) وتطرق إليها.

#### تأملات في قصة حاطب بن أبي بلتعة:

ومن القصص التي ينبغي لقادة الصحوة أن يتأملوها قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه حينما بعث كتاباً لقريش يخبرهم فيه بعزم النبي - ﷺ - مع هذا الموقف والقصة موجودة في ( صحيح البخاري ).

#### 42- الموازنة بين المصالح والمفاسد : (لتخرجن الكتاب أو

لنجدك).

هذا الموقف يدل على أنه ينبغي مراعاة الموازنة بين المصالح والمفاسد المترتبة على أمر ما ؛ فهنا نجد أن مفسدة تجريد المرأة أخف من أن ينتشر خبر عزم النبي - ﷺ - على فتح مكة .

ومثل هذا المفهوم جدير أن يربى عليه أبناء الحركة الإسلامية حتى لا يقف

الجمود حجر عثرة أمام كثير من الأعمال بحجة حرفية النص وعدم القدرة على استيعاب مفهوم الموازنة ؛ ولا بد من إدراك أن هناك فرقاً بين الحكم وبين إنزاله على أرض الواقع ؛ وهناك الكثير من الأحداث من سيرة الرسول - ﷺ - وسلف الأمة الدالة على مراعاة هذا المفهوم .

#### 43- عدم التسرع في إصدار الأحكام :

قال عمر رضي الله عنه للرسول ﷺ : (إن حاطباً خان الله ورسوله والمؤمنين) ؛ لكن الرسول - ﷺ - لم يسمع منه رغم مكانة عمر - رضي الله عنه -

وسأل حاطباً ليتثبت منه ويعرف عنده .

#### 44- المصارحة والوضوح: (ما حملك على ما صنعت ؟ )

أخطأ حاطب رضي الله عنه بإرساله كتاباً إلى قريش ، والرسول - ﷺ - لما علم بهذا صارحه وأراد أن يعرف ما هي دوافعه لذلك . ويستفاد منه أيضاً حسن الظن بالمسلم ، والمصارحة بين القائد وأتباعه في جو من الصدق والوضوح .

#### 45- الاستماع إلى الرأي المخالف :

لم يقتنع عمر رضي الله عنه وراجع الرسول - ﷺ - - مراراً : ( إنه خان الله ورسوله والمؤمنين ) والرسول كان يكرر : « **صدق ؛ لا تقولوا له إلا خيراً** » ولم يعنف عمر ؛ لأنه خالفه مع أنه رسول مؤيد بالوحي .  
ومن المؤسف أنه في بعض التجمعات إذا أراد مصلح أن يزيل القذى لثرى الحقيقة اتهم بأنه عضو فاسد مريض يجب اقتلعه ، وأصبحنا نتوارث الأخطاء وننشئ أجيالاً تربت على الخنوع ، تفكر بعقل غيرها 1 .

#### 46- تحريم نكاح المتعة:

حرّم نكاح المتعة إلى الأبد بعد إباحته لمدة ثلاث أيام(2). ويرى الإمام النووي(3) أنه وقع تحريمه وإباحته مرتين؛ إذ كان حلالاً قبل غزوة خيبر، فحرم يومها، ثم أبيح يوم الفتح، ثم حرم للمرة الثانية إلى الأبد. ويرى ابن القيم(4) أن المتعة لم تحرم يوم خيبر، وإنما كان تحريمها فقط يوم الفتح، وله في هذا مناقشة طويلة عند كلامه عن الأحكام الفقهية المستنبطة من أحداث غزوة خيبر وغزوة الفتح، والمتفق عليه أنها حرمت إلى الأبد بعد الفتح(5).

#### 47- الولد للفراس والعاهر الحجر:

قرر الرسول ﷺ أن الولد للفراس وللعاهر الحجر كما جاء ذلك

(1) الحوار : أصوله المنهجية وآدابه السلوكية لأحمد الصويان ، ص 29 ، طبعة دار الوطن

(2) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص575.

(3) النووي على شرح مسلم (181/9)، اعتمدت على فقه الأحكام على ما استخرجه الدكتور العمري في المجتمع المدني، والدكتور مهدي رزق الله في السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية.

(4) انظر: زاد المعاد (3/343: 345، 459-464).

(5) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص575.

في حديث ابن وليدة بن زمعة، فقد تنازع فيه سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن زمعة، ففضى فيه رسول الله لعبد الله بن زمعة لأنه ولد على فراش أبيه(1).

#### 48- إنزال الناس منازلهم:

وقد تجلّى هذا في إعطاء الرسول - ﷺ - أبا سفيان كلماتٍ يقولهن، فيكون ذلك فخراً له واعتزازاً، وهي: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل داره وأغلق بابيه فهو آمن" ينادي بها بأعلى صوته.

#### 49- وجوب كسر الأصنام:

في هذه الغزوة نجد وجوب كسر الأصنام والصور، والتماثيل، وإبعادها من المساجد بيوت الله -تعالى-.

#### 50- جواز صلح أهل الحرب :

من دروس الفتح جواز صلح أهل الحرب على وضع القتال عشر سنين وهل يجوز فوق ذلك؟ الصواب أنه يجوز للحاجة والمصلحة الراجحة كما إذا كان بالمسلمين ضعف وعدوهم أقوى منهم وفي العقد لما زاد عن العشر مصلحة للإسلام .

#### 51- رسول الكفار لا يقتل :

وفيها أي الغزوة أن رسول الكفار لا يقتل فإن أبا سفيان كان ممن جرى عليه حكم انتقاص العهد ولم يقتله رسول الله ﷺ إذ كان رسول قومه إليه .

#### 52- 52- جواز قتل الجاسوس وإن كان مسلماً :

جواز قتل الجاسوس وإن كان مسلماً لأن عمر رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ قتل حاطب بن أبي بلتعة لما بعث يخبر أهل مكة بالخبر ولم يقل ﷺ لا يحل قتله إنه مسلم بل قال وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر ، فقال اعملوا ما شئتم بدر ، فقال اعملوا ما شئتم

فأجاب بأن فيه مانعا من قتله وهو شهوده بدرا ، وفي الجواب بهذا كالتنبيه على جواز قتل جاسوس ليس له مثل هذا المانع وهذا مذهب مالك ، وأحد الوجهين في مذهب أحمد ، وقال الشافعي وأبو حنيفة : لا يقتل وهو ظاهر مذهب أحمد والفريقان يحتجون بقصة حاطب والصحيح أن قتله راجع إلى رأي الإمام فإن رأى في قتله مصلحة للمسلمين قتله وإن كان استبقاؤه أصلح استبقاه . والله أعلم .

### 53- جواز تجريد المرأة للمصلحة العامة :

وفي الغزوة جواز تجريد المرأة كلها وتكثيفها للحاجة والمصلحة العامة فإن عليا والمقداد قالا للطعينة لتخرجن الكتاب أو لنكشفنك ، وإذا جاز تجريدها لحاجتها إلى ذلك حيث تدعو إليها ، فتجريدها لمصلحة الإسلام والمسلمين أولى .

### 54- الكبيرة العظيمة مما دون الشرك قد تكفر بالحسنة

#### الكبيرة الماحية :

وفي الغزوة يقول بن القيم في زاد المعاد <sup>(1)</sup> أن الكبيرة العظيمة مما دون الشرك قد تكفر بالحسنة الكبيرة الماحية كما وقع الجس من حاطب مكفرا بشهوده بدرا ، فإن ما اشتملت عليه هذه الحسنة العظيمة من المصلحة وتضمنته من محبة الله لها ورضاه بها ، وفرحه بها ، ومباهاته للملائكة بفاعلها ، أعظم مما اشتملت عليه سيئة الجس من المفسدة وتضمنته من بغض الله لها ، فغلب الأقوى على الأضعف فأزاله وأبطل مقتضاه وهذه حكمة الله في الصحة والمرض الناشئين من الحسنات والسيئات الموجبين لصحة القلب ومرضه وهي نظير حكمته تعالى في الصحة والمرض اللاحقين للبدن فإن الأقوى منهما يقهر المغلوب ويصير الحكم له حتى يذهب أثر الأضعف فهذه حكمته في خلقه وقضائه وتلك حكمته في شرعه وأمره . وهذا كما أنه ثابت في محو السيئات بالحسنات لقوله تعالى : { **إِن الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ** } [هود : 14] ، وقوله تعالى : { **إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ** } [النساء 31] ، وقوله ﷺ وأتبع السيئة الحسنة تمحها فهو ثابت في عكسه لقوله تعالى : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ**

(1) انظر : زاد المعاد (3/343: 345، 459-464).

**وَالْأَدَى** ﴿ البقرة 264 ﴾ ، وقوله ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ** ﴾ [ الحجرات 2 ] . وقول عائشة ، عن زيد بن أرقم أنه لما باع بالعينة إنه قد أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ إلا أن يتوب وكقوله ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري في " صحيحه « **من ترك صلاة العصر حبط عمله**» إلى غير ذلك من النصوص والآثار الدالة على تدافع الحسنات والسيئات وإبطال بعضها بعضا ، وذهاب أثر القوي منها بما دونه وعلى هذا مبنى الموازنة والإحباط . وبالجملة فقوة الإحسان ومرض العصيان متصاولان ومتحاربان ولهذا المرض مع هذه القوة حالة تزايد وترام إلى الهلاك وحالة انحطاط وتناقص وهي خير حالات المريض وحالة وقوف وتقابل إلى أن يقهر أحدهما الآخر وإذا دخل وقت البحران وهو ساعة المناجزة فحظ القلب أحد الخطتين إما السلامة وإما العطب وهذا البحران يكون وقت فعل الواجبات التي توجب رضى الرب تعالى ومغفرته أو توجب سخطه وعقوبته وفي الدعاء النبوي أسألك موجبات رحمتك وقال عن طلحة يومئذ أوجب طلحة ورفع إلى النبي ﷺ رجل وقالوا : يا رسول الله إنه قد أوجب فقال أعتقوا عنه وفي الحديث الصحيح أتدرون ما الموجبتان ؟ " قالوا : الله ورسوله أعلم . قال: « **من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار المنجي قطعا** » . وكما أن البدن قد تعرض له أسباب رديئة لازمة توهن قوته وتضعفها ، فلا ينتفع معها بالأسباب الصالحة والأغذية النافعة بل تحيلها تلك المواد الفاسدة إلى طبعها وقوتها ، فلا يزداد بها إلا مرضا ، وقد تقوم به مواد صالحة وأسباب موافقة توجب قوته وتمكنه من الصحة وأسبابها ، فلا تكاد تضره الأسباب الفاسدة بل تحيلها تلك المواد الفاضلة إلى طبعها ، فهكذا مواد صحة القلب وفساده .

### 55- قوة إيمان حاطب في شهود بدر محت ما صنع :

فتأمل قوة إيمان حاطب التي حملته على شهود بدر ، وبذله نفسه مع رسول الله ﷺ وإيثاره الله ورسوله على قومه وعشيرته وقرابته وهم بين ظهرائي العدو وفي بلدهم ولم يثن ذلك عنان عزمه ولا فل من حد إيمانه ومواجهته للقتال لمن أهله وعشيرته وأقاربه عندهم فلما جاء مرض الجس برزت إليه هذه القوة وكان البحران

صالحا فاندفع المرض وقام المريض كأن لم يكن به قلبة ولما رأى الطبيب قوة إيمانه قد استعلت على مرض جسده وقهرته قال لمن أراد فصدّه لا يحتاج هذا العارض إلى فصاد وما يدريك لعل الله اطّلع على أهل بدر ، فقال اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم وعكس هذا ذو الخويرة التميمي وأضرابه من الخوارج الذين بلغ اجتهادهم في الصلاة والصيام والقراءة إلى حد يحقر أحد الصحابة عمله معه كيف قال فيهم " لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد وقال اقتلوهم فإن في قتلهم أجرا عند الله لمن قتلهم . وقال شر قتلى تحت أديم السماء فلم ينتفعوا بتلك الأعمال العظيمة مع تلك المواد الفاسدة المهلكة واستحالت فاسدة . حال إبليس لما كانت المادة المهلكة كامنة في نفسه لم ينتفع معها بما سلف من طاعاته ورجع إلى شاكلته وما هو أولى به وكذلك الذي أتاه الله آياته فانسخ منها ، فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين وأضرابه وأشكاله فالمعول على السرائر والمقاصد والنيات والهمم فهي الإكسير الذي يقلب نحاس الأعمال ذهباً ، أو يردّها خبثاً ، وبالله التوفيق . ومن له لب وعقل يعلم قدر هذه المسألة وشدة حاجته إليها ، وانتفاعه بها ، ويطلع منها على باب عظيم من أبواب معرفة الله سبحانه وحكمته في خلقه وأمره وثوابه وعقابه وأحكام الموازنة وإيصال اللذة والألم إلى الروح والبدن في المعاش والمعاد وتفاوت المراتب في ذلك بأسباب مقتضية بالغة ممن هو قائم على كل نفس بما كسبت .

## 56- دروس من خطبته العظيمة ﷺ ثاني يوم الفتح :

### 1- تحريم سفك الدم في مكة:

في قوله ﷺ: « **فلا يحل لأحد أن يسفك بها دماً** » هذا التحريم لسفك الدم المختص بها ، وهو الذي يباح في غيرها ، ويحرم فيها لكونها حرماً ، كما أن تحريم عضد الشجر بها ، واختلاء خلائها ، والتقاط لقطتها ، هو أمر مختص بها ، وهو مباح في غيرها ، إذ الجميع في كلام واحد ونظام واحد وإلا بطلت فائدة التخصيص وهذا أنواع.

### 2- لا يقلع حشيش مكة ما دام رطباً:

وقوله ﷺ: « **ولا يختلى خلاها** » لا خلاف أن المراد من ذلك ما ينبت بنفسه دون ما أنبته الأدميون ولا يدخل اليابس في الحديث بل هو للرطب خاصة فإن الخلا بالقصر الحشيش الرطب ما دام رطباً ، فإذا يبس فهو حشيش وأخلت الأرض كثر خلاها ، واختلاء الخلى : قطعه

ومنه الحديث كان ابن عمر يختلي لفرسه أي يقطع لها الخلى ، ومنه سميت المخلاة وهي وعاء الخلى ، والإنخر مستثنى بالنص وفي تخصيصه بالاستثناء دليل على إرادة .

### 3- لا ينفّر صيدها :

وقوله ﷺ : «ولا ينفّر صيدها» صريح في تحريم التسبب إلى قتل الصيد واصطياده بكل سبب حتى إنه لا ينفّره عن مكانه لأنه حيوان محترم في هذا المكان قد سبق إلى مكان فهو أحقّ به ففي هذا أن الحيوان المحترم إذا سبق إلى مكان لم يزعج عنه .

### 4- لا تملك لقطة الحرم :

وقوله ﷺ ولا يلتقط ساقطتها إلا من عرفها وفي لفظ ولا تحل ساقطتها إلا لمنشد فيه دليل على أن لقطة الحرم لا تملك بحال وأنها لا تلتقط إلا للتعريف لا للتمليك وإلا لم يكن لتخصيص مكة بذلك فائدة أصلا ، وهذا من خصائص مكة ، والفرق بينها وبين سائر الآفاق في ذلك أن الناس يتفرقون عنها إلى الأقطار المختلفة فلا يتمكن صاحب الضالة من طلبها والسؤال عنها ، بخلاف غيرها من البلاد .

### 5- لا يتعين في قتل العمد القصاص :

قال ﷺ في الخطبة ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين ، إما أن يقتل وإما أن يأخذ الدية فيه دليل على أن الواجب بقتل العمد لا يتعين في القصاص بل هو أحد شيئين إما القصاص وإما الدية .

### 57- جواز إجارة المرأة وأمانها للرجلين :

وفي قصة الفتح من الفقه جواز إجارة المرأة وأمانها للرجل والرجلين كما أجاز النبي ﷺ أمان أم هانئ لحمويها .

### 58- جواز قتل المرتد الذي تغلظت رده من غير استتابة :

وفي هذه الغزوة من الفقه جواز قتل المرتد الذي تغلظت رده من غير استتابة فإن عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان قد أسلم وهاجر ، وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ ثم ارتد ولحق بمكة ، فلما كان يوم الفتح أتى به عثمان بن عفان رسول الله ﷺ ليبياعه فأمسك عنه طويلا ، ثم بايعه وقال إنما أمسكت عنه ليقوم إليه بعضكم ، فيضرب عنقه فقال له رجل هلا أومأت إلي يا رسول الله ؟ فقال ما ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين فهذا كان قد تغلظ كفره بردته بعد إيمانه وهجرته وكتابة الوحي ثم ارتد ولحق بالمشركين يطعن على الإسلام



ويعيبه وكان رسول الله ﷺ يريد قتله فلما جاء به عثمان بن عفان وكان أخاه من الرضاعة لم يأمر النبي ﷺ بقتله حياءً من عثمان ولم يبايعه ليقوم إليه بعض أصحابه فيقتله فهابوا رسول الله ﷺ أن يقدموا على قتله بغير إذنه واستحى رسول الله ﷺ من عثمان وساعد القدر السابق لما يريد الله سبحانه بعبد الله مما ظهر منه بعد ذلك من الفتوح فبايعه وكان ممن استثنى الله بقوله ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ \* أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ \* خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ \* إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران 86 - 89] ، وقوله ﷺ «ما ينبغي لنبي أن تكون له خاتنة الأعين» أي أن النبي ﷺ لا يخالف ظاهره باطنه ولا سره علانيته وإذا نفذ حكم الله وأمره لم يومر به بل صرح به وأعلنه وأظهره .

### 59- مثل لعنة الإسلام والمسلمين (أذان بلال في الكعبة) :

قال ابن هشام وحدثني 1: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال فأمره أن يؤذن وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة ، فقال عتاب بن أسيد لقد أكرم الله أسيدا ألا يكون سمع هذا ، فيسمع منه ما يغيظه . فقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه لحق لا تبعته ، فقال أبو سفيان لا أقول شيئا ، لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصى ، فخرج عليهم النبي ﷺ فقال قد علمت الذي قلت ، ثم ذكر ذلك لهم ؟ فقال الحارث وعتاب نشهد أنك رسول الله والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا ، فنقول أخبرك .

في هذا الخبر دليل على اهتمام النبي بإظهار عزة الإسلام وإغاظة المشركين وإكرام المسلمين ، وهي أيضاً رسالة إلى سادات القریش الذين لا زالوا يعتزون بسيادتهم وعصبيتهم الجاهلية .

وفي الأخير أسأل الله جل وعلا بمنه وكرمه أن ينفع بهذا العمل و يجعله لوجهه خالصاً .

اللهم إنا نسألك الشهادة في سبيلك بعد طول عمرٍ وحُسن عمل يا

## غزوة حنين دروس وعبر

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستهديه ونستغفِرُه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فلا مضلَّ له، وَمَنْ يَضِللْ فلا هادي له، وأشهد ألاَّ إله إلاَّ اللهُ وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليته، بلِّغ الرِّسالة، وأدِّ الأمانة، ونصح الأُمَّة، وجاهد في سبيل ربه حقَّ الجهاد، ولم يترك شيئاً مما أمر به إلاَّ بلِّغه، فتح اللهُ به أعيناً عمياً، وأذانا صُماً، وقلوباً غُفأً، وهدى الناس من الضلالة، ونجَّاهم من الجهالة، وبصَّرتهم من العمى، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، وهداهم بإذن ربه إلى صراط مستقيم. اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ونبيِّك محمد، وعلى آله وصحبه، ومَنْ اقتفى أثره واهتدى بهداه.

وبعد.

ما أجمل أن نداوي الجراح المكلومة الغائرة بالسيرة العطرة المعطرة لرسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه، فسيرته بلسم للجراح وملاذ للخائف وحصن للراجي، والعود عندما تدلهم المصائب والأزمات.

و هذه الأمة أمة منصوره من ربها، موعودة بالتمكين والاستخلاف

في الأرض بوعد الحق الذي لا يخلف، في آيات كثيرة من القرآن، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: 47]. وقال: ﴿

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ \* إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ \* وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: 171 - 173]. وقال: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: 51]. وقال: ﴿

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: 55].

ومهما تكالب أعداؤها، وأحكموا كيدهم، وأجمعوا أمرهم؛ لإطفاء نور الحق والهدى فلن يحظوا بذلك، وهيئات وقد قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ \* هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: 32 - 33].

وقد بشرنا نبينا -ﷺ- أن هذا الدين سينتشر في أنحاء الأرض قاطبة حتى يدخل كل بيت في المعمورة كما في حديث تميم الداري -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «لَيُبْلَغَنَّ هَذَا الْأَمْرَ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَبْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبْرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بَعَزَ عَزِيْزًا أَوْ بَدَلَ ذَلِيْلًا، عَزَا يَعْزُ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذَلَا يَذُلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ» .

إن هذه النصوص المبشرة جزء من عقيدتنا التي يجب أن نؤمن بها إيماناً تاماً لا تخالطه الشكوك ولا تساوره الظنون مهما طال ليل المحنة؛ فإن وعد الله أت عما قريب ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: 214].

بل إن هذا اليقين الكامل بنصر الله هو أحد عوامل النصر المهمة، ولذا ترى النبي -ﷺ- حينما تشتد الكروب وتلم الخطوب يُذَكِّرُ بهذه الحقيقة؛ فذلك يبعث الأمل ويحيي الهمم، ويجدد العزم على العمل، كما فعل في غزوة الأحزاب وقد رمتهم العرب عن قوس واحدة؛ فقد بشر أصحابه بفتح بلاد فارس والروم، كما بشر في حادثة الهجرة وهو مطارد خائف بفتح بلاد فارس، وكما طمأن صاحبه الصديق -رضي الله عنه- وهما في الغار بقوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: 40].

إن المؤمنين حينما تحيط بهم الملمات لا تزيدهم إلا ثباتاً ويقيناً وتسليماً: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 22].

أما المنافقون والذين في قلوبهم مرض فما أسرع ما يتزلزلون ويشكون بصدق وعد الله عند أدنى محنة أو نازلة: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: 12].

غير أن النصر الذي وعدت به هذه الأمة لا يناله إلا من أدى ثمنه وقام بأعبائه؛ فإذا وجدت أسبابه وانتفت موانعه تحقق النصر بإذن الله، وإن تخلف منها شيء فربما تخلف النصر، والله عاقبة الأمور. فالتأمل في غزواته ﷺ يجد أنها مصباحاً يضيء للأمة لتعرف عوامل النصر وعوامل الهزيمة، وتتعلم الدروس والعبر التي تملأ أفراد الأمة ثقة بنصر الله وحباً لنبينا ﷺ. وها نحن ضمن الموسوعة المباركة: (غزوات النبي المصطفى دروس وعبر)

(نستشف هذه الدروس والعبر ونتأمل مواقفه ﷺ ومواقف صحابته الكرام، نقف مع ((غزوة حنين)) أسأل الله أن ينفع بها كل موحد، إنه ولي ذلك والقادر عليه.



## غزوة حنين

### ☆ غزوة حنين :

هي الغزوة التي تبين فيها أن القوة من عند الله تبارك وتعالى، وأنه هو الذي يهدي وينصر، ويسدد فلا قوة تأتي من غيره جل جلاله .

### ☆ غزوة حنين :

فيها الدرس العظيم، في الرضا عن الله، والاستبشار بنصر الله، وإعلاء جنده وحزبه، فيها الفأل الحسن مقرونًا بفعل السبب وبذل الوسع.

### ☆ غزوة حنين :

فيها الدرس العظيم في صدق التوكل على الله، والإيمان بموعوده وفتحه.

### ☆ غزوة حنين :

إذا كانت غزوة بدر الكبرى هي أولى معارك الإسلام مع مشركي العرب، وبها كُسرَت حديدتهم وقلت هيبتهم، فقد كانت غزوة حنين وما تلاها من غزو أهل الطائف هي آخر تلك المعارك، وبها استُقرِغت قوى أولئك المشركين، واستُنْفِدت سهامهم، وأذل جمعهم حتى لم يجدوا بداً من الدخول في دين الله، كما يقول الإمام ابن القيم - رحمته (1).

### ☆ غزوة حنين :

كانت غزوة حنين في العاشر من شوال من العام الثامن للهجرة منصرف النبي - ﷺ - من مكة بعد أن منَّ الله عليه بفتحها، وقد انصرف رسول الله من مكة لست خلت من شوال، وكان وصوله إلى حنين في العاشر منه (2).

### ☆ غزوة حنين :

(1) زاد المعاد: (479/3)

(2) فتح الباري: (27/8)

دارت هذه الغزوة في موضع يقال له حنين، وهو واد إلى جنب ذي المجاز بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً من جهة عرفات (1).

### ✽ غزوة حنين :

كان سبب هذه الغزوة أن مالكا بن عوف النضري جمع القبائل من هوازن ووافقته على ذلك الثقفيون، واجتمعت إليه مضر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بني هلال، وقصدوا محاربة المسلمين، فبلغ ذلك النبي - ﷺ - فخرج إليهم (2).

### ✽ غزوة حنين :

إذا كانت وقعة بدر قررت للمسلمين أن القلة لا تضرهم شيئاً في جنب كثرة أعدائهم إذا كانوا صابرين متقين، فإن غزوة حنين قد قررت للمسلمين أن الكثرة أيضاً لا تفيدهم إذا لم يكونوا صابرين ومتقين (3).



## دروس وعبر من غزوة حنين

### 1- القوة لله جميعاً:

لا عبرة بالكثرة فالنصر من عند الله عز وجل، أكبر جيش جمعه الرسول ﷺ جيش حنين كانوا اثني عشر ألفاً، فلما رآهم أبو بكر الكتبية تتدفق بعد الكتبية، قال: " لا نهزم اليوم من قلة " والمسلمون بشر أتاهم ضعف واكلوا على قوتهم المادية، فأراد الله أن يلقنهم درس عقيدة لا ينسونه، وهو أن القوة من عند الله، وأن النصر من عند الواحد الأحد، فيقول الله عز وجل:

(1) المصدر السابق: (27/8)

(2) فتح الباري (27/8)، وزاد المعاد (465/3).

(3) فقه السيرة للبوطي (ص: 424)

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾ [التوبة: 25] يقول: اذكروا كم

نصركم الله في مواطن كثيرة.

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم في الموطن الخشن

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ [التوبة: 25]

فهنا درس لكل إنسان ألا يغتر بقوته وألا يعتمد على حوله وذكائه وفتنته.

قال ابن القيم في كلام معناه: فوض الأمر إلى الله عز وجل، وأعلن عجزك، فإن أقرب العباد من الله الذين يعلنون الانكسار بين يديه.

فأقرب العباد إلى الله أشدهم انكساراً إليه، وأقربهم إلى النصر أشدهم تواضعاً لله، وكلما ذل العبد وتواضع لله رفعه الله، وكلما تكبر، قال الله: (أخسأ فلن تعدو قدرك، وعزتي وجلالي لا أرفعك أبداً).

فكان هذا الدرس في العقيدة: أن القوة من عنده تبارك وتعالى، وأنه هو الذي يهدي وينصر، ويسدد فلا قوة تأتي من غيره مهما أجليوا بخيل ورجل وقوى واتصلوا بأمور فإنها كبيت العنكبوت: ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ

الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: 41].

## 2- إرسال العيون لطلب أخبار العدو:

فإن الرسول عليه الصلاة والسلام أرسل ابن أبي حردد وقال: «**اجلس بينهم وخذ أخبارهم وانتي بأعلامهم**» - هذا قبل المعركة- فجلس بينهم في الليل، فسمع مالك بن عوف النصري يقول: إذا أتينا غداً فصبحوهم واضربوهم ضربة رجل واحد، فأخبر الرسول عليه الصلاة والسلام بذلك، فأرسل العين لصالح المسلمين لا بالإضرار بالمسلمين، لكن لتقصي الحقائق ولنصرة الإسلام، ولتأييد كتاب الله ولرفعة لا إله إلا الله لا بأس به.

أخذ السلاح من المشرك :

فالرسول عليه الصلاة والسلام لما أراد حنيناً قال لـ صفوان بن أمية وقد كان طلب مهلة أربعة أشهر حتى يفكر في دخول الإسلام- قال: «

**يا أبا وهب : أتعيرنا مائة درع وسلاحها؟ قال: غصباً يا محمد، قال:**

**بل عارية مضمونة**» فأخذها ﷺ عارية مضمونة، فلا بأس باستعارة

السلاح من المشرك، فلو قاتل المسلمين كافر فلا بأس أن يأخذوا من كافر آخر سلاحاً آخر يقاتلون به هذا الكافر، فإن الرسول عليه الصلاة

والسلام فعله سواءً بشراء, أو عارية, أو على مصالح مشتركة يتبادلها الفريقان فلا بأس بذلك.

هذا وقد وجدت للشيخ ناصر الدين الألباني - رحمه الله - كلاماً يفيد أنه لا يرى شراء السلاح من دول الكفر الآن؛ فإنه يقول في معرض دعوته للاهتمام بالتصفية والتربية وإنكاره على دعاة الجهاد في هذه الأيام: "لو أن هناك جهاداً قام بين المسلمين وبين الكفار، فهؤلاء المسلمون سوف لا يستطيعون أن يتابعوا إمداد جيوشهم بالأسلحة اللازمة لهم إلا بالشراء من أعدائهم، وهل يكون نصر وجهاد بشراء الأسلحة من أعداء المسلمين؟(1).

، وكأنه - رحمه الله - يقول بأنه لا يجوز شراء السلاح من الكفار إلا بشروط لا تتوافر في عصرنا فقد سئل بعد ذلك عن الفرق بين شراء السلاح من الكفار الآن وبين استعارة النبي - ﷺ - السلاح من صفوان فقال: "الفرق كبير.. أولاً هو فرد، وثانياً هو مطمئن إليه، ثم رسول الله - ﷺ - حينما طلب كان هو أقوى منه، اليوم الأمر معكوس تماماً؛ فالمسلمون حكماً، فضلاً عن هم دونهم هم أضعف من أعدائهم الذين يستوردون الأسلحة منهم، فشتان ما بين هذا وذاك"(2).

غير أن من الشروط المهمة في هذا المجال أن لا يؤدي شراء السلاح من الكفار إلى تنازل المسلمين عن شيء من عقيدتهم ودينهم، فأمر العقيدة أعلى من كل اعتبار، وبكل حال فهذا الأمر هو من أمور السياسة الشرعية التي تخضع لقياس المصالح والمفاسد، ومعرفة الأنسب في كل حين، ونحن اليوم نرى أن أمم الكفر ليست بدرجة واحدة في عدائها للمسلمين فمنهم من يعلن الحرب على المسلمين ومنهم من ليس كذلك، فلا بأس بالشراء من غير المحاربين لقتال المحاربين، ويمكن للمسلمين أن يستغلوا بعض التناقضات بين دول الكفر في شراء السلاح من بعضها لمحاربة البعض الآخر، بل على المسلمين أن يستغلوا ما قد يحدث في بعض بلاد الكفر من الأزمات المالية لمحاولة شراء السلاح بل وتقنيات تصنيعه منهم، كما هو حادث في روسيا الآن، وقد كان المجاهدون في الشيشان - وربما لا يزالون -

(1) "23 - 23 فتاوى الشيخ الألباني ومقارنتها بفتاوى العلماء لعكاشة عبد المنان (ص: 300) .



يشترتون السلاح من الجنود الروس بأسعار زهيدة ثم يقاتلونهم به . وهذا كله لا يعني رضانا بحال المسلمين وتخلفهم وعدم قدرتهم على صنع ما يحتاجونه من السلاح، بل الواجب عليهم السعي الحثيث في امتلاك أدوات التصنيع والعمل على الاكتفاء الذاتي، وإلى أن يتحقق ذلك فليس هناك مانع من شرائهم السلاح من الكافرين والله - تعالى - أعلم .

### 3- ضمان العارية إذا تلفت:

فإن صفوان عندما طلب منه النبي ﷺ سلاحاً قال : غصباً يا محمد؟ قال: « **بل عارية مضمونة** » أي إذا تلفت هذه الدروع والسلاح ضمنها لك، فلما تلفت بعض السيوف وتكسرت في أيدي الأنصار، فالصحابا تثلت سيوفهم وثلما سيوف صفوان بن أمية، فأتى يقلب السيوف وهي مثلثة فيقول: للرسول ﷺ: أهذا سلاحي؟ فيقول ﷺ: ضمنها لك، قال: لا لقد أسلمت والإسلام خير لي لا أخذ منها شيئاً، فرزقه الله الإسلام، وهو خير من الدروع والسيوف، وقبل المعركة كان صفوان وراء الزبير بن العوام .

### 4- مشابهة هذه الأمة الأمم السابقة:

هذا الحديث علق عليه ابن تيمية في الرسائل والمسائل يقول: لما نزل رسول الله ﷺ في حنين نزل الناس في الظهيرة ومعهم سيوفهم وسلاحهم - وهذا الحديث عند أبي داود من حديث أبي واقد الليثي - قالوا: يا رسول الله! إن للمشركين ذات أنواط -أي: ذات معاليق يعلقون فيها سلاحهم- فاجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط؛ فقال عليه الصلاة والسلام: « **الله أكبر! إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة** » .

فيقول ابن تيمية : "سوف يقع في هذه الأمة ما وقع في اليهود والنصارى؛ فإن علماءنا إذا فسدوا كان فيهم شبه من اليهود -نعوذ بالله من ذلك- فإن اليهود تعلموا العلم ولم يعملوا به؛ فختم الله على قلوبهم ولعنهم وغضب عليهم، قال جل ذكره: ﴿ **فِيمَا نَقُضُوا مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً** ﴾ [المائدة:13]، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من

النصارى؛ فإنهم يعبدون الله بلا علم، لا يتفقهون في الدين؛ فلهم صلاة وصيام وذكر لكن على ضلالة: ﴿ **وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا**

عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴿[الحديد:27] .

يقول ابن تيمية : وسوف يقع في هذه الأمة ما وقع بين اليهود والنصارى لهذا الحديث؛ ولقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ [البقرة:113] قال ابن تيمية : "سوف تأتي طوائف وأحزاب في هذه الأمة تقول: ليست الطائفة الأخرى على شيء ونحن على الحق، وتقول الأخرى: لستم على شيء ونحن على الحق فهي السنن".

### 5- التكبير عند التعجب والاستغراب:

فالرسول ﷺ لما قالوا: اجعل لنا ذات أنواط قال: الله أكبر! وهذه من أحسن الكلمات التي تقال في النوادي والمحافل، فنحن لا نعرف التصفيق وليس في ديننا تصفيق، ولا يصفق إلا اللاهون اللاغون إذا أعجبوا بمقولة أو كلمة.

فعلى المسلمين أن يكبروا، فإن التصفيق والمكاء والتصديّة من علامات الجاهلية ومن شعائر الوثنية، والله ذكر المشركين وطوافهم بالبيت فقال: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ [الأنفال:35]، أي: صفيرا وتصفيقا، فذم التصفيق سبحانه وتعالى، وقال

ابن مسعود رضي الله عنه: " كان أصحاب الرسول ﷺ إذا أعجبهم شيء كبروا " وربما كبر عليه الصلاة والسلام فكبروا خلفه، ولذلك يقول ﷺ: « أترضون أن تكونوا ثلث الجنة؟ قالوا: بلى، قال: ألا ترضون أن تكونوا نصف الجنة؟ قالوا: بلى، قال: فإنكم ثلثا أهل الجنة، فكبروا جميعا ».

فالتكبير مطلوب عند التعجب والاستغراب، أو من حدث أو كلمة حماسية، أو من بيت أو قصة، فسننتنا أن نكبر وألا نتشبه بأهل الكتاب الذين أضلهم الله على علم وطبع على قلوبهم.

### 6- لا رجعة للوثنية:

خرج مع رسول الله ﷺ إلى حنين بعض حديثي العهد بالجاهلية، وكانت لبعض القبائل شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط يأتونها كل سنة، فيعلقون أسلحتهم عليها، ويذبحون عندها، ويعكفون عليها يوما، وبينما هم يسيرون مع رسول الله ﷺ إذ وقع

بصرهم على الشجرة، فتحلبت أفواههم على أعياد الجاهلية التي هجروها، ومشاهدها التي طال عهدهم بها، فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا (ذات أنواط) كما لهم (ذات أنواط)، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر! قُلتُم -والذي نفس محمد بيده- كما قال قوم موسى لموسى: ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ لتركبن سنن من كان قبلكم»(1).

وهذا يعبر عن عدم وضوح تصوره للتوحيد الخالص رغم إسلامهم، ولكن النبي ﷺ أوضح لهم ما في طلبهم من معاني الشرك، وحذرهم من ذلك، ولم يعاقبهم أو يعنفهم؛ لعلمه بحدائثة عهدهم بالإسلام(2)، وقد سمح لهم الرسول ﷺ بالمشاركة في الجهاد؛ لأنه لا يشترط فيمن يخرج للجهاد أن يكون قد صحح اعتقاده تماماً من غيش الجاهلية، وإنما الجهاد عمل صالح يثاب عليه فاعله، وإن قصر في بعض أمور الدين الأخرى، بل الجهاد مدرسة تربوية تعليمية يتعلم فيه المجاهدون كثيراً من العقائد والأحكام والأخلاق؛ وذلك لما يتضمنه من السفر وكثرة اللقاءات التي يحصل فيها تجاذب الأحاديث وتلاقح الأفكار(3).

## 7- الحراسة في الغزو:

إن الرسول عليه الصلاة والسلام إذا كان في الأسفار أو الغزو جعل حارساً يحرس الناس، وما كان يعطيه راتباً عليه الصلاة والسلام، بل كان يعدهم بالجنة، جنة عرضها السماوات والأرض، فكانوا يتسارعون إلى هذا، كما فعل حذيفة في الليلة الظلماء عند أهل الأحزاب، وضمن له ﷺ الجنة.

وكما حرس بلال بن رباح المسلمين في غزوة من الغزوات فقال له ﷺ: «يا بلال! ارمق لنا فجر هذه الليلة»، فقام بلال فرمق من أول الليل، فلما قرب الفجر صلى الليل ما شاء الله، ثم جلس برمحه عند الناقة، فاعتمد عليها فنام، فلما نام جاء الفجر، ثم طلعت الشمس حتى أصاب الناس حر الشمس، فاستيقظ عمر ﷺ أول الناس، فاستحيا عمر

(1) انظر: السيرة النبوية للنسفي ص349، سنن الترمذي، الفتى (475/4) رقم 2180.

(2) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (497/2).

(3) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (62/8).

أن يذهب إلى رسول الله ﷺ ويقول: قم صل، ومن عمر حتى يوقظ رسول الله ﷺ؟! وله ذلك فإنها من المصالح والفوائد لكنه استحيا.  
فأتى بجانب أذن الرسول عليه الصلاة والسلام، وقال: الله أكبر، الله أكبر، فاستيقظ عليه الصلاة والسلام وقد استيقظ أكثر الناس وأصابهم من الخوف ما الله به عليم، تذكروا أنهم ما صلوا، وأن الشمس قد طلعت وارتفعت، فقال ﷺ: **لا عليكم**، ثم أمرهم أن يقوموا، وقال يا بلال: أين رمقك الفجر هذه الليلة، فقال بلال: أخذ بنفسي يا رسول الله ما أخذ بأنفسكم، فتبسم عليه الصلاة والسلام.

يقول: أنتم وقعتم فيما وقعت أنا فيه، فلماذا تعاتبونني على هذا؟ فصلى عليه الصلاة والسلام فصلوا، والشاهد أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يجعل حارساً من الصحابة في الغزو وفي الأسفار لفوائد:

- 1- أن يوقظ المصلي والموتر في الليل.
- 2- أن يخبر الناس بهجوم طارئ على جيشهم وعلى متاعهم وعلى أهلهم.

3- تدريب الرسول عليه الصلاة والسلام أصحابه على هذا العمل الجهادي الشاق.

4- أن يجعل أجورا لأهل هذه الأعمال ليتباروا في عمل الآخرة وليتقدموا عند الله.

قال عمار بن ياسر رضي الله عنه: خرجنا مع رسول الله ﷺ، قال: فلما أمسينا ذات ليلة، قال: من يحرسنا هذه الليلة؟ فسكنا، فقال: ليقم رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار، قال: فقمنا، وقام عباد بن بشر رضي الله عنه وعن عمار، الشاب الصادق الذي قتل يوم صفين ضرب على وجهه حتى سقط لحم وجهه من كثرة السيوف، ولما رآه الصحابة قالوا: نشهد أنك عند الله من الشهداء.

فبدأ عباد بالحراسة ثم قام يصلي، فبدأ يقرأ في سورة الكهف، فأخذ الأعداء ينظرون إليه وهو حارس يقرأ في الليل، وهم لا يعرفون الصلاة ولا القراءة فأخذوا يرمونه بالسهم، وما أراد أن يقطع القراءة، فأخذ كلما انغمس السهم في جسمه يخرج به وينزله في الأرض، ويستمر في القراءة، وكلما أتى السهم الآخر أخرجه ودمأؤه تنصب من جسمه، وأتى السهم الآخر ويخرجه، فلما غلبته الدماء خفف في الصلاة، وقام وزحف إلى عمار، وقال: والله الذي لا إله إلا هو لولا أن أقتل فتفتح ثغرة على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين ما ختمت هذه الصلاة حتى أتم

سورة الكهف، فقال عمار : رحمك الله، ألا كنت أيقظتني؟! فأخبره، فقام عمار رضي الله عنه وأدركوا هذا، فأيقظوا الرسول عليه الصلاة والسلام، وهذا يوضح لنا كيفية حراسة الصحابة للرسول عليه الصلاة والسلام وللمسلمين.

وكان حارسه عليه الصلاة والسلام ربما حرسه عند باب بيته قبل أن ينزل الله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ [المائدة:67] يقول أنس رضي الله عنه:

رجعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر فلما اقتربنا من المدينة دخل صلى الله عليه وسلم بيتاً له -أي خيمة- قال: فسمعتة بالليل يقول: « **ليت رجلاً صالحاً يحرسنا هذه الليلة** » قال: فأتى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فسمع من بعض الناس أن الرسول عليه الصلاة والسلام يقول: « **ليت رجلاً صالحاً يحرسنا هذه الليلة** » فتوضأ سعد بن أبي وقاص ولبس سلاحه وأخذ سيفه ووقف عند باب الخيمة من صلاة العشاء إلى صلاة الفجر، فلما علم صلى الله عليه وسلم بسعد قال: « **اللهم اغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر** » فكان من الحراس الصادقين.

## 8- التوكل لا ينافي العمل بالأسباب:

من دروس هذه الغزوة المباركة أن التوكل على الله لا ينافي الأخذ بالأسباب؛ فقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أعظم الخلق توكلأً على الله - تعالى -، ومع ذلك لم يكن يلقي عدوه إلا وقد جهز جيشه بكل ما يستطيع من آلة الحرب وعدة السلاح، حتى إنه استعار أدرعاً من صفوان بن أمية كما ذكرنا آنفاً، وكان يومئذ كافراً، وقد كان السلف رضوان الله عليهم يعون تلك الحقيقة جيداً، فكانوا لا يألون جهداً في الأخذ بالأسباب ثم يتوكلون بعد ذلك على مسبب الأسباب، ولكن تطاول الإعصار، وغلبة الجهل بحقيقة الدين قد أدخل في أذهان كثير من مدعي التدين أن أخذهم بالأسباب ينافي حقيقة التوحيد لأنه يقدر في تمام توكلهم على الله، ولذا ذكر القرطبي رحمه عند حديثه عن قصة موسى مع الخضر أن من فوائدها اتخاذ الزاد في الأسفار، قال: "وهو رد على الصوفية الجهلة الأغمار، الذين يفتحمون المهامه والقفار، زعماً منهم أن ذلك هو التوكل على الله الواحد القهار، هذا موسى نبي الله وكليمه من أهل الأرض قد اتخذ الزاد مع معرفته بربه وتوكله على رب العباد، وفي صحيح البخاري: أن ناساً من أهل اليمن كانوا، يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا سألوا الناس، فأنزل الله

تعالى : ﴿ وَتَرَوْدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ [البقرة: 197]

ومما يروي في سيرة الشيخ محمد مصطفى المراغي - شيخ الأزهر السابق- أنه رأى حين كان في السودان رجلاً يهم بدخول غابة مليئة بالوحوش المفترسة لقطع شجر أو نحوها، فلما سأله عن ما أعده من سلاح يواجه به وحوش الغاب، قال له: إن معي حرزاً فيه سورة ياسين، وهنا ضربه الشيخ بعصا كانت معه وقال له: إن الذي أنزلت عليه سورة ياسين لم يكن يدخل حرباً إلا وقد جهز نفسه بما يستطيع من أنواع السلاح، وأنت تريد أن تدخل على الوحوش بحرز فيه سورة ياسين؟!!

### 9- الالتفات في الصلاة للحاجة:

فإن الرسول عليه الصلاة والسلام لما أرسل ابن أبي حرد و قيل أنيس بن أبي مرثد أخذ ﷺ يصلي الفجر وهو يلتفت هكذا في الشعب لينظر هل يأتيه الخبر أو لا ويخفف الصلاة.

قال أهل العلم: للمسلم إذا كانت حاجة أن يلتفت ولكن لا يجعلها عادة، فالرسول عليه الصلاة والسلام فتح الباب وهو في الصلاة، وحمل أمانة بنت زينب في الصلاة، وتناول بعض الأمور وهو في الصلاة، والتفت هنا إلى طليعة القوم للحاجة، وهذا الحديث في سنن أبي داود بسند حسن عن سهل بن الحنظلية، قال: أرسل ﷺ يوم حنين طليعة القوم، فأخذ يلتفت إليه في الصلاة وينظر إليه بين شقق الشعب.

### 10- الإعجاب بالكثرة يجب نصر الله:

الإعجاب بالكثرة حجب عن المسلمين النصر في بداية المعركة، وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ [التوبة: 25].

وقد نبه إلى هذا رسول الله ﷺ حينما أوضح أنه لا حول ولا قوة إلا بالله فيقول: «اللهم بك أحول وبك أصول، وبك أقاتل» (1).

وهكذا أخذ الرسول ﷺ يراقب المسلمين ويقوم ما يظهر من انحرافات في التصور والسلوك، حتى في أخطر ظروف المواجهة مع

(1) سنن الدارمي (135/2)، المسند للإمام أحمد (333/4).

خصومه العتاة(1).

وعلى الرغم من الهزيمة التي لحقت بالمسلمين في بداية غزوة حنين وفرار معظم المسلمين في ميدان المعركة؛ لأنهم فوجئوا بما لم يتوقعوه، فإن رسول الله ﷺ لم يعنف أحدا ممن فرَّ عنه، حتى حينما طالبه بعض المسلمين بأن يقتل الطلقاء لأنهم فروا، لم يوافق على هذا(2).

### 11- الغنائم وسيلة لتأليف القلوب:

رأى ﷺ أن يتألف الطلقاء والأعراب بالغنائم تأليفاً لقلوبهم لحدائثة عهدهم بالإسلام، فأعطى لزعماء قريش وخطبان وتميم عطاء عظيمًا، إذ كانت عطية الواحد منهم مائة من الإبل، ومن هؤلاء: أبو سفيان بن حرب، وسهيل بن عمرو، وحكيم بن حزام، وصفوان بن أمية، وعيينة بن حصن الفزاري، والأقرع بن حابس، ومعاوية ويزيد ابنا أبي سفيان، وقيس ابن عدي(3). وكان الهدف من هذا العطاء المجزي هو تحويل قلوبهم من حب الدنيا إلى حب الإسلام، أو كما قال أنس بن مالك: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها(4). وعبر عن هذا صفوان بن أمية بقوله: لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليّ فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ(5).

وقد تأثر حدثاء الأنصار من هذا العطاء بحكم طبيعتهم البشرية، وترددت بينهم مقالة، فراعى ﷺ هذا الاعتراض وعمل على إزالة التوتر، وبين لهم الحكمة في تقسيم الغنائم، وخاطب الأنصار خطاباً إيمانياً عقلياً عاطفياً وجدانياً، ما يملك القارئ المسلم على مر الدهور وكر العصور وتوالي الزمان إلا البكاء عندما يمر بهذا الحدث العظيم، فعندما دخل سعد على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن هذا الحي

(1) انظر: المجتمع المدني في عهد النبوة للعمري، ص199.

(2) المصدر نفسه، ص204، 205.

(3) انظر: معين السيرة، ص421.

(4) مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط (1806/4) رقم 2312.

(5) المصدر نفسه (1806/4) رقم 2313.



من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفياء الذي أصبت، قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحي من الأنصار منها شيء. قال: «فأين أنت من ذلك يا سعد؟» قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي، قال: «فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة؟» قال: فجاء رجال من المهاجرين، فتركهم، فدخلوا، وجاء آخرون فردهم، فلما اجتمعوا أتى سعد، فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، فأتاهم رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «يا معشر الأنصار، ما قاله بلغني عنكم، وجدة وجدتموها في أنفسكم، ألم آتكم ضللاً فهداكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟» قالوا: الله ورسوله أمن وأفضل، ثم قال: «ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟» قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله، لله ولرسوله المن والفضل. قال: «أما والله لو شئتم لقلتم فاصدقتم ولصدقتهم: أتيتنا مكذبا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريداً فأويناك، وعائلاً فأسيناك. أوجدتم عليّ يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء<sup>(1)</sup> والبعير، وترجعون برسول الله إلى رحالكم؟ فو الذي نفس محمد بيده لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به، ولولا الهجرة، لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً ووادياً، وسلكت الأنصار شعباً ووادياً لسلكت شعب الأنصار وواديهما، الأنصار شعار والناس دثار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار»، قال: فبكى القوم حتى أخصلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله ﷺ قسماً وحظاً، ثم انصرف رسول الله وتفرقوا<sup>(2)</sup>، وفي رواية: «إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»<sup>(3)</sup>.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن هذه المقالة لم تصدر من الأنصار كلهم، وإنما قالها حديثو السن منهم؛ بدليل ما ورد في الصحيحين، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن ناساً من الأنصار قالوا يوم حنين:

(1) بالشاء: أي الشياه وهي الأغنام. (2) دثار: هو الثوب الذي يكون فوق الشعار.

(2) انظر: زاد المعاد (474/3).

(3) مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم (738/2) رقم 1061.



أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء، فطفق رسول الله ﷺ يعطي رجالاً من قريش المائة من الإبل، فقالوا: يغفر الله لرسول الله! يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم، قال أنس بن مالك: فحدّث رسول الله ﷺ من قولهم، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من أدم، فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله ﷺ فقال: «**ما حديث بلغني عنكم؟**» فقال له فقهاء الأنصار: أما ذوو رأينا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً، وأما أناس منا حديثة أسنانهم قالوا: يغفر الله لرسول الله! يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم، فقال رسول الله ﷺ: «**فإني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم**»(1).

ويرى الإمام ابن القيم -استدلالاً بهذه الحادثة-: أنه قد يتعين على الإمام أن يتألف أعداءه لاستجلابهم إليه، ودفع شرهم عن المسلمين فيقول: الإمام نائب عن المسلمين يتصرف لمصالحهم وقيام الدين، فإن تعين ذلك -أي التأليف- للدفع عن الإسلام والذب عن حوزته واستجلاب رعوس أعدائه إليه ليأمن المسلمون شرهم، ساغ له ذلك، بل تعين عليه، فإنه وإن كان في الحرمان مفسدة، فالمفسدة المتوقعة من فوات تأليف هذا العدو أعظم، ومبنى الشريعة على دفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما، وتحصيل أكمل المصلحتين بتفويت أدناهما، بل بناء مصالح الدنيا والدين على هذين الأصلين(2).

والتأليف لهذه الطائفة إنما هو من قبيل الإغراء والتشجيع في أول الأمر حتى يخالط الإيمان بشاشة القلب، ويتذوق حلاوته. ويوضح الشيخ محمد الغزالي حقيقة هذا الأمر في مثال محسوس فيقول: ... إن في الدنيا أقواماً كثيرين يقادون إلى الحق من بطونهم لا من عقولهم، فكما تهدي الدواب إلى طريقها بحزمة برسيم تظل تمد إليه فمها، حتى تدخل حظيرتها آمنة، فكذلك هذه الأصناف من البشر تحتاج إلى فنون الإغراء حتى تستأنس بالإيمان وتهش له(3).

إن النبي ﷺ ضرب للأنصار صورة مؤثرة: قوم يبشرون بالإيمان يقابلهم قوم يبشرون بالجمال، وقوم يصحبهم رسول الله يقابلهم قوم

(1) مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المولفة قلوبهم (734/2) رقم 1509.

(2) انظر: زاد المعاد (486/3).

(3) انظر: فقه السيرة، ص 427.

يصحبهم الشاة والبعير، لقد أيقظتهم تلك الصور، وأدركوا أنهم وقعوا في خطأ ما كان لأمثالهم أن يقع فيه، فانطلقت حناجرهم بالبكاء ومآقيهم بالدموع، وألسنتهم بالرضا، وبذلك طابت نفوسهم واطمأنت قلوبهم بفضل سياسة النبي ﷺ الحكيمة في مخاطبة الأنصار(1).

## 12- الصبر على جفاء الأعراب:

لقد ظهر من رسول الله ﷺ الكثير من الصبر على جفاء الأعراب، وطمعهم في الأموال، وحرصهم على المكاسب، فكان مثالا للمربي الذي يدرك أحوالهم، وما جبلتهم عليه بيئتهم وطبيعة حياتهم من القساوة والفظاظة والروح الفردية، فكان يبين لهم ويطمئنهم على مصالحهم ويعاملهم على قدر عقولهم، فكان بهم رحيماً ولهم مربيّاً ومصلاًحاً، فلم يسلك معهم مسلك ملوك عصره مع رعاياهم الذين كانوا ينحنون أمامهم أو يسجدون، وكانوا دونهم محجوبين، وإذا خاطبواهم التزموا بعبارات التعظيم والإجلال، كما يفعل العبد مع ربه، أما الرسول عليه الصلاة والسلام فكان كأحدهم؛ يخاطبونه ويعاتبونه، ولا يحتجب عنهم قط، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يراعون التأدب بحضرته ويخاطبونه بصوت خفيض، ويكونون له في أنفسهم المحبة العظيمة، وأما جفأة الأعراب فقد عنفهم القرآن على سوء أدبهم وجفائهم، وارتفاع أصواتهم وجرأتهم في طبيعة مخاطبتهم للرسول ﷺ، وهذه مواقف تدل على حسن معاملة رسول الله ﷺ للأعراب:

مواقف تدل على حسن معاملة رسول الله ﷺ للأعراب

### 1- الأعرابي الذي رفض البشري:

قال أبو موسى الأشعري: كنت عند النبي ﷺ وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه بلال، فأتى النبي ﷺ أعرابي فقال: ألا تنجز لي ما وعدتني؟ فقال له: «أبشر» فقال: قد أكثرت عليّ من أبشر، فأقبل على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان، فقال: «رد البشري، فأقبلا أنتما» قالوا: قبلنا. ثم دعا بقدر فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه، ومج فيه ثم قال: «اشربا منه، وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا» فأخذا القدر ففعلا، فنادت أم سلمة من وراء الستر أن أفضلا لأكما، فأفضلا

(1)، انظر: المجمع المدني في عهد النبوة، ص 219.

لها منه طائفة(1).

## 2- مقولة الأعرابي: ما أريد بهذه القسمة وجه الله:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:... فلما كان يوم حنين أثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ناساً في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناساً من أشرف العرب، وأثرهم يومئذ في القسمة، فقال رجل: والله إن هذه القسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله، قال: فقلت: والله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فأتيته فأخبرته بما قال، قال: فتغير وجهه حتى كان كالصرف، ثم قال: «فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله؟!» قال: ثم قال: «يرحم الله موسى؛ قد أودى بأكثر من هذا فصبر» قال: قلت: لا جرم لا أرفع إليه بعدها حديثاً(2).

## 13- تعامله صلى الله عليه وسلم مع هوازن لما أسلمت:

جاء وفد هوازن لرسول الله بالجعرانة وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله، إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك، فامنن علينا من الله عليك. وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال: يا رسول الله، إنما في الحظائر من السبايا خالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك، ولو أنا ملحنا لابن أبي شمر أو النعمان بن المنذر(3) ثم أصابنا منها مثل الذي أصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما، وأنت رسول الله خير المكفولين، ثم أنشأ يقول:

امنن علينا رسول الله في  
فإنك المرء نرجوه ومنتظر  
(4)

إلى أن قال:  
امنن على نسوة قد كنت  
امنن على نسوة قد كنت  
فكان هذا سبب إعتاقهم عن بكرة أبيهم، فعادت فواضله عليه السلام

(1) البخاري، كتاب المغازي رقم 4328.

(2) مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفات قلوبهم، حديث 1062.

(3) انظر: البداية والنهاية (352/4).

(4) المصدر نفسه (352/4).

عليهم قديماً وحديثاً وخصوصاً وعموماً (1).

فلما سمع رسول الله ﷺ من الوفد قال لهم: «**نساؤكم وأبناؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟**» فقالوا: يا رسول الله خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا؟ بل أبناؤنا ونساؤنا أحب إلينا، فقال رسول الله: «**أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وإذا أنا صليت بالناس فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله ﷺ إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله ﷺ في أبنائنا ونسائنا، فإني سأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم**» فلما صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر قاموا فقالوا ما أمرهم به رسول الله ﷺ، فقال: «**أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم**» فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، وقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عبيدة: أما أنا وبنو فزارة فلا، وقال العباس ابن مرداس السلمي: أما أنا وبنو سليم فلا، فقالت بنو سليم: بل ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، قال عباس بن مرداس لبني سليم: وهنتموني؟ فقال رسول الله ﷺ: «**من أمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ستة فرائض من أول فيء نصيبه، فردوا إلى الناس نساءهم وأبناؤهم**» (2)، وفي رواية... فخطب رسول الله ﷺ في المؤمنين فقال: «**إن إخوانكم هؤلاء جاءونا تائبين، وإني أردت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل، ومن أحب أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل**» فقال الناس: قد طيبنا ذلك يا رسول الله، فقال لهم: «إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم» فرجع الناس فكلهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى النبي ﷺ فأخبروه أنهم طيبوا وأذنوا (3) وقد سر الرسول ﷺ بإسلام هوازن وسألهم عن زعيمهم مالك بن عوف النصري، فأخبروه أنه في الطائف مع ثقيف، فوعدهم ببرد أهله وأمواله عليه، وإكرامه بمائة من الإبل إن قدم عليه مسلماً، فجاء مالك مسلماً فأكرمه وأمره على قومه وبعض القبائل المجاورة. لقد تأثر مالك بن عوف وجادت قريحته لمدح النبي ﷺ فقال:

(1) انظر: البداية والنهاية (364، 363/4).

(2) المصدر نفسه (353، 352/4).

(3) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4319.

ما إن رأيت ولا سمعت  
أوفى وأعطى للجزيل إذا  
وإذا الكتيبة عردت (1) أنيابها  
فكانه ليث على أشباله

في الناس كلهم بمثل محمد  
ومتى تشاء يخبر عما في غد  
بالسمهري وضرب كل مهند  
وسط الهباءة (2) خادر (3) في

لقد كانت سياسته ﷺ مع خصومه مرنة إلى أبعد الحدود؛ وبهذه السياسة الحكيمة استطاع ﷺ أن يكسب هوازن وحلفاءها إلى صف الإسلام، واتخذ من هذه القبيلة القوية رأس حربية يضرب بها قوى الوثنية في المنطقة ويقودها زعيمهم مالك بن عوف الذي قاتل ثقيفًا في الطائف حتى ضيق عليهم، وقد فكر زعماء ثقيف في الخلاص من المأزق بعد أن أحاط الإسلام بالطائف من كل مكان فلا تستطيع تحركًا ولا تجارة، فمال بعض زعماء ثقيف إلى الإسلام مثل عروة بن مسعود الثقفي الذي سارع إلى اللحاق برسول الله ﷺ وهو في طريقه إلى المدينة بعد أن قسم غنائم حنين واعتمر من الجعرانة، فالتقى به قبل أن يصل إلى المدينة، وأعلن إسلامه وعاد إلى الطائف، وكان من زعماء ثقيف محبوبًا عندهم، فدعاهم إلى الإسلام وأذن في أعلى منزله فرماه بعضهم بسهام فأصابوه، فطلب من قومه أن يدفنوه مع شهداء المسلمين في حصار الطائف (5).

إن الإنسان أيعجب من فقه النبي ﷺ في معاملة النفوس، ومن سعيه الحثيث لتمكين دين الله تعالى، لقد استطاع ﷺ أن يزيل معالم الوثنية، وبيوتات العبادة الكفرية من مكة وما حولها، ورتب ﷺ الأمور التنظيمية للأراضي التي أضيفت للدولة الإسلامية، فعين عتاب بن أسيد أميراً على مكة، وجعل معاذ بن جبل مرشدًا وموجهًا ومعلمًا ومربياً (6)، وعين

(1) عردت: اشتدت وضربت، القاموس المحيط (313/1).

(2) الهباءة: غبار الحرب، مختار الصحاح، ص 689.

(3) الخادر: المقيم في عرينه، والخدر ستر يمد للحجارة من ناحية البيت.

(4) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (144/4).

(5) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (192/4).

(6) المصدر نفسه (153/4).

على هوازن مالك بن عوف قائدًا ومجاهدًا، ثم اعتمر ورجع إلى المدينة ﷺ.

#### 14- تفسير الآيات التي نزلت في غزوة حنين:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 25-27].

إن غزوة حنين سُجلت في القرآن الكريم لكي تبقى درسًا للأمة في كل زمان ومكان، ولقد عرضت في القرآن الكريم على منهجية ربانية كان من أهم معالمها الآتي(1):

أ- بين القرآن الكريم أن المسلمين أصابهم الإعجاب بكثرة عددهم، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ ثم بين القرآن أن هذه الكثرة لا تفيد ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾.

ب- بين القرآن الكريم أن المسلمين انهزموا وهربوا ما عدا النبي ﷺ ونفر يسير من أصحابه، قال تعالى: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾.

ج- بين القرآن الكريم أن الله نصر رسوله ﷺ في هذه المعركة وأكرمه بإنزال السكينة عليه وعلى المؤمنين فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

د- بين القرآن الكريم أن الله أمد نبيه محمداً ﷺ بالملائكة في حنين قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

وأكد سبحانه- على أنه يقبل التوبة من عباده ويوفق من شاء إليها، قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

#### 15- أسباب الهزيمة:

(1) انظر: حديث القرآن (602/2، 603).

- وقعت الهزيمة في الجولة الأولى لعدة أسباب منها:
- 1- أن شيئاً من العجب تسرب إلى قلوب المسلمين، لما رأوا عددهم، فقد قال رجل منهم: لن نغلب اليوم من قلة، فشق ذلك على النبي ﷺ فكانت الهزيمة.
  - 2- خروج شبان ليس لديهم سلاح أو سلاح كافٍ، وإنما عندهم حماس وتسرع.
  - 3- أن عدد المشركين كان كثيراً بلغ أكثر من ضعفي عدد المسلمين.
  - 4- أن مالك بن عوف سبق بجيشه إلى حنين فتهيأ هنالك ووضع الكمائن والرماة في مضائق الوادي وعلى جوانبه، وفاجأوا المسلمين، برميهم بالنبال وبالهجوم المباغت.
  - 5- كان العدو مهياً ومنظماً ومستعداً للقتال حال مواجهته لجيش المسلمين، فقد جاء المشركون بأحسن صفوف رُئيت: صف الخيل ثم المقاتلة ثم النساء من وراء ذلك ثم الغنم ثم النعم.
  - 6- وجود ضعاف الإيمان الذين أسلموا حديثاً في مكة، ففروا فانقلبت أولاهم على أحرأهم، فكان ذلك سبباً لوقوع الخلل وهزيمة غيرهم(1).

### 16- عوامل النصر:

- كانت عوامل النصر في حنين عدة أسباب منها:
- 1- ثبات الرسول في القتال وعدم تراجعهم، مما جعل الجنود يثبتون ويستجيبون لنداء القائد الثابت.
  - 2- شجاعة القائد، فالرسول القائد لم يثبت في مكانه فحسب، بل تقدم نحو عدوه راکباً بغلته، فطفق يركض ببغلته قبيل الكفار والعباس أخذ بلجام البغلة يكفها ألا تسرع.
  - 3- ثبات قلة من المسلمين معه وحوله حتى جاء الذين تولوا وأكملوا المسيرة؛ مسيرة الثبات والبر والقتال حتى النصر.
  - 4- سرعة استجابة الفارّين والتحاقهم بالقتال.
  - 5- وقوع الجيش المعادي في خطأ عسكري قاتل، وهو عدم الاستمرار في مطاردة الجيش الإسلامي بعد فراره، مما أعطى فرصة ثمينة للجيش الإسلامي ليلتقط أنفاسه ويعود إلى ساحة القتال ويستأنف القتال من جديد بقيادة القائد الثابت الشجاع رسول الله ﷺ.

(1) انظر: المستفاد من قصص القرآن (2/409). (2) مسلم بشرح النووي (116/12، 117).

6- رمية الحصى، فقد أخذ النبي ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: «**انهزموا ورب محمد**» (1).

7- الاستعانة والاستغاثة بالله عز وجل، فقد كان الرسول يلح على الله في الدعاء بالنصر على الأعداء.

8- إنزال الملائكة في الغزوة ومشاركتهم فيها، وقد سجل الله هذه المشاركة في كتابه الكريم في سورة التوبة (2): **﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾**.

17- نزول الآية الكريمة: **﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا**

**مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾** [النساء: 24]:

وقد نزلت في يوم أوطاس لبيان حكم المسبيات المتزوجات، وقد فرق السبي بينهن وبين أزواجهن، فأوضحت الآية جواز وطئهن إذا انقضت عدتهن، لأن الفرقة تقع بينهن وبين أزواجهن الكفار بالسبي وتنقضي العدة بالوضع للحامل وبالحيض لغير الحامل (3).

18- **منع المخنثين خلقه من الدخول على النساء**

### الأجنبيات:

كان ذلك مباحًا إذ لا حاجة للمخنث بالنساء، وكان سبب المنع ما رواه البخاري عن زينب بنت أبي سلمة عن أمها أم سلمة، دخل عليّ النبي ﷺ وعندي مخنث فسمعتة يقول لعبد الله بن أمية: يا عبد الله، أرايت إن فتح الله عليك الطائف غدًا، فعليك بابنة غيلان؛ فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان، فقال النبي ﷺ: **«لا يدخلن هؤلاء عليكم»** (4). وفي هذا المنع حرص النبي ﷺ على سلامة أخلاق المجتمع الإسلامي.

19- **النهي عن قتل النساء والأطفال** والشيوخ

والأجراء ممن لا يشتركون في القتال ضد المسلمين:

(1) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (520/2).

(2) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس، ص 423.

3 انظر: السيرة النبوية الصحيحة (520/2).

(4) البخاري، كتاب المغازي، (120/5) رقم 4324.



وقد ذكر ابن كثير أن رسول الله مر يوم حنين بامرأة قتلها خالد بن الوليد والناس متقصفون (1) عليها، فقال رسول الله ﷺ: «**ما كانت هذه لتقاتل**» وقال لأحدهم: «**الحق خالدًا فقل له لا يقتلن ذرية ولا عسيفًا**» (2)، وفي رواية: «**فقل له إن رسول الله ينهك أن تقتل وليدًا أو امرأة أو عسيفًا**» (3).

## 20- تشريع العمرة من الجعرانة:

أحرم النبي ﷺ بعمرة من الجعرانة، وكان داخلا إلى مكة وهذه هي السنة لمن دخلها من طريق الطائف وما يليه، وأما ما يفعله كثير مما لا علم عندهم من الخروج من مكة إلى الجعرانة ليحرم منها بعمرة ثم يرجع إليها فهذا لم يفعله رسول الله ﷺ، ولا استحبه أحد من أهل العلم، وإنما يفعله عوام الناس زعموا أنه اقتداء بالنبي وغلطوا، فإنه إنما أحرم منها داخلا إلى مكة ولم يخرج منها إلى الجعرانة ليحرم منها (4).

## 21- إرشاده ﷺ للأعرابي بأن يصنع في العمرة ما

### يصنع في الحج:

قال يعلى بن منبه: جاء رجل إلى النبي ﷺ وهو بالجعرانة وعليه جبة، وعليها خلوق (5) - أو قال: أثر صفرة - فقال: كيف تأمرني أصنع في عمرتي؟ قال: وأنزل على النبي ﷺ الوحي، فستر بثوب، وكان يعلى يقول: وددت أني أرى النبي ﷺ وقد أنزل الوحي عليه، قال: فرفع عمر طرف الثوب عنه فنظرت إليه، فإذا له غطيظ (قال) فلما سري عنه قال: «**أين السائل عن العمرة؟ اغسل عنك الصفرة - أو قال: أثر الخلوق - واخلع عنك جبتك، واصنع في عمرتك ما أنت صانع في**

(1) متقصفون: مجتمعون.

(2) انظر: البداية والنهاية (336/4).

(3) المصدر نفسه (335/4).

(4) انظر: زاد المعاد (504/3).

(5) خلوق: طيب.

## 22- من قتل قتيلاً فله سلبه:

قال أبو قتادة: لما كان يوم حنين نظرت إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلاً من المشركين، وآخر من المشركين يختله من ورائه ليقتله، فأسرعت إلى الذي يختله فرفع ليضربني وأضرب يده فقطعتها، ثم أخذني فضمني ضمًّا شديدًا حتى تخوفت، ثم ترك فتحلل ودفعته ثم قتلته، وانهزم المسلمون وانهزمت معهم، فإذا بعمر بن الخطاب في الناس، فقلت له: ما شأن الناس؟ قال: أمر الله، ثم تراجع الناس إلى رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**من أقام بينة على قتيل قتله، فله سلبه**»، ففقت لألتمس بينة قتيلي فلم أر أحدًا يشهد لي فجلست، ثم بدا لي فذكرت أمره لرسول الله ﷺ فقال رجل من جلسائه: سلاح هذا القتيل الذي يذكر عندي، فأرضه منه، فقال أبو بكر: كلا لا يعطه (2) أصيبغ من قريش ويدع (3) أسدًا من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله، قال: فقام رسول الله ﷺ فأداه إلي فاشتريت منه خرافاً (4)، فكان أول مال تأثلته في الإسلام (5).

ونلاحظ في هذا الخبر أن أبا قتادة الأنصاري ﷺ حرص على سلامة أخيه المسلم، وقتل ذلك الكافر بعد جهد عظيم، كما أن موقف الصديق ﷺ فيه دلالة على حرصه على إحقاق الحق، والدفاع عنه، ودليل على رسوخ إيمانه وعمق يقينه وتقديره لرابطة الأخوة الإسلامية وأنها بمنزلة رفيعة بالنسبة له (6).

## 23- النهي عن الغلول:

أخذ النبي ﷺ يوم حنين وبرة من سنام بعير من الغنائم، فجعلها

(1) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 578.

(2) لا يعطه: أي لا يعطي رسول الله ﷺ، وقوله أصيبغ: نوع من الطيور شبه له لعجزه وضعفه.

(3) يدع: يترك.

(4) خرافا: أي بستانا أقام الثمر مقام الأصل.

(5) البخاري، كتاب المغازي (119/5) رقم 4322.

(6) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي، (26/8).

بين إصبعيه ثم قال: «أيها الناس إنه لا يحل لي مما أفاء الله عليكم قدر هذه، إلا الخمس، والخمس مردود عليكم، فأدوا الخياط والمخيط، وإياكم والغلول، فإن الغلول عار، ونار، وشنار على أهله في الدنيا والآخرة» (1).

ولما سمع الناس هذا الزجر بما فيه من وعيد من رسول الله ﷺ أشفقوا على أنفسهم وخافوا خوفاً شديداً فجاء أنصاري بكبة خيط من خيوط شعر، فقال: يا رسول الله، أخذت هذه الوبرة لأخيط بها برذعة يعير لي دبر، فقال له ﷺ: «أما حقي منها، وما كان لبني عبد المطلب فهو لك»، فقال الأنصاري: أما إذا بلغ الأمر فيها ذلك فلا حاجة لي بها، فرمى بها من يده (2).

وأما عقيل بن أبي طالب فقد دخل على امرأته فاطمة بنت شيبه يوم حنين، وسيفه ملطخ دماً، فقال لها: دونك هذه الإبرة تخيطين بها ثيابك، فدفعها إليها، فسمع المنادي يقول: من أخذ شيئاً فليرده، حتى الخياط والمخيط، فرجع عقيل فأخذ الإبرة من امرأته، فألقاها في الغنائم (3). وهذا التشديد في النهي عن الغلول، وتبشيعه بهذه الصورة الشائبة المرعبة، ولو كان في شيء تافه لا يلتفت إليه، يمثل معلماً من أهم معالم المنهج النبوي في تربية الأفراد على ما ينبغي أن يكون عليه الفرد المسلم في حياته العملية، إيماناً وأمانة، وفي التزام الأفراد بهذا التوجيه يتطهر المجتمع المسلم من رذيلة الخيانة، لأن التساهل في صغيرها يقود إلى كبيرها، والخيانة من أرذل الأخلاق الإنسانية التي لا تليق بالمجتمع المسلم (4).

## 24- وفاء نذر كان في الجاهلية:

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: لما قفلنا من حنين سأل عمر النبي ﷺ عن نذر كان نذره في الجاهلية اعتكافاً فأمره النبي ﷺ

(1، 2) انظر: البداية والنهاية (353/4).

(3) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (145/4).

(4) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (387/4؛ 388).

بوفائه(1).

## 25- أنس بن أبي مرثد الغنوي وحراسة المسلمين:

قال رسول الله ﷺ قبل اندلاع معركة حنين: «من يحرسنا الليلة؟» فقال أنس بن أبي مرثد: أنا يا رسول الله، قال ﷺ: «فاركب» فركب ابن أبي مرثد فرسا له، وجاء إلى رسول الله ﷺ فقال له ﷺ: «استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه ونُغْرَنَ من قبلك الليلة».

قال سهيل بن الحنظلية: فلما أصبحنا خرج رسول الله ﷺ إلى مصلاه، فركع ركعتين، ثم قال: «هل أحسستم فارسكم؟» قالوا: ما أحسسناه، فثوب بالصلاة، فجعل ﷺ يصلي، وهو يلتفت إلى الشعب، حتى إذا قضى صلاته، قال: «أبشروا فقد جاءكم فارسكم»، فجعل ينظر إلى خلال الشجر في الشعب، فإذا هو قد جاء حتى وقف عليه فقال: إني انطلقت حتى إذا كنت في أعلى الشعب حيث أمرني ﷺ، فلما أصبحت طلعت الشعبين كليهما فنظرت فلم أر أحدا، فقال ﷺ: «هل نزلت الليلة؟» فقال: لا، إلا مصليا أو قاضي حاجة، فقال له ﷺ: «قد أوجبت، فلا عليك أن تعمل بعدها»(2) وفي هذا الخبر يظهر لنا المنهج النبوي الكريم في الاهتمام بالأفراد، فقد ظهر اهتمام النبي ﷺ بطليعة القوم حتى جعل يلتفت في صلاته، وما كان ذلك ليحدث إلا لأمر مهم، ثم إنه ﷺ قال: «أبشروا فقد جاء فارسكم»، إنها الكلمة التي يستعملها ﷺ في إخبارهم بما يسرهم من الأمور العظيمة، تلك هي أهمية الفرد في المجتمع الإسلامي، إنه ليس كمًّا مهملًا، ولا رقمًا في سجل ولا يزال في آلة، يستغنى عنه عند الضرورة ليؤتى بغيره، إنها بعض التفسير للمنهج الإلهي(3) في قوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70].

كما أن في هذه القصة معلمًا من معالم المنهج النبوي الكريم في وجوب اليقظة وتعرف أحوال العدو، ومراقبة حركاته، ومعرفة ما عنده

(1) البخاري، كتاب المغازي (118/5)، رقم 4320.

(2) أبو داود في الجهاد رقم 2501، صحيح السيرة النبوية، ص 550.

(3) انظر: معين السيرة، ص 429.

من القوة عددًا وعدة، وما رسمه من خطط حربية، وهي سياسة مهمة بالنسبة للقادة الذين يسعون لإعلاء كلمة الله في الأرض(1).  
وأما قول الرسول ﷺ: «**قد أوجبت فلا عليك أن تعمل بعدها**» فهذا محمول على النوافل التي يكفر الله بها السيئات، ويرفع بها الدرجات، والمقصود أنه عمل عملا صالحًا كبيرًا يكفي لتكفير ما قد يقع منه من سيئات في المستقبل، ويرفع الله به درجاته في الجنة، وليس المقصود أن هذا العمل يكفي عن أداء الواجبات(2).

## 26- شجاعة أم سليم يوم حنين:

قال أنس رضي الله عنه: إن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجرًا (3) فكان معها، فرآها أبو طلحة، فقال: يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر، فقال لها رسول الله ﷺ: «**ما هذا الخنجر**» قالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه، فجعل رسول الله ﷺ يضحك، قالت: يا رسول الله، اقتل من بعدنا(4) من الطلقاء(5) انهزموا بك(6)، فقال رسول الله: «**يا أم سليم، إن الله قد كفى وأحسن**»(7).

## 27- الشيماء بنت الحارث أخت النبي ﷺ من

### الرضاعة:

كان المسلمون قد ساقوا فيمن ساقوه إلى رسول الله الشيماء بنت الحارث، وبنت حليلة السعدية، أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة، وعنفوا عليها في السوق، وهم لا يدرون، فقالت للمسلمين: تعلمون والله أنني لأخت صاحبكم من الرضاعة، فلم يصدقوها حتى أتوا بها رسول الله، ولما انتهت الشيماء إلى رسول الله ﷺ قالت: يا رسول الله إنني

(1) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (366/4).

(2) انظر: التاريخ الإسلامي (14/8).

(3) خنجرًا: سكين كبير ذو حدين.

(4) من بعدنا: من سوانا.

(5) الطلقاء: هم الذين أسلموا يوم الفتح وكانوا سبب الانهزام في المرة الأولى.

(6) انهزموا بك: انهزموا عنك.

(7) مسلم، رقم 1809، صحيح السيرة النبوية، 563.

أختك من الرضاعة، قال: «**ما علامة ذلك؟**» قالت: عضة عضتها في ظهري، وأنا متوركك(1)، وعرف رسول الله ﷺ العلامة، وبسط لها رداءه وأجلسها عليه، وخيرها، وقال: «**إن أحببت فعندي محبة مكرمة، وإن أحببت أن أمتك وترجعي إلى قومك فعلت**» فقالت: بل تمتعني وتردني إلى قومي(2). ومتعها رسول الله ﷺ فأسلمت، وأعطاه رسول الله ﷺ ثلاثة أعبد وجارية ونعماء وشاء(3).

## 28- إسلام كعب بن زهير - الشاعر - والهيمنة

### الإعلامية على الجزيرة:

لما قدم رسول الله ﷺ من الطائف، جاءه كعب بن زهير - الشاعر ابن الشاعر - وكان قد هجا رسول الله ﷺ ثم ضاقت به الأرض، وضاقت عليه نفسه، وحثه أخوه (بجير) على أن يأتي رسول الله ﷺ تائباً مسلماً، وحذره من سوء العاقبة إن لم يفعل ذلك، فقال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ والتي اشتهرت بـ (قصيدة بانة سعاد)، فقدم المدينة، وغدا إلى رسول الله ﷺ حين صلى الصبح، ثم جلس إليه، ووضع يده في يده، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه، فقال لرسول الله ﷺ: إن كعب بن زهير جاء يستأمنك تائباً مسلماً، فهل أنت قابل منه؟ فوثب عليه رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله، دعني وعدو الله، أضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ: «**دعه عنك فقد جاء تائباً نازعاً**»، وأنشد كعب قصيدته اللامية التي قال فيها:

متيم إثرها لم يفد مكبول  
متيماً سعاد فقلبي اليوم  
متيماً سعاد غداة الطرف إذ  
إلا أغنُّ قريير العين  
ومنها:

(1) متوركك: يعني حاملك على وركي.

(2) انظر: البداية والنهاية (363/4) السيرة النبوية الصحيحة (506/2).

(3) انظر: السيرة النبوية للندوي، ص 358.

(4) امتبول: مغرم، مكبول: مقيد.

(5) أغنُّ: صفة للغزال الذي في صوته غنة.

إن الرسول لنور يستضاء به  
 في عصابة من قریش قال  
 شئُ العرانيين أبطال لبوسهم  
 مهند من سيوف الله مسلول  
 ببطن مكة لما أسلموا: زلوا  
 من نسج داود في الهيجا  
 ويقال إنه لما أنشد رسول الله قصيدته أعطاه بردته، وهي التي  
 صارت إلى الخلفاء (2). قال ابن كثير: هذا من الأمور المشهورة جداً،  
 ولكن لم أر ذلك في شيء من هذه الكتب المشهورة بإسناد أرتضيه، فالله  
 أعلم (3).

ويقال: إن الرسول ﷺ قال له بعد ذلك: «لولا نكرت الأنصار بخير  
 فإن الأنصار لذلك أهل!» (4)، فقال:

من سره كرم الحياة فلا يزل  
 ورثوا المكارم كابرًا عن  
 المكرهين السمهريِّ بأذرع  
 والناظرين بأعين محمّرة  
 والبائعين نفوسهم لنبيهم  
 والقائدين (8) الناس عن  
 يتطهرون يرونه نسكًا لهم  
 إلى أن قال:

في مقنب من صالح  
 إن الخيار هم بنو الأخيار  
 كسوالف الهندي غير  
 كالجمر غير كليلة الأبصار  
 للموت يوم تعانق وكرار  
 بالمشرفي وبالقنا الخطار (7)  
 بدماء من علقوا من الكفار

(1) انظر: البداية والنهاية (369/4 - 371).

(2) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (487/2).

(3) انظر: البداية والنهاية (374).

(4) المصدر نفسه (373/4).

(5) المقنب: الجماعة من الخيل، يريد به القوم على ظهور جيادهم.

(6) السمهري: الروح، سوالف الهندي: حواشي السيف.

(7) المشرفي: السيف، والقنا، الرماح جمع قناة، والخطار: المهتر.

(8) القائدين: المانعين الناس.

لو يعلم الأتوام علمي كله فيهم لصدقني الذين أماري (1)

قوم إذا خوت النجوم فإنهم للطارقين (2) الناقلين

وبإسلام كعب بن زهير نستطيع القول إن الشعراء المعارضين للدعوة الإسلامية قد انتهى دورهم، فقد أسلم ضرار بن الخطاب وعبد الله بن الزبير، وأبو سفيان بن الحارث بن هشام، والعباس بن مرداس، وتحولوا إلى الصف الإسلامي، واستظلوا بلوائه عن قناعة وإيمان، ولم يكتف بعضهم بأن تكون كلمته في الدفاع عن الإسلام، بل كان سيفه إلى جانب كلمته، وهذا من بركات فتح مكة (4).

## 29- رفع الصوت للحاجة:

الرسول عليه الصلاة والسلام ذم رفع الصوت لغير الحاجة؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿ **وَأَفْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ** ﴾ [لقمان: 19] فأما رفع الصوت للحاجة فلا بأس به.

قال البخاري في كتاب العلم: باب من رفع صوته بالعلم، ثم أتى بحديث ابن عمرو: « أن الرسول عليه الصلاة والسلام رفع صوته وقال: ويل للأعقاب من النار » فهنا رفع ﷺ صوته ينادي في الناس، وقال للعباس: ارفع صوتك وناد في الناس، فأخذ يقول: « **يا أهل سورة البقرة، يا من بايع النبي ﷺ تحت الشجرة** » حتى يأتون.

## 30- تأثير قبضتي الحصى والتراب في أعين الأعداء:

من الأسلحة المادية التي أيد الله بها رسوله ﷺ يوم حنين تأثير قبضتي الحصى والتراب اللتين رمى بهما وجوه المشركين، حيث دخل في أعينهم كلهم من ذلك الحصى والتراب فصار كل واحد يجد لها في

(1) أماري: أجادل.

(2) خوت النجوم: أي سقطت، الطارقين: الذين يأتون بالليل.

(3) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (167/4، 168).

(4) انظر: معين السيرة، ص 431-433.



عينه أثراً، فكان من أسباب هزيمتهم(1)، قال العباس رضي الله عنه: ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: «**انهزموا ورب محمد**» قال: فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم قليلاً وأمرهم مدبراً(2).

### 31- فضل أبي سفيان بن الحارث رضي الله عنه :

وهو أبو سفيان بن الحارث ليس أبا سفيان بن حرب ، ف أبو سفيان بن الحارث ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، والرسول عليه الصلاة والسلام كان له أعمام عشرة منهم الحارث ابنه أبو سفيان هذا، وما أسلم إلا قبل الفتح بأيام، سمع أن الرسول عليه الصلاة والسلام سوف يقدم فاتحاً لمكة ، وعلم أنه أساء مع الرسول عليه الصلاة والسلام في المقاتلة وأساء في المهاجاة؛ لأن أبا سفيان كان شاعراً يرسل القصائد يهجو بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين، فلما علم أن الرسول عليه الصلاة والسلام سوف يقدم مكة فاتحاً أخذ أطفاله، وكانوا صغاراً كأنهم فراخ الطير من البنات ومن الأبناء، وخرج بهم من مكة ولقيهم علي بن أبي طالب دون مكة بين عسفان و مكة في طريق رحب في شعب من الشعاب.

فقال علي ابن عمه: إلى أين يا أبا سفيان ؟ قال: يا علي قاتلنا محمداً وأديناه وشتمناه وطردناه وأخرجناه؛ سوف أخرج بأطفالي هؤلاء وأموت جوعاً وعرياً وعطشاً في الصحراء، والله لئن قدر علي ليقطعني بالسيف إرباً إرباً.

فقال علي بن أبي طالب : أخطأت يا أبا سفيان ! إنك لا تعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو أحلم الناس وأكرمهم وأرحمهم، فعد إليه وسلم عليه بالنبوة، وقل له كما قال إخوة يوسف ليوسف:

﴿ **قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ آتٰرَكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخٰطِئِينَ** ﴾ [يوسف:91]

لأنهم إخوان وأبناء عم، فأتى أبو سفيان بأطفاله يقودهم بأيديهم، فلما وقف عند خيمة أم سلمة وكان الرسول صلى الله عليه وسلم داخل الخيمة، قال: انذنوا لي أدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : **من في الباب؟** قالوا: يا

(1) انظر: القيادة العسكرية في عهد رسول الله، ص 259.

(2) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين (1399/3) رقم 1775.

رسول الله أبو سفيان بن الحارث ، قال: لا يدخل علي، لأنه أساء كل الإساءة ما ترك أمرا إلا وكاد به رسول الله ﷺ ، فأخذت أم سلمة تبكي وتقول: يا رسول الله! لا يكون ابن عمك وقريبك أشقى الناس بك، وأخذت تناشده الله عز وجل، قال: أدخلوه علي، فدخل.

فقال: السلام عليك يا رسول الله، أما بعد: ﴿ **لَقَدْ أَشْرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ** ﴾ [يوسف:91] قاتلتك يا رسول الله وأذيناك وأخرجناك

والله لا أدع موقفا قاتلتك فيه إلا قاتلت فيه معك، ولا نفقة أنفقتها في حربك إلا أنفقتها معك، ثم أخذ يعدد، فرفع ﷺ طرفه وعيناه تنزل الدموع، قال: ﴿ **قَالَ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ [يوسف:92] فقال: يا رسول الله! اسمع مني، قال: قل، قال:

لعمرك إني يوم أحمل راية لتغلب خيل اللات خيل محمد لك المدلج الحيران أظلم ليله فهذا أواني يوم أهدى وأهتدي هداني إلى الرحمن ربي وقادني إلى الله من طردت كل مطرد فقام عليه الصلاة والسلام فعانقه وضرب على صدره وقال: أنت طردتني كل مطرد، فأخذ يخدم محمداً ﷺ، لا يرتحل مرتحلا إلا قام وحزم له متاعه وشد له رحله، وأخذ ببغلته يقودها، فهو قائد البغلة يوم حنين اليوم الأكبر من أيام الله، يوم ثبت رسول الهدى ﷺ ونزل يقارع الأبطال وهو يقول: « **أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب** ».

### 32- بيان خطورة الشرك بالله:

وفي قصة ذات أنواط بيان خطورة أمر الشرك، ووجوب سد ذرائعه؛ فقد بين النبي - ﷺ - أن طلبهم العكوف عند الشجرة للتبرك بها هو كطلب بني إسرائيل من موسى أن يجعل لهم إلهاً، قال الشيخ سليمان آل الشيخ تعليفاً على هذا الحديث: " وفي هذه الجملة من الفوائد أن ما يفعله من يعتقد في الأشجار والقبور والأحجار، من التبرك بها والعكوف عندها والذبح لها هو الشرك، ولا يغتر بالعوام والطغام، ولا يستبعد كون هذا شركاً ويقع في هذه الأمة، فإذا كان بعض الصحابة ظنوا ذلك حسناً، وطلبوه من النبي - ﷺ - فكيف بغيرهم مع غلبة الجهل وبعد العهد بآثار النبوة؟ (1).

(1) (تيسير العزيز الحميد (ص: 184).

وقال أحد الصالحين "فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونها، ويرجون البرء والشفاء من قبلها، ويضربون بها المسامير والخرق، فهي ذات أنواط فاقطعوها".

وفيها أيضاً إثبات العذر بالجهل في مسائل التوحيد وغيرها؛ فإن النبي - ﷺ - مع إنكاره عليهم، وبيانه أن ما طلبوه هو نوع من الشرك، إلا أنه لم يكفرهم، لكونهم لا يعلمون ذلك .

وذلك أن الله - تعالى - من رحمته بعباده لا يؤاخذهم إلا بما بلغهم من العلم، فإن الفعل أو القول قد يكون كفراً كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فيطلق القول بتكفير صاحبه، فيقال من قال كذا فهو كافر، لكن الشخص المعين الذي قاله لا نحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها" (1) .

وقال أيضاً: "فإننا بعد معرفة ما جاء به الرسول - ﷺ - نعلم بالضرورة أنه لم يشرع لأمته أن تدعو أحداً من الأموات، لا الأنبياء ولا الصالحين، ولا غيرهم لا بلفظ الاستغاثة، ولا بغيرها ولا بلفظ الاستعاذة ولا بغيرها، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا لغير ميت ونحو ذلك، بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور، وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله - تعالى - ورسوله، لكن لغلبة الجهل، وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك، حتى يبين لهم ما جاء به الرسول - ﷺ - مما يخالفه" .

### 33- ثباته ﷺ وأثره في كسب المعركة:

سبقت هوازن المسلمين إلى وادي حنين، واختاروا مواقعهم، وبنوا كتائبهم في شعابه ومنعطفاته وأشجاره، وكانت خطتهم تتمثل في مباغته المسلمين بالسهم أثناء تقدمهم في وادي حنين المنحدر.

لقد باغت المشركون المسلمين وأمطرهم الأعداء من جميع الجهات، فاضطربت صفوفهم، وماج بعضهم في بعض، ونتيجة لهول هذا الموقف انهزم معظم الجيش ولاذوا بالفرار، كل يطلب النجاة لنفسه، وبقي الرسول ﷺ ونفر قليل في الميدان يتصدون لهجمات المشركين، ونترك العباس عم الرسول ﷺ يصف لنا ذلك المشهد المهيب حيث يقول: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن

الحارث رسول الله ﷺ فلم يفارقه، ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء، فلما التقى المسلمون والكفار ولّى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار، قال العباس: وأنا أخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفها إرادة ألا تسرع، فقال رسول الله ﷺ: «أي عباس، ناد أصحاب السمرة» (1) فقال العباس -وكان رجلاً صيئاً-: فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة؟ قال: فوالله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك يا لبيك! قال: فاقتلوا الكفار، والدعوة في الأنصار، يقولون: يا معشر الأنصار، يا معشر الأنصار، قال: ثم قصرت الدعوة على بني الحارث من الخزرج، فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته، كالمطاول عليها إلى قتالهم فقال رسول الله ﷺ: «هذا حين حمي الوطيس» (2).

وفي ثباته - ﷺ - عند انهزام القوم عنه بيان ما كان يتحلى به - ﷺ - من الشجاعة، وقوة البأس في القتال، قال ابن كثير بعد أن ذكر ثبات النبي يوم حنين: "وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة، أنه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى، وقد انكشف عنه جيشه، وهو مع هذا على بغلة، وليست سريعة الجري ولا تصلح لفر، ولا لكر، ولا لهرب، وهو مع هذا أيضاً يركضها إلى وجوههم، وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين، وما هذا كله إلا ثقة بالله وتوكلاً عليه، وعلماً منه بأنه سينصره، ويتم ما أرسله به، ويظهر دينه على سائر الأديان" (3).

### 34- جواز مقاتلة النساء عند أمر الفتنة:

وفي هذه الغزوة جواز مقاتلة النساء عند أمر الفتنة مع الرجال في صف المسلمين، وقد أورد ابن كثير بأسانيد صحيحة: أن أم سليم قتلت مع الرسول ﷺ يوم حنين .  
و أم سليم هي أم أنس بن مالك التي أهدت ابنها إلى رسول الله ﷺ ، وقالت: أنس يخدمك يا رسول الله فادع الله له، فدعا له.  
و أم سليم هي التي يقول عنها ﷺ: « دخلت الجنة البارحة فرأيت

(1) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين (1398/3) رقم 1775.

(2) المصدر نفسه (1399/3) رقم 1772.

(3) تفسير القرآن العظيم: (346/2)

## الرميصة في الجنة».

حضرت المعركة وكانت عندها خنجر في وسطها، فأخذ زوجها أبو طلحة يداعبها ويمازحها ويقول: ماذا تفعلين بهذا الخنجر؟ قالت: إذا تقدم مني كافر بعجت بطنه بهذا الخنجر، فسمع ﷺ مقالته فتبسم ثم دعا لها.

فأقر ﷺ المرأة على أن تشارك في الحرب عند الحاجة، أما إذا كان هناك فتنة أو مغبة اختلاط، فلا ينبغي أن تشارك المرأة إلا إذا احتيج إليها، وشأن المرأة في القتال مداواة الجرحى والقيام على الأسرى وتقريب الماء والخدمات للمقاتلين.

## 35- ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين :

يقول أحد المسلمين: لما التقينا يوم حنين رأيت كافرا من هوازن يفتك بالمسلمين فتكا ويقتل فيهم قتلا، قلت: لله علي نذر إن أمكنني الله منه أن أقتله، قال: فلما انهزموا وأصبحوا في ذمة رسول الله ﷺ تقدموا يبايعونه على الإسلام، فتقدمت لأسبق هذا الرجل قبل أن يبايع الرسول عليه الصلاة والسلام لأقتله، فسبقني حتى وقف أمام الرسول عليه الصلاة والسلام، وعلم ﷺ أنني نذرت، فأراد أن يترك لي الفرصة حتى أقتله.

قال: فانتظر فما فعلت، قال: فأسلم الرجل فولى.  
قلت: يا رسول الله أريد قتله فإني نذرت، قال: أما رأيتني تأخرت عن قبول إسلامه؟ فلماذا لم تومئ لي يا رسول الله بعينك، قال: « **ما كان لنبي أن تكون له خائنة أعين** » لأن خائنة الأعين أو الغمض من شيم أهل الخيانة والخداع والمكر والنفاق، أما الرسول عليه الصلاة والسلام فإنه صادق واضح مخلص لا يريد التواء في عقيدته ولا في سيرته ولا في معاملته للناس عليه الصلاة والسلام.

## 36- معجزتان حسيتان للنبي ﷺ :

وفي رميه - ﷺ - المشركين بالحصى، وإخباره عن هزيمتهم معجزتان حسيتان من معجزاته - ﷺ -، قال الإمام النووي: "هذا فيه معجزتان ظاهرتان لرسول الله - ﷺ -: إحداهما فعلية والأخرى خبرية؛ فإنه - ﷺ - أخبر بهزيمتهم، ورماهم بالحصيات فولوا مدبرين" (1)

(1) (شرح صحيح مسلم: (116/12))

وما ذكرناه من وقوع معجزات حسية للرسول - ﷺ - هو أمر ثابت بالأدلة القطعية التي لا يمكن تأويلها بحال، غير أن بعض من يدعون العقلانية يحاولون نفي تلك المعجزات، زاعمين أنهم حين يفعلون ذلك يقدمون الإسلام للغربيين على أنه دين العقل والمنطق، لا دين الجهل والخرافة، ومن أشهر من سار على هذا النهج الدكتور محمد حسين هيكل، حيث حاول في كتابه (حياة محمد) نفي كل ما ثبت له - ﷺ - من معجزات حسية، زاعماً أن القرآن الكريم هو المعجزة الوحيدة له - ﷺ - ، حتى إنه يصور معجزة الإسراء والمعراج على أنها نوع من الكشف الذي تجلت فيه للرسول - ﷺ - تلك المشاهد التي وردت في قصة الإسراء. (1)

وهو يورد في تبرير طريقته تلك أن "حياة محمد - ﷺ - حياة إنسانية بلغت أسمى ما يستطيع إنسان أن يبلغ، ولقد كان - ﷺ - حريصاً على أن يقدر المسلمون أنه بشر مثلهم يوحى إليه، حتى كان لا يرضى أن تنسب إليه معجزة غير القرآن ويصارع أصحابه بذلك" (2).

ولست أدري على أي شيء استند الدكتور هيكل في قوله إن الرسول - ﷺ - كان لا يرضى أن تنسب إليه معجزة غير القرآن، وهو الذي كان يخبر أصحابه بما لم يشهدوه من دلائل نبوته؛ كما في حديث الراعي الذي عدا الذئب على شاة من غنمه، فلما استنقذها منه، قال له الذئب: ألا تتقي الله، تنزع مني رزقاً ساقه الله إلي، فلما تعجب الرجل من أن ذئباً يكلمه كلام الإنس، قال له الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك: محمد - ﷺ - يثيرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق، (فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة، فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله - ﷺ - فأخبره، فأمر رسول الله - ﷺ - ، فنودي الصلاة جامعة، ثم خرج فقال للراعي: أخبرهم، فأخبرهم فقال رسول الله - ﷺ - :- **صدق... (3)**) وفي الصحيح قوله - ﷺ - لأصحابه: **«إني لأعرف حجراً بمكة كان**

(1) انظر: حياة محمد (ص: 165).

(2) (المصدر السابق) (ص: 51).

(3) (أخرجه أحمد (83/3)، وصححه الحاكم (514/4)، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (150/6) وقال: هذا

إسناد صحيح على شرط الصحيح، وقد صححه البيهقي.

يسلم عليَّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن» (1) ، وغير ذلك كثير .  
 إننا نقول إنه إن كان القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى للرسول - ﷺ - ، فإن ذلك لا يمنع من ورود الكثير من المعجزات الحسية إقامة للحجة على المعاندين، وتثبيتاً لقلوب المؤمنين في عصره وإلى يوم الدين، وقد جاءت عشرات النصوص الدالة على وقوع تلك المعجزات فلا مجال لإنكارها أو تأويلها بأي وجه من الوجوه .

### 37- ذكر الرجل نفسه عند اللقاء ببعض مناقبه:

عندما يذكر الرجل نفسه ببعض مناقبه عند اللقاء فإن هذا لا ينقص من أجره ولا من مثوبته شيئاً، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام لما رأى الكتابب تتدفق عليه مثل الجبال، قال: « أنا ابن العواتك » وقال: « أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب ».

وانتسب لجدته لشهرته في العرب، فهذا لا يثلم في الأجر ولا ينقص في المثوبة، ولذلك يقول أحد الصحابة: التقينا مع الكفار فخرج غلام من الأنصار فرمى كافراً وقال: خذها وأنا الغلام الأنصاري، فأخبروا الرسول عليه الصلاة والسلام، فقال: وما عليه أن يؤجر ويحمد أي: فهو مأجور ومحمود، ولذلك كان كبار الصحابة إذا بارزوا الأبطال أنشدوا فخراً ورفعاً للمعنوية وحماساً وإبداءاً للشجاعة.

قال أهل السير ومنهم ابن كثير و ابن هشام ، التقى مرحب مع علي فنزل مرحب يقول:

قد علمت خبير أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب  
 إذا الحروب أقبلت تلهب

فنزل له علي وقال:

أنا الذي سمتني أمي حيدرہ کلیث غابات كریه المنظره  
 أکیلکم بالسيف کیل السندرہ

وخرج سعد بن معاذ ؓ وأرضاه وهو لابس سلاحه في غزوة من الغزوات وهو يقول:

لبث قليلاً يشهد الهيجا جمل لا بأس بالموت إذا حان الأجل  
 وهكذا ابن رواحة أنشد في المعركة رضوان الله عليهم جميعاً، فكان شعارهم أن يتقدموا بهذا، وهي سنة عند العرب، يقول الأحنف بن قيس

(1) ( أخرجه مسلم (2277) والترمذي (3624) من حديث جابر بن سمرة).

وقد كان يقاتل في سجستان وهو الذي فتح الطريق إلى كابل قبل الجراح بن عبد الله الحكمي ، يقول:

عهد أبي حفص الذي تبقى أن يخضب الصعدة أو تندقا

## وقفات تربوية مع حديث تقسيم الغنائم في حنين<sup>(1)</sup>.

### 38- الوقفة الأولى: كرم بلا حدود :

إنه كرم النبي - ﷺ - وجوده المنقطع النظير، بل السهل الممتنع، ذلك الكرم الذي يصل إلى حد أن يعطي الرسول - ﷺ - - الرحيم بأتمته مئات من الإبل لأفراد لم يقاسوا بعد مشقات الطريق، ولم تُخَبَّر بعد موافقهم، بل إنَّ منهم من سقط في أول اختبار له في حنين، ولكنها الحكمة النبوية الرائعة؛ فالمال عند القائد الرباني لا يعني شيئاً؛ لأنه ليس من أرباب الأموال الذين تتمايل نفوسهم وراء الدينار والدرهم، وترحل معها حيث رحلت؛ فهذا القائد يعطي متى ما كان معه شيء، ولو كان ثوبه الذي يلبسه؛ فعن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال: جاءت امرأة إلى النبي - ﷺ - - ببردة، فقالت: يا رسول الله! أكسوك هذه؛ فأخذها النبي - ﷺ - - فلبسها، فرأها عليه رجل من الصحابة فقال: يا رسول الله! ما أحسن هذه! فأكسنيها، فقال: «نعم!»<sup>(2)</sup>.

ويَعِدُّ - ﷺ - - ويبشر بالخير ولا يقيِّط أحداً؛ فعن جبير بن مطعم - رضي الله عنه - قال: بينما أسير مع رسول الله - ﷺ - - ومعه الناس مقفلة من حنين، فعلقت الناس يسألونه، حتى اضطره إلى سُمرة، فخطفت رداءه فوقف النبي - ﷺ - - فقال: «أعطوني ردائي! لو كان عدد هذه العضاة نعماً لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً»<sup>(3)</sup>.

وكان يبشر أصحابه فيقول: «..فأبشروا وأملوا ما يسركم؛ فوالله لا الفقر أخشى عليكم! ولكن أخشى عليكم أن تُبْسَطَ عليكم الدنيا، كما بُسِطَتْ على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما

(1) (طه بن حسين بافضل) مجلة البيان العدد 211 لعام 1426هـ.

(2) (البخاري، الفتح 10 (6036)).

(3) (البخاري، كتاب الجهاد، رقم (2609)).



أهلكتهم» (1).

القائد أياً كان وضعه عالماً، أو موجهاً، أو معلماً، أو قائداً عسكرياً لا يحبس شيئاً عن أتباعه، أو يبخل عنهم بشيء، كما أنه يعطي رجالاً ويترك آخرين لحكم يراها مثل قوة إيمانهم، وإخلاصهم، ويقينهم، واستقامتهم، وثباتهم؛ فهو حكيم بنفوس الرجال، يقدر قدرها، ويعرف كيف يمكن قيادها، وما هي الطريقة المثلى لعلاج ما اعوجَّ من سلوكها، فالقيادة والترؤس ليس تصدراً وظهوراً فحسب، فهذا يسير حتى على الأعمار وصغار الشباب، ولكن الأمر شيء آخر أبعد من ذلك.

لقد كان كرم النبي - ﷺ - لا لأجل استمالة قلوبهم إلى الباطل، وتزيينه في قلوبهم، وليس لأجل كسب ودِّهم وتعاطفهم مع شخصه - ﷺ - بعيداً عن وظيفته التي كلفه الله بها، وهي الرسالة السماوية الخالدة، وإنما كان لهدف سامٍ ومقصد غاية في النبل والنقاء؛ وهو تأليفهم على الحق وتقريبهم له حتى يثبتوا وتخالط بشاشته قلوبهم .

### 39- المصلحة الشرعية ميزان العطاء والمنع :

ينبغي للقائد في مسألة العطاء والمنع أن يقوم بأمر غاية في الأهمية، حتى لا يهتز مشوار تربيته لتلاميذه وأتباعه: وهو أن يعلمهم بميزان العطاء والمنع الذي يستند إليه، بل وفي كل مسائل تأليف النفوس من تقريب فلان على غيره، والاهتمام بمجموعة على أخرى وهكذا؛ لأن ذلك مدعاة إلى ترسيخ قواعد الثقة بينه وبين الأتباع، ودحض لكل الأقاويل والترهات التي تلوکها الألسن؛ بغية التفريق، وزعزعة الصف، وتوهين لحمته وسداه .

فهذه السياسة البعيدة الأفق للنبي - ﷺ - لم تُفهم أول الأمر، بل أطلقت ألسنة شتى الاعتراض؛ فهناك مؤمنون ظنوا هذا الحرمان ضرباً من الإعراض عنهم، والإهمال لأسرهم .

روى البخاري عن عمرو بن تغلب قال: أعطى رسول الله - ﷺ - قوماً ومنع آخرين؛ فكانهم عتبوا عليه، فقال: «إني أعطي قوماً أخاف هلعهم وجزعهم، وأكل قوماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى، منهم عمرو بن تغلب» قال عمرو: فما أحب أن لي بكلمة

1. ( البخاري، كتاب الجزية، رقم (2924)، ومسلم كتاب الزهد، رقم (5261)

رسول الله - ﷺ - حمر النعم؛ فكانت هذه التزكية تطيبياً لخطر الرجل، أرجح لديه من أئمن الأموال» - - . ﷺ . فالرسول - ﷺ - يستخدم هذه السياسة، ويثبت تلك القاعدة العتيدة في ميزان العطاء والمنع؛ «أعطي قوماً أخاف هلهم وجزعهم، وأكل قوماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى»، بل يبين مقاصدها وأهدافها؛ فهذا هو يقول للأنصار: «أوجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً أسلموا، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام؟ أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم؟»

إن الدعوة إلى تمثل هذا الميزان من قبل الموجهين، والمربين، والقادة في الحقل الدعوي ليس معناه أن يبقى القائد رهيناً لأهواء تلامذته، وانتقاداتهم، وأمزجتهم، بل إن المسألة لا تعدو أن تكون تربية بالمواقف؛ فهو يستغل كل موقف وحدث استغلالاً رائعاً حتى يجعله لبنة في بنیان النفوس، وحبلاً يشد ويمد إلى رب العالمين؛ فترتبط بخالقها وبارئها، فلا ترتبط بهذه الدنيا وحطامها وشهواتها؛ ولذا كان لزاماً على القائد أن يكون قريباً من رجاله وتلامذته، يتحسس أخبارهم ولا يتجسس، ويشعر بالأمهم، ويقم مواقفهم ببراءة نفس، وصفاء سريرة دون أي مقدمات مسبقة، أو تراكمات سابقة، بل المعيار عنده كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ -، ثم الخبرة الكبيرة التي اكتسبها من مشواره الطويل في خدمة هذا الدين وما أصابه وتعرض له من ابتلاءات ومشكلات .

#### 40- المبادرة إلى حل الإشكالات :

عدم تأخر النبي - ﷺ - في حل الإشكال الحادث؛ فما أن سمع بالخبر حتى ذهب مسرعاً إلى القوم، بعد أن استدعاهم، وأنهى بحكمته وحنكته هذا الأمر الطارئ؛ فلو أنه تأخر أو استهان به وتركه، مع أنه سيكون حينئذ معذوراً؛ فهو النبي، وهو القائد الأعلى الذي على عاتقه من المهمات والأعمال الشيء الكثير - فلو أنه تأخر - لكان هذا الموقف من الأنصار - - رضي الله عنهم - - قنبلة موقوتة، ربما ستنفجر يوماً من الأيام، وتعلق في أفئدة الرجال استفهامات وتقديرات خاطئة، تساعد على مواقف أخرى، والشيطان لا يترك مثل هذه الفرص، بل يؤججها ويجعلها فتية قابلاً للاشتعال فهو قد: «أيس أن يعبد المصلون

### في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم» (1).

«وتلك سنة حميدة يجب أن يتبعها القادة والزعماء مع أنصارهم ومحبيهم؛ فإن الأعداء متربصون لاستغلال كل حادثة أو قول يضعف تعلق المحبين بقادتهم، والشيطان خبيث الدسّ، سريع المكر؛ فلا يهمل القادة استرضاء أنصارهم مهما وثقوا بهم» (2).

تحدث المشاكل بين العاملين في الحقل الدعوي، وتصل قضاياهم إلى قيادة العمل، ولكن للأسف تجد خمولاً إزاءها ولا مبالاة، وكأن هذه القيادة ليس لها إلا التصدر والتروؤس، واستصدار الأحكام والفتاوى، أما حل تلك المشكلات وتقريب النفوس وتهذيبها فهذا ليس من اهتماماتها؛ لأن بعضهم يزعم أنها ستشغلهم عن مهمات كبيرة جداً، ولا أدري: هل هذه المهمات أعظم من التفكك والانشقاقات والتصدعات، وهشاشة العمل وتأخر ثمرته؟ فهل هؤلاء القادة يحملون أثقالاً أكثر وأعظم مما حمله - ﷺ؟ ولكن المشكلة الحقيقية عند بعض قيادات العمل الدعوي: هي عدم تقدير المواقف بشكل صحيح، وعدم القدرة على استيعاب مواطن الخلاف بين العاملين أو التلامذة، ومن ثم عدم قدرة القائد تحمل أن يرى عماله أو تلامذته يختلفون أمامه، بل بعض القادة يتمنى أن لو كانت الأمور تسير دائماً على ما يرام لا يشوبها كدر ولا خلاف أو شقاق وهيهات. لقد نسي هؤلاء - وفقهم الله - أن الله تعالى قال: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظَلِّعَكُمْ عَلَىٰ الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِنْ رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 179].

إن هذه الخلافات التي تبدو لأول وهلة صغيرة فإن فيها من مغذيات النمو ما هو كفيل بأن يجعلها مفاصلات مع المربي نفسه، ودماراً وخراباً لكل ما بناه في سنيه التي خلت؛ فليس معه إلا أن يوجه أصابع الاتهام ليس إلى ذاته، وتفكيره، وعدم حنكته، وضعف بديهته، وإنما بالدرجة الأولى يوجهها إلى هذا الجيل المتأخر غير المتربي، والذي لا يحترم الكبير فضلاً عن القائد والمربي، ولعمري! إنها لمصيبة

(1) (رواه مسلم (2812) من حديث جابر)

(2) (السيرة النبوية، دروس وعبر، لمصطفى السباعي، ص 92 .

عظيمة أن نلقي التبعة على غيرنا، ونخرج نحن خارج الدائرة .

#### 41- الحلم مع القدرة :

سعة صدر النبي - ﷺ - وتحمله للنقد الموجّه له؛ «يغفر الله لرسول الله - ﷺ -؛ يعطي قريشاً ويدعنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم؟» (1) .. فلم يرتفع صوته أو يحمّر وجهه ويَسوّد، ولم يرتب أحكاماً ومواقف على هؤلاء المتكلمين؛ فيتعامل معهم معاملة جديدة وفق هذه المعطيات، فيهجّرهم ويقاطع العمل معهم؛ بحجة أنهم لا يحترمون القيادة، ولا يوقرون الكبار، ولا يقدرّون فضائل من ضحّى من أجلهم. كلا، لم يفعل - ﷺ - شيئاً من ذلك؛ بل ذهب إليهم، وطرح عليهم أسئلة حكيمة، ثم مدحهم، وأثنى عليهم ثناءً ومدحاً فوق مستوى الحدث، لم يكن أحد منهم يتوقع هذا المدح والثناء؛ فلم يستطيعوا أن يوقفوا تدفق الدموع على خدودهم .

إن بعض القادة والمربين يستطيع أن يستميل قلوب تلامذته ورجاله لو رأهم أخطأوا بموعظة بليغة توجّل منها القلوب، وتذرف منها الدموع، إلا أنه تغلبه الطبيعة التي تربي عليها منذ صغره؛ فيرى أن كبريائه قد جرحت وخدشت، ولا يعيدها إلا اعتذار على مستوى رفيع، كأن يعتذر هؤلاء الذين تكلموا ليس في اجتماع مغلق: كالحظيرة أو القبة التي اجتمع فيها الأنصار بل اعتذار على الملاء، حتى يجرح كبريائهم ويخدشه مثلما فعلوا .

إن الرفق بالمتلقي إذا أخطأ أمر مهم جداً؛ إذ إن القسوة عليه في غير محلها، وهو يحب مربيه ومعلمه يوغر في صدره أموراً، وي طرح أمام ناظره عدة تساؤلات، لا يجيب عليها إلا واقع سيئ يعيشه هذا المترابي في تعامل قاداته مع أتباعهم .

كما أن على القائد أن يضع في عين الاعتبار والاهتمام أن أتباعه ذوو عقول تزداد خبرةً وعلماً ومعرفةً يوماً بعد يوم، وفكرًا ينضج ساعةً بعد ساعة. فلو أهملت هذه العقول وتلك الأفكار المترامية لكانت العاقبة وخيمة، ويسقط البنیان من القواعد .

يجب ألا نتعامل مع المنتقد على أنه ذلك الشاب الصغير الذي كان يوماً من الأيام لا يستطيع أن يثبت النظر في عيني شيخه ومعلمه، أو

(1) هذا من رواية أنس كما عند البخاري (251/6) رقم (3147)

ذلك الطالب الذي كان يتلعثم في كلامه .  
 فعجلة الزمن لا تتوقف؛ فهي تدور ويتطور معها الكائن البشري،  
 ويرتقي في سلم الكمال؛ فيصبح المترابي أو الجندي قائداً بين لحظة  
 وأخرى، وربما نذاً لقائده ومعلمه ومربيه .

#### 42- الصراحة، والوضوح :

لقد كان سعد بن عبادة - رضي الله عنه - صريحاً وواضحاً في خطابه مع  
 النبي - صلى الله عليه وسلم - قائده ومعلمه؛ فما هو يقول له: «يا رسول الله! إن هذا  
 الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفياء  
 الذي أصبت؛ قسمت في قومك وأعطيت عطايا في قبائل العرب، ولم  
 يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء .  
 إن هذه الصفات والخصال الحميدة لا يجيدها إلا النادر من التلاميذ  
 والأتباع، ولا يتقبلها إلا القليل من القادة أو الموجهين الذين لا يضعون  
 على أنفسهم هالة من التبجيل، ولا تصيبهم غضاضة لو لم ينادَ بلقبه أو  
 مركزه العلمي .

الصراحة، والوضوح أسماء ومعانٍ قلما تجد من يتمثلها فتصبح  
 واقعاً وسلوكاً ومنهجاً في تعامله مع الآخرين صغاراً أم كباراً، ولذا  
 فإنك ترى من يفعل ذلك قد أصبح لكلامه وقع في النفوس، ولوعظه  
 تأثير في القلوب، وأعماله منهج يسير عليه ويقتدي به الآخرون، وما  
 ذلك إلا لأن هؤلاء قد عظموا الله - جل جلاله - تعظيماً فاق كل  
 التصورات، واقتفوا أثر نبيهم، فكان نبراساً لهم في هذه الحياة. وما  
 أجمل وضوح سعد بن عبادة - رضي الله عنه - وشفافية رده للنبي - صلى الله عليه وسلم - عندما  
 سأله: «**فأين أنت من ذلك يا سعد؟**» فقال - رضي الله عنه -: «يا رسول الله! إنما  
 أنا رجل من قومي»؛ أي: أن قولهم ورأيهم هو قولي ورأيي. لم يكن  
 سعد - رضي الله عنه - متكلفاً أو مجاملاً أو متلوناً، وهذه صفات تكثر في الأتباع  
 تجاه قادتهم؛ مما يورث الجماعة انقساماً، وتحزباً، ونجوى مفسدة  
 وموهنة لحبل الاجتماع. وقد يقول قائل: إن سعداً كان إمعة في قوله  
 ذلك، أو أنه خاطب النبي - صلى الله عليه وسلم - بالمنطق الجاهلي :

وما أنا إلا من غزية إن غوت \*\*\* غويت وإن ترشد غزية أرشد  
 كلاً! إنها مسألة بدهية أن يجد الإنسان في نفسه عندما يرى العطايا تقسم  
 ولا يصل له منها شيء، مع أنه جزء من الجماعة؛ فما بالك إذا كان هو  
 مرتكز التغيير والتحول، وصاحب السابقة، والتأييد، والإعزاز،

والنصرة؛ فكيف سيكون الحال؟

إن المسألة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بفطرة الإنسان في محبته للمال والعتاء؛ فلا أحد يرضى أن يكون فقيراً أو معدوماً، والله قد أحل الغنائم لأمة محمد - ﷺ -؛ فأبي غصاصة أن يطلب الإنسان حظه منها؟! !

وهنا يأتي دور الإيمان واليقين والتسليم والاحتساب، يأتي دور المربي كي يبني بنيان الإسلام في قلب المترابي بكل ما يحمله من قيم ومبادئ ومعان سامية، حتى لا يبقى في قلبه سوى حب الله وحب الرسول - ﷺ - وما أعده الله للصابرين الذين باعوا الدنيا وما فيها، واشتروا بها جنة عرضها السموات والأرض، وهذا الذي فعله - ﷺ -؛ فقد أعلنها واضحة جلية: أن قضيتهم ليست مرتبطة بأعاعة الدنيا وحقاتها، وإنما مرتبطة باتباع هديه، ونصرة دينه، وإعلاء كلمة الله؛ فليذهب الناس بالشاة والبعير، فليس هناك مشكلة؛ بل أعظم المصيبة والبلاء أن يذهب المرء ومعه حظوظ الدنيا، وهو خالي الوفاض من دينه، وتمسكه بما أمر ربه، والتزام ما نهى؛ فالتخليط ديدنه، والتلون طريقته، والترخص عاداته .

### 43- الموعظة وليس الغلظة والفظافة :

المتأمل لردة فعل النبي - ﷺ -، وبما خاطب الأنصار في الحظيرة يجد أنه استخدم بذكائه العظيم، وحسن سياسته للأمر، أسلوب الموعظة. لقد عرف - ﷺ - من هم الأنصار، وما هي نفسياتهم، وفيهم يفكرون، وكيف يتعاملون؟! عرفهم في البأساء والضراء، عرف فيهم دماثة الأخلاق، والكرم الجم، والحب الكبير له - ﷺ -؛ فلماذا إذاً يعنفهم ويقسو عليهم؟ وهو القائل: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه»(1)، وهو الذي قال عنه المولى- تبارك وتعالى - : **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾** [آل عمران: 159].

وما أوج قادة العمل الدعوي إلى استخدام هذا الأسلوب الدعوي العظيم إذا أوج سلوك النخبة من تلامذتهم وأتباعهم! ماذا يضيرهم لو سلكوا هذا المنحى؟ قد يظن بعضهم أنه ربما ينقص من قدره ومكانته،

بل العكس إنما هو رفعة له في قلوبهم، وازدياد معدل المحبة فيها .  
لقد عاتب - ﷺ - أنصار دعوته ومحبيه ليدلل على محبته لهم،  
واهتمامه بحالهم وأوضاعهم، يعيش الأمهم، ويحس بجراحهم لتبقى  
المودة على الدوام .

أعاتب ذا المودة من صديق \*\*\* إذا ما رايني منه اجتناب  
إذا ذهب العتاب فليس ود \*\*\* ويبقى الود ما بقي العتاب  
«فما ثم شيء أحسن من معاتبة الأحاب، ولا أذ من مخاطبة ذوي  
الألياب» (1).

ومن هنا كان لزاماً على من تولى قيادة النفوس أن يتقن فن  
الوعظ وطرقه؛ لأنه سيحتاج إليه حتماً في مسيرته التربوية والدعوية؛  
فالسامة والملل وتكرار صور الحياة أمور يجب الخوف منها، ومدافعتها  
عن قلوب الأتباع؛ فها هو ابن مسعود يقول: «كان النبي - ﷺ - يتخولنا  
بالموعظة في الأيام كراهة السامة علينا» (2).

ويحتج بعضهم أن القيادة مشغولة بمهام عدة، وربما ليس عندها  
وقت لتجلس مع أتباعها، وتُصلح ما فسد بينهم بسبب الشحناء  
والاختلاف. وهذا غير صحيح ومجانب لواقع النبي - ﷺ -؛ ألم يكن  
بمقدور النبي أن يعض الطرف عن ما بدر من الأنصار ويذهب  
لمهامه العظام؟ أليس شغل النبي - ﷺ - في تلك الفترة أعظم من  
انشغالات قيادات اليوم؟ بلى! ولكن القضية هي لا مبالاة قاتلة بواقع  
الأتباع، يرتكبها القادة بقصد أو بغير قصد. والنتيجة سيئة للغاية  
ومعالها بادية للعيان: وهنّ في واقع الأتباع، ضعف للهمم، ركون لمتع  
الدنيا الزائلة؛ ويأس وقنوط من تعيّر وعدم تغيير الأوضاع .

لقد كان - ﷺ - يتخذ من الوعظ بشتى صورته وأساليبه سلاحاً نافعاً  
لتلك المعالم أنفة الذكر، حتى استطاع أن يخرج جيلاً يقوم بواجب تبليغ  
الرسالة للأمم حق القيام، وكذلك كان الخلفاء الراشدون والأئمة من  
بعده. أما اليوم فالأمر بخلاف ذلك، والله أعلم .

#### 44- التذكير بالفضائل لأجل المتابعة :

إن من العُرم الكبير الذي يقع على القائد، والموجه، والمربي من

(1) (المستطرف في كل فن مستظرف، 284)

(2) (البخاري، الفتح 101/1 واللفظ له، ومسلم 2633)



تلامذته، وأتباعه نسيانهم لفضائله وأعماله ومناقبه؛ فكم بذل وضحي وقاسى! وكم سهر وتعب وآسى! وربما مرض لأجل تربيتهم والحفاظ عليهم من الأعداء والمتربصين بهم؛ فكم كان يخطط وينسق وينظم جداول الأعمال والأمال لأجل صنع مستقبل مشرق، وتاريخ مجيد لهم في خدمة أمة الإسلام، ورفع راية التوحيد!

تُنسى الفضائل والأعمال والمناقب، بمجرد أن يصبح الطويلب طالب علم، أو شيخاً، أو علماً دعويّاً .

وتُنسى عندما يصبح طالب حلقة التحفيظ حافظاً لكتاب الله وقارئاً للقرآن يحمل الإجازات والقراءات .

وتُنسى أيضاً عندما يخطئ القائد خطأً ما، ويفحش في خطأ ما؛ بأن يصر عليه، ويتعنت فيه لرؤية رآها، واجتهاد وصل إليه والتلامذة والأتباع يرون خلاف ذلك، وأن قائدهم قد جانب الصواب .

ولوازم هذا النسيان متنوعة؛ فإما أن يوصم القائد بالتشدد أو الحزبية أو ضعف الرؤية، ثم تأتي معاول الهدم لتضرب على جدار تاريخه: ماذا فعل؟ لقد أضر العمل، وميّع القضية، وركن إلى الدنيا وشهواتها الدنية، ثم ينقّب في أخطائه وزلاته حتى تصبح في نظرهم كالجبال، والنتيجة على أحسن الأحوال مقاطعة لمحاضراته ودروسه، ويبقى السلام والزيارة في الأعياد والمناسبات. أما على أسوأها فهو مبتدع، ضال، منحرف، أشد على الإسلام من اليهود والنصارى، لو استطاعوا أن يقتلوه لقتلوه ورموه في عرض الطريق .

لقد كبرت عقول الصغار حتى نسوا الماضي التليد، وانشغل الكبار حتى نسوا أنهم في عجلة الزمن التي لا تتوقف لمتباطئ، أو غافل، أو بليد .

فمن حق القائد أن يوضح أعماله وفضائله ومناقبه، حتى يكون له الغنم وليس عليه الغرم، أو تعتدل كفة الميزان على الأقل .

ولعلنا نتذكر يوم دخلت الأحزاب على عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وأرادوا قتل أمير المؤمنين، وثالث الخلفاء الراشدين المهديين .

قال لزعمائهم: «أنشدكم الله! أتعلمان أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما قدم المدينة ضاق المسجد بأهله، فقال: «من يشتري هذه البقعة من خالص

ماله فيكون فيها كالمسلمين، وله خيرٌ منها في الجنة؟» فاشتريتها من مالي، فجعلتها بين المسلمين، وأنتم تمنعوني أن أصلي فيه ركعتين، ثم قال: أنشدكم الله أن تعلمون أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما قدم المدينة لم يكن



فيها بئر يستعذب منه إلا بئر رومة، فقال رسول الله - ﷺ -: «**من يشتريها من خالص ماله فيكون دلوه فيها كدلاء المسلمين وله خيرٌ منها في الجنة؟**» فاشتريتها من خالص مالي وأنتم تمنعوني أن أشرب منها. ثم قال: هل تعلمون أنني صاحب جيش العسرة؟ قالوا: اللهم نعم!<sup>(1)</sup>.

لم يكن تصرف عثمان - ﷺ - يחדش مقام الإخلاص في قلبه، وإنما كان مجرد وسيلة لاستمالة قلوب أولئك الأجلاف الأخطا من الناس، لكنها لم تنفع؛ ولذا فإن استمالة القلوب تكون أحياناً لا فائدة فيها عندما تقابل قلوباً أقسى من الحجارة، ناكرة للجميل، ومتناسية للأيام الخوالي، والزمن الطويل، فلم تترب التربية الإيمانية، ولم تصف سريرتها وأعمالها فتصبح نقية روحانية؛ ولذا فقد نفعت مع الأنصار حينما خاطبهم رسول الله - ﷺ - بخطاب رائع وموجز، لكنه غني: «**ألم أجدكم ضاللاً فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟**»<sup>(2)</sup>.

ولعلنا نتساءل: هل كان رسول الله - ﷺ - بحاجة إلى أن يوضح للأنصار ما عمل لهم؟ أو يخبرهم بحالهم، وكيف انتقلوا من حال الضعف إلى حال القوة بمجيئه - ﷺ - إليهم؟ هل كان بحاجة إلى كل هذا؛ وقد قضى معهم ثماني سنوات، كانت كفيلاً بأن ترسخ تلك الحقائق في أذهان الأنصار؟

يجاب عن هذه التساؤلات بأن الإنسان ما سُمي إنساناً إلا لنسيه، كما روي عن ابن عباس - ﷺ - (3). وقد قال القائل:

وما سمي الإنسان إلا لنسيه \*\*\* وما القلب إلا أنه يتقلب  
فالأنصار بشر يعرض لهم ما يعرض للبشر من النسيان، والسهو والغفلة، وهُم من المؤمنين الذين أمر الله نبيهم أن يذكرهم **(وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ)** [الذاريات: 55]؛ فلما ذكّرهم نفعتهم الذكرى، واعترفوا بصدق ما قال؛ لأنهم يحملون قلوباً أرقق من النسيم، ما أن

(1) رواه الترمذي والنسائي، وقال الترمذي: حسن صحيح. وانظر البداية والنهاية لابن كثير، (191/7)

(2) ( البخاري، الفتح 7 / 4330، ومسلم (1061) من رواية عبد الله بن زيد بن عاصم - ﷺ

(3) لسان العرب: مادة (أنس)، 232/1.

تسمع الحق حتى وتبشره بالخشوع والبكاء؛ فليت لنا قلوباً مثل قلوبهم أو حتى نصفها .

أما الجانب الآخر من الاعتراف بالفضل: فهو اعتراف القائد بفضل أهل السبق ومكانتهم، وهذه قضية غفل عنها كثيرٌ من قيادات العمل الدعوي اليوم، فترى أحدهم تمر عليه السنون ولم يظهر ثناؤه لرجاله الذين ساندوه، ووقفوا إلى جانبه في الملمات والمهمات، وفي المصائب والنكبات؛ ألم يكن النبي - ﷺ - يقول عن أبي بكر: **«لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر»** (1) .

وعن أبي عبيدة: **«أمين هذه الأمة»** (2)

والزبير: **«إن لكل نبي حوارياً، وحواريّ الزبير»** (3)! وها هو يقول للأنصار: **«والله! لو شئتم لقلتم - فصدقتم وصدقتم - جننتنا طريداً فأويناك، وعائلاً فأسيناك، وخائفاً فأمناك ومخدولاً فنصرناك»**، وقال عنهم في آخر عمره: **«أوصيكم بالأنصار؛ فإنهم كرشي وعيبتي، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم؛ فأقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم»** (4)؛ فهل قيادات العمل الدعوي - يا ترى -

قلبت صفحات سيرة المصطفى - ﷺ - وتأملت هذا الجانب؟

إن هذا التصرف من القائد له نتائج جميلة في نفوس النخبة الخُلص من الأتباع: فهو يبني بنیان الثقة في نفوسهم، ويكبر هو في عيونهم، ويرون أن كل ما قدموه لم يذهب هباءً منثوراً؛ فهو محفوظ في قلب قائدهم، ومرفوع - إن شاء الله - عند خالقهم وبارئهم. فلا يضرهم إن لم يحصلوا ذهباً ولا فضة أو ديناراً أو درهماً؛ فكلمات القائد يخطها الأتباع بماء الذهب؛ فتصبح أوسمة ونياشين تعلق في صدورهم، يتذكرونها في ذهابهم وإيابهم، وقبل منامهم، تشد فيهم همة الاستمرار على العمل، وتشعل في نفوسهم حماساً بالغاً لتحقيق الأمل .

فالإنسان مجبول على حب الثناء من الآخرين؛ وذلك لضعفه الفطري، حتى إذا تدرج في سلم الكمال، وارتقى في درجات القرب من

1 (البخاري، الفتح 7 (3654) من حديث أبي سعيد الخدري - . - ﷺ

2 (البخاري، الفتح 13 (7255) ومسلم (2419) من حديث أنس بن مالك - . - ﷺ

3 (البخاري، الفتح 6 (2997) واللفظ له، مسلم (2415) من حديث جابر بن عبد الله - . - ﷺ

4 (البخاري، الفتح 7 (3799)، مسلم (2510) واللفظ له

الله الكبير المتعال، استوى عنده مدح الصديق المنوال، وذم العدو الحقود الغالّ .

#### 45- لا لإشاعة أخبار المشاكل :

جاء في رواية أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - : «فخرج سعد، فصرخ فيهم، فجمعهم في تلك الحظيرة، فجاء رجل من المهاجرين فأذن له فدخلوا، وجاء آخرون فردهم، حتى لم يبق من الأنصار أحد إلا اجتمع له أتاه، فقال: يا رسول الله! قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار؛ حيث أمرتني أن أجمعهم، فخرج رسول الله فقام فيهم ... هذا المقطع من الرواية يبين لنا دلالات مهمة، ينبغي التفتن والاهتمام بها :

منها: أنه إذا حدث إشكال معين في صفوف الأتباع؛ فمن الحكمة ضرورة محاصرة خبره؛ لكيلا يصل خبره بين الأتباع الآخرين الذين ليس لهم علاقة به، ولم يشاركوا فيه؛ إذ إن وصول الخبر إليهم مدعاة لتضييع الأوقات وهدر الأوقات؛ فيتفشى فيهم ما نهى عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من القيل والقال، وكثرة السؤال، وربما يعد عاملاً مساعداً في تفريق الجماعة، وبعث النعرات الخامة في النفوس. ولقائل أن يسأل: ألم يدخل أحد من المهاجرين حظيرة الاجتماع؟ الجواب: نعم! ولكن قد بينت الرواية الأخرى عند الإمام أحمد من حديث أنس قال: «فجمعهم في قبة له، حتى فاضت فقال: فيكم أحد من غيركم؟ قالوا: لا، إلا ابن أختنا. قال: «ابن أخت القوم منهم»(1).

ومنها: على القائد أن لا يحمّل بقية الأتباع تبعة أخطاء مجموعة معينة من الأفراد؛ **﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾** [الأنعام: 164]، فما ذنب من لم يعلم، ولم يكن مشاركاً، أو مؤيداً أن يتحمل تبعات ونتائج أخطاء الآخرين؟ أليس الجهل بالأمر عذراً كافياً لاستثنائهم؟ بلى! ولذا فقد دلت الروايات أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد جمع حياً واحداً من الأنصار، ولم يجمع الأنصار كلهم .

ومنها: أن مشاركة الآخرين مدعاة أيضاً إلى أن تأخذ نفوس المخطئين العزة بالإثم والإصرار على الخطأ، ومحاولة تسوية أخطائهم؛ بذكر مثالب القائد، سواء كان في نفسه وإدارته، أو حتى في

أُسرته؛ فيسمع الصغير والكبير بذلك، فتحدث له فتنة جديدة ستكون عوناً على انحرافه وخروجه من دائرة الطيبين .  
ومنها: أن تصرف النبي - ﷺ - كان غاية في الحكمة، وقمة في الذكاء والحنكة، فلم يجلس مع أبي بكر وعمر، أو المهاجرين ليحكي لهم ما بدر من الأنصار، حتى يؤكد صحة مذهبه وطريقته؛ فيقوى بذلك جانبه، ويحقق مآربه، كلاً! فهو القائد والمعلم، وأولئك تلاميذ فحسب، والتلميذ مهما بلغ فهو تلميذ يجب أن يحترم قائده وموجهه، ويصبر على تعنيفه وإساءته؛ ففي معارضته حرمان نفسه لخيره وفضائله وصدق القائل :

اصبر على مر الجفا من معلم \*\*\* فإن رسوب العلم في نفراته  
لقد انفراد - ﷺ - بهذا الحي من الأنصار لينصحهم ويربيهم على انفراد  
تام؛ ليؤكد لنا على أهمية النصح للمخصوص دون استماع غيره، سواء  
كان هذا المخصوص فرداً أو جماعة وصدق الشافعي حين قال :  
تعهدني بنصحك في انفرادٍ \*\*\* وجنبني النصيحة في الجماعة  
فإن النصح بين الناس نوع \*\*\* من التوبيخ لا أرضى استماعه  
فإن خالفتني وعصيت أمري \*\*\* فلا تغضب إذا لم تُعط طاعة  
وقال مسعر بن كدام - - ﷺ - - : «رحم الله من أهدى إلي عيوبي في  
سر بيني وبينه؛ فإن النصيحة في الملاءم تقريب»(1).

#### 46- التعميم لا التعيين :

لقد استخدم - ﷺ - لفظاً عاماً في مخاطبة الحضور، ولم يعين شخصاً بعينه، أو اثنين أو ثلاثة بأسمائهم مع أنه - والله أعلم - كان يعلم بالذين تكلموا؛ فالوحي لم يكن ليترك النبي - ﷺ - دون أن يخبره بمثل ذلك .  
والم تأمل لسيرة النبي - ﷺ - وخطابه عند حلول المشكلات، أو حدوث الأخطاء من الصحابة يرى استخدامه لكلمات عامة: «**ما بال أقوام، وما بال رجال**»، وإليك نماذج من ذلك :  
«**ما بال أقوام ينتزهون عن الشيء أصنعه؟ فوالله! إنني أعلمهم بالله وأشدهم له خشية**»(2).

(1) .(الآداب الشرعية، لابن مفلح (290/1)

(2) (البخاري، الفتح 7301/13 ومسلم (2356) من حديث عائشة.

«ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، ولكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني» (1).

«ما بال رجال يؤذونني في أهلي، ويقولون عليهم غير الحق؟ والله! ما علمت عليهم إلا خيراً. ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً، ولا يدخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي» (2).

«يا معشر الأنصار! » خطاب له مدلولاته ومعانيه وقوة حضوره، وهو نداء يشعل في قلوب السامعين ذكرى اللحظات الحاسمة في بيعة العقبة الثانية، يوم بايعوه على أن يضحوا بكل شيء؛ لأجل حمايته والذود عن دعوته .  
إن استخدام القائد لأسلوب التعميم عند حل المشكلات له فوائد مهمة، ونتائج طيبة :

منها: أن الخطاب سيكون عاماً وليس معيناً ومحددًا، وهذا سيؤدي إلى جعل الحضور كلهم في محل المسؤولية؛ فغير المذنب سيمقت هذا التصرف، ويعتقد أنه ربما يُقصد بذلك فيرباً بنفسه عنه، وأما المذنب فسيستهجن ما قاله وفعله، فيبدأ بإصلاح نفسه دون التعرض لأمر تجرح قائده وموجهه .

ومنها: أن أسلوب التعميم وعدم ذكر أسماء الأشخاص يحفظ للمذنب كرامته، ويصون عرضه وشخصيته، فلا تجرح، وأعظم الجرح عندما يذكر شخصه، أما إخوانه فيأتي الشيطان ليهمس في أذنه أن هذه إهانة لا يمكن السكوت عليها ولا غض الطرف عنها، وقد يؤدي به آخر المطاف إلى الخروج من دائرة الطيبين ليكون مع الأعداء والمتربصين .  
إن ما وقع من الأنصار بعد قسمة غنائم هوازن، وتصرف النبي - ﷺ - تجاه ما قالوا يعدّ - في نظري - منهجاً ينبغي أن يتخذه القادة، والمربون، والموجهون، يسبرون وفق معطياته عندما تعترضهم المشاكل والخلافات في أوساط أتباعهم، وتلامذتهم. وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه .

( 1 ) البخاري، الفتح 5063/9، ومسلم (1401) من حديث أنس.

( 2 ) هذه قطعة من حديث عائشة قال الألباني . - رحمه الله - : «أخرجها ابن هشام في السيرة 2/ 220، 222، وهي

عند البخاري (35. 447/7)، ومسلم (8/ 113 . 117) بنحو ما هنا». عن فقه السيرة، للغزالي، ص 316 .

## 47- فضيلة الأنصار:

وقد ظهرت في تلك الغزوة فضيلة الأنصار، وأن الرسول - ﷺ - لم يمنعهم مما أعطاه غيرهم إلا لمزيد حبه لهم، ويكفيهم فخراً أنه - ﷺ - اعتبرهم منه بمثابة شعاره وجعل غيرهم دثاره، والشعار هو ما يلي الجلد من الثياب والدثار الذي فوقه، قال ابن حجر: "وهي استعارة لطيفة لفرط قربهم منه، وأراد أيضاً أنهم بطانته وخاصته، وأنهم ألقى به وأقرب إليه من غيرهم" (1).

بل جعل ﷺ حبه من الإيمان وبغضهم من علامات النفاق فقال: «آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار» (2)، وقال ﷺ: «الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله» (3).

## 48- استخدامه ﷺ أسلوباً جديداً في القتال:

استعمل النبي ﷺ في حصاره للطائف أسلحة جديدة لم يسبق له أن استعملها من قبل، وهذه الأسلحة هي:

\* **المنجنيق**: فقد ثبت أن الرسول ﷺ استعمل هذا السلاح عند حصاره لحصن ثقيف بالطائف، فعن مكحول ﷺ أن النبي ﷺ نصب المنجنيق على أهل الطائف (4).

والمنجنيق من أسلحة الحصار الثقيلة ذات التأثير الفعال على من وجهت إليه، فبحجارتها تهدم الحصون والأبراج، وبقنابلها تحرق الدور والمعسكرات، وهذا النوع يحتاج إلى عدد من الجنود في إدارته واستخدامه عند القتال (5).

\* **الدبابة**: ومن أسلحة الحصار الثقيلة التي استعملها الرسول ﷺ لأول مرة في حصار الطائف: الدبابة؛ والدبابة على شكل بيت صغير تعمل من الخشب وتتخذ للوقاية من سهام الأعداء، عندما يراد نقض

(1) فتح الباري: (53/8)

(2) أخرجه البخاري (17)، (3784) من حديث أنس (13)

(3) أخرجه البخاري (3783) ومسلم (75) والترمذي (3900) من حديث البراء بن عازب .

(4) أبو داود، كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد، ح (35) مراسيل أبي داود، ص 183.

(5) انظر: المدرسة العسكرية الإسلامية، اللواء محمد فرج، ص 407.

جدار الحصن، بحيث إذا دخلها الجنود كان سقفها حرزاً لهم من الرمي(1).

\* الحسك الشائك: من الأسلحة الجديدة التي استعملها الرسول ﷺ في حصاره لأهل الطائف: الحسك الشائك؛ وهو من وسائل الدفاع الثابتة، ويعمل من خشبتين تسمران على هيئة الصليب، حتى تتألف منهما أربع شعب مدببة، وإذا رمى في الأرض بقيت شعبة منه بارزة تتعثر بها أقدام الخيل والمشاة، فتتعطل حركة السير السريعة المطلوبة في ميدان القتال(2).

وقد ذكر أصحاب المغازي والسير أن الرسول ﷺ استعمل هذا السلاح في حصاره لأهل الطائف، حيث أمر جنده بنشر الحسك الشائك حول حصن ثقيف(3)، وفي هذا إشارة إلى قادة الأمة خصوصاً، والمسلمين عموماً، ألا يعطلوا عقولهم وتفكيرهم من أجل الاستفادة من النافع والجديد الذي يحقق للأمة مصلحة الدارين، ويدفع عنها شرور أعدائها.

#### 49- اختيار رسول الله ﷺ مكاناً مناسباً عند القتال:

نزل الجيش في مكان مكشوف قريب من الحصن، وما كاد الجند يضعون رحالهم حتى أمطرهم الأعداء بوابل من السهام؛ فأصيب من جراء ذلك ناس كثيرون، وحينئذ عرض الحباب بن المنذر على الرسول ﷺ فكرة التحول من هذا الموقع إلى مكان آمن من سهام أهل الطائف، فقبل ﷺ هذه المشورة وكلف الحباب -لكونه من ذوي الخبرات الحربية الواسعة في هذا المجال- بالبحث عن موقع ملائم لنزول الجند، فذهب ﷺ ثم حدد المكان المناسب، وعاد فأخبر النبي ﷺ بذلك، فأمر النبي ﷺ جيشه بالتحول إلى المكان الجديد، وهذا شاهد عيان يحدثنا عما رأى؛ قال عمرو بن أمية الضمري ﷺ: لقد أطلع علينا من نبلهم ساعة نزلنا شيء الله به عليم كأنه رجل جراد، وترسنا لهم حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة، ودعا رسول الله ﷺ الحباب فقال: «انظر مكاناً مرتفعاً مستأخراً عن القوم» فخرج الحباب حتى انتهى إلى موضع

(1) انظر: القيادة في عهد الرسول، ص405.

(2) انظر: الفن الحربي في صدر الإسلام، اللواء عبد الرؤوف عون، ص 195.

(3) انظر: الطبقات الكبرى (214/2).

مسجد الطائف (1) خارج من القرية، فجاء إلى النبي ﷺ فأخبره، فأمر النبي ﷺ أن يتحولوا (2).

### 50- استخدام الحرب النفسية والدعاية:

لما اشتدت مقاومة أهل الطائف وقتلوا مجموعة من المسلمين أمر النبي ﷺ بتحريق بساتين العنب والنخل في ضواحي الطائف للضغط على تقيف، ثم أوقف هذا العمل بعد أثره في معنوياتهم وإضعافه روح المقاومة، وبعد أن ناشدته تقيف بالله والرحم أن يترك هذا العمل، ووجه النبي ﷺ نداء لعبيد الطائف أن من ينزل من الحصن ويخرج إلى المسلمين فهو حر، فخرج ثلاثة وعشرون من العبيد منهم أبو بكره الثقفي فأسلموا، فأعتقهم ولم يعدهم إلى تقيف بعد إسلامهم (3).

### 51- مناداة الناس بمناقبهم شرف لهم:

يقول أهل السير: إذا خطبت قوماً فاذكر مناقبهم ومحامدهم، وذكرهم بأيام الله، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «يا بني عبد الله -قبيلة من قبائل العرب- إن الله أحسن اسم أبيكم فأحسنوا سيرتكم».

فالرسول عليه الصلاة والسلام أمر العباس أن يقول: يا معشر الأنصار، ثم قال: **يا أصحاب الشجرة**، يناديهم بذلك اليوم المشهود، يا من أنزلت عليهم سورة البقرة، يناديهم بهذه المنقبة، فللمسلم أن يتحف إخوانه والقوم الذين يدعوهم بمناقبهم ومآثرهم ليكون أشد إقبالا لهم، وهذا من ذكر المناقب في مجال الدعوة إلى الله عز وجل.

### 52- في أمور الحرب وسياسة القتال:

إن على القائد أن لا يألو جهداً في معرفة قدرات العدو وخططه، وإمكاناته عن طريق بعث العيون ومن يستطلع له أخبار الأعداء، كما فعل رسول الله - ﷺ - لما بعث ابن أبي حرد لياتيه بخبر هوازن، قال الإمام ابن القيم عند حديث عن غزوة حنين: "وفيها من الفقه أن الإمام ينبغي عليه أن يبعث العيون، ومن يدخل بين عدوه لياتيه

(1) مسجد الطائف: هو المسجد المعروف الآن بمسجد ابن عباس.

(2) انظر: مغازي الواقدي (416/1).

(3) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (510/2).



بخبرهم". (1)

والحق أن الرسول - ﷺ - كان يسعى في كل غزواته لجمع أكبر قدر من المعلومات عن العدو قبل الاشتباك معه في القتال، كما فعل في هذه الغزوة، وكما في بعثه حذيفة بن اليمان يوم الخندق ليأتيه بخبر المشركين. (2)، وكذلك استجوب ﷺ يوم بدر غلاماً لعقبة بن أبي معيط كان المسلمون قد أمسكوا به قبل غزوة بدر، وكان مما سأله عنه عدد ما ينحرون من الجزر، فلما أخبره أنهم يذبحون في كل يوم عشراً، قال: "القوم ألف، كل جزور لمئة وتبعها". (3)

وفي هذه الغزوة أيضاً أن الإمام كما يقول ابن القيم: "إذا سمع يقصد عدوه له وفي جيشه قوة ومنعة، لا يقعد ينتظرهم بل يسير إليهم، كما سار رسول الله - ﷺ - إلى هوازن حتى لقيهم بحنين" (4). وفي هذا بيان أهمية الأخذ بزمام المبادرة، وأن أحسن وسيلة للدفاع هي الهجوم كما يقول المعاصرون، وقد رأينا في حرب عام 1967، أن من أسباب هزيمة العرب التزام قادتهم بأن لا يكونوا البادئين بالقتال، مع علمهم بأن اليهود سيهاجمونهم.

### 53- ضرب الأمثال:

كان الرسول عليه الصلاة والسلام يضرب الأمثال للناس ومثاله قوله ﷺ: « **الآن حمي الوطيس** » وهو أول من تمثل به كما قال أهل السير، وكان عليه الصلاة والسلام يضرب الأمثال للناس كما ذكر سبحانه وتعالى أمثالا في القرآن يضربها في العقيدة والعبادة والسلوك. { جاء رجل أعرابي إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، فقال: أعطني من مال الله الذي عندك لا من مال أبيك ولا من مال أمك، فقام الصحابة عليه، فأسكتهم ﷺ ثم أعطاه، فلما انتهى من إعطائه، قال: **هل أحسنت إليك؟** قال: نعم أحسنت وأجملت جزاك الله من أهل وعشيرة

(1) زاد المعاد: (479/3)

(2) أخرجه مسلم (1788) من حديث حذيفة 16.

(3) أخرجه أحمد: (117/1) من حديث علي بن أبي طالب، وسنده صحيح كما في تعليق الألباني على فقه السيرة ص:

(237)

(4) (زاد المعاد: (479/3)

خيراً، فذهب أمام الصحابة، فقال: هل أحسنت إليك؟ قال: لا، فأرادوا أن يهيموا به فعاد ﷺ فزاده فدعا له الأعرابي، فقال: أخبر أصحابي بهذا ليزول ما في نفوسهم، فقال هذا أمامهم.

فقال عليه الصلاة والسلام: **أتدرون ما مثلي ومثلكم ومثل هذا**

**الإعرابي؟**

قالوا: لا، قال: مثلنا كرجل كانت عنده دابة فرت منه فأخذ الناس يلاحقونها فما زادوها إلا فرارا.

فقال: **« يا أيها الناس دعوني ودابتي، فأخذ شيئاً من خشاش الأرض -أي: من خضرة الأرض- فلقح لها به فأقبلت إليه حتى قادهها، فلو تركتكم وهذا الإعرابي لفر ثم ارتد ثم دخل النار ».**

**54- لله حكم:**

اقتضت حكمته - سبحانه - أن أذاق المسلمين أولاً مرارة الهزيمة والكسرة، مع كثرة عددهم وُعُددهم وقوة شوكتهم، ليطامن رؤوساً رفعت بالفتح، ولم تدخل بلده وحرمة كما دخله رسول الله واضعاً رأسه منحنياً على فرسه، حتى إن ذقنه تكاد تمس سرجه تواضعاً لربه وخضوعاً لعظمته واستكانة لعزته، أن أحل له حرمة وبلده ولم يحل لأحد قبله، ولا لأحد بعده... فلما انكسرت قلوبهم أرسلت إليها خلج الجبر، مع بريد النصر، فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين، وأنزل جنوداً لم تروها، وقد اقتضت حكمته أن خلج النصر وجوائزه إنما تفيض على أهل الانكسار **﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين، ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾**...

**55- عدم جواز قتل النساء والصبيان وغيرهم من**

**الضعفاء:**

فقد مر أن رسول الله ﷺ ، لما رأى امرأة مقتولة استنكر ذلك، وقال: ما كانت هذه لتقاتل ثم بعث من يطلب من خالد بن الوليد أن لا يقتل امرأة ولا عسيفاً، والعسيف: الأجير، وهذا مما يبين عظمة هذا الدين وسمو تشريعاته في أمور الحروب وغيرها، وأن مشروعية القتال في الإسلام، إنما جاءت لغايات سامية، غير ما تعارف عليه الناس في

حروبهم القديمة والحديثة، فلما كان الأصل في النساء الضعف، وأنهن لسن من أهل القتال، فقد نهى ﷺ عن قتلهن، وفي الحديث بيان أن عدم كون المرأة من أهل القتال هو علة النهي عن قتلها؛ لأنه - ﷺ - وصف المرأة بأنها ليست من أهل القتال ثم رتب على ذلك النهي عن قتل النساء، "وترتيب الحكم على الوصف يدل على علية ذلك الوصف وعدم علية غيره" (1).

ومعنى ذلك أنها إذا شاركت في القتال قوتلت وقُتلت، سواء كانت مشاركتها حقيقةً بالقتال الفعلي، أو حكماً كتحريضها قومها على القتال، أو مشاركتهم الرأي، ونحو ذلك . قال الخطابي: "فيه دليل على أن المرأة إذا قاتلت قتلت؛ ألا ترى أنه جعل العلة في تحريم قتلها أنها لا تقاتل، فإذا قاتلت دل على جواز قتلها" (2).

وفي قتل دريد بن الصمة، وعدم إنكار النبي - ﷺ - ذلك دليل على جواز قتل شيوخ المشركين، إذا كان فيهم منفعة للكفار كراي أو مشورة ونحوه، فإن دريد ابن الصمة كان حين قتل ابن عشرين ومئة سنة، وقيل ابن ستين ومئة سنة (3).

وقد جاء في الحديث أن رسول الله - ﷺ - كان إذا بعث جيشاً قال «انطلقوا باسم الله، لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً صغيراً..» (4). لكن جاء في حديث سمرة بن جندب مرفوعاً: "اقتلوا شيوخ المشركين واستبقوا شرخهم" (5).

وفي كلا الحديثين كلام، غير أنهما إن صحا فيمكن الجمع بينهما كما قال الشوكاني: "بأن الشيخ المنهي عن قتله في الحديث الأول هو الفاني الذي لم يبق فيه نفع للكفار، ولا مضرة على المسلمين، وقد وقع التصريح بهذا الوصف بقوله شيخاً فانياً، والشيخ المأمور بقتله في الحديث الثاني هو ما بقي فيه نفع للكفار ولو بالرأي كما في دريد بن

(1) الذخيرة للقرافي: (387/3)

(2) المصدر السابق

(3) فتح الباري: (42/8)

(4) أخرجه أبو داود (2614) من حديث أنس.

(5) أخرجه أبو داود (2670) والترمذي (1538)

## 56- الإلحاح في الدعاء وقت الأزمات:

يقول جل ذكره: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا  
وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: 45]، قال ابن القيم: "سئل

شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله لماذا ذكر الله الدعاء والذكر وقت الأزمات ووقت التحام الصفوف؟

قال ابن تيمية: من عادات العرب والناس ذكر محبوبيهم وقت الأزمات؛ فأراد الله أن يخبرهم أن أحب محبوب عندهم هو الله، فليذكروه في تلك الأزمة أو الضائقة، ثم قال ابن تيمية أما سمعت قول عنتره:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي  
فذكرها في تلك اللحظة، فالمؤمنون ذكرهم الله أن يذكروه وقت الأزمات، وأحسن الدعاء ما سر صاحبه إليه، وهو وقت الضائقة التي تحل به لأنه يخلص في الدعاء ويلتجئ إلى الحي القيوم، فالرسول عليه الصلاة والسلام لما رأى الكتائب قال: « **اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك الذي وعدتني** ».

## 57- جواز العارية:

وهي إباحة الانتفاع بعين من أعيان المال، وقد وقع الإجماع على جوازها، بل على استحبابها بين المسلمين، ويجب رد العارية إن كانت باقية بلا خلاف، أما إذا تلفت فهل يجب على المستعير ضمان قيمتها وإن لم يتعد؟ وقع الخلاف في ذلك فذهب أحمد والشافعي إلى وجوب الضمان سواء تعدى المستعير أم لا، وذهب أبو حنيفة ومالك إلى أنها أمانة لا يجب ضمانها إلا بالتعدي فإن ثبت إهمال من المستعير ضمن، وإلا فلا شيء عليه. (2)

ومأخذ المسألة أن قوله - ﷺ - - لصفوان: "**بل عارية مضمونة**"، هل قصد به أنها مضمونة بالرد أي أنه ضامن ردها إلا إذا تلفت عن غير تقصير منه، أو قصد به أنها مضمونة بالتلف أي أنه ضامن إيها وإن

(1) نيل الأوطار: (262/7)

(2) انظر المعنى لابن قدامة (354/5)

تلقت بتقصير أو بغير تقصير؟، والنص يحتمل الأمرين، وقد رجح ابن القيم أنه أظهر في ضمان الرد أي كقول أبي حنيفة ومالك (1)

### 58- مشروعية الدعاء للكافرين بالهداية:

وقد استُدل لذلك بما في سيرة ابن هشام أنه قد قال رجل للرسول ﷺ - يوم ظعن عن ثقيف: يا رسول الله ادع عليهم، فقال: «اللهم اهد ثقيفاً، وائت بهم» (2).

غير أن في ثبوت هذا الحديث نظراً، وقد حكم الشيخ الألباني بضعفه لأنه من رواية أبي الزبير عن جابر، والزبير مدلس وقد عنعنه، وقد تابعه عبد الرحمن بن سابط كما في رواية أحمد، ولكنه لم يسمع من جابر، كما قال يحيى بن معين (3).

لكن مشروعية الدعاء للمشركين بالهداية والصلاح ثابتة بالسنة الصحيحة؛ فقد صح أنه لما قدم طفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه على النبي - ﷺ - ، قالوا: يا رسول الله إن دوساً عصت وأبت، فادع الله عليها، فقيل هلكت دوس، فقال: «اللهم اهد دوساً وائت بهم» (4).

والذي ينبغي التنبيه عليه أنه مع جواز الدعاء للمشركين يجوز الدعاء عليهم أيضاً، بحسب الحال وما يقتضيه المقام، وقد صح أنه - ﷺ - قد دعا يوم الخندق على المشركين فقال: «مألاً الله بيوتهم وقلوبهم ناراً؛ شغلونا عن الصلاة الوسطى، حتى غابت الشمس» (5)، وفي الصحيح أيضاً: «اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم سنين كسني يوسف». (6).

(1) (راجع زاد المعاد: (482/3))

(2) الحديث في سيرة ابن هشام (130/3) بدون إسناد، وأخرجه أحمد (343/3) والترمذي (3942) من حديث جابر بن عبد الله.

(3) ( انظر تعليق الألباني على فقه السيرة للغزالي (ص: 432 )، وانظر أيضاً كتابه دفاع عن الحديث النبوي والسيرة والرد على جهالات الدكتور البوطي (ص: 7)

(4) أخرجه البخاري (2937) ومسلم (2524) من حديث أبي هريرة

(5) أخرجه البخاري (2931) ومسلم (627) من حديث علي.

(6) ( أخرجه البخاري (2932) من حديث أبي هريرة مرفوعاً).

### 59- استشهاد أبي عامر الأشعري:

استشهد أبو عامر الأشعري في أوطاس فإنه حضر المعركة ﷺ وأرضاه وضربه مشرك في ركبته بعد أن قتل تسعة من أبطال المشركين، ووقف له العاشر فضربه في ركبته فخرج منها الماء فمات، فقال لابن أخيه أبي موسى: اذهب إلى رسول ﷺ وبلغه مني السلام وقل له: يدعو لي.

قال أبو موسى: فأتيت إلى رسول الله ﷺ فوجدته في غرفة ضيقة قد أثار الحصار في جنبه، فقلت: يا رسول الله! قتل عمي أبو عامر الأشعري وهو يبلغك السلام ويقول: ادع له.

فقام عليه الصلاة والسلام إلى ماء فتوضأ ثم استقبل القبلة، فقال: **«اللهم اغفر لعبدك أبي عامر ما تقدم من ذنبه وما تأخر، اللهم اجعله من ساكني الجنة، وارفعه على كثير ممن خلقت وفضله عليهم تفضيلاً»**، قال أبو موسى: فلما سمعت هذا الدعاء وقفت بجانبه ﷺ فقلت: وأنا يا رسول الله، لأنها فرصة لا تتعوض.

فقال ﷺ وهو يتبسم رافعا يديه إلى القبلة: **«واغفر لـ أبي موسى وأكرم نزله ووسع مدخله»**.

فكان الرسول والمرسل ظافرين بدعاء الرسول عليه الصلاة والسلام.

### 60- جواز عقر مركوب العدو إذا كان عوناً على قتله:

وفي الغزوة جواز عقر فرس العدو ومركوبه إذا كان ذلك عوناً على قتله كما عقر علي - ﷺ - جمل حامل راية الكفار وليس هذا من تعذيب الحيوان المنهي عنه .

**فوائد تربوية:**

### 61- البناء العقدي والتربوي:

من الفوائد التربوية التي نتعلمها من غزوة حنين، ويحتاج العاملون لدين الله إلى تدبرها والوقوف عنده طويلاً: قضية الاهتمام بالبناء العقدي والتربوي لمن يهيئون كي يكونوا جنداً لهذا الدين، وأنه لا يصح الاهتمام بالكم على حساب الكيف، وأن الذين تنصر بهم الدعوات هم الصفوة العارفون بما ينبغي عليهم فعله، وأن الكثرة تكون أحياناً سبباً في الهزيمة لأن بعض الداخلين فيها التائهين في غمارها.. تنزل

أقدامهم وترتجف في ساعة الشدة فيشيعون الاضطراب والهزيمة في الصفوف، فوق ما اتخذ الكثرة أصحابها فتجعلهم يتهاونون في توثيق صلتهم بالله.. لقد قامت كل عقيدة بالصفوة المختارة لا بالزبد الذي يذهب جفاء ولا بالهشيم الذي تذروه الرياح (1).

## 62- معاملة كل فرد بما يصلحه:

في إجزاله - ﷺ - العطاء للمؤلفة قلوبهم من غنائم حنين، وعدم إعطائه الأنصار، بيان ما كان عليه النبي - ﷺ - من الحكمة والقدرة على معاملة كل فرد بما يصلحه، وهو ما يعرف عند التربويين المعاصرين بمراعاة الفروق الفردية، فلئن كان نصيب الأنصار أن يرجعوا إلى ديارهم برسول الله - ﷺ - فإن ذلك كان نعمة من نعم الله عليهم، بينما أَرْضَى - ﷺ - من لم يعرف قدر هذه النعمة بالشاة والبعير، كما يعطى الصغير ما يناسب عقله ومعرفته، ويعطى العاقل اللبيب ما يناسبه؛ وقد كان ذلك من منهجه في تغيير النفوس واستمالتها إلى الحق، فإنه كان يعلم أن من الناس ناساً لا يحملهم على الإيمان إلا أن يشعروا بأنهم يحققون من ورائه بعض المغانم، فكان يعطيهم تأليفاً لقلوبهم على الإيمان، وهذا ما حدث بالفعل فلقد كان الرجل - كما قال أنس بن مالك - "ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها" (2) . وقال صفوان بن أمية: "والله لقد أعطاني رسول الله ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إليّ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ" (3).

وإن هذه السياسة النبوية الحكيمة قد أثمرت ثمارها الطيبة؛ فإنه لم يمض إلا وقت يسير حتى "رغب غالبية هؤلاء المؤلفة قلوبهم في الإسلام وحسن إسلامهم وانخرطوا في الجهاد إلا القليل جداً منهم" (4).

## 63- المال لله يضعه حيث يشاء:

(1) في ظلال القرآن: (1618/3)

(2) (أخرجه مسلم (2312)، هذا وقد وهم الدكتور مهدي رزق الله في كتابه السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية

ص: 598، فنسب هذا القول للإمام مالك - رحمه الله -

(3) أخرجه مسلم (2313) والترمذي (666)

(4) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (ص: 598)

ومن المعاني التربوية التي أراد النبي - ﷺ - أن يرسخها في أذهان أصحابه وفي أذهاننا من بعدهم، أن المال كله لله يضعه حيث يشاء، وأنه ليس معنى أن يحرز المسلمون غنيمة أنه لا يجوز للرسول - ﷺ - أن يتصرف فيها بحسب ما يوحى إليه ربه، قال الإمام ابن القيم: "ولله - سبحانه - أن يقسم الغنائم كما يحب، وله أن يمنعها الغانمين جملة كما منعهم غنائم مكة، وقد أوجفوا عليها بخيلهم وركابهم، وله أن يسلط عليها ناراً من السماء تأكلها، وهو في ذلك كله أعدل العادلين وأحكم الحاكمين... وليس هو - سبحانه - تحت حجر أحد من خلقه"(1).

بل ذكر الإمام ابن القيم أن ذلك ليس خاصاً بالنبي - ﷺ - ، وأنه إذا اقتضت مصلحة المسلمين أن يدفع الإمام الغنائم أو بعضها إلى قوم من الكافرين ليتألفهم، فلا بأس بذلك "فإنه وإن كان في الحرمان مفسدة، فالمفسدة المتوقعة من فوات تأليف هذا العدو أعظم، ومبنى الشريعة على دفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما، وتحصيل أكمل المصلحتين بتفويت أدناهما"(2).

والى هنا أكتفي وأسأل الله عز وجل بمنه وكرمه أن ينفعنا بما نكتب ونقرأ، و يجعله خالصاً لوجهه الكريم .



(1) زاد المعاد: (485/3)

2 المصدر السابق: (486/3)



## غزوة تبوك دروس وعبر

الحمد لله القوي الجبار، المتين القهار، والصلاة والسلام على سيّد الأنبياء الأخيار، وعلى آله وصحبه الأطهار، ومن تبعهم من الصالحين الأبرار،

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:1].

وبعد ..

فإن الحديث عن سيرة المصطفى ﷺ حديثٌ تحبُّه النفوس المؤمنة، وتأنس به قلوب بالإيمان مطمئنة، فحبه في شغاف الأفئدة مغروس، وتوقيره مشربة به النفوس، بأبي هو وأمي ﷺ .

إن سيرة النبي قبل أن تكون علماً يُدرس هي موضوع شيق محبب إلى النفوس، وما ذلك إلا لأنَّ النبي ﷺ هو أحب الخلق إلى قلوب المؤمنين، فكلما قرأ المؤمن شيئاً من سيرته ازداد له حباً وشوقاً إلى رؤيته ولقائه، فهو أجود الناس وأشجعهم وأحلمهم وأجملهم، ولا شك أن في مغازي النبي ﷺ من الفوائد والعبر وترقيق القلوب وربطها بالله تعالى ما لا يوجد إلا في القرآن الكريم. إلا أن الملاحظ أن أكثر الناس أعرضوا عن دراسة سيرته ومغازيه، كما أعرضوا عن القرآن وهجروه، ولهذا السبب زادت الغفلة بين المسلمين وقلَّت محبة الله ومحبة رسوله في قلوب الناس، حتى ظهر ذلك جلياً في ترك الانصياع لأوامر الله وفي الإعراض عن سنة المصطفى .

ونحن اليوم في أمسِّ الحاجة إلى تعليم أبنائنا ونسائنا بل وأنفسنا سيرة النبي ﷺ، عوضاً عما يُحشى في أدمغتنا من تقديس للكرة وتقدير للفن الهابط وكل ما يُسخط الله ولا يرضيه، ولو أن أحدنا سئل عن مقدار محبته للنبي ﷺ لعجز عن وصف مشاعره، ولكن تهافتة على

الدنيا وتعامله بالربا وأكله أموال الناس بالباطل وتهاونه في الصلاة وعدم اهتمامه بدين أبنائه وبناته وتهاونه في حدود الله كل ذلك يكذب زعمه محبة النبي ، وإنه من المؤسف أن ترى جهل الناس بسيرة نبيهم وسيرة أصحابه رضوان الله عليهم إلا من رحم الله.

يوم يُقَلَّب المرء صفحات الماضي المجيد، ويتدبر القرآن الكريم، ثم ينظر لواقعنا ويقارنه بذلك الماضي، يتحسر يوم يجد البون شاسعا والفرق عظيما، يتحسر يوم يرى تلك الأمة التي كانت قائدة، وقد أصبحت تابعة حينما ابتعدت عن شرع ربها ونهج نبيها، فعودا والعود أحمد، عوداً سريعاً إلى الماضي المجيد، لنستلهم منه الدروس والعبر في هذا الحاضر العاثر، عودا لسيرة من لم يطرق العالم دعوة كدعوته، ولم يؤرخ التاريخ عن مصلح أعظم منه، ولم تسمع أذن عن داعية أكرم منه، وما أحرانا ونحن في الأيام العصيبة أن تتجاوز المدة الزمنية كي نعيش يوما من أيام محمد ، لناخذ العبر والدروس .

ومن هذا الباب لا زلنا وإياكم في هذه الموسوعة المباركة بإذن الله:

(غزوات النبي المصطفى دروس وعبر). ومع (غزوة تبوك دروس وعبر)

وأسأل الله الكريم الوهاب العزيز التواب أن ينفع بهذا العمل وأن يجعله لوجهه خالصاً ولعباده نافعاً، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم ألقاه إنه ولي ذلك والقادر عليه .



## غزوة تبوك

### ✦ غزوة تبوك:

التي كان سببها هو استجابة طبيعية لفريضة الجهاد؛ ولذلك عزم رسول الله ﷺ على قتال الروم؛ لأنهم أقرب الناس إليه، وأولى الناس بالدعوة إلى الحق لقرابهم إلى الإسلام وأهله، قال تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** ﴿التوبة: 123﴾. (1)

ولا يمنع ما ذكره المؤرخون بأن سبب الخروج هو عزم الروم على غزو المسلمين في عقر دارهم أن يكون هذا حافزاً للخروج إليهم، لأن أصل الخروج كان وارداً.

### ✦ غزوة تبوك: هي الغزوة التي خرج رسول الله ﷺ لها في

رجب من العام التاسع الهجري (2) بعد العودة من حصار الطائف بنحو ستة أشهر (3).

### ✦ غزوة تبوك:

اشتهرت هذه الغزوة باسم غزوة تبوك، نسبة إلى مكان هو عين تبوك، التي انتهى إليها الجيش الإسلامي، وأصل هذه التسمية جاء في

(1) انظر: البداية والنهاية (3/5).

(2) انظر: تفسير الطبري (540/14 - 542)، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 614.

(3) انظر: فتح الباري (237/16).

صحيح مسلم، فقد روي بسنده إلى معاذ أن رسول الله ﷺ قال: «ستاتون غداً إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي»(1).

### ✽ غزوة تبوك :

لقد سُميت أيضاً غزوة العسرة لشدة ما لاقى المسلمون فيها من الضنك، فقد كان الجو شديد الحرارة، والمسافة بعيدة، والسفر شاقاً لقلّة المؤونة وقلّة الدواب التي تحمل المجاهدين إلى أرض المعركة، وقلّة الماء في هذا السفر الطويل والحر الشديد، وكذلك قلّة المال الذي يجهز به الجيش وينفق عليه(2).

### ✽ غزوة تبوك :

لها اسم ثالث هو: الفاضحة، ذكره الزرقاني -رحمه الله- في كتابه «شرح المواهب اللدنية»(3) وسميت بهذا الاسم لأن هذه الغزوة كشفت عن حقيقة المنافقين، وهتكت أستارهم، وفضحت أساليبهم العدائية الماكرة، وأحقادهم الدفينة، ونفوسهم الخبيثة، وجرائمهم البشعة بحق رسول الله والمسلمين(4).

### ✽ غزوة تبوك :

نقف مع هذه الغزوة في مثل هذا الزمن الذي تشابكت بأمة الإسلام حلقات من المحن، وتقاذفتها أمواج من الفتن، وصيح بهم من كلّ جانب وتداعى عليهم الأكلة، يجمل الحديث عن هذه الغزوة في مثل هذه الأوضاع العالمية المتلاحقة التي تكرر لدى المسلمين جميعاً كل يوم أن رزق هذه الأمة وعزها تحت ظلّ رمحها وجهادها، وذلتها وصغارها في تركها لجهاد أعدائها وإخلائها لشهواتها ودنياها.

### ✽ غزوة تبوك :

التي من رسائلها أنّ الله كتب العزة والقوة لهذه الأمة، متى ما صدقت وأخلصت، فما هي دولة الإسلام الناشئة تقف في وجه الكفر كله

(1) صحيح مسلم (1784/4) رقم 706.

(2) انظر: الصراع مع الصليبيين لأبي فارس، ص 83.

(3) انظر: شرح المواهب اللدنية (62/3).

(4) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 84.

بقواه المادية فتهزمه وتنصره عليه ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾ [الحج:40].

### ✽ غزوة تبوك:

التي من دروسها العظيمة أن تمكُن العقيدة في قلوب رجال الإسلام أقوى من كل سلاح وعتاد، وقضى الله أن الأمة متى ما حادث عن عقيدتها وتعلقت بغيرها، إلا تقلبت في ثنايا الإهانات والنكبات والنكسات، حتى ترجع إلى كتاب ربها وسنة نبيها.

### ✽ غزوة تبوك:

من دروسها أن العدو ما تسلل إلا من خلال صفوف المنافقين والمرجفين، ولم يكن الضعف والتفرقة في هذه الأمة إلا من قبل أصحاب المسالك المتوية والقلوب السوداء، ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَفُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة:47].

### ✽ غزوة تبوك:

إنها الغزوة التي متى ذُكرت ذُكر معها ذلكم الحدث العظيم، الذي عاشته المدينة وتقلبت مع أحداثه خمسين ليلة، إنه خبر الثلاثة الذين خُلفوا، كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية، ولا يصف الحادثة كَمَن رآها وشاهدها وسمع أحداثها بل عاشها، وتجرع آلامها وأحزانها.





## دروس وعبر من غزوة تبوك

### 1- ليميز الله الخبيث من الطيب:

لقد كانت دعوة الرسول ﷺ للتأهب في وقت عسر وحر وموسم لجني الثمار، فأما المؤمنون الصادقون، فقد سارعوا إلى تلبيتهم للرسول غير عابئين بمشقة ولا حرمان، وأما المنافقون، فقد تخلفوا، واخذوا يعتذرون بشتى الأعذار، وهكذا يتبين المخلصون من المنافقين في أيام الشدائد، وينكشف أمر الأعدياء في أيام الشدائد، وينكشف أمر الأعدياء في أيام المحن، وقد قال الله تعالى: ﴿ **أَلَمْ أَحَسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** ﴾ [العنكبوت: 2-1]

وإنما تقوم الدعوات، و تنهض الأمم بتطوير صفوفها من المنافقين والمخادعين ولا يثبت للشدة إلا كل صادقة العزيمة، مخلص النية، ثابت المبدأ، كثيراً ما عوق الضعاف والمخادعون سير دعوات الإصلاح في الأمة، وحالوا بينها وبين النصر، أو أخروها ولو إلى حين، ولقد تخلص جيش العسرة في غزوة تبوك من أمثال هؤلاء بفضل افتضاح أمرهم، وانكشاف ضعف إيمانهم، وخور عزائمهم، وإن جيشاً متراض الصف، متحد الكلمة، قوي الإيمان، صادق العهد، أجدى للأمة - ولو كان قليل العدد - وأدعى لاكتساب النصر من جيش كثير العدد، متفاوت الفكرة والقوة والثبات ﴿ **كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [البقرة: 249]

### 2- الإيمان يصنع العجائب:

إن في مسارعة الموسرين من الصحابة إلى البذل والإنفاق دليلاً على ما يفعله الإيمان في نفوس المؤمنين من مسارعة إلى فعل الخير، ومقاومة لأهواء النفس وغرائزها، مما تحتاج إليه كل أمة لضمان النصر على أعدائها، وخير ما يفعله المصلحون وزعماء النهضات هو

غرس الدين في نفوس الناس غرساً كريماً (1).

وهذا ما نجد أمتنا اليوم اشد الحاجة إليه ، فالأعداء أكثر ، والأعباء ثقيلة ، والمعركة رهيبية ، والعدو قوي ماكر ، فلا نستطيع التغلب عليه إلا بمزيد من التضحيات في الأموال والأنفس والأهواء والشهوات ولا يحق ذلك إلا الدين الصحيح المفهوم على حقيقته الذي يربي النفوس على احتساب الأنفاق والتعب في سبيل الأمة جهاداً يثيب الله عليه كما يثب المجاهدين في ميادين النضال.

وفي قصة الذين جاؤوا إلى رسول الله ﷺ يطلبون أن يأخذهم معه إلى الجهاد ، فردهم لأنه لم يجد ما يحملهم عليه ، فولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً على حرمانهم من شرف الجهاد مع رسول الله ﷺ ، في هذه القصة التي حكاها الله في كتابه أروع الأمثلة على صنع الإيمان للمعجزات ، فطبيعة الإنسان أن يفرح لنجاته من الإخطار ، وابتعاده عن الحروب ، ولكن هؤلاء المؤمنين الصادقين بكوا رغبة في الجهاد .

### 3- أمة الجهاد:

من دروس هذه الغزوة أن هذه الأمة أمة جهاد ومجاهدة وصبر ومصابرة، وحتى ما تركت الجهاد ضربت عليها الذلة والمسكنة، ولذلك فقد رأينا حياة النبي ﷺ جهاداً في جهاد، فإذا فرغ من جهاد المشركين رجع إلى جهاد ومقاومة المنافقين ثم جهاد الروم.

### 3. الإنفاق في هذه الغزوة وحرص المؤمنين على الجهاد:

حث رسول الله ﷺ الصحابة على الإنفاق في هذه الغزوة لبعدها، وكثرة المشركين فيها، ووعد المنفقين بالأجر العظيم من الله، فأنفق كل حسب مقدرته، وكان عثمان ﷺ صاحب القُدْح المُعْلَى في الإنفاق في هذه الغزوة (2)، فهذا عبد الرحمن بن حباب يحدثنا عن نفقة عثمان حيث قال: شهدت النبي ﷺ وهو يحث على جيش العسرة، فقام عثمان بن

(1) انظر: السيرة النبوية دروس وعبر، للسباعي، ص161.

(2) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص615.



عفان فقال: يا رسول الله، عليّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حض على الجيش فقام عثمان بن عفان، فقال: يا رسول الله، عليّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حض على الجيش فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله، عليّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، فأنا رأيت رسول الله ينزل عن المنبر وهو يقول: ما على عثمان ما عمل بعد هذه، ما على عثمان ما عمل بعد هذه (1) وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنهما قال: جاء عثمان بن عفان إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حين جهز النبي ﷺ جيش العسرة، قال: فجعل النبي ﷺ يقبلها بيده ويقول: «ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم -يردها مرارًا-» (2).

وأما عمر فقد تصدق بنصف ماله وظن أنه سيسبق أبا بكر بذلك، وهذا الفاروق يحدثنا بنفسه عن ذلك حيث قال: أمرنا رسول الله ﷺ يوماً أن نتصدق، فوافق ذلك مالا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، فجنّت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» قلت: مثله، قال: وأتى أبو بكر ﷺ بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابك إلى شيء أبداً (3).

وروى أن عبد الرحمن بن عوف ﷺ أنفق ألفي درهم وهي نصف أمواله لتجهيز جيش العسرة (4).

وكانت لبعض الصحابة نفقات عظيمة، كالعباس بن عبد المطلب، وطلحة بن عبيد الله، ومحمد بن مسلمة، وعاصم بن عدي رضي الله عنهم (5).

وهكذا يفهم المسلمون أن المال وسيلة، واستطاع أغنياء الصحابة أن يبرهنوا أن مالهم في خدمة هذا الدين، يدفعونه عن طواعية ورغبة، وإن تاريخ الأغنياء المسلمين تاريخ مشرف؛ لأن تاريخ المال في يد الرجال لا تاريخ الرجال تحت سيطرة المال، وكما كان الجهاد بالنفس، فكذلك هو

(1) سنن الترمذي، مناقب (625/5، 626) رقم 3700.

(2) مسند أحمد (63/5).

(3) سنن أبي داود، الزكاة (312/2، 313) رقم 1678.

(4) انظر: السيرة في ضوء المصادر الأصلية، ص 616.

(5) انظر: معين السيرة، ص 449.

بالمال، وإن الذين ربوا على أن يقدموا أنفسهم، تهون عليهم أموالهم في سبيل الله تعالى .

رضي الله عن صحابة رسول الله وجزاهم الله خيرًا عن الأمة، وهم كما قال ابن القيم رحمه الله:

أولئك أتباع النبي وحبسه \*\*\* ولولا هم ما كان في الأرض مسلم  
ولولا هم كادت تميد بأهلها \*\*\* ولكن رواسيها وأوتادها هم  
ولولا هم كانت ظلامًا بأهلها \*\*\* ولكنهم فيها بدور وأنجم  
مواقف مؤثرة وصور معبرة من البذل والعطاء والجهد والفداء، كل  
هذا استجابة لنداء ربهم: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ  
وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: 41]، وطمعًا  
في موعود نبيهم: «من جهز جيش العسرة فله الجنة».

والذي لا إله حق غيره، إن لفي ذلك عبرة أي عبرة، إنه متى  
صدق المسلمون مع ربهم ووحدهوا صفهم وبذلوا وسعهم غنيهم وفقيرهم  
فإن الله ناصرهم وبالحق مؤيدهم.

وأين البخلاء بأموالهم والشحيحون ببسير أرزاقهم عن محبة رسول  
الله ﷺ؟! ولكن: ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ  
الْفُقَرَاءُ﴾ [محمد: 38].

#### 4- الإخلاص وحب الجهاد:

قدّم فقراء المسلمين جهدهم من النفقة على استحياء؛ ولذلك تعرّضوا  
لسخرية وغمز ولمز المنافقين، فقد جاء أبو عقيل بنصف صاع تمر،  
وجاء آخر بأكثر منه، فلمزوها قائلين: إن الله لغني عن صدقة هذا، وما  
فعل هذا الآخر إلا رياء، فنزلت الآية: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ  
الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ (1) [التوبة: 79].

وقالوا: ما أعطى ابن عوف هذا إلا رياء، فكانوا يتهمون الأغنياء  
بالرياء ويسخرون من صدقة الفقراء (2).

(1) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 616.

(2) المصدر نفسه، ص 617.

لقد حزن الفقراء من المؤمنين؛ لأنهم لا يملكون نفقة الخروج إلى الجهاد، فهذا عُلبَة بن زيد أحد البكائين صلى من الليل وبكى، وقال: اللهم إنك قد أمرت بالجهاد، ورغبت فيه، ولم تجعل عندي ما أتقوى به مع رسولك، وإنني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني بها في جسد أو عرض، فأخبره النبي ﷺ أنه قد غفر له (1).

وفي هذه القصة وما جرى فيها آيات من الإخلاص وحب الجهاد لنصرة دين الله وبت دعوته في الأفاق، وفيها من لطف الله بضعفاء المؤمنين الذين يعيشون في حياتهم عيشة عملية (2).

وهذا واثلة بن الأسقع نتركه يحدثنا عن قصته: ... عندما نادى رسول الله في غزوة تبوك، خرجت إلى أهلي فأقبلت وقد خرج أول صحابة رسول الله فطقت في المدينة أنادي: ألا من يحمل رجلاً له سهمه؟ فإذا شيخ من الأنصار، فقال: لنا سهمه على أن نحمله (3) عقبة، وطعامه معنا؟ فقلت: نعم، قال فسر على بركة الله، فخرجت مع خير صاحب حتى أفاء الله علينا (4)، فأصابني قلائص (5)، فسقتهن حتى أتيته فخرج، فقع على حقيبة من حقائق إبلة، ثم قال: سقهن مديرات، ثم قال: سقهن مقبلات، فقال: ما أرى قلائصك إلا كراماً، إنما هي غنيمتك التي شرطت لك، قال: خذ قلائصك يا ابن أخي فغير سهمك أردنا (6).

وهكذا تنازل واثلة في بداية الأمر عن غنيمته ليكسب الغنيمة الأخروية، أجراً وثواباً يجده عند الله يوم لقائه، وتنازل الأنصاري عن قسم كبير من راحته ليتعاقب وواثلة على راحته ويقدم له الطعام مقابل سهم آخر هو الأجر والثواب.

إنها مفاهيم تنبع من المجتمع الذي تربي على كتاب الله وسنة رسوله، لها نفس الخاصة في الإضاءة وتحمل نفس البريق، متمم بعضها لبعضها الآخر (7).

(1) وردت من طرق ضعيفة ولها شاهد صحيح وهي بالجملة تصلح للشاهد التاريخي، انظر: المجتمع المدني للعمري، ص 235.

(2) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون، (4/443).

(3) عقبة: أي بالتعاقب.

(4) كان واثلة بن الأسقع أحد أفراد سرية خالد بن الوليد في دومة الجندل.

(5) قلائص: إبلة.

(6) انظر: جامع الأصول رقم 6188، معين السيرة، ص 453.

(7) انظر: معين السيرة، ص 453.

وجاء الأشعريون يتقدمهم أبو موسى الأشعري يطلبون من النبي ﷺ أن يحملهم على إبل ليتكفروا من الخروج للجهاد، فلم يجد ما يحملهم عليه حتى مضى بعض الوقت فحصل لهم على ثلاثة من الإبل (1).

وبلغ الأمر بالضعفاء والعجزة ممن أقعدهم المرض أو النفقة عن الخروج إلى حد البكاء شوقاً للجهاد وتحرّجاً من القعود حتى نزل فيهم قرآن: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ\* وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَرْنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ﴾ [التوبة: 91-92].

إنها صورة مؤثرة للرجبة الصحيحة في الجهاد على عهد رسول الله، وما كان يحسه صادقو الإيمان من ألم إذا ما حالت ظروفهم المادية بينهم وبين القيام بواجباتهم، وكان هؤلاء المعوزون وغيرهم ممن عذر الله لمرض أو كبر سن أو غيرهما يسيرون بقلوبهم مع المجاهدين (2) وهم الذين عناهم رسول الله ﷺ عندما قال: «**إن بالمدينة أقواماً ما سرتهم مسيرةً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم**» قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: «**وهم بالمدينة حسبهم العذر**» (3).

## 5- جواز التصريح لجهة الغزو إذا لم تقتض المصلحة

### ستره:

لقد استطاع رسول الله ﷺ أن يحشد ثلاثين ألف مقاتل (4) من المهاجرين والأنصار وأهل مكة والقبائل العربية الأخرى، ولقد أعلن رسول الله ﷺ -على غير عادته في غزواته- هدفه ووجهته في القتال، إذ أعلن صراحة أنه يريد قتال بني الأصفرة (الروم)، علماً بأن هديه في معظم غزواته أن يوري فيها (5)، ولا يصرح بهدفه ووجهته وقصده، حفاظاً على سرية الحركة ومباغطة العدو.

(1) انظر: المجتمع المدني، ص 236.

(2) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 618.

(3) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4423.

(1، 2، 3) انظر: الصرع مع الصليبيين، ص 97.

وقد استدل بعض العلماء بهذا الفعل على جواز التصريح لجهة الغزو إذا لم تقتض المصلحة ستره، وقد صرح ﷺ في هذه الغزوة -على غير العادة- بالجهة التي يريد غزوها وجلي هذا الأمر للمسلمين لأسباب، منها:

1. بعد المسافة، فقد كان رسول الله ﷺ يدرك أن السير إلى بلاد الروم يعد أمراً صعباً؛ لأن التحرك سيتم في منطقة صحراوية ممتدة قليلة الماء والنبات، ولا بد - حينئذ- من إكمال المؤنة ووسائل النقل للمجاهدين قبل بدء الحركة؛ حتى لا يؤدي نقص هذه الأمور إلى الإخفاق في تحقيق الهدف المنشود.

2. كثرة عدد الروم، بالإضافة إلى أن مواجهتهم تتطلب إعداداً خاصاً، فهم عدو يختلف في طبيعته عن الأعداء الذين واجههم النبي ﷺ من قبل، فأسلحتهم كثيرة، ودرائتهم بالحرب كبيرة، وقدرتهم القتالية فائقة (1).

3. شدة الزمان، وذلك لكي يقف كل امرئ على ظروفه، ويعد النفقة اللازمة له في هذا السفر الطويل لمن يعول وراءه (2).

4. أنه لم يعد مجال للكتمان في هذا الوقت، حيث لم يبق في جزيرة العرب قوة معادية لها خطرها تستدعي هذا الحشد الضخم سوى الرومان ونصارى العرب الموالين لهم في منطقة تبوك ودومة الجندل والعقبة (3).

لقد شرع رسول الله ﷺ لنا الأخذ بمبدأ المرونة عند رسم الخطط الحربية، ومراعاة المصلحة العامة في حالتنا الكتمان والتصريح، ويعرف ذلك من مقتضيات الأحوال (4).

ولما علم المسلمون بجهة الغزوة سارعوا إلى الخروج إليها، وحث الرسول ﷺ على النفقة قائلاً: «**من جهز جيش العسرة فله الجنة**» (5).

(1) انظر: الرسول القائد، ص 398.

(2) انظر: البداية والنهاية (4/5).

(3) انظر: غزوة تبوك، محمد أحمد باشميل ص 57.

(4) انظر: القيادة في عهد الرسول ﷺ، ص 510.

(5) البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب عثمان (243/4).

## 6- قصة أبي ذر الغفاري والعبر منها:

قال ابن إسحاق: ثم مضى رسول الله ﷺ سائراً، فجعل يتخلف عنه الرجل، فيقولون: يا رسول الله، تخلف فلان، فيقول: «دعوه، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه»، حتى قيل: يا رسول الله، قد تخلف أبو ذر، وأبطأ به بعيره. فقال: «دعوه، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه» وتلوم (1) أبو ذر على بعيره، فلما أبطأ عليه، أخذ متاعه فحمله على ظهره، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً، ونزل رسول الله في بعض منازلهم، فنظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله، إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده، فقال رسول الله ﷺ: «كن أبا ذر» (2) فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله، هو - والله - أبو ذر، فقال رسول الله ﷺ: «رحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده» (3)، ومضى الزمان، وجاء عصر عثمان، ثم حدثت بعض الأمور وسير أبو ذر إلى الربذة، فلما حضره الموت أوصى امرأته وغلأمه: إذا مت فاغسلاني وكفناني ثم احملاني فضعاني على قارعة الطريق، فأول ركب يمرون بكم فقولوا: هذا أبو ذر. فلما مات فعلوا به كذلك فطلع ركب فما علموا به حتى كادت ركائبهم تطأ سيره، فإذا ابن مسعود فسي رهط من أهـل الكوفة، فقال: ما هذا؟ فقيل: جنازة أبي ذر، فاستهل ابن مسعود بيكي، فقال:

صدق رسول الله ﷺ: «يرحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده»، فنزل فوليه بنفسه حتى دفنه (4).

وفي هذه القصة دروس وعبر منها:

1. ما تعرض له أبو ذر الغفاري ﷺ من الصعوبات والمخاطر التي نجاه الله منها وقواه بالصبر عليها، لقد بذل أبو ذر جهداً كبيراً في المشي على قدميه وهو يحمل متاعه على ظهره حتى لحق

(1) تلوم على بعيره: تمهل.

(2) كن أبا ذر: لفظه الأمر ومعناه الدعاء؛ أي أرجو الله أن تكون أبا ذر.

(3) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (178/4).

(4) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (178/4).

بالنبي ﷺ والمسلمين؛ لكي ينال شرف الجهاد في سبيل الله (1).

2. وفي قوله ﷺ: «**رحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده**»، دلالة واضحة -وضوح الشمس في رابعة النهار- على صدق نبوة الرسول ﷺ؛ إذ الإخبار بأمر لا تقع ثم تقع بعد الإخبار يدل على معجزة وتكريم من الله لهذا الرسول ﷺ، وهذه الوسيلة من إثبات النبوة كثيرة في السيرة النبوية الشريفة (2).

3. كما أن في القصة دلالة على علم ابن مسعود ؓ وقوة ذاكرته وسرعة استحضاره لما حفظ، حيث تذكر بعد سنوات عديدة حديث رسول الله ﷺ عما سيؤول إليه أمر أبي ذر في آخر حياته (3).

## 7- قصة أبي خيثمة والدروس منها:

قال ابن إسحاق:.... ثم إن أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله ﷺ أياماً إلى أهله في يوم حارّ، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه (4) قد رشت كل واحدة منهما عريشها، وبردت له فيه ماء، وهيات له فيه طعاماً، فلما دخل قام على باب العريش، فنظر إلى امرأتيه، وما صنعتا له، فقال: رسول الله ﷺ في الضح (5) والريح والحر، وأبو خيثمة في ظل بارد، وطعام مهياً، وامرأة حسناء في ماله مقيم؟! ما هذا بالنصف، ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ، فهيينا لي زاداً، ففعلتا ثم قدم ناضحه (6) فارتحلته، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك، وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحي في الطريق، يطلب رسول الله ﷺ، فترافقا، حتى إذا دنوا من تبوك، قال أبو خيثمة لعمير بن وهب: إن لي ذنباً، فلا عليك أن تخلف عني حتى آتي رسول الله ﷺ، ففعل حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك، قال الناس: هذا راكب على

(1) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 129، التاريخ الإسلامي للحميدي (114/8).

(2) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 129.

(3) انظر: التاريخ الإسلامي (114/8).

(4) حائطه: أي بستانه.

(5) الضح: أي في الشمس.

(6) ناضحه: أي جملة.

الطريق مقبل، فقال رسول الله ﷺ: «**كن أبا خيثمة**»، فقالوا: يا رسول الله، هو -والله- أبو خيثمة، فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «**أولى لك (1) يا أبا خيثمة**»، ثم أخبر رسول الله ﷺ الخبر، فقال له رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له بخير (2).

قال ابن هشام: وقال أبو خيثمة في ذلك شعراً، واسمه مالك بن قيس:

لما رأيت الناس في	أتيت التي كانت أعفّ
وبايعت باليمنى يدي	فلم أكتسب إثما ولم أغش
تركت خضيباً (3) في	صفايا كراماً يسرها قد
وكنت إذا شك المنافق	إلى الدين نفسي شطره

وفي هذه القصة دروس وعبر منها:

### 1- المسلم صاحب ضمير حي:

فقد رأى أبو خيثمة ﷺ ما أعدت له زوجته من الماء البارد والطعام مع الظل المبرد والإقامة، فتذكر رسول الله ﷺ وما هو فيه من التعرض للشمس والرياح والحر، فأبصر وتذكر وتيقظ ضميره وحاسب نفسه، ثم عزم على الخروج، وخرج وحده يقطع الفيافي والقفار حتى التقى بعمير بن وهب الجمحي، ولعله كان قادماً من مكة، فهذه الصورة تبين لنا مثلاً من سلوك المتقين الذين تمر عليهم لحظات ضعف يعودون بعدها أقوى إيماناً مما كانوا عليه إذا تذكروا وراجعوا أنفسهم، وفي بيان ذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ** ﴾ [الأعراف: 201].

وقد تذكر سريعاً وخرج لعله يدرك ما فاتته، وظل يشعر بالذنب حتى وصل إلى النبي ﷺ في تبوك وحصل على رضاه وسروره .

(1) أجدر بك.

(2) انظر: البداية والنهاية (8/5).

(3) خضيباً: مخضوبة وهي المرأة.



## 2- معرفة الرسول بأصحابه وبمعانهم:

إن قول الرسول ﷺ حينما قال له أصحابه: هذا راكب على الطريق مقبل: «**كن أبا خيثمة**»، فلما اقترب وعرفوه قالوا: يا رسول الله، هو - والله- أبو خيثمة، يدل على معرفة رسول الله ﷺ بأصحابه وأنه أعرفهم بمعادن رجاله، يعرف المستجيب من غيره، ويعرف التائب المنيب إلى ربه إذ زلت قدمه بسرعة رجوعه، ومعرفة خصال الرجال ومعانهم تدل على معرفة واسعة، وخبرة مستوعبة فاحصة نتيجة التعامل والاحتكاك في ميادين الحياة المختلفة، فقد كان يخالط الجميع، يسمع منهم ويسمعهم ويسرون معه، ويجاهدون تحت رايته(1).

## 3- حزم أبي خيثمة وصبره ونفاذ عزمته:

تأمل هذا القرار الذي اتخذه أبو خيثمة ﷺ أن يلحق برسول الله ﷺ وحده، في هذه الرحلة المضنية، في هذه الصحراء القليلة الماء ذات الحر اللافح، لقد اتخذ هذا القرار الحازم ونفذه بدقة، فدل على قوة عزمته وعنفوان إرادته وعلى جلده وصبره(2).

## 4- عتاب القائد للجندي له أثره:

وصل أبو خيثمة معترفاً بذنبه، يطرح السلاح على رسول الله ﷺ فعاتبه، ﷺ معاتبته تحمل في طياتها اللوم والتأنيب والتهديد، إذ قال له رسول الله ﷺ: «**أولى لك يا أبا خيثمة**» فهي كلمة فيها معنى التهديد، ومعناها: دنوت من الهلكة.

إنه مما لا شك فيه أن هذا الكلام كان له وقع في نفس الجندي، إذ أوقفه على حقيقة ما ارتكب من الذنب.

وهذا منهج نبوي كريم في تعليم القادة عدم السكوت على أخطاء الجنود؛ لأن ذلك يضرهم ويلحق الضرر بغيرهم، بل عليهم أن يسعوا إلى تصويب الخطأ ومحاسبة مرتكبه وتقويمه، وبذلك يكونون معلمين ومرشدين ومربين(3).

(1) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص133.

(2) المصدر نفسه، ص133، 134.

(3) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص134.

## 8- الحق لا بد له من قوة :

ومن دروس هذه المعركة أن الحق لا بد له من قوة تحرسه وترهب أعداءه، لا يكفي حق بلا قوة.  
دعا المصطفى دهرًا بمكة لم يُجِبْ... وقد لان منه جانب وخطاب فلما دعا والسيف بالكف مسلط... له أسلموا واستسلموا وأنابوا

## 9- العقيدة أقوى سلاح:

ومن الدروس العظيمة من هذه الغزوة: أن تمكن العقيدة في قلوب رجال الإسلام أقوى من كل سلاح وعتاد، وقضى الله أن الأمة متى ما غفلت عن عقيدتها وتعلقت بغيرها تقلبت في ثنايا الإهانات والنكبات والنكسات، حتى ترجع إلى كتاب ربها وسنة نبيها. والأمة اليوم بعيدة كل البعد عن العقيدة الصحيحة إلا من رحم الله.

فعلى الدعاة والمصلحين والمربين أن يركزوا في دعوتهم على مسألة التوحيد درسًا وشرحًا وعملاً وتطبيقًا، وأن لا يفتروا بغيرهم ممن يخالفهم في هذه المسألة، فلا صلاح ولا فلاح إلا إذا صحت عقائد الناس واتضحت لهم معالم وأصول هذه العقيدة.

## 10- وصايا رسول الله ﷺ للجيش عند مروره بحجر

### ثمود:

قال أبو كبشة الأنصاري: ﷺ لما كان في غزوة تبوك تسارع الناس إلى أهل الحجر يدخلون عليهم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنادى في الناس: «**الصلاة جامعة**» قال: فأتيت رسول الله ﷺ وهو ممسك بغيره، وهو يقول: «**ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم؟**» فناداه رجل منهم: نعجب منهم يا رسول الله، قال: «**أفلا أنذركم بأعجب من ذلك؟ رجل من أنفسكم يئبكم بما كان قبلكم وما هو كائن بعدكم، فاستقيموا وسددوا، فإن الله عز وجل لا يعبأ بعذابكم شيئاً، وسيأتي قوم لا يدفعون عن أنفسهم شيئاً**» (1). وقال ابن عمر رضي الله عنهما: إن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ

(1) انظر: الفتح الرباني (195/21).

أرض ثمود، الحجر، واستقوا من بئرها، واعتجنوا به، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا من بئرها، وأن يعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة (1) وقال رسول الله ﷺ: «**لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، إلا أن تكونوا باكين حذراً أن يصيبكم مثل ما أصابهم**» ثم زجر (2) فأسرع حتى خلفها (3)، وهذا منهج نبوي كريم في توجيه رسول الله ﷺ صحابته إلى الاعتبار بديار ثمود، وأن يتذكروا بها غضب الله على الذين كذبوا رسوله، وألا يغفلوا عن مواطن العظة برسومها الدارسة، وأطلالها القديمة، ونهاهم عن الانتفاع بشيء مما في ربوعها، حتى الماء لكيلا تفوت بذلك العبرة، وتخف الموعظة، بل أمرهم بالبكاء، وبالتباكي، تحقيقاً للتأثر بعذاب الله، ولو أنهم مروا بها كما نمر نحن بآثار السابقين، لتعرضوا لسخط الله، فإن الغابرين شهدوا المعجزات ودلائل النبوة، وعانوا العجائب، لكن قست قلوبهم فاستهانوا بها، وحق عليهم العذاب، وحق بهم ما كانوا به يستهزئون من نعمة الله وغضبه.

إن الله عز وجل ما قص علينا من أنباء الأمم الخالية، إلا لكي نأخذ منها العظة والاعتبار، فإذا شهدنا بأعيننا ديارهم التي نزل فيها سخط المولى عز وجل وعذابه الأليم، وجب أن تكون الموعظة أشد، والاعتبار أعمق، والخوف من سخط المولى - سبحانه - أبلغ، ولهذا تسجى النبي صلوات الله وسلامه عليه بثوبه لما مر بالديار الملعونة المسخوطة واستحث خطا راحته (4) وقال لأصحابه: «**لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين، حذراً أن يصيبكم ما أصابهم**» (5).

## 11- وفاة الصحابي عبد الله ذي الجادين (6) ﷺ :

(1) البخاري، كتاب الأنبياء، رقم 3379.

(2) زجر: أي زجر ناقته. ومعناه ساقها سوقاً شديداً حتى خلفها أي جاوز المساكن.

(3) البخاري، كتاب الأنبياء، رقم 3381.

(4) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 480.

(5) البخاري، كتاب الأنبياء رقم 3381. (7)

(6) الجراد: الكساء الغليظ الجافي.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قمت من جوف الليل، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، قال: فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر، قال: فاتبعتها، أنظر إليها، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو البجادين المزني قد مات، وإذا هم قد حفروا له، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في حضرته، وأبو بكر وعمر يدلّيانه إليه، وهو يقول: «أدنيا إليّ أخاكما» فدلياه إليه، فلما هياه بشقه، قال: «اللهم إني أمسيت راضياً عنه، فارض عنه» قال (الراوي عن ابن مسعود): قال عبد الله بن مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحفرة (1).

قال ابن هشام: وإنما سمي ذا البجادين؛ لأنه كان ينازع إلى الإسلام فيمنعه قومه من ذلك يضيقون عليه، حتى تركوه في بجاد ليس عليه غيره، فهرب منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما كان قريباً منه، شق بجاده باثنين، فاتزر بواحد واشتمل بالآخر، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له: ذو البجادين، لذلك (2).

وفي هذه القصة دروس وحكم وفوائد منها:

### 1- تكريم النبي صلى الله عليه وسلم لجنوده أحياء وأمواتاً:

فهذا الفعل مع ذي البجادين يدل على حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تكريم أصحابه حتى في حالة الوفاة؛ لأنهم قدموا أنفسهم للجهاد في سبيل الله تاركين وراءهم أعز ما يملكون، فكانت تلك الرعاية مظهرًا من مظاهر تكريمهم في الدنيا، حيث لم يترك جثثهم تتناوشها الذئاب وغيرها من دواب الأرض؛ لكي يكون هذا التكريم من الأسباب التي تدفع غيرهم إلى الاستبسال والإقدام في ميادين الجهاد، ومن الجدير بالذكر أن هذا المبدأ لم يجد من يدعو إلى تطبيقه إلا في العصر الحديث، وبهذا يمكن أن يقال: إن رعاية القائد المسلم لشئون جنده تعد سبقاً عسكرياً لم تعرفه النظم والديكتاتوريات إلا بعد قرون طويلة، من بزوغ الإسلام (3).

فهذه صورة من البر والتكريم فريدة يتيمة، لن تجد في تاريخ الملوك والحكام من يبر ويتواضع إلى هذا المستوى، إلى حيث يوسد الحاكم فرداً من رعيته بيده في مثواه الأخير، ثم يلتمس له المرضاة من رب

(1) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص598.

(2) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (182/4).

(3) انظر: المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ص299.

العالمين، أما هو فقد أعلن أنه أمسى راضياً عنه(1).

## 2- جواز الدفن في الليل، والغبطة مشروعة في الخير:

فقد دفن رسول الله ﷺ ذا البجادين ليلاً، والسنة أن يعجل في دفن الميت، كما أن الغبطة وهي أن تتمنى حصول الخير لك كما حصل لغيرك من إخوانك، وهذا عكس الحسد، إذ الحسد تمنى زوال النعمة عن غيرك، والحسد كله شر كما ترى، أما الغبطة فلا تكون إلا في الخير(2)، تأمل قول عبد الله بن مسعود ؓ حينما سمع رسول الله ﷺ يقول في حق ذي البجادين: «اللهم إني أمسيت عنه راضياً فارض عنه» فقال ابن مسعود: يا ليتني كنت صاحب اللحد(3) إنها كلمة كل مؤمن آمن بالله واليوم الآخر، ووقف موقفه ذلك، فقد عرفوا أين تكون ميادين التنافس(4).

## 12- موقف المنافقين من غزوة تبوك:

عندما أعلن الرسول ﷺ النفير ودعا إلى الإنفاق في تجهيز هذه الغزوة، أخذ المنافقون في تثبيط همم الناس قائلين لهم: لا تنفروا في الحر، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفَرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ \* فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [التوبة: 81-82].

وقال رسول الله ﷺ وهو في جهازه لتبوك، للجد بن قيس: «يا جد، هل لك العام في جلد بني الأصفر؟» فقال: يا رسول الله أوتأذن لي ولا تفتني؟ فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل أشد عجباً بالنساء مني وإنني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر ألا أصبر، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: «قد أذنت لك» ففيه نزلت الآية: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة: 49]. وذهب بعضهم إلى النبي ﷺ مبددين أعداراً كاذبة ليأذن لهم

(1) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 472.

(2) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 163، 164.

(3) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص 598.

(4) انظر: معين السيرة، ص 452.

بالتخلف، فأذن لهم، فعاتبه الله بقوله: ﴿ **عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ** ﴾ [التوبة: 43].

وبلغ رسول الله ﷺ أن ناسًا منهم يجتمعون في بيت سويلم اليهودي يثبطون الناس عن رسول الله ﷺ، فأرسل إليهم من أحرق عليهم بيت سويلم(1).

وهذا يدل على مراقبة المسلمين الدقيقة ومعرفتهم بأحوال المنافقين واليهود، فقد كانت عيون المسلمين يقظة تراقب تحركات اليهود والمنافقين، واجتماعاتهم وأوكارهم، بل كانوا يطلعون فيها على أدق أسرارهم واجتماعاتهم وما يدور فيها من حبك المؤامرات، وابتكار أساليب التثبيط، واختلاق الأسباب الكاذبة لإقناع الناس بعدم الخروج للقتال، وقد كان علاج رسول الله لدعاة الفتنة وأوكارها حازما حاسما، إذ أمر بحرق البيت على من فيه من المنافقين، وأرسل من أصحابه من ينفذه، ونفذ بحزم، وهذا منهج نبوي كريم يتعلم منه كل مسئول في كل زمان ومكان كيف يقف من دعاة الفتنة ومراكز الشائعات المضللة التي تلحق الضرر بالأفراد والمجتمعات والدول؛ لأن التردد في مثل هذه الأمور يعرض الأمن والأمان إلى الخطر وينذر بزوالها(2).

لقد تحدث القرآن الكريم عن موقف المنافقين قبل الغزوة وأثناءها وبعدها، ومما جاء من حديث القرآن الكريم عن موقف المنافقين قبل غزوة تبوك ما يتضمن استئذانهم، وتخلفهم عن الخروج، وكان ممن تخلف عبد الله بن أبي بن سلول، وقد تحدث القرآن عنهم فقال تعالى: ﴿ **لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ السَّفَرَةُ وَسَيَّحِلُّونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** ﴾ [التوبة: 42]. فقد بين - سبحانه وتعالى - موقف المنافقين وأنهم تخلفوا بسبب بعد المسافة وشدتها، وأنه لو كان الذي دعوتهم إليه يا محمد عرضًا من أعراض الدنيا ونعيمها وكان السفر سهلا لاتبعوك في الخروج، ولكنهم تخلفوا ولم يخرجوا، فالآية تشرح وتوضح ملامسات موقفهم قبل الخروج إلى الغزوة، وأسباب هذا الموقف، ثم حكى - سبحانه - ما سيقوله هؤلاء المنافقون بعد عودة المؤمنين من هذه الغزوة: ﴿ **وَسَيَّحِلُّونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ** ﴾

(1) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 618.

(2) انظر: الصرع مع الصليبيين، ص 121.

**وَاللّٰهُ يَعْلَمُ اِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ** ﴿١﴾. كان نزول هذه الآية قبل رجوعه ﷺ من تبوك. والمعنى: وسيحلف هؤلاء المنافقون بالله -كذباً وزوراً- قائلين: لو استطعنا -أيها المؤمنون- أن نخرج معكم للجهاد في تبوك لخرجنا، فإننا لم نتخلف عن الخروج معكم إلا مضطرين فقد كانت لنا أذارنا القاهرة التي حملتنا على التخلف (1).

وقوله -سبحانه-: ﴿ **يُهْلِكُونَ اَنْفُسَهُمْ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ اِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ** ﴾. قال ابن عاشور: أي يحلفون مهلكين أنفسهم -أي موقعينها في الهلك، والهلك: الفناء والموت- ويطلق على الأضرار الجسمية وهو المناسب هنا أي يتسببون في ضرر أنفسهم بالإيمان الكاذبة وهو ضرر الدنيا وعذاب الآخرة. وفي هذه الآية دلالة على أن تعمد اليمين الفاجرة يفضي إلى الهلاك (2).

ثم عاتب الله تعالى نبينا محمدا ﷺ بقوله: ﴿ **عَفَا اللّٰهُ عَنْكَ لِمَ اَذِنْتَ لَهُمْ حَتّٰى يَتَّبِعَ لَكَ الَّذِيْنَ صَدَقُوْا وَتَعَلَّمَ الْكَٰذِبِيْنَ** ﴾.

قال مجاهد (3): نزلت هذه الآية في أناس قالوا: استأذنوا رسول الله ﷺ، فإن أذن لكم فاقعدوا، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا، وهؤلاء هم فريق من المنافقين، منهم عبد الله بن أبي ابن سلول، والجد بن قيس، ورفاعة بن التابوت، وكانوا تسعا وثلاثين واعتذروا بأعذار كاذبة (4).

والآية الكريمة عتاب لطيف من اللطيف الخبير -سبحانه- لحبيبه ﷺ على ترك الأولى، وهو التوقف عن الإذن إلى انجلاء الأمر وانكشاف الحال (5) ثم قال تعالى: ﴿ **لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِيْنَ يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ اَنْ يُّجَاهِدُوْا بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ وَاللّٰهُ عَلِيْمٌ بِالْمُتَّقِيْنَ** ﴾ \* **اِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَاَرْتَابَتْ قُلُوْبُهُمْ فَهُمْ فِيْ رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُوْنَ** ﴿٤٤﴾ [التوبة: 44-45].

هذه الآيات أول ما نزل في التفرقة بين المنافقين والمؤمنين في القتال (6)، فبين -سبحانه- أنه ليس من شأن المؤمنين بالله واليوم الآخر

(1) انظر: حديث القرآن الكريم (647/2).

(2) انظر: تفسير التحرير والتنوير (209/10).

(3) انظر: تفسير ابن كثير (360/2).

(4) انظر: التحرير والتنوير (210/10).

(5) انظر: حديث القرآن الكريم (647/2).

(6) انظر: تفسير المراعي (127/4).

الاستئذان وترك الجهاد في سبيل الله، وإنما هذا من صفات المنافقين الذين يستأذنون من غير عذر، وصفهم - سبحانه - بقوله: ﴿ **وَإِذَا تَابَتْ قُلُوبُهُمْ** ﴾ أي: شكت في صحة ما جئتهم به، وقوله ﴿ **فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ** ﴾ أي: يتحIRON يقدمون رجلاً ويؤخرون أخرى وليست لهم قدم ثابتة في شيء (1).

لقد كانت غزوة تبوك منذ بداية الإعداد لها مناسبة للتمييز بين المؤمنين والمنافقين، وضحت فيها الحواجز بين الطرفين، ولم يعد هناك أي مجال للتستر على المنافقين أو مجاملتهم، بل أصبحت مجابتهم أمراً ملجأً بعد أن عملوا كل ما في وسعهم لمجابهة الرسول والدعوة، وتثبيط المسلمين عن الاستجابة للنفير الذي أعلنه الله تعالى ورسوله ﷺ والذي نزل به القرآن الكريم، بل وأصبح الكشف عن نفاق المنافقين، وإيقافهم عند حدهم واجباً شرعياً (2).

### 13- جواز القتال في الأشهر الحرم :

ومن الدروس جواز القتال في الشهر الحرام إن كان خروجه في رجب محفوظاً على ما قاله ابن إسحاق ولكن ها هنا أمر آخر وهو أن أهل الكتاب لم يكونوا يحرمون الشهر الحرام بخلاف العرب فإنها كانت تحرمه وقد تقدم أن في نسخ تحريم القتال فيه قولين وذكرنا حجج الفريقين .

### 14- بعض المعجزات التي حدثت في الغزوة:

ظهرت في غزوة تبوك معجزات منها:

#### 1- الله تعالى يرسل السحاب لدعاء نبيه بالسقيا:

لما جاز النبي ﷺ حجر ثمود، أصبح الناس ولا ماء لهم، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ ربه، واستسقى لمن معه من المسلمين، فأرسل الله - سبحانه وتعالى - سحابة فأمرت حتى ارتوى

(1) انظر: تفسير ابن كثير (361/2).

(2) انظر: نضرة النعيم (389/1).



الناس، واحتملوا حاجتهم من الماء، فتحدث ابن إسحاق عن قال لمحمود بن لبيد: هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم؟ قال: نعم والله، إن كان الرجل ليعرفه من أخيه، ومن أبيه، ومن عمه، وفي عشيرته، ثم يلبس بعضهم بعضاً على ذلك، ثم قال محمود: لقد أخبرني رجال من قومي، عن رجل من المنافقين معروف نفاقه، كان يسير مع رسول الله ﷺ حيث سار، فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان، ودعا رسول الله ﷺ حين دعا، فأرسل الله السحابة، فأمرت حتى ارتوى الناس، قالوا: أقبلنا عليه ونقول: ويحك! هل بعد هذا الشيء؟ قال: سحابة مارة (1).

## 2- خبر ناقة رسول الله ﷺ:

لما كان رسول الله ﷺ سائراً في طريقه إلى تبوك، ضلت ناقته، فخرج أصحابه في طلبها وعند رسول الله ﷺ رجل من أصحابه، يقال له: عمارة بن حزم، وكان عقبياً بديراً، وهو عم بني عمرو بن حزم، وكان في رحله زيد بن اللصيت القينقاعي، وكان منافقاً.

قال زيد بن اللصيت وهو في رحل عمارة، وعمارة عند رسول الله ﷺ: أليس محمد يزعم أنه نبي؟ ويخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته؟

فقال رسول الله ﷺ وعمارة عنده: «إن رجلاً قال: هذا محمد يزعم أنه يخبركم أنه نبي، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلتني الله عليها، وهي في هذا الوادي، في شعب كذا وكذا، قد حبستها شجرة بزمامها» فانطلقوا حتى أتوني بها، فذهبوا فجاءوا بها، فرجع عمارة بن حزم إلى رحله، فقال: والله لعجب من شيء حدثناه رسول الله ﷺ أنفاً عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا، للذي قال زيد بن اللصيت، فقال رجل ممن كان في رحل عمارة، ولم يحضر رسول الله ﷺ: زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي، فأقبل عمارة على زيد، يجأ في عنقه (يطعنه فيه) يقول: إليّ عباد الله، إن في رحلي لداهية، وما أشعر، اخرج أي عدو الله (2) من رحلي فلا تصحبني، قال ابن إسحاق: فزعم بعض الناس أن زيداً تاب بعد ذلك، وقال بعض الناس: لم يزل متهماً بشر حتى هلك (3).

(1) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (176/4)، صور وعبر من الجهاد النبوي، ص 473.

(2) انظر: إعلام النبوة للماوردي، ص 100، السيرة النبوية لابن هشام (177/4).

(3) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (177/4).

### 3- الإخبار بهبوب ريح شديدة والتحذير منها:

أخبر رسول الله ﷺ أصحابه في تبوك بأن ريحاً شديدة ستهب، وأمرهم بأن يحتاطوا لأنفسهم ودوابهم فلا يخرجوا حتى لا تؤذيهم، وليربطوا دوابهم حتى لا تؤذي، وتحقق ما أخبر به رسول الله ﷺ، فهبت الريح الشديدة وحملت من قام فيها إلى مكان بعيد (1) فقد روى مسلم في صحيحه بإسناده إلى أبي حميد قال: وانطلقنا حتى قدمنا تبوك فقال رسول الله ﷺ: **ستهب عليكم الليلة ريح شديدة**، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبل طيئ(2).

قال النووي في شرحه على صحيح مسلم معقبا على هذا الحديث: هذا الحديث فيه هذه المعجزة الظاهرة من إخباره ﷺ بالمغيب وخوف الضرر من القيام وقت الريح(3).

### 4- تكثير ماء عين تبوك والإخبار بما ستكون عليه من خصب:

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: **«إنكم ستأتون غدا إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي»** فجئناها وقد سبقنا إليها رجلا، والعين مثل الشراك(4)، تبض(5) بشيء من ماء، فسألها رسول الله ﷺ: **«هل مسستما من مائها شيئا؟»** قالوا: نعم، فسبها النبي ﷺ وقال لهما ما شاء الله أن يقول، ثم عرفوا بأيديهم من العين قليلا قليلا حتى اجتمع في شيء، وغسل رسول الله ﷺ فيه يديه ووجهه، ثم أعاده فيها فجرت العين بماء منهمر حتى استقى الناس(6).

وقد قال رسول الله ﷺ<sup>ه</sup> لمعاذ بن جبل: **«يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جنائنا»**(7)، لقد كانت منطقة تبوك والوادي الذي كانت فيه العين منطقة جرداء لقلة الماء، ولكن الله -عز وجل- أجرى على يد رسوله ﷺ بركة تكثير هذا الماء حتى أصبح يسيل

(1) انظر: الصرع مع الصليبيين، ص141.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي (42/15)، مختصر مسلم رقم 1543.

(3) شرح النووي على صحيح مسلم (42/15).

(4) الشراك: هو سير النعل ومعناه ماء قليل جدا.

(5) تبض: بفتح التاء وكسر الموحدة وتشديد الضاد ومعناه تسيل.

(6) صحيح مسلم بشرح النووي (41/15)، مختصر مسلم رقم 1530.

(7) صحيح مسلم بشرح النووي، الفتح الرباني(196/21).

بغزارة، ولم يكن هذا آتياً لسد حاجة الجيش، بل أخبر رسول الله ﷺ بأنه سيستمر وستكون هناك جنان وبساتين مملوءة بالأشجار المثمرة، ولقد تحقق ما أخبر به الرسول ﷺ بعد فترة قليلة من الزمن، وما زالت تبوك حتى اليوم تمتاز بجنانها وبساتينها ونخيلها وتمورها، تنطق بصدق نبوة الرسول وتشهد بأن الرسول لا يتكلم إلا صدقاً، ولا يخبر إلا حقاً، ولا ينبئ بشيء إلا ويتحقق (1).

### 5- تكثير الطعام:

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: لما كانت غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، فقالوا: يا رسول الله، لو أذنت لنا فحرقنا نواضحنا (2) فأكلنا وأدمننا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «افعلوا»، فجاء عمر فقال: يا رسول الله، إنهم إن فعلوا قل الظُّهر (3) ولكن ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع لهم بالبركة، لعل الله يجعل في ذلك، فدعا رسول الله ﷺ بنطع (4) فبسطه، ثم دعاهم بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكف الذرة، والآخر بكف التمر، والآخر بالكسرة حتى اجتمع على النطع في ذلك شيء يسير، ثم دعا عليه بالبركة، ثم قال لهم: «خذوا في أوعيتكم» فأخذوا من أوعيتهم حتى ما تركوا من المعسكر وعاء إلا مألوه، وأكلوا حتى شبعوا، وفضلت منه فضلة، فقال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاكٍ فتحجب عنه الجنة» (5).

هذه بعض المعجزات والكرامات التي أظهرها الله على يد رسول الله ﷺ في غزوة تبوك تدل على صدق نبوته ورسالته، وتدل على رفعة منزلته وتكريمه عند ربه (6).

### 15- إذا استنفر الإمام الجيش لزمهم النفير:

(1) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 142.

(2) نواضحنا: جمع ناضح وهي الإبل التي يسقى عليها.

(3) الظهر: ما يحمل عليه من الإبل.

(4) النطع: بساط من الجلد.

(5) الفتح الرباني (196/21 - 198).

(6) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 141.

ومن الدروس والعبر أن الإمام إذا استنفر الجيش لزمهم النفير ولم يجز لأحد التخلف إلا بإذنه ولا يشترط في وجوب النفير تعيين كل واحد منهم بعينه بل متى استنفر الجيش لزم كل واحد منهم الخروج معه وهذا أحد المواضع الثلاثة التي يصير فيها الجهاد فرض عين . والثاني : إذا حضر العدو البلد . والثالث إذا حضر بين الصفين .

## 16- خطر الاستهزاء بالدين والصالحين:

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:-

قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوماً: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، لا أرب بطونا، ولا أكذب ألسنة، ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن. قال عبد الله: فأنا رأيت متعلقاً بحقب(1) ناقة رسول الله والحجارة تنكبه(2)، وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، والرسول ﷺ يقول: «**أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزون؟**».

وفي رواية قتادة قال: بينما رسول الله ﷺ في غزوته إلى تبوك وبين يديه أناس من المنافقين فقالوا: يرجو هذا الرجل أن تفتح له قصور الشام وحصونها؟ هيهات هيهات.. فأطلع الله نبيه على ذلك فقال نبي الله ﷺ: «**احبسوا هؤلاء الركب**»، فاتاهم فقال: قلتم كذا وقلتم كذا، قالوا: فأنزل الله فيهم ما تسمعون(3)، فأنزل الله تعالى: ﴿**يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ نُنزِلَ عَلَيْهِمْ سُورَةً تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ اسْتَهِزُّوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ \* وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ**﴾ [التوبة: 64-65].

والاستفهام في قوله: ﴿**قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ**﴾ استفهام إنكاري.

والمعنى: قل يا محمد لهؤلاء موبخاً ومنكرًا: ألم تجدوا ما تستهزون

(1) الخقب: جبل يشد به الرجل في بطن البعير.

(2) الحجارة تنكبه: تصيبه وتؤذيه.

(3) انظر: الدر المنثور للسيوطي، (230/4).

به في مزاحم ولعكم -كما تزعمون- سوى فرائض الله وأحكامه وآياته ورسوله الذي جاء لهدايتكم وإخراجكم من الظلمات إلى النور!

ثم بين -سبحانه- أن استهزاءهم هذا أدى بهم إلى الكفر فقال: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نَعْدِبُ طَائِفَةَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: 66].

ومعنى الآية: أي لا تذكروا هذا العذر لدفع هذا الجرم، لأن الإقدام على الكفر لأجل اللعب لا ينبغي أن يكون، فاعتذاركم إقرار بذنوبكم، فهو كما يقال: عذر أقبح من ذنب (1).

وقوله: ﴿إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نَعْدِبُ طَائِفَةَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ أي: إن نعف عن بعضكم لتوبتهم وإنابتهم إلى ربهم -كمخشن بن حمير- نعدب بعضاً آخر لإجرامهم وإصرارهم عليه (2).

ب- إيذاء الرسول والمؤمنين ومحاولة اغتيال رسول الله:

وقد نزل في هؤلاء المنافقين قول الله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَعَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتُوبُوا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة: 74].

وقد ذكر ابن كثير أن الضحاك قال: إن نفرًا من المنافقين هموا بالفتك بالنبي ﷺ وهو في غزوة تبوك في بعض الليالي في حال السير، وكانوا بضعة عشر رجلاً نزلت فيهم هذه الآية (3)، وفي رواية الواحدي عن الضحاك: خرج المنافقون مع رسول الله ﷺ إلى تبوك، فكانوا إذا خلا بعضهم إلى بعض سبوا رسول الله ﷺ وأصحابه، وطعنوا في الدين، فنقل ما قالوا حذيفة إلى رسول الله ﷺ فقال لهم رسول الله: «يا أهل النفاق، ما هذا الذي بلغني عنكم؟» فحلفوا ما قالوا شيئاً من ذلك، فأنزل الله هذه الآية إكذاباً لهم (4).

(1) انظر: تفسير المراغي (153/4).

(2) المصدر نفسه (153/4).

(3) تفسير ابن كثير (372/2).

(4) انظر: أسباب النزول للواحدي، ص 251.

والمعنى الإجمالي للآية: يحلفون بالله أنهم ما قالوا تلك الكلمة التي نسبت إليهم، والله يكذبهم ويثبت أنهم قد قالوا كلمة الكفر التي رويت عنهم. ولم يذكر القرآن هذه الكلمة لأنه لا ينبغي ذكرها... (1).

### 17- وجوب الجهاد بالمال:

ومن الدروس كما يقول بن القيم وجوب الجهاد بالمال كما يجب بالنفس وهذا إحدى الروايتين عن أحمد وهي الصواب الذي لا ريب فيه فإن الأمر بالجهاد بالمال شقيق الأمر أهم وأكد من الجهاد بالنفس ولا ريب أنه أحد الجهادين كما قال النبي ﷺ من جهز غازيا فقد غزا فيجب على القادر عليه كما يجب على القادر بالبدن ولا يتم الجهاد بالبدن إلا ببذله ولا ينتصر إلا بالعدد والعدد فإن لم يقدر أن يكثر العدد وجب عليه أن يمد بالمال والعدة وإذا وجب الحج بالمال على العاجز بالبدن فوجوب الجهاد بالمال أولى وأحرى .

### دروس من قصة مسجد الضرار:

وفي قصة مسجد الضرار دروس وعبر وفوائد منها:

### 18- أ- الكفر ملة واحدة:

وقد تبين هذا في موقف أبي عامر الراهب من الإسلام ومن المسلمين؛ إذ غضب غضبا شديدا، وتألم لهزيمة المشركين في بدر، فأعلن عداؤه للرسول، وتوجه إلى عاصمة الشرك مكة يحث أهلها على قتال المسلمين، وخرج مقاتلا معهم في أحد، وحاول تفتيت الصف الإسلامي (2) وصدق الله تعالى عندما قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: 73].

### 19- (ب) محاولة التدليس على المسلمين:

حاول المنافقون أن يضيفوا الشرعية على هذا البناء وأنه مسجد بنوه لأسباب مقنعة في الظاهر، ولكن لا حقيقة لها في نفوس أصحابها، فقد جاءوا يطلبون من الرسول ﷺ الصلاة في هذا البناء ليكون مسجدا قد

(1) انظر: حديث القرآن الكريم (665/2).

(2) انظر: الصرع مع الصليبيين، ص 179.

باركه رسول الله ﷺ بالصلاة فيه، فإذا حدث هذا فقد استقر قرارهم في تحقيق أهدافهم، وهذا أسلوب ماهر خبيث قد ينطلي على كثير من الناس (1).

## 20- (ج) فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين:

إن الباحث ليلاحظ مدى العناية الإلهية بالنبى ﷺ؛ فقد أطلع الله - عز وجل - على أسرار هؤلاء المنافقين وما أرادوه من تأسيس هذا المسجد، فلولاً إعلام الله لرسوله لما أدرك رسول الله حقيقة نواياهم، وأصلى في البناء فأضفى عليه الشرعية وأقبل الناس يصلون فيه لأن رسول الله ﷺ صلى فيه، وبذلك يحدث الاختلاط بين المنافقين وضعاف المسلمين فينفردون بهم وقد يؤثرون عليهم بالشائعات (2).

## 21- (د) العلاج النبوي الحاسم:

إن ما قام به الرسول ﷺ من الأمر بهدم مسجد الضرار هو التصرف الأمثل، وهذا منهج نبوي كريم سنة لقادة الأمة في القضاء على أي عمل يراد منه الإضرار بالمسلمين وتفريق كلمتهم، فالداء العضال لا يعالج بتسكينه والتخفيف منه، وإنما يعالج بحسمه وإزالة آثاره، حتى لا يتجدد ظهوره بصورة أخرى، وإن الثمار العملية، التي لمسها المسلمون على إثر تطبيق الأمر النبوي الحازم لتدلنا على أن هذه المنهجية التي نهجها رسول الله ﷺ مع هذا المكر الخبيث، هي الطريقة المثلى لقمع حركة النفاق في المجتمع المسلم، فقد أصبح أمرهم بعد ذلك يتلاشى شيئاً فشيئاً حتى لم يبق منهم بعد لحاق الرسول ﷺ بالرقيق الأعلى إلا عدد قليل، ولم يعرف عنهم بعد تدمير مسجد الضرار أن قاموا بأعمال تخدم الهدف نفسه لعلمهم بنتائج العمل بعد انكشافهم (3).

## 22- (هـ) ما يلحق بحكم مسجد الضرار:

ذكر المفسرون ما يلحق بمسجد الضرار في الحكم، فهذه بعض

(1) المصدر نفسه، ص 181.

(2) انظر: الصرع مع الصليبيين، ص 179.

(3) انظر: التاريخ الإسلامي (130/8).

أقولهم:

أ- قال الزمخشري: ... وقيل كل مسجد بني مباهاة أو رياء وسمعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله، أو بمال غير طيب، فهو لاحق بمسجد الضرار (1).

علق الدكتور عبد الكريم زيدان على قول الزمخشري فقال: ولكن هل يلحق بمسجد الضرار فيهدم، كما هدم مسجد الضرار الذي بناه المنافقون في المدينة وأمر النبي ﷺ بهدمه؟ لا أرى ذلك، وإنما يمكن أن يقال إن المسجد الذي بنى لهذه الأغراض يلحق بمسجد الضرار من جهة عدم ابتناؤه على التقوى، والإخلاص الكامل لله تعالى (2).

ب- قال القرطبي في تفسيره: قال علماءنا: وكل مسجد بني على ضرار أو رياء وسمعة فهو في حكم مسجد الضرار لا تجوز الصلاة فيه (3).

ج- وقال سيد قطب في تفسيره: هذا المسجد مسجد الضرار الذي اتخذ على عهد رسول الله ﷺ مكيمة للإسلام والمسلمين، هذا المسجد ما يزال يتخذ في صور شتى؛ يتخذ في صورة نشاط ظاهره الإسلام وباطنه لسحق الإسلام أو تشويهه... ويتخذ في صورة أوضاع ترفع لافتة الدين عليها لتنترس وراءها، وهي ترمي هذا الدين، ويتخذ في صورة تشكيلات وتنظيمات وكتب وبحوث تتحدث عن الإسلام، لتخدر القلقين الذين يرون الإسلام يُذبح ويمحق، فتخدرهم هذه التشكيلات وتلك الكتب بما توحيه لهم من أن الإسلام بخير، وأنه لا داعي للخوف أو القلق عليه (4).

## 23- (وقاعدة لعرفة ما يلحق بالمسجد الضرار :

قال الدكتور عبد الكريم زيدان: كل ما يتخذ مما هو في ظاهره مشروع، ويريد متخذوه تحقيق غرض غير مشروع، فهو ملحق

(1) انظر: تفسير الزمخشري (310/2).

(2) انظر: المستفاد من قصص القرآن (504/2).

(3) انظر: تفسير القرطبي (254/8).

(4) في ظلال القرآن (1710/3، 1711).



بالمسجد الضرار، لأنه يحمل روحه وعناصره(1)، وإذا أردنا الإيجاز قلنا في هذه القاعدة: كل ما كان ظاهره مشروعاً ويريد متخذه الإضرار بالمؤمنين فهو ملحق بالمسجد الضرار (2).

وبناء على هذه القاعدة يخرج من نطاق مسجد الضرار وما يلحق به، ما ذكره الإمام ابن القيم من مشاهد الشرك، ومن أماكن المعاصي والفسوق كالحانات وبيوت الخمر والمنكرات ونحو ذلك؛ لأن هذه المنكرات ظاهرها غير مشروع فلا تلحق به وإن استحقت الإزالة كمسجد الضرار باعتبارها منكرات ظاهرةً وباطناً(3).

## 24- (ن) مساجد الضرار في بلاد المسلمين:

لا يزال أعداء الإسلام من المنافقين والملحدين، والمبشرين (المنصّرين) والمستعمرين، يقيمون أماكن باسم العبادة وما هي لها، وإنما المراد بها الطعن في الإسلام وتشكيك المسلمين في معتقداتهم وأدابهم، وكذلك يقيمون مدارس باسم الدرس والتعليم ليتوصلوا بها إلى بث سمومهم بين أبناء المسلمين، وصرفهم عن دينهم، وكذلك يقيمون المنتديات باسم الثقافة والغرض منها خلخلة العقيدة السليمة في القلوب، والقيم الخلقية في النفوس، ومستشفيات باسم المحافظة على الصحة والخدمة الإنسانية والغرض منها التأثير على المرضى والضعفاء وصرفهم عن دينهم، وقد اتخذوا من البيئات الجاهلة والفقيرة -لاسيما في بلاد إفريقيا- ذريعة للتوصل إلى أغراضهم الدنيئة التي لا يقرها عقل ولا شرع ولا قانون .

إن مسجد الضرار ليس حادثة في المجتمع الإسلامي الأول وانقضت، بل هي فكرة باقية، يخطط لها باختيار الأهداف العميقة، وتختار الوسائل الدقيقة لتنفيذها، وخططها تصب في التآمر على الإسلام وأهله بالتشويه وقلب الحقائق، والتشكيك، وزرع بذور الفتن لإبعاد الناس عن دينهم وإشغالهم بما يضرهم ويدمر مصيرهم الأخرى(4).

(1) انظر: المستفاد من قصص القرآن (506/2).

(2) المصدر نفسه (507/2).

(1) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (508/2).

(4) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 182.

## 25- لا يعذر العاجز بماله حتى يبذل جهده:

ومن دروس هذه الغزوة أن العاجز بماله لا يعذر حتى يبذل جهده ويتحقق عجزه فإن الله سبحانه إنما نفى الحرج عن هؤلاء العاجزين بعد أن أتوا رسول الله ﷺ ليحملهم فقال لا أجد ما أحملكم عليه فرجعوا ليكون لما فاتهم من الجهاد فهذا العاجز الذي لا حرج عليه .

### دروس وعبر من قصة المخلفين الثلاثة:

وردت قصة الثلاثة الذين خلفوا على لسان كعب بن مالك ؓ في كتب السيرة والحديث والتفسير بروايات متقاربة في ألفاظها، ولقيت عناية فائقة في الشرح والتدريس، وكان صحيح البخاري من أكثر الكتب دقة وتفصيلاً لهذه القصة (1).

ونترك كعب بن مالك ؓ يحدثنا بنفسه حيث قال: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أنني كنت تخلفت في غزوة بدر، ولم يعاتب أحدًا تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة (2) حين تواتقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها، كان من خبري أنني لم أكن -قط- أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان -قط- حتى جمعتهما في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً، وعدواً كثيراً، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ، يريدون الديوان، قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له، ما لم ينزل فيه وحي الله.

وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حيث طابت الثمار والظلال، وتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، فطفقت أعدو لكي أتجهز معهم، فأرجع

(1) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 187.

(2) ليلة العقبة: الليلة التي بايع رسول الله ﷺ الأنصار على الإسلام.

ولم أقض شيئاً، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه، فلم يزل يتمادي بي حتى اشتد بالناس الجد، فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً، فقلت: أتجهز بعده بيوم أو يومين، ثم ألحقهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز، فرجعت ولم أقض شيئاً، ثم غدوت، ثم رجعت ولم أقض شيئاً، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو (1) وهممت أن أرتحل فأدركهم، وليتني فعلت، فلم يقدر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم أحزنني أنني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه النفاق أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «**ما فعل كعب؟**» فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برداه، ونظره في عطفه (2) فقال له معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله ﷺ، فبينما هو على ذلك رأى رجلاً مبيضاً (3) يزول به السراب (4) فقال رسول الله ﷺ: «**كن أبا خيثمة**» فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري، وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه (5) المنافقون، قال كعب بن مالك: فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلاً (6) من تبوك حضرني بتي (7)، فطفت أتذكر الكذب وأقول: بم أخرج من سخطه غداً؟ واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل لي: إن رسول الله ﷺ قد أظل قادمًا (8) زاح (9) عني الباطل، حتى عرفت أنني لن أنجو منه بشيء أبداً، فأجمعت صدقه (10) وأصبح رسول الله ﷺ قادماً، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم، وبايعهم، واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى

(1) تفارط الغزو: تقدم الغزاة وسبقوا وفاتوا.

(2) والنظر في عطفه: أي جانبه، وهو إشارة إلى إعجابه بنفسه ولباسه.

(3) مبيضاً: لابس البياض.

(4) يزول به السراب: يتحرك وينهض، والسراب ما يظهر للإنسان.

(5) لمزه المنافقون: عابوه واحتقروه.

(6) توجه قافلاً: راجعاً.

(7) حضرتي بتي: حزني.

(8) أظل قادمًا: أقبل ودنا قدمه كأنه أبقى على ظله.

(9) زاح: أزال.

(10) أجمعت صدقه: عزمت على صدقه.

الله، حتى جئت، فلما سلمت، تبسم تبسم المغضب، ثم قال: «**تعال**»، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: «**ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟**» قال: قلت: بلى، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً (1) ولكني والله- لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليوشكن (2) الله أن يُسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه (3) إني لأرجو فيه عقبي الله (4)، لا والله- ما كان لي عذر، والله ما كنت قط- أقوى، ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، قال رسول الله ﷺ: «**أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك**»، فقامت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني، فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت ألا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر به إليه المخلفون، فقد كان كافيك ذنبك، استغفار رسول الله ﷺ لك، قال: فوالله ما زالوا يؤنبونني (5) حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ فأكدب نفسي.

قال: ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي من أحد؟ قالوا: نعم، لقيه معك رجلان، قالوا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك، قال: قلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي، قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا، فيهما أسوة. فمضيت حين ذكروهما لي. ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا -أيها الثلاثة- من بين من تخلف عنه. فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا (6) وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم (7) فكنت أخرج، فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وأتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه، وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد

(1) أعطيت جدلاً: فصاحة وقوة في الكلام وبراعة.

(2) ليوشكن: ليسرعن.

(3) تجد علي فيه: تغضب.

(4) إني لأرجو عقبي الله: يعقبنني خيراً ويشينني عليه.

(5) يؤنبونني: يلومونني أشد اللوم.

(6) استكانا: خضعنا.

(7) أشب القوم وأجلدهم: أي أصغروهم سناً وأقواهم.

السلام أم لا؟ ثم أصلي قريبا منه، وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إليّ، وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى طال ذلك عليّ من جفوة الناس، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة، -وهو ابن عمي، وأحب الناس إلي- فسلمت عليه، فوالله ما رد عليّ السلام، فقلت له: يا أبا قتادة، أنشدك بالله(1) هل تعلم أنني أحب الله ورسوله؟ قال: فسكت، فعدت فناشدته فسكت، فعدت فناشدته فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عياني، وتوليت حتى تسورت الجدار، فبينما أنا أمشي في سوق المدينة، إذا نبطي من نبط أهل الشام(2) ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له إلي، حتى جاءني فدفع إليّ كتاباً من ملك غسان، وكنت كاتباً، فقرأته فإذا فيه: أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعاً(3) فالحق بنا نو فقلت حين قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء فتيممت(4) بها التنور، فسجرتها(5) به حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين واستلبت الوحي إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعتزلها فلا تقربها، قال: فأرسل إلى صاحبي بمثل هذا.

قال: فقلت لا مرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر، قال: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله، فقالت له: يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: لا، ولكن لا يقربك، فقالت: إنه -والله- ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا. فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك؟ فقد أذن لامرأة هلال ابن أمية أن تخدمه، قال فقلت: لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ وما يدريني ماذا يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها، وأنا رجل شاب، قال فلبثت بذلك عشر ليالٍ، فكمل لنا خمسون ليلة على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل منا، قد ضاقت عليّ

(1) أنشدك بالله: أسألك بالله.

(2) نبط أهل الشام: فلاحو العجم.

(3) مضيعاً: يعني أنك لست بأرض يضيع فيها حقك.

(4) تيممت: قصدت.

(5) فسجرتها: أحرقتها.

نفسى وضافت عليّ الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على سلع (1) يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك، أبشر. قال: فخررت ساجدًا، وعرفت أن قد جاء فرج، قال: فأذن (2) رسول الله ﷺ توبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل إليّ فرسًا، وسعى ساع من أسلم قبلي، وأوفى الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنى نزلت له ثوبيّ فكسوته إياهما ببشارته، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت أتأمم (3) رسول الله ﷺ فيتلقاني الناس فوجا فوجا (4) يهتفونني بالتوبة ويقولون: لتهنأك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالس في المسجد، حوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره، قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة، قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق وجهه من السرور: «أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك» قال: قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ فقال: «لا، بل من عند الله» وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر قال: وكنا نعرف ذلك قال: فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنزع (5) من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك» قال: فقلت: فإني أمسك سهمي الذي بخبير قال: وقلت: يا رسول الله، إن الله إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقًا ما بقيت، فوالله ما علمت أن أحدًا من المسلمين أبلاه (6) الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، أحسن مما أبلاني الله به، والله ما تعمدت كذبة منذ قلت لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي، قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ

(1) أوفى على سلع: صعده وارتفع عليه، وطلع: جبل بالمدينة معروف.

(2) فأذن الناس: أي أعلمهم.

(3) أتأمم: أي قصد.

(4) فوجا فوجا: الفوج الجماعة.

(5) أنزع من مالي: أتصدق به.

(6) أبلاه الله: أنعم عليه.

يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿التوبة: 117-118﴾ حتى بلغ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿التوبة: 119﴾.

قال كعب: والله ما أنعم الله علي من نعمة -قط- بعد إذ هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ ألا أكون كذنبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله قال للذين كذبوا الله حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد، قال الله: ﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَ اللَّهُ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿التوبة: 95-96﴾.

قال كعب: وكنا تخلفنا -أيها الثلاثة- عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله عز وجل: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿التوبة: 118﴾ وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا، وإرجأه أمرنا(1)، عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه(2).

وفي هذه القصة دروس وعبر وفوائد كثيرة نذكر منها:

## 26- (أ) الأسلوب الجميل والبيان الرائع والأدب

### الرفيع:

لقد تمت صياغة هذا الحديث بأسلوب جميل، وبيان رائع، وأدب رفيع، وإنه ليعتبر -مع أمثاله كحديث صلح الحديبية وحديث الإفك- نماذج عالية للأدب العربي الرفيع، وليت القائلين على وضع المناهج الدراسية يختارون هذه الأحاديث وأمثالها لتنمية مدارك الطلاب،

(1) إرجأه أمرنا: تأخيره أمرنا.

(2) البخاري، كتاب المغازي رقم 4418، صحيح السيرة النبوية، ص 614.

وتكوين الملكة الأدبية والثروة اللغوية العالية، انظر مثلا إلى قول كعب في هذا الحديث: فلما قيل إن رسول الله ﷺ قد أظلم قادمًا زاح عني الباطل، وعرفت أنني لن أخرج منه أبدًا بشيء فيه كذب؛ فأجمعت صدقه (1).

## 27- (ب) الصدق سفينة النجاة:

لقد أدرك كعب، وهلال، ومرارة -رضي الله عنهم- خطورة الكذب فعزموا على سلوك طريق الصراحة والصدق وإن عرضهم ذلك للتعيب والمضايقات، ولكن كان أملهم بالله -تعالى- كبيرًا في أن يقبل توبتهم ثم يعودون إلى الصف الإسلامي أقوى مما كانوا عليه (2)، وما أجمل ختم رب العالمين توبته على كعب ومن معه بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119].

## 28- (ت) الهجر التربوي وأثره في المجتمع:

إن الهجر التربوي له منافع العظيمة في تربية المجتمع المسلم على الاستقامة ومنع أفراده من التورط في المخالفات التي تكون إما بترك شيء من الواجبات أو فعل شيء من المحرمات؛ لأن من توقع أنه إذا وقع في شيء من ذلك سيكون مهجورًا من جميع أفراد المجتمع، فإنه لن يفكر في الإقدام على ذلك.

ولا يغيب عن البال أن تطبيق هذا الحكم يجب أن يتم في الظروف المشابهة لحياة المسلمين في العهد النبوي المدني، حيث توجد الدولة المهيمنة والمجتمع القوي، مع أمن الوقوع في الفتنة لمن طبق عليه هذا الحكم.

وهذا الهجر التربوي يختلف عن الهجر الذي يكون بين المسلمين على أمور الدنيا، فهذا دنيوي وذاك ديني، فالهجر الديني مطلب شرعي يثاب عليه فاعله، أما الهجر الدنيوي فإنه مكروه إلا إذا زاد عن ثلاثة أيام فإنه يكون محرماً (3) لقول رسول الله ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي

(1) انظر: التاريخ الإسلامي (137/8).

(2) انظر: التاريخ الإسلامي (138/8).

(3) المصدر نفسه (139/8).



يبدأ بالسلام» (1) ولقوله ﷺ: «من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه» (2).

## 29- (ث) تنفيذ أوامر القيادة في المجتمع المسلم:

استجاب المجتمع المسلم كله لتنفيذ أمر المقاطعة والهجر الذي صدر من القائد الأعلى ﷺ وامتنعوا جميعاً عن الحديث مع هؤلاء الثلاثة، ووصف كعب لنا ذلك فقال: ... فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا، حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبيكان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد (3)... وقد أطلق كعب السلام على ابن عمه أبي قتادة فلم يرد عليه السلام، وناشده بالله مراراً: هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت، مع أنه من أحب الناس إليه، لقد كان أبو قتادة في هذا الموقف موزع الفكر بين إجابة رجل حبيب إليه عزيز عليه، وبين تنفيذ أمر النبي ﷺ بتطبيق الهجر التربوي، ولكن ليس هناك تردد بين الأمرين، فالذي أوحى به إيمان أبي قتادة هو تنفيذ أمر النبي ﷺ فظهر ذلك على سلوكه (4).

وقد بلغ الالتزام بالأمر النبوي في الهجر التربوي ذروته حين أمر رسول الله ﷺ الثلاثة الذين خلفوا باعتزال زوجاتهم حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً، فالتزم الجميع بذلك، واستأذنت زوجة هلال بن أمية - وكان شيخاً طاعناً في السن لا يجد من يخدمه - فطلبت من الرسول ﷺ أن يأذن لها أن تخدمه فأذن لها النبي ﷺ بذلك شريطة ألا يقربها؛ فالتزمت رضي الله عنها (5).

## 30- (ج) الولاء التام لله ورسوله:

(1) مسلم، كتاب البر، رقم 2560، ص 1984.

(2) مسند أحمد (220/4).

(3) انظر: الصرع مع الصليبيين، ص 195.

(4) انظر: التاريخ الإسلامي (140/8).

(5) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص 196.

كان العدو الصليبي يراقب ويرصد ويستغل الفرصة السانحة لكي يمزق الجبهة الداخلية ويشعل نار الفتنة بين المسلمين ليوهن البنيان ويقوض الأركان، ولذلك استغل ملك غسان فرصة هجران المسلمين لكعب بن مالك رضي الله عنه وعقوبة رسول الله صلى الله عليه وسلم له، بأن يرسل سفيره لكعب برسالة خاصة منه إليه يغريه فيها، تأمل قوله: قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك(1). فكان تعليق كعب على هذه الرسالة: وهذا من البلاء أيضاً، قد بلغ مني ما وقعت فيه أن طمع في رجال من أهل الشرك، ثم أحرق الرسالة(2) وهذا الموقف يدل على شدة ولاء كعب لله ورسوله وقوة إيمانه وعظمة نفسه، فقد أدرك أنها محنة جديدة أقسى من الأولى، فلا يرضيه أن يجيب ملك غسان بالسلب، أو يرمي بالكتاب ويمزقه، ولكنه رمى به في التنور ليصير رماداً، ويصير كل ما به دخاناً يتبدد في الهواء، وخرج الرجل من محنته وهو أقوى ما يكون إيماناً، وأصفى ما يكون روحاً، وأكرم ما يكون أخلاقاً، فيالعظمة هذه النفوس المؤمنة الكبيرة(3)! لقد مر كعب من فوق هذا الاختبار والابتلاء عزيزاً قوياً بإسلامه، لم يتأثر به ولا انزلق فيه(4).

### 31- (ج) توبة الله على العبد قيمة دينية يتطلع

#### إليها الصادقون:

عندما نزلت الآيات الكريمة التي بينت توبة الله على هؤلاء الثلاثة كان ذلك اليوم من الأيام العظيمة عند المسلمين، ظهرت فيه الفرحة على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استنار كأنه قطعة قمر، وظهرت الفرحة على وجوه الصحابة -رضي الله عنهم- حتى صاروا يتلقون كعباً وصاحبيه أفواجاً يهنئونهم بما تفضل الله به عليهم من التوبة، وجاء كعب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ووجهه يبرق من السرور فقال له: أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك، وهذا يعني مقام التوبة وأنها أعظم من الدخول في الإسلام.

(1) البخاري، كتاب المغازي، رقم 4418.

(2) المغازي (1051/3، 1052).

(3) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (517/2).

(4) انظر: فقه السيرة للبوطي، ص 307.

إن التوبة تعني عودة العبد إلى الدخول تحت رضوان الله تعالى الذي هو أعلى هدف ينشده المسلم، وبالتالي فإنه يحظى بحفظه -جل وعلا- في الدنيا وتكريمه في الآخرة، لقد كانت توبة كعب عظيمة عبر عنها بنزع ثوبيه -الذين لا يملك يومئذ غيرهما- وإهدائهما لمن بشره (1) وعدم نسيان كعب لطلحة بن عبيد الله مصافحته وتهنئته له (2) وكذلك كانت فرحة صاحبيه عظيمة غير أن كعبا لم يذكر في هذا الخبر إلا ما جرى له (3) وقد جاء في رواية الواقدي: وكان الذي بشر هلال بن أمية بتوبته سعيد بن زيد قال: وخرجت إلى بني واقف فبشرته فسجد، قال سعيد: فما ظننته يرفع رأسه حتى تخرج نفسه (4).

### 32- (خ) تشرع أنواع من العبادات شكراً لله عند

#### النعمة:

كانت فرحة كعب بن مالك بتوبة الله -سبحانه وتعالى- عليه لا تحدها حدود، ولا يتصورها مثل، وقد تفنن هو ﷺ في التعبير عنها بجملة من العبادات منها:

أ- **سجود الشكر**: حينما سمع كعب البشارة بتوبة الله عليه خر ساجداً من فوره شكراً لله -تبارك وتعالى- فقد كان من عادة الصحابة -رضي الله عنهم- أن يسجدوا شكراً لله -تعالى- كلما تجددت لهم نعمة أو انصرفت عنهم نعمة، وقد تعلموا ذلك من رسول الله ﷺ (5).

ب- **مكافأة الذي يحمل البشري**: فقد نزع كعب ثوبيه اللذين كان يلبسهما، فكساهما الذي سمع صوته بالبشري، وما كان يملك وقتئذ غيرهما، ثم استعار ثوبين فلبسهما، ولا شك أن هذا ضرب من الهبة المشروعة، فإن كان المبشر غنياً كان له هدية، وإن كان فقيراً كان له صدقة، وكلاهما إخراج المال شكراً لله -تعالى- على إنزاله الفرج (6).

ج- **التصدق بالمال**: فقد جعل كعب من توبته أن ينخلع من ماله

(1) انظر: التاريخ الإسلامي (141/8).

(2) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (581/2).

(3) انظر: التاريخ الإسلامي (142/8).

(4) المغازي للواقدي (1054/3).

(5) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي، ص 493.

(6) نفس المصدر، ص 493، الصراع مع الصليبيين، ص 202.

صدقة لله تعالى، لكنه -عليه الصلاة والسلام- لم يتقبل منه التصدق بجميع ماله، وقال له: «أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك»، وكأنه يستشير به بذلك، فكانت المشورة بإمساك بعض ماله (1) وقد ثار الخلاف الفقهي فيمن نذر التصدق بجميع ماله، والصدقة مستحبة، والنذر واجب الوفاء، ولم يذهب كعب إلى النذر، وإنما استشار في الصدقة بكل المال، فأشار رسول الله ﷺ عليه بإمساك بعض ماله.

### 33- (د) لم يكن يتخلف عنه ﷺ إلا منافق أو معذوراً

#### من خلفه النبي ﷺ:

فإنه لم يكن يتخلف عن رسول الله ﷺ إلا أحد رجال ثلاثة إما مغموص عليه في النفاق أو رجل من أهل الأعدار أو من خلفه رسول الله ﷺ واستعمله على المدينة أو خلفه لمصلحة . ومنها : أن الإمام والمطاع لا ينبغي له أن يهمل من تخلف عنه في بعض الأمور بل يذكره ليراجع الطاعة ويتوب فإن النبي ﷺ قال بتبوك : ما فعل كعب ؟ ولم يذكر سواه من المخلفين استصلاحاً له ومراعاة وإهمالاً للقوم المنافقين .

### 34- (ر) جواز الطعن اجتهداً:

جواز الرد على الطاعن إذا غلب على ظن الراد أنه وهم وغلط كما قال معاذ للذي طعن في كعب بنس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً ولم ينكر رسول الله ﷺ على واحد منهما .

### 35- (ز) الحكم بالظاهر :

ومنها : أن رسول الله ﷺ كان يقبل علانية من أظهر الإسلام من المنافقين ويكل سريرته إلى الله ويجري عليه حكم الظاهر ولا يعاقبه بما لم يعلم من سره .

### 36- (س) ترك رد السلام على من أحدث حدثاً :

ترك الإمام والحاكم رد السلام على من أحدث حدثاً تأديباً له وزجراً لغيره فإنه ﷺ لم يُنقل أنه رد على كعب بل قابل سلامه بتبسم المغضب .

### 37- (ش) تبسم الغضب :

ومنها : أن التبسم قد يكون عن الغضب كما يكون عن التعجب والسرور فإن كلا منهما يوجب انبساط دم القلب وثورانه ولهذا تظهر حمرة الوجه لسرعة ثوران الدم فيه فينشأ عن ذلك السرور والغضب تعجب يتبعه ضحك وتبسم فلا يغتر المغتر بضحك القادر عليه في وجهه ولا سيما عند المعتبة كما قيل :  
إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظن أن الليث مبيتسم.

### 38- (ص) جواز معاتبه الإمام والمطاع أصحابه:

ومنها : معاتبه الإمام والمطاع أصحابه ومن يعز عليه ويكرم عليه فإنه عاتب الثلاثة دون سائر من تخلف عنه وقد أكثر الناس من مدح عتاب الأحبة واستلذاذه والسرور به فكيف بعتاب أحب الخلق على الإطلاق إلى المعتوب عليه والله ما كان أحلى ذلك العتاب وما أعظم ثمرته وأجل فائدته والله ما نال به الثلاثة من أنواع المسرات وحلاوة الرضى وخلع القبول .

### 39- (ط) توفيق الله لكعب وصاحبيه:

ومنها : توفيق الله لكعب وصاحبيه فيما جاءوا به من الصدق ولم يخذلهم حتى كذبوا واعتذروا بغير الحق فصلحت عاجلتهم وفسدت عاقبتهم كل الفساد والصادقون تعبوا في العاجلة بعض التعب فأعقبهم صلاح العاقبة والفلاح كل الفلاح وعلى هذا قامت الدنيا والآخرة فمرارات المبادي حلاوات المبادي مرارات في العواقب . وقول النبي ﷺ لكعب أما هذا فقد صدق دليل ظاهر في التمسك بمفهوم اللقب عند قيام قرينة تقتضي تخصيص المذكور بالحكم كقوله تعالى : ﴿ **وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ** ﴾ [الأنبياء 78 و 79] وقوله ﷺ جعلت لي الأرض مسجدا وتربتها طهورا وقوله في هذا الحديث أما هذا فقد صدق وهذا مما لا يشك السامع أن المتكلم قصد تخصيصه بالحكم .

### 40- (ظ) نهي ﷺ عن كلام هؤلاء الثلاثة لتأديبهم

#### دليل على صدقهم:

وفي نهي النبي ﷺ عن كلام هؤلاء الثلاثة من بين سائر من تخلف عنه دليل على صدقهم وكذب الباقيين فأراد هجر الصادقين وتأديبهم على هذا الذنب وأما المنافقون فجرمهم أعظم من أن يقابل بالهجر فدواء

هذا المرض لا يعمل في مرض النفاق ولا فائدة فيه وهكذا يفعل الرب سبحانه بعباده في عقوبات جرائمهم فيؤدب عبده المؤمن الذي يحبه وهو كريم عنده بأدنى زلة وهفوة فلا يزال مستيقظا حذرا وأما من سقط من عينه وهان عليه فإنه يخلي بينه وبين معاصيه وكلما أحدث ذنبا أحدث له نعمة والمغرور يظن أن ذلك من كرامته عليه ولا يعلم أن ذلك عين الإهانة وأنه يريد به العذاب الشديد والعقوبة التي لا عاقبة معها كما في الحديث المشهور إذا أراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبته في الدنيا وإذا أراد بعبد شرا أمسك عنه عقوبته في الدنيا فيرد يوم القيامة بذنوبه.

#### 41- (ع) التنكر والوحشة دليل على حياة القلب:

وقوله حتى تنكرت لي الأرض فما هي بالتي أعرف هذا التنكر يجده الخائف والحزين والمهموم في الأرض وفي الشجر والنبات حتى يجده فيمن لا يعلم حاله من الناس ويجده أيضا المذنب العاصي بحسب جرمه حتى في خلق زوجته وولده وخادمه ودابته ويجده في نفسه أيضا فتتنكر له نفسه حتى ما يخفى إلا على من هو ميت القلب وعلى حسب حياة القلب يكون إدراك هذا التنكر والوحشة .

وما لجرح بميت إيلام

ومن المعلوم أن هذا التنكر والوحشة كانا لأهل النفاق أعظم ولكن لموت قلوبهم لم يكونوا يشعرون به وهكذا القلب إذا استحکم مرضه واشتد ألمه بالذنوب والإجرام لم يجد هذه الوحشة والتنكر ولم يحس بها وهذه علامة الشقاوة وأنه قد أيس من عافية هذا المرض وأعياء الأطباء شفاؤه والخوف والههم مع الريبة والأمن والسرور مع البراءة من الذنب . فما في الأرض أشجع من بريء ولا في الأرض أخوف من مريب

وهذا القدر قد ينتفع به المؤمن البصير إذا ابتلي به ثم راجع فإنه ينتفع به نفعاً عظيماً من وجوه عديدة تفوت الحصر ولو لم يكن منها إلا استثماره من ذلك أعلام النبوة وذوقه نفس ما أخبر به الرسول فيصير تصديقه ضروريا عنده ويصير ما ناله من الشر بمعاصيه ومن الخير بطاعته من أدلة صدق النبوة الذوقية التي لا تتطرق إليها الاحتمالات وهذا كمن أخبرك أن في هذه الطريق من المعاطب والمخاوف كيت وكيت على التفصيل فخالفته وسلكتها فرأيت عين ما أخبرك به فإنك تشهد صدقه في نفس خلافك له وأما إذا سلكت طريق الأمن وحدها ولم

تجد من تلك المخاوف شيئاً فإنه وإن شهد صدق المخبر بما ناله من الخير والظفر مفصلاً فإن علمه بتلك يكون مجملًا .

#### 42- (غ) رد السلام على من يستحق الهجر غير واجب

وقوله وأتى رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول هل حرك شفثيه برد السلام علي أم لا ؟ فيه دليل على أن الرد على من يستحق الهجر غير واجب إذ لو وجب الرد لم يكن بد من إسماعه .

#### 43- (ف) دخول دار الصاحب من غير إذن :

وقوله حتى إذا طال ذلك علي تسورت جدار حائط أبي قتادة فيه دليل على دخول الإنسان دار صاحبه وجاره إذا علم رضاه بذلك وإن لم يستأذنه .

#### 44- (ق) ابتلاء الله لكعب بمكاتبه ملك غسان له :

وفي مكاتبه ملك غسان له بالمصير إليه ابتلاء من الله تعالى وامتحان لإيمانه ومحبته لله ورسوله وإظهار للصحابه أنه ليس ممن ضعف إيمانه بهجر النبي ﷺ والمسلمين له ولا هو ممن تحمله الرغبة في الجاه والملك مع هجران الرسول والمؤمنين له على مفارقة دينه فهذا فيه من تبرئة الله له من النفاق وإظهار قوة إيمانه وصدقه لرسوله وللمسلمين ما هو من تمام نعمة الله عليه ولطفه به وجبره لكسره وهذا البلاء يظهر لب الرجل وسره .

#### 45- (ك) إتلاف ما يخشى منه المضرة في الدين :

وقوله فتيممت بالصحيفة التنور فيه المبادرة إلى إتلاف ما يخشى منه الفساد والمضرة في الدين وأن الحازم لا ينتظر به ولا يؤخره وهذا كالعصير إذا تخمر وكالكتاب الذي يخشى منه الضرر والشر فالحزم المبادرة إلى إتلافه وإعدامه .

#### 46- (ل) عداوة غسان لرسول الله ﷺ وكتابه ﷺ لهم :

وكانت غسان إذ ذاك - وهم ملوك عرب الشام - حرباً لرسول الله ﷺ وكانوا ينعلون خيولهم لمحاربتة وكان هذا لما بعث شجاع بن وهب

الأسدي إلى ملكهم الحارث بن أبي شمر الغساني يدعو إلى الإسلام وكتب معه إليه قال شجاع فأنتهيت إليه وهو في غوطة دمشق وهو مشغول بتهيئة الأنزال والألطف لقيصر وهو جاء من حمص إلى إيلياء فأقمت على بابة يومين أو ثلاثة فقلت لحاجبه إني رسول رسول الله ﷺ إليه فقال لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا وكذا وجعل حاجبه - وكان روميا اسمه مري - يسألني عن رسول الله ﷺ وكنت أحدثه عن رسول الله ﷺ وما يدعو إليه فيرق حتى يغلب عليه البكاء ويقول إني قرأت الإنجيل فأجد صفة هذا النبي بعينه فأنا أو من به وأصدقه فأخاف من الحارث أن يقتلني وكان يكرمني ويحسن ضيافتي . وخرج الحارث يوما فجلس فوضع التاج على رأسه فأذن لي عليه فدفعت إليه كتاب رسول الله ﷺ فقرأه ثم رمى به قال من ينتزع مني ملكي وقال أنا سائر إليه ولو كان باليمن جنته علي بالناس فلم تزل تعرض حتى قام وأمر بالخيول تتعل ثم قال أخبر صاحبك بما ترى وكتب إلى قيصر يخبره خبري وما عزم عليه فكتب إليه قيصر أن لا تسر ولا تعبر إليه واله عنه ووافني بإيلياء فلما جاءه جواب كتابه دعاني فقال متى تريد أن تخرج إلى صاحبك ؟ فقلت : غدا فأمر لي بمائة مثقال ذهباً ووصلني حاجبه بنفقة وكسوة وقال اقرأ على رسول الله ﷺ مني السلام فقدمت] ﷺ فأخبرته فقال " باد ملكه " وأقرأته من حاجبه السلام وأخبرته بما قال فقال رسول الله ﷺ " صدق " ومات الحارث بن أبي شمر عام الفتح ففي هذه المدة أرسل ملك غسان يدعو كعباً إلى اللحاق به فأبى له سابقة الحسنى أن يرغب عن رسول الله ﷺ ودينه .

#### 47- (م) حرص الصحابة على الخير :

وفي استباق صاحب الفرس والراقي على سلع لبيشرا كعباً دليل على حرص القوم على الخير واستباقهم إليه وتنافسهم في مسرة بعضهم بعضاً .

#### 48- (ن) استحباب تهنئة من تجددت له نعمة دينية

وفيه دليل على استحباب تهنئة من تجددت له نعمة دينية والقيام إليه إذا أقبل ومصافحته فهذه سنة مستحبة وهو جائز لمن تجددت له نعمة دنيوية وأن الأولى أن يقال له ليهنك ما أعطاك الله وما من الله به



عليك ونحو هذا الكلام فإن فيه تولية النعمة ربها والدعاء لمن نالها بالتهني بها .

#### 49- (هـ) يوم توبة المسلم خير الأيام :

وفيه دليل على أن خير أيام العبد على الإطلاق وأفضلها يوم توبته إلى الله وقبول الله توبته لقول النبي ﷺ أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك فإن قيل فكيف يكون هذا اليوم خيرا من يوم إسلامه ؟ قيل هو مكمل ليوم إسلامه ومن تمامه فيوم إسلامه بداية سعادته ويوم توبته كمالها وتمامها والله المستعان .

#### 50- (و) سروره ﷺ بتوبة الله على المخلفين دليل على

#### شفقته على أمته :

وفي سرور رسول الله ﷺ بذلك وفرحه به واستتارة وجهه دليل على ما جعل الله فيه من كمال الشفقة على الأمة والرحمة بهم والرأفة حتى لعل فرحه كان أعظم من فرح كعب وصاحبيه .

#### 51- (ي) من نذر الصدقة بكل ماله لم يلزمه إخراج

#### جميعه :

وقول رسول الله ﷺ أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك دليل على أن من نذر الصدقة بكل ماله لم يلزمه إخراج جميعه بل يجوز له أن يبقي له منه بقية وقد اختلفت الرواية في ذلك ففي " الصحيحين " أن النبي ﷺ قال له أمسك عليك بعض مالك ولم يعين له قدرا بل أطلق ووكله إلى اجتهاده في قدر الكفاية وهذا هو الصحيح فإن ما نقص عن كفايته وكفاية أهله لا يجوز له التصدق به فنذره لا يكون طاعة فلا يجب الوفاء به وما زاد على قدر كفايته وحاجته فأخراجه والصدقة به أفضل فيجب إخراجها إذا نذره هذا قياس أداء الواجبات المالية سواء كانت حقا لله كال كفارات والحج أو حقا للأدميين كأداء الديون فإننا نترك للمفلس ما لا بد منه من مسكن وخادم وكسوة وآلة حرفة أو ما يتجر به لمؤنته إن فقدت الحرفة ويكون حق الغرماء فيما بقي . وقد نص الإمام أحمد على أن من نذر الصدقة بماله كله أجزاءه ثلثه واحتج له أصحابه بما روي في قصة كعب هذه أنه قال يا رسول الله إن من توبتي إلى الله ورسوله أن أخرج من مالي كله إلى الله ورسوله صدقة قال " لا " قلت

: فنصفه ؟ قال " لا " قلت : فثابته قال " نعم " قلت : فإني أمسك سهمي الذي بخبير رواه أبو داود . وفي ثبوت هذا ما فيه فإن الصحيح في قصة كعب هذه ما رواه أصحاب الصحيح من حديث الزهري عن ولد كعب بن مالك عنه أنه قال أمسك عليك بعض مالك من غير تعيين لقدره وهم أعلم بالقصة من غيرهم فإنهم ولده وعنه نقلوها .

ونواصل دروس هذه الغزوة المباركة بعد هذه الاطلالة مع دروس قصة المخلفين الثلاثة.

## 52- استخلاف الإمام إذا سافر رجلا من الرعية على

### من بقي :

ومنها : استخلاف الإمام - إذا سافر - رجلا من الرعية على الضعفاء والمعذورين والنساء والذرية ويكون نائبه من المجاهدين لأنه من أكبر العون لهم . وكان رسول الله ﷺ يستخلف ابن أم مكتوم فاستخلفه بضع عشرة مرة .

## 53- معالم من المنهج القرآني في الحديث عن غزوة

### تبوك:

إن الآيات التي أنزلها الله في كتابه المتعلقة بغزوة العسرة هي أطول ما نزل في قتال المسلمين وخصومهم, وقد بدأت باستنهاض الهمم لرد هجوم المسيحية، وإشعارهم بأن الله لا يقبل ذرة تفريط في حماية دينه ونصرة نبيه، وإن التراجع أمام الصعوبات الحائلة دون قتال الروم، يعد مزلة إلى الردة والنفاق(1) قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ \* إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التوبة: 38، 39].

وعند التأمل في سورة التوبة يلاحظ القارئ أن لها معالم في عرضها لغزوة تبوك منها:

1- عاتب القرآن الكريم من تخلف عتاباً شديداً، وتميزت غزوة تبوك عن سائر الغزوات بأن الله حث على الخروج فيها -و عاتب من تخلف عنها- والآيات الكريمة جاءت بذلك، كقوله تعالى: ﴿ **انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [التوبة: 41].

وقد ختمت الغزوات النبوية بهذه الغزوة، وقد كان تطبيقاً عملياً لوضع النص القرآني في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ** ﴾ [التوبة: 123] موضع التنفيذ (1).

2- ميز القرآن الكريم هذه الغزوة عن غيرها، فسامها الله تعالى ساعة العسرة، قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ** ﴾ [التوبة: 117] فقد كانت غزوة عسرة بمعنى الكلمة.

3- من معالم منهج القرآن في عرضه لهذه الغزوة العظيمة أن الله رد على المنافقين لمزهم فقراء الصحابة عندما جاء أحدهم بنصف صاع وتصدق به، فقالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا إلا رياء، فنزلت الآية: ﴿ **الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [التوبة: 79].

4- بين القرآن الكريم أن المؤمنين الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ - وعددهم يزيد عن الثلاثين ألفاً- قد كتب الله لهم الأجر العظيم (2) قال تعالى: ﴿ **وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَرْنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ** ﴾ [التوبة: 92].

## 54- ممارسة الشورى في هذه الغزوة:

مارس رسول الله ﷺ في هذه الغزوة الشورى وقبل مشورة الصديق والفاروق في بعض النوازل التي حدثت في الغزوة ومن هذه النوازل:  
أ- قبول مشورة أبي بكر الصديق في الدعاء حين تعرض الجيش

(1) انظر: حديث القرآن الكريم (702/2).

(2) انظر: حديث القرآن الكريم (703/2).

لعطش شديد:

قال عمر بن الخطاب: خرجنا إلى تبوك في قبيظ شديد فنزلنا منزلاً وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستقطع، حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعتصر فرثه فيشربه، ثم يجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، إن الله قد عودك في الدعاء خيراً، فادع الله، قال: «**أتحب ذلك؟**» قال: نعم، فرفع يديه فلم يردهما حتى حالت السماء فأظلت ثم سكبت فملأوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجد ما جاوزت العسكر (1).

ب- قبول مشورة عمر بن الخطاب في ترك نحر الإبل حين أصابت الجيش مجاعة:

أصابت جيش العسرة مجاعة أثناء سيرهم إلى تبوك، فاستأذنوا النبي ﷺ في نحر إبلهم حتى يسدوا جوعتهم، فلما أذن لهم النبي ﷺ في ذلك جاءه عمر ﷺ فأبدى مشورته في هذه المسألة، وهي أن الجند إن فعلوا ذلك نفدت رواحلهم وهم أحوج ما يكونون إليها في هذا الطريق الطويل، ثم ذكر ﷺ حلا لهذه المعضلة وهو: جمع أزواد القوم ثم الدعاء لهم بالبركة فيها، فعمل ﷺ بهذه المشورة حتى صدر القوم عن بقية من هذا الطعام بعد أن ملأوا أو عيبتهم منه وأكلوا حتى شبعوا.

ج- قبول مشورة عمر ﷺ في ترك اجتياز حدود الشام والعودة إلى المدينة:

عندما وصل النبي ﷺ إلى منطقة تبوك وجد أن الروم فروا خوفاً من جيش المسلمين، فاستشار أصحابه في اجتياز حدود الشام، فأشار عليه عمر بن الخطاب ﷺ بأن يرجع بالجيش إلى المدينة وعلل رأيه بقوله: إن للروم جموعاً كثيرة وليس بها أحد من أهل الإسلام، ولقد كانت مشورة مباركة؛ فإن القتال داخل بلاد الرومان يعد أمراً صعباً، إذ إنه يتطلب تكتيكاً خاصاً لأن الحرب في الصحراء تختلف في طبيعتها عن الحرب في المدن، بالإضافة إلى أن عدد الرومان في الشام يقرب من مائتين وخمسين ألفاً، ولا شك في أن تجمع هذا العدد الكبير في تحصنه داخل المدن يعرض جيش المسلمين للخطر (2).

(1) أخرجه ابن حبان، كتاب الجهاد، باب غزوة تبوك، رقم 1707.

(2) انظر: غزوة تبوك، باشميل، ص 176، 177.

إن ممارسة الشورى في حياة الأمة في كل شئونها السياسية والعسكرية والاجتماعية... إلخ منهج تربوي كريم سار عليه الحبيب المصطفى ﷺ في حياته.

## 55- لا يجوز الشرب ولا الطبخ ولا العجن ولا الطهارة

### من آبار ثمود :

ومنها : أن الماء الذي بآبار ثمود لا يجوز شربه ولا الطبخ منه ولا العجن به ولا الطهارة به ويجوز أن يسقى البهائم إلا ما كان من بئر الناقة . وكانت معلومة باقية إلى زمن رسول الله ﷺ ثم استمر علم الناس بها قرنا بعد قرن إلى وقتنا هذا فلا يرد الركوب بئرا غيرها وهي مطوية محكمة البناء واسعة الأرجاء آثار العتق عليها بادية لا تشتهه غيرها .

## 56- جواز الجمع بين الصلاتين في السفر : ..

ومنها : أن النبي ﷺ كان يجمع بين الصلاتين في السفر وقد جاء جمع التقديم في هذه القصة في حديث معاذ كما تقدم وذكرنا علة الحديث . ومن أنكره ولم يجئ جمع التقديم عنه في سفر إلا هذا وصح عنه جمع بعرفة قبل دخوله إلى عرفة فإنه جمع بين الظهر والعصر في وقت الظهر فقيل ذلك لأجل النسك كما قال أبو حنيفة . وقيل لأجل السفر الطويل كما قاله الشافعي وأحمد . وقيل لأجل الشغل وهو اشتغاله بالوقوف واتصاله إلى غروب الشمس . قال أحمد يجمع للشغل وهو قول جماعة من السلف والخلف وقد تقدم .

## 57- جواز التيمم بالرمل :

ومنها : جواز التيمم بالرمل فإن النبي ﷺ وأصحابه قطعوا الرمال التي بين المدينة وتبوك ولم يحملوا معهم ترابا بلا شك وتلك مفاوز معطشة شكوا فيها العطش إلى رسول الله ﷺ وقطعا كانوا يتيممون بالأرض التي هم فيها نازلون هذا كله مما لا شك فيه مع قوله ﷺ فحيثما أدركت رجلا من أمتي الصلاة فعنده مسجده وطهوره .

## 58- ترجيح قصر الصلاة في السفر دون تحديد مدة

### الإقامة :

ومنها : أنه ﷺ أقام بتبوك عشرين يوما يقصر الصلاة ولم يقل للأمة لا يقصر الرجل الصلاة إذا أقام أكثر من ذلك ولكن اتفقت إقامته هذه المدة وهذه الإقامة في حال السفر لا تخرج عن حكم السفر سواء طالت أو قصرت إذا كان غير مستوطن ولا عازم على الإقامة بذلك الموضع . وقد اختلف السلف والخلف في ذلك اختلافا كثيرا ففي " صحيح البخاري " عن ابن عباس قال أقام رسول الله ﷺ في بعض أسفاره تسع عشرة يصلي ركعتين فنحن إذا أقمنا تسع عشرة نصلي ركعتين وإن زدنا على ذلك أتمنا وظاهر كلام أحمد أن ابن عباس أراد مدة مقامه بمكة زمن الفتح فإنه قال أقام رسول الله ﷺ بمكة ثمان عشرة زمن الفتح لأنه أراد حنينا ولم يكن ثم أجمع المقام وهذه إقامته التي رواها ابن عباس . وقال غيره بل أراد ابن عباس مقامه بتبوك كما قال جابر بن عبد الله أقام النبي ﷺ بتبوك عشرين يوما يقصر الصلاة رواه الإمام أحمد في " مسنده " . وقال عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة أقمنا مع سعد ببعض قرى الشام أربعين ليلة يقصرها سعد ونتمها . وقال نافع أقام ابن عمر بأذربيجان ستة أشهر يصلي ركعتين وقد حال الثلج بينه وبين الدخول . وقال حفص بن عبيد الله أقام أنس بن مالك بالشام سنتين يصلي صلاة المسافر .

وقال أنس أقام أصحاب رسول الله ﷺ برامهرمز سبعة أشهر يقصرون الصلاة . وقال الحسن أقمت مع عبد الرحمن بن سمرة بكابل سنتين يقصر الصلاة ولا يجمع . وقال إبراهيم كانوا يقيمون بالري السنة وأكثر من ذلك وسجستان السنتين . فهذا هدي رسول الله ﷺ وأصحابه كما ترى وهو الصواب .

### 59- التدريب العملي العنيف:

كان في خروج الرسول ﷺ بأصحابه إلى تبوك فوائد كثيرة، منها:  
تدريبهم تدريبا عنيفا، فقطع بهم ﷺ مسافة طويلة في ظروف جوية صعبة حيث كانت حرارة الصيف اللاهب، بالإضافة إلى الظروف المعيشية التي كانوا يعانون منها، فقد كانت هناك قلة في الماء حتى كادوا يهلكون من شدة العطش، وأيضا كانت هناك قلة في الزاد والظهر ولا شك في أن هذه الأمور تعد تدريبا عنيفا لا يتحمله إلا الأقوياء من الرجال.

وفي هذا الدرس يقول الأستاذ محمود شيت خطاب: تعمل الجيوش الحديثة على تدريب جنودها تدريبا عنيفا, كاجتياز مواقع وعراقيل صعبة جدا, وقطع مسافات طويلة في ظروف جوية مختلفة, وحرمان من الطعام والماء بعض الوقت, وذلك لإعداد هؤلاء الجنود لتحمل أصعب المواقف المحتمل مصادفتها في الحرب, لقد تحمل جيش العسرة مشقات لا تقل صعوبة عن مشقات هذا التدريب العنيف -إن لم تكن أصعب منها بكثير- لقد تركوا المدينة في موسم نضج ثمارها, وقطعوا مسافات طويلة شاقة في صحراء الجزيرة العربية صيفا, وتحملوا الجوع والعطش مدة طويلة.

إن غزوة تبوك تدريب عنيف للمسلمين, كان غرض الرسول ﷺ منه إعدادهم لتحمل رسالة حماية حرية نشر الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية... فقد كانت هذه الغزوة آخر غزوات الرسول ﷺ, فلا بد من الاطمئنان إلى كفاءة جنوده قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى (1) وقد ساعد هذا التدريب العملي الصحابة في عصر الخلفاء فقاموا بفتح بلاد الشام وبلاد الفرس بقوة إيمانهم, وثقتهم بخالقهم, وساعدهم على ذلك لياقتهم البدنية العالية, ومعرفتهم العملية لاستخدام السيوف والرماح وأنواع الأسلحة في زمانهم.

## 60- تركه ﷺ قتل المنافقين :

ومنها : تركه قتل المنافقين وقد بلغه عنهم الكفر الصريح فاحتج به من قال لا يقتل الزنديق إذا أظهر التوبة لأنهم حلفوا لرسول الله ﷺ أنهم ما قالوا وهذا إذا لم يكن إنكارا فهو توبة وإقلاع وقد قال أصحابنا وغيرهم ومن شهد بالردة فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله لم يكشف عن شيء عنه بعد وقال بعض الفقهاء إذا جحد الردة كفاه جحدها . ومن لم يقبل توبة الزنديق قال هؤلاء لم تقم عليهم بيعة ورسول الله ﷺ لا يحكم عليهم بعلمه والذي بلغ رسول الله ﷺ عنهم قولهم لم يبلغهم إياه نصاب البيعة بل شهد به عليهم واحد فقط كما شهد زيد بن أرقم وحده على عبد الله بن أبي وكذلك غيره أيضا إنما شهد عليه واحد . وفي هذا الجواب نظر فإن نفاق عبد الله بن أبي وأقواله في

النفاق كانت كثيرة جدا كالمتواترة عن النبي ﷺ وأصحابه وبعضهم أقر بلسانه وقال إنما كنا نخوض ونلعب وقد واجهه بعض الخوارج في وجهه بقوله إنك لم تعدل . والنبي ﷺ لما قيل له ألا تقتلهم ؟ لم يقل ما قامت عليهم بيعة بل قال لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه .

والجواب الصحيح إذن أنه كان في ترك قتلهم في حياة النبي ﷺ مصلحة تتضمن تأليف القلوب على رسول الله ﷺ وجمع كلمة الناس عليه وكان في قتلهم تنفير والإسلام بعد في غربة ورسول الله ﷺ أحرص شيء على تأليف الناس وأترك شيء لما ينفهم عن الدخول في طاعته وهذا أمر كان يختص بحال حياته ﷺ وكذلك ترك قتل من طعن عليه في حكمه بقوله في قصة الزبير وخصمه أن كان ابن عمك . وفي قسمه بقوله إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله . وقول الآخر له ترك استيفاء حقه بل يتعين عليهم استيفاؤه ولا بد ولتقرير هذه المسائل موضع آخر والغرض التنبيه والإشارة .

### 61- ثواب من حبسه العذر:

ومنها : قوله ﷺ إن بالمدينة أقواما ما سرتهم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم طائفة من الجهال أنهم معهم بأبدانهم فهذا محال لأنهم قالوا له وهم بالمدينة ؟ قال وهم بالمدينة حبسهم العذر وكانوا معه بأرواحهم وبدار الهجرة بأشباحهم وهذا من الجهاد بالقلب وهو أحد مراتبه الأربع وهي القلب واللسان والمال والبدن . وفي الحديث جاهدوا المشركين بألسنتكم وقلوبكم وأموالكم.

### 62- تحريق أمكنة المعصية وهدمها :

ومنها : تحريق أمكنة المعصية التي يعصى الله ورسوله فيها وهدمها كما حرق رسول الله ﷺ مسجد الضرار وأمر بهدمه وهو مسجد يصلى فيه ويذكر اسم الله فيه لما كان بناؤه ضارا وتفريقا بين المؤمنين ومأوى للمنافقين وكل مكان هذا شأنه فواجب على الإمام تعطيله إما بهدم وتحريق وإما بتغيير صورته وإخراجه عما وضع له . وإذا كان هذا شأن مسجد الضرار فمشاهد الشرك التي تدعو سدنتها إلى



اتخاذ من فيها أندادا من دون الله أحق بالهدم وأوجب وكذلك محال المعاصي والفسوق كالحانات وبيوت الخمارين وأرباب المنكرات . وقد حرق عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرية بكمالها يباع فيها الخمر وحرق حانوت رويشد الثقفي وسماه فويسقا وحرق قصر سعد عليه لما احتجب فيه عن الرعية وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحريق بيوت تاركي حضور الجماعة والجمعة النساء والذرية الذين لا تجب عليهم كما أخبر هو عن ذلك .

### 63- جواز إنشاد الشعر للقادم فرحا به :

ومنها : جواز إنشاد الشعر للقادم فرحا وسرورا به ما لم يكن معه محرم من لهو كمزمار وشبابة وعود ولم يكن غناء يتضمن رقية الفواحش وما حرم الله فهذا لا يحرمه أحد وتعلق أرباب السماع الفسقي به كتعلق من يستحل شرب الخمر المسكر قياسا على أكل العنب وشرب العصير الذي لا يسكر ونحو هذا من القياسات التي تشبه قياس الذين قالوا : إنما البيع مثل الربا .

### 64- أهم نتائج الغزوة:

أ- يمكن للباحث أن يلاحظ أهم نتائج هذه الغزوة وهي:

1- إسقاط هيبة الروم من نفوس العرب جميعًا -مسلمهم وكافرهم على السواء- لأن قوة الروم كانت في حس العرب لا تقاوم، ولا تغلب، ومن ثم فقد فزعوا من ذكر الروم وغزوهم، ولعل الهزيمة التي لحقت بالمسلمين في غزوة (مؤتة) كانت مؤكدة على ما ترسخ في ذهن العربي في جاهليته من أن الروم قوة لا تقهر، فكان لا بد من هذا النفير العام لإزاحة هذه الهزيمة النفسية من نفوس العرب.

2- إظهار قوة الدولة الإسلامية كقوة وحيدة في المنطقة قادرة على تحدي القوى العظمى عالميا -حينذاك- ليس بدافع عصبي أو عرقي، أو تحقيق أطماع زعامات معاصرة، وإنما بدافع تحريري؛ حيث تدعو الإنسانية إلى تحرير نفسها من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد، ولقد حققت هذه الغزوة الغرض المرجو منها بالرغم من عدم الاشتباك الحربي مع الروم الذين أثروا الفرار شمالا فحققوا انتصارا للمسلمين

دون قتال، حيث أخلوا مواقعهم للدولة الإسلامية، وترتب على ذلك خضوع النصرانية التي كانت تمت بصلة الولاء لدولة الروم مثل إمارة دومة الجندل، وإمارة إيالة (مدينة العقبة حالياً على خليج العقبة)، وكتب رسول الله ﷺ بينه وبينهم كتاباً يحدد ما لهم وما عليهم (1) وأصبحت القبائل العربية الشامية الأخرى التي لم تخضع للسيطرة الإسلامية في تبوك تتعرض بشدة للتأثير الإسلامي، وبدأ الكثير من هذه القبائل يراجع موقفه ويقارن بين جدوى الاستمرار في الولاء للدولة البيزنطية أو تحويل هذا الولاء إلى الدولة الإسلامية الناشئة، ويعد ما حدث في تبوك نقطة البداية العملية لفتح الإسلامي لبلاد الشام (2) وإن كانت هناك محاولات قبلها ولكنها لم تكن في قوة التأثير كغزوة تبوك، فقد كانت هذه الغزوة بمثابة المؤشر لبداية عمليات متواصلة لفتح البلدان، والتي واصلها خلفاء رسول الله ﷺ من بعده، ومما يؤكد هذا أن الرسول ﷺ قبل موته جهز جيشاً بقيادة أسامة بن زيد بن حارثة ليكون رأس حربته موجهة صوب الروم، وطلیعة لجيش الفتح، ضم هذا الجيش جُلَّ صحابة رسول الله، ولكنه لم يقم بمهمته إلا بعد وفاته ﷺ، ومع هذا فقد حقق الهدف المطلوب منه كما سيأتي (3) بإذن الله عند الحديث في سيرة الصديق ﷺ.

لقد وضع رسول الله ﷺ الأسس الأولى والخطوات المثلى لفتح بلاد الشام والفتوحات الإسلامية.

3- توحيد الجزيرة العربية تحت حكم الرسول ﷺ، حيث تأثر موقف القبائل العربية من الرسول ﷺ والدعوة الإسلامية بمؤثرات متداخلة كفتح مكة، وخيبر، وغزوة تبوك، فبادر كل قوم بإسلامهم بعد أن امتد سلطان المسلمين إلى خطوط التماس مع الروم ثم مصالحة نجران في الأطراف الجنوبية على أن يدفعوا الجزية، فلم يعد أمام القبائل العربية إلا المبادرة الشاملة إلى اعتناق الإسلام والالتحاق بركب النبوة بالسمع والطاعة؛ ونظراً لكثرة وفود القبائل العربية التي قدمت إلى المدينة من أنحاء الجزيرة العربية بعد عودة النبي ﷺ من غزوة تبوك لتعلن إسلامها هي ومن وراءها، فقد سمي العام التاسع للهجرة في المصادر

(1) انظر: دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، للشجاع، ص 209.

(2) انظر: المسلمون والروم في عصر النبوة، عبد الرحمن أحمد، ص 102.

(3) انظر: دراسات في عهد النبوة، للشجاع، ص 209.

الإسلامية بعام الوفود(1).

وبهذه الغزوة المباركة ينتهي الحديث عن غزوات النبي ﷺ التي قادها بنفسه، فقد كانت حياته المباركة غنية بالدروس والعبر التي تتربى عليها أمته في أجيالها المقبلة(2)، ومليئة بالدروس والعبر في تربية الأمة وإقامة الدولة التي تحكم بشرع الله.



اعلموا علم اليقين أن حكمة الله اقتضت أن يكون الحق والباطل في خلاف دائم، وصراع مستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كل ذلك ليميز الله الخبيث من الطيب، فمذ بزغ هذا الدين وأعداؤه من يهود ونصارى ومشركين ومناققين يحاولون القضاء عليه، بكل ما يستطيعون، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف:8]، والتاريخ في ماضيه وحاضره يشهد بذلك أنى لهم أن يفلحوا ما تمسكنا بكتاب ربنا وسنة نبينا محمد ﷺ .

وهكذا وصلنا بعون الله وتوفيقه الى نهاية هذه الموسوعة التي ضمّت غزوات

(1) انظر: نضرة النعيم (1/395، 396).

(2) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون، (4/460).

النبي المصطفى ﷺ دروس وعبر ، والحمد لله أولاً وآخراً .

سيبقى الخط بعدي في الكتاب      وتبلى اليد مني في التراب  
 فيا ليت الذي يقرأ كتابٍ      دعائي بالخلاص من الحساب  
 اللهم أغفر للقارئ والكاتب .

اللهم اجعل هذا العمل صالحاً ولوجهك خالصاً برحمتك يا أرحم الراحمين .  
 اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك يارب العالمين , واكتب لنا  
 الشهادة في سبيلك بعد طول عمر وحسن عمل , إنك ولي ذلك والقادر  
 عليه .  
 هذا وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آبه وصحبه وسلم .

وكتبه:

الدكتور أمير محمد المادري

اليمن - المهرة

Almadari\_1@hotmail.com

وتس أب/ 00967711423232

770343470



## المصادر والمراجع

1. الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، القاهرة، مؤسسة قرطبة، 1987 م.
2. الأساس في السنة وفقهها - السيرة النبوية، سعيد حوى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط3، 1416 هـ - 1995 م.
3. أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع
4. الاستيعاب، ابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط. أولى، 1412 هـ.
5. أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي
6. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999/1420 م.
7. البداية والنهاية، أبو الفداء ابن كثير الدمشقي. ط/ دار المعرفة، ط2/1978 م .
8. تاريخ الإسلام، ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، تحقيق: عمر تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، 1411 هـ.
9. التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، د. عبد العزيز الحميدي، دار الدعوة، الإسكندرية.
10. تاريخ الأمم والملوك، ابن جرير الطبري، محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار سويدان، د. ت.
11. تاريخ دمشق، ابن عساكر، محيي الدين العمروي، بيروت، دار الفكر، 1415 هـ.
12. تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط3، 1404 هـ - 1984 م.

13. تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر والتوزيع، 1984 م.
14. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير تقديم: يوسف المرعشلي، بيروت، دار المعرفة، ط 2، 1407 هـ.
15. تفسير القرطبي، لأبي عبد الله القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1965 م.
16. التفسير الكبير، الفخر الرازي، بيروت، دار التراث العربي، د. ت.
17. تفسير المراغي، الشيخ / أحمد مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1365 هـ - 1946 م.
18. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دوهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط 2، 1418 هـ.
19. جامع الأصول، لابن الأثير المتوفى سنة 606 هـ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، طبع مكتبة الحلواني سوريا، عام 1392 هـ.
20. الجامع الصحيح (سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: كمال يوسف، بيروت، دار الكتب العلمية، 1408 هـ.
21. جوامع السيرة، ابن حزم الأندلسي، دمشق، دار ابن كثير، 1986 م.
22. الحوار : أصوله المنهجية وآدابه السلوكية لأحمد الصويان ، ، طبعة دار الوطن.
23. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الإمام السيوطي، الناشر محمد أمين دمج، بيروت، لبنان.
24. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، بيروت، دار الفكر، ط 1، 1403 هـ.
25. الذخيرة، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، دار الغرب الإسلامي- بيروت، 1994 م.
26. الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، المنصورة،

- دار الوفاء، 1987 م.
27. الرسول القائد، محمود شيت خطاب، دار الفكر – بيروت، ط6، 1422 هـ.
28. زاد المعاد في هدي خير العباد، أبو عبد الله ابن القيم حقه: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر، الطبعة الأولى، 1399 هـ، دار الرسالة.
29. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1394 هـ - 1974 م.
30. سنن أبي داود، السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر، د. ت. القاهرة، دار الريان، 1989 م.
31. سنن النسائي، النسائي، أحمد بن شعيب النسائي، بيروت، دار الفكر، والقاهرة، دار الحديث، 1987 م.
32. سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1403 هـ.
33. السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط2، 1427 هـ.
34. السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم العمري، الطبعة الأولى 1412 هـ / 1992 م، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة.
35. السيرة النبوية دروس وعبر، د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة التاسعة، 1406 هـ - 1986 م.
36. السيرة النبوية عرض حقائق وتحليل أحداث، د. علي محمد الصلابي الطبعة الأولى.
37. السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، 1417 هـ - 1996 م.
38. السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصيلة: الدكتور مهدي رزق الله أحمد ط1-1412 هـ مكتبة الملك فيصل.
39. السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، دار ابن كثير – دمشق، ط1425، 12 هـ.

40. السيرة النبوية مواقف وعبر: الدكتور عبد العزيز بن عبد الله الحميدي ط2 دار الدعوة .
41. السيرة النبوية، أبو الحسن الندوي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة ط7/1408.
42. السيرة النبوية، لأبي محمد بن عبد الملك بن هشام، دار الفكر.
43. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، 1424 هـ - 2003 م.
44. شرح النووي على صحيح مسلم للإمام النووي المتوفى 676 هـ - طبع المطبعة المصرية ومكبتها – القاهرة عام 1347 هـ.
45. شرح النووي لصحيح مسلم، بيروت، دار الكتب العلمية، 1349 هـ.
46. صحيح ابن حبان، أبو حاتم البستي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المدينة المنورة، 1970 م.
47. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى البغا، دمشق، دار ابن كثير، 1407 هـ.
48. صحيح البخاري، محمد إسماعيل البخاري، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1411 هـ - 1991 م.
49. صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي، دار النفائس، الطبعة الثالثة، 1408 هـ - 1998 م.
50. صحيح السيرة النبوية، إبراهيم بن محمد بن حسين العلي الشبلي، ط1، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، 1415 هـ - 1995 م.
51. صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، 1402 هـ.
52. الصراع مع الصليبيين، محمد عبد القادر أبو فارس، دار البشير، طنطا، طبعة عام 1419 هـ - 1999 م.
53. الصراع مع اليهود، محمد أبو فارس، دار الفرقان، الطبعة الأولى، 1411 هـ - 1990 م.



54. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، 1417 هـ - 1997 م.
55. صفوة الصفوة، أبو الفرج بن الجوزي، حيدر آباد الدكن، دائرة المعارف العثمانية، 1392 هـ.
56. صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، تأليف: د. محمد فوزي فيض الله، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1996 م.
57. طبقات ابن سعد الكبرى، محمد بن سعد الزهري، دار صادر، ودار بيروت للطباعة والنشر، 1376 هـ - 1957 م.
58. على خطى الحبيب: عمرو خالد .
59. غزوة أحد دراسة دعوية، محمد عيظة بن سعيد بن مزجج، دار إشبيلية، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 1999 م.
60. غزوة أحد لأبي فارس، محمد عبد القادر أبو فارس، ط1، 1402 هـ - 1982 م، دار الفرقان، عمان - الأردن.
61. غزوة الأحزاب وما بعدها: الشيخ منصور الرفاعي عبيد ط1 الدار الثقافية للنشر.
62. غزوة الأحزاب، محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان، عمان، الطبعة الأولى، 1403 هـ - 1983 م.
63. غزوة بدر الكبرى الحاسمة، محمود خطاب.
64. غزوة بدر الكبرى، محمد أبو فارس، دار الفرقان، الطبعة الأولى، 1402 هـ - 1982 م.
65. غزوة بدر الكبرى، محمد أحمد باشميل، طبعة دار الفكر، الطبعة السادسة، سنة 1394 هـ.
66. غزوة تبوك، محمد أحمد باشميل، دار الفكر، بيروت.
67. الفتاوى، ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، د. ت.
68. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار الريان للتراث، 1407 هـ.

69. الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد، أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي، القاهرة، د. ت.
70. فقه السيرة النبوية: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ط11 1991م
71. فقه السيرة النبوية، منير الغضبان، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث مكة المكرمة.
72. فقه السيرة، الشيخ محمد الغزالي، ط. خامسة، دمشق، دار القلم، 1414 هـ.
73. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة التاسعة، 1400هـ-1980م.
74. القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ، دار القلم، الطبعة الأولى، 1410هـ-1990م.
75. الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم ابن الأثير، تحقيق:
76. الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، جار الله الزمخشري، بيروت، دار المعرفة، د. ت.
77. لسان العرب، ابن منظور، أعاد ترتيبه: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد، وهاشم الشاذلي، القاهرة، دار المعارف، 1981م، بيروت، دار صادر، د. ت.
78. المستدرک علی الصحیحین، الحاكم النيسابوري، الهند، حيدرآباد الدكن،/ بيروت، دار المعرفة، د. ت.
79. المستطرف في كل فن مستظرف، الأبيشي، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1988م، وبيروت دار الفكر.
80. المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1418هـ-1997م.
81. مسند الإمام أحمد بن حنبل، رق م أحاديثه: محمد عبد السلام عبد الشافي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1414 هـ/ 1993 م.
82. المغازي للواقدي، محمد عمر بن واقد المتوفي 207هـ، تحقيق د. مارسدن جونز، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، 1404هـ-1984م

83. المغازي، محمد بن عمر الواقدي، ط 3، بيروت، عالم الكتب، 1404 هـ.

84. المغني، ابن قدامة المقدسي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وعبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة، مركز البحوث والدراسات الإسلامية العربية، ط 1، 1406 هـ.

85. من معين السيرة، صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1413 هـ - 1992 م.

86. المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير الغضبان، مكتبة المنار، الأردن الطبعة الثالثة 1411 هـ - 1990 م.

87. المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني، المكتبة التوفيقية، القاهرة - مصر، دت.

88. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم، عدد من المختصين بإشراف صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، ط 4، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة.

89. جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك، تحقيق: عبد القادر الأرنبوط - التتمة تحقيق بشير عيون، مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، 1391 هـ ، 1971 م.

90. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود الطناحي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1363 هـ.

91. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار، الشوكاني، بيروت، دار الجيل، د. ت.

92. الولاء والبراء في الإسلام ، محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، دار طيبة، الرياض





